

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



دراسة في أصول العقيدة والنقل

لأبي شمس

تأليف

الدكتور محمد رشاد سالم

طبع على نفقة

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز

وفقه الله



١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

بمطبعة الفتاح المدينة المنورة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



دُرَّةُ تَعَاظِرِ الْعَقْلِ وَالنَّفْلِ

لِابْنِ تَيْمِيَّةَ
أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم

تحقيق
الدكتور محمد رشاد سالم

طبع على نفقة
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز
وفقه الله

الطبعة الثانية
بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية

الجزء الثاني

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بالجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

رموز الكتاب

- م = طبعة مطبعة السنة المحمدية .
- ق = طبعة المطبعة الأميرية ببولاق .
- س = مخطوطة مكتبة راغب باشا باستانبول .
- ص = مخطوطة مكتبة آصفية (حيدرآباد) .
- ط = مخطوطة مكتبة طلعت (دار الكتب المصرية) .
- ر = مخطوطة مكتبة رامبور (بالهند) .
- د = مخطوط دبلن (بأيرلندا) .
- ت = مخطوط التيمورية (دار الكتب المصرية) .
- ش = مخطوطة دمشق .
- هـ = مختصر الهكاري .

ونحن ننبه على دلالة السمع على أفعال الله تعالى الذي به تنقطع
الفلسفة الدهرية ، ويتبين به مطابقة العقل للشرع^(١) .
دلالة السمع على
أفعال الله تعالى

ولا ريب أن دلالة ظاهر السمع ليس فيها نزاع ؛ لكن الذين يخالفون
دلالتهم يدعون أنها دلالة ظاهرة لا قاطعة ، والدلالة العقلية القاطعة
خالفتها^(٢) ، فأصل الدلالة متفق عليه ، فنقول :

معلوم بالسمع انصاف الله تعالى بالأفعال الاختيارية القائمة به ،
كالاستواء إلى السماء ، والاستواء على العرش ، والقبض ، والطي ،
والإتيان ، والمجيء ، والنزول ، ونحو ذلك . بل والخلق ، والإحياء ،
والإماتة ؛ فإن الله تعالى وصف نفسه بالأفعال اللازمة كالاستواء ،
وبالأفعال المتعدية كالخلق ، والفعل المتعدى مستلزم للفعل اللازم ، فإن
الفعل لا بد له من فاعل ، سواء كان متعدياً إلى مفعول أو لم يكن .
والفاعل لا بد له من فعل ، سواء كان فعله مقتصرًا عليه أو متعدياً إلى

• الأرقام الصغيرة تشير إلى صفحات الجزء الثاني من طبعة السنة المحمدية (م) بتحقيق الشيخين
محمد محيي الدين عبد الحميد . ومحمد حامد الفقي رحمهما الله . والرقم الكبير (٢) يدل على الجزء
الثاني .

(١) س : الشرع للعقل .

(٢) س : تخالفها .

غيره . والفعل المتعدى إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله ، إذ كان لابد [له] ^(١) من الفاعل . وهذا معلوم سمعاً وعقلاً .

أما السمع فإن أهل اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، بل وغيرها من اللغات ، متفقون على أن الإنسان إذا قال : « قام فلان وقعد » وقال ^(٢) : « أكل فلان الطعام وشرب الشراب » فإنه لابد أن يكون في الفعل المتعدى إلى المفعول به ما في الفعل اللازم وزيادة ، إذ كِلْتَا الجملتين ^(٣) فعلية ، وكلاهما فيه فعل وفاعل ، والثانية امتازت بزيادة المفعول ، فكما أنه في الفعل اللازم مَعْنَاً فعلٌ وفاعل ففي الجملة المتعدية مَعْنَاً أيضاً فعلٌ وفاعل ^(٤) وزيادة مفعول به .

٤/٢ / ولو قال قائل : الجملة الثانية ليس فيها فعل قائم بالفاعل . ^(٥) كما في الجملة الأولى ، بل الفعل الذي هو « أكل » و « شرب » نصب ^(٦) المفعول - من غير تعلق بالفاعل ^(٧) أولاً - لكان كلامه معلوم الفساد ، بل يقال : هذا الفعل تعلق بالفاعل أولاً ، كتعلق « قام وقعد » ، ثم تعدى إلى المفعول ، ففيه ما في الفعل اللازم وزيادة التعدى ، وهذا واضح لا يتنازع ^(٨) فيه اثنان من أهل اللسان .

(١) له : زيادة في (س) ، (هـ) .

(٢) م (فقط) : أو قال .

(٣) ص ، ط ، ر : الجملتان ، وهو خطأ .

(٤) س : معنا فعل وفاعل أيضاً .

(٥ - ٥) : ساقط من (ق) فقط .

(٦) م : ينصب .

(٧) س : لا يتنازع .

فقله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [سورة الحديد : ٤] تضمن فعلين : أولهما متعدي إلى المفعول به ، والثاني مقتصر لا يتعدى ، فإذا كان الثاني - وهو قوله تعالى : « ثم استوى » - فعلا متعلقاً بالفاعل ، فقله « خلق » كذلك بلا نزاع بين أهل العربية .

ولو قال قائل : « خلق » لم يتعلق بالفاعل ، بل نصب المفعول به ابتداءً ، لكان^(١) جاهلاً ، بل في « خلق » ضمير يعود إلى الفاعل كما في « استوى » .

وأما من جهة العقل : فَمَنْ جَوَّزَ أَنْ يَقُومَ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَلْ لَازِمٌ لَهُ ، كالجيء والاستواء ، ونحو ذلك ؛ لم يمكنه أن يمنع قيام فعل يتعلق بالخلق كالخلق والبعث والإماتة والإحياء ، كما أن من جَوَّزَ أَنْ يَقُومَ بِهِ صِفَةٌ لَا تَتَلَقَّى بِالْغَيْرِ كالحياة لم يمكنه أن يمنع قيام الصفات المتعلقة بالغير ، كالعلم والقدرة والسمع والبصر ؛ ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بإثبات أحد الضررين دون الآخر ، بل قد ثبتت الأفعال المتعدية القائمة به كالخلق مَنْ^(٢) يُنَازَعُ فِي الْأَفْعَالِ اللَّازِمَةِ ، كالجيء والإتيان . وأما العكس فما علمت به قائلًا .

وإذا كان كذلك كان حدوث ما يُحدثه الله تعالى من المخلوقات تابعاً لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه ، وهذه سبب الحدوث ، والله تعالى حيّ قيوم لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء ، فعّال لما يشاء . وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث ، ونقلوه عن السلف والأئمة ، وهو قول طوائف كثيرة / من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين ٥/٢ والمتأخرين ، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة .

(١) م ، ق : كان .

(٢) س : فن .

وعلى هذا فيزول الإشكال ويكون إثبات خلق السموات والأرض إنما يتم بما جاء به الشرع ، ولا يمكن القول بحدوث العالم على أصل نفاة الأفعال الذين يزعمون أن العقل قد دل على نفيها ، ويقدمون هذا الذي هو عندهم دليل عقلي على ما جاء به الكتاب والسنة^(١) ، والعقل عند التحقيق يبطل هذا القول ويوافق الشرع ؛ فإنه إذا تبين أن القول بنفيها يمتنع معه القول بحدوث شيء من الحوادث : لا العالم ولا غيره ، والحوادث مشهودة ، كان العقل قد دل على صحة ما جاء به الشرع في ذلك ، والله سبحانه موصوف بصفات الكمال ، منزّه عن النقائص ، وكل كمال وُصِف به المخلوق من غير استلزامه لنقص فالخالق أحقُّ به ، وكل نقص نَزِه عنه المخلوق فالخالق أحقُّ بأن يَنَزِه عنه ، والفعل صفة كمال لاصفة نقص ، كالكلام والقدرة ، وعدم الفعل صفة نقص ، كعدم الكلام وعدم القدرة ، فدل العقل على صحة ما دل عليه الشرع ، وهو المطلوب .

وكان الناس قبل أبي محمد بن كُلابَ صنفين ، فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها ، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا ، فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به ، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها ، ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي ، وأبو الحسن الأشعري وغيرهما ، وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب ، ولهذا أمر أحمد بهجره ، وكان أحمد^(٢) يحذّر عن ابن كلاب وأتباعه ، ثم قيل عن الحارث : إنه رجع عن قوله^(٣) .

(١) م . ق ، ص ، ط . ر : على ما جاءت به الكتب والسنة .

(٢) س : وكان الإمام أحمد .

(٣) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي . من شيوخ الصوفية . توفي ببغداد سنة ٢٤٣ . انظر

ترجمته في : تاريخ بغداد ٢١١/٨ - ٢١٦ وفيه الكلام على هجر أحمد بن حنبل له ٢١٤/٢

- ٢١٦ . وانظر ترجمته أيضاً في : طبقات الصوفية للسلي ، ص ٥٦ - ٦٠ ، الطبقات الكبرى =

وقد ذكر الحارث في كتاب « فهم القرآن » عن أهل السنة في هذه المسألة قولين ، ورجَّح قول ابن كلاب ، وذكر ذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة :

١٠٥] وأمثال ذلك ، وأئمة السنة / والحديث على إثبات النوعين ، وهو ٦/٢ الذى ذكره عنهم مَنْ نقل مذهبهم ، كحرب الكرمانى^(١) وعثمان بن سعيد الدارمى وغيرهما ، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة ، وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين ، وذكر حرب الكرمانى أنه قول من لقيه من أئمة السنة ، كأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن الزبير الحميدى^(٢) وسعيد بن منصور^(٣) . وقال عثمان بن سعيد وغيره : إن الحركة من لوازم الحياة ، فكل حى متحرك ، وجعلوا نقي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات ، الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم .

== للشعرانى ٦٤/١ ؛ طبقات الشافعية (طبعة عيسى الحلبي بتحقيق الأستاذين عبد الفتاح الحلو وعمود الطناحى) ٢٧٥/٢ - ٢٧٩ (وانظر ما ذكره عن هجر أحمد له) . شذرات الذهب ١٠٣/٢ ؛ ميزان الاعتدال ٤٣٠/١ - ٤٣١ ؛ الخلاصة للخزرجى . ص ٥٧ ؛ الأعلام ١٥٣/٢ - ١٥٤ . (١) حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلى الكرمانى . صاحب الإمام أحمد ومن أئمة الحنابلة . توفى سنة ٢٨٠ . انظر ترجمته فى : شذرات الذهب ١٧٦/٢ ؛ طبقات الحنابلة ١٤٥/١ - ١٤٦ . (٢) أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى الأسدى . أحد الأئمة فى الحديث . وهو شيخ البخارى . توفى بمكة سنة ٢١٩ . انظر ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ٤١٣/٢ - ٤١٤ ؛ تهذيب التهذيب ٢١٥/٥ - ٢١٦ ؛ تاريخ التراث العربى لفؤاد سركين ٢٨٢/١ - ٢٨٣ ؛ الأعلام ٢١٩/٤ .

(٣) أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة المروزى ويقال الطالقانى ثم البلخى صاحب السنن . توفى بمكة ٢٢٧ . انظر ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ٤١٦/٢ ؛ الجرح والتعديل ج ٢ . ق ٢ . ص ٦٨ ؛ طبقات ابن سعد ٥٠٢/٥ ؛ سركين ٢٨٦/١ - ٢٨٧ .

وطائفة أخرى من السلفية^(١) كنعيم بن حماد الخزازي^(٢) والبخاري صاحب « الصحيح » وأبي بكر بن خزيمة ، وغيرهم كأبي عمر بن عبد البر وأمثاله^(٣) : يثبتون المعنى الذي يثبتونه هؤلاء ، ويسمون ذلك فعلا ونحوه ، ومن هؤلاء من يمتنع^(٤) عن^(٥) إطلاق لفظ الحركة لكونه غير مأثور^(٦) .

وأصحاب أحمد منهم من يوافق هؤلاء ، كأبي بكر عبد العزيز وأبي عبد الله بن بطة وأمثالهما ، ومنهم من يوافق الأولين ، كأبي عبد الله بن حامد وأمثاله ، ومنهم طائفة ثالثة - كالتميمي وابن الزاغواني وغيرهم - يوافقون النفاة من أصحاب ابن كلاب وأمثالهم .

ولما كان الإثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري

(١) م (فقط) : من السلف .

(٢) أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزازي المروزي . توفي سنة ٢٢٨ . انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٤١٨/٢ - ٤٢٠ ، تهذيب التهذيب ٤٥٨/١٠ - ٤٦٣ ، سزكين ٢٨٧/١ - ٢٨٨ ، الأعلام ١٤/٩ .

(٣) جملة « كأبي عمر بن عبد البر وأمثاله » ساقطة من (س) .

(٤) ومن هؤلاء من يمتنع : كلنا في (س) وفي سائر النسخ : لكن يمتنعون .

(٥) س : من .

(٦) في هامش نسخة (هـ) كتب ما يلي : « قال ابن تيمية المصنف في آخر المجلد الثاني في مناظرته للآمدي : وأنت لم تذكر حجة على حدوث نوع الحركة إلا حجة واحدة . وهو قولك : الحادث لا يكون أزليا . وهى ضعيفة . إذ الحادث يراد به النوع ويراد به الشخص . فاللفظ مجمل . كما أن قول القائل القاني لا يكون باقيا مجمل . فإن إراد به أن القاني بنفسه لا يكون باقيا فهو حق . وإن أراد به أن ما كان قاني الأعيان لا يكون نوعه باقيا فهو باطل . فإن نعيم اللجنة دائم باق مع أن كل أكل وشرب ونكاح وغير ذلك من الحركات يفنى شيئا بعد شيء » .

وأبى زُرعة^(١) وأبى حاتم^(٢) ومحمد بن يحيى الذهلي وغيرهم من العلماء الذين أدركهم الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ؛ كان المستقر عنده ما تلقاه عن أئمتته : من أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ، وأنه يتكلم بالكلام الواحد مرة بعد مرة . وكان له أصحاب كأبى على الثقفي^(٣) وغيره تلقوا طريقة ابن كلاب ، فقام بعض المعتزلة وألتي^(٤) إلى ابن خزيمة سر قول هؤلاء ، وهو أن الله لا يوصف بأنه يقدر على الكلام إذا شاء ، ولا يتعلق^(٥) ذلك بمشيئته ، فوقع بين ابن خزيمة وغيره وبينهم في ذلك نزاع ، حتى أظهروا موافقتهم له فيما لا نزاع فيه ، وأمر ولاية الأمر بتأديهم لمخالفتهم له ، وصار / الناس حزينين ، فالجمهور من أهل السنة وأهل الحديث معه ، ومن وافق [طريقة]^(٦) ابن كلاب معه ، حتى صار بعده علماء نيسابور وغيرهم حزينين ، فالحاكم أبو عبد الله^(٧) وأبو عبد الرحمن^(٨)

(١) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد . أبو زرعة الرازي . من أئمة الحديث . توفي سنة ٢٦٤ . انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٥٥٧/٢ - ٥٥٩ ، تهذيب التهذيب ٣٠/٧ - ٣٤ ، طبقات الخنابلة ١٩٩/١ - ٢٠٣ ، سزكين ٢٧٣/١ - ٢٧٤ ، الأعلام ٣٥٠/٤ .

(٢) أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي . من أقران البخاري ومسلم . توفي سنة ٢٧٧ . انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٥٦٧/٢ - ٥٦٩ ، تهذيب التهذيب ٣١/٩ - ٣٤ ، طبقات الخنابلة ٢٨٤/١ - ٢٨٦ ، سزكين ٣٩٠/١ - ٣٩١ ، الأعلام ٢٥٠/٦ .

(٣) أبو على محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الثقفي النيسابوري . الفقيه الواعظ أحد الأئمة . توفي سنة ٣٢٨ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٣١٥/٢ ، العبر للذهبي ٢١٤/٢ ، طبقات الصوفية . ص ٣٦١ - ٣٦٥ ، طبقات الشافعية ١٩٢/٣ - ١٩٦ وفيه ١٩٣/٢ أنه روى بسنده إلى ابن خزيمة . . الخ .

(٤) س . ص . ط . هـ . ر : ألقي .

(٥) م . ق : تعلق .

(٦) طريقة : ساقطة من (م) . (ق) .

(٧) س . ص : علماء أهل نيسابور .

(٨) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري ؛ الشهير بالحاكم ويعرف بابن البيع . من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه . توفي سنة ٤٠٥ . انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ =

السلمي وأبو عثمان النيسابوري^(١) [وغيرهم معه وكذلك]^(٢) يحيى^(٣) بن عمار السجستاني وأبو عبد الله بن منده وأبو نصر السجزي وشيخ الإسلام [أبو إسماعيل]^(٤) الأنصاري [وأبو القاسم] سعد بن علي الزنجاني^(٥) وغيرهم معه ، وأما أبو ذر الهروي وأبو بكر البيهقي^(٦) وطائفة أخرى فهم مع ابن كلاب .

[وكذلك النزاع كان بين طوائف الفقهاء والصوفية والمفسرين وأهل الكلام والفلسفة]^(٧) وهذه المسألة كانت المعتزلة تلقبها بمسألة « حلول الحوادث » وكانت المعتزلة تقول : إن الله منزّه عن الأعراض والأبعاض والحوادث والحدود ، ومقصودهم نفي الصفات ونفي الأفعال ، ونفي

١٠٣٩/٣ - ١٠٤٥ : طبقات الشافعية ٤/١٥٥ - ١٧١ ، تاريخ بغداد ٥/٤٧٣ - ٤٧٤ ، سزكين ٥٤٢/١ - ٥٤٦ ، الأعلام ١٠١/٧ .

(١) س : وشيخ الإسلام أبو عثمان النيسابوري . ولعله : أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني . ولد بنيسابور سنة ٣٧٣ ومات فيها سنة ٤٤٩ . مقدم أهل الحديث بخراسان . لقبه أهل السنة فيها بشيخ الإسلام . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ٤/٢٧١ - ٢٩٢ ، شذرات الذهب ٣/٢٨٢ - ٢٨٣ ، الأعلام ١/٣١٤ .

(٢) ما بين المعقوفتين في (س) فقط .

(٣) يحيى : كذا في (س) وفي سائر النسخ : ويحيى .

(٤) أبو إسماعيل : زيادة في (س) .

(٥) وأبو القاسم سعد بن علي الزنجاني : كذا في (س) وذكر فيها قبل الأنصاري . وفي سائر النسخ : وسعيد بن علي الزنجاني . وهو أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني شيخ الحرم كان حافظاً ثقة زاهداً توفي سنة ٤٧١ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٣/٣٣٩ - ٣٤٠ ، تذكرة الحفاظ ٣/١١٧٨ - ١١٧٤ .

(٦) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي . شيخ خراسان ومن أئمة المحدثين . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٤٥٨ . انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٣/١١٣٢ - ١١٣٥ ، طبقات الشافعية ٨/١٦ - ٣٠٤ ، شذرات الذهب ٣/٣٠٤ - ٣٠٥ ، الأعلام ١/١١٣ .

(٧) ما بين المعقوفتين في (س) فقط .

مبايئته للخلق وعلوه على العرش^(١) ، وكانوا يعبرون عن مذاهب أهل الإثبات أهل السنة بالعبارات المجملّة التي تشعر الناس بفساد^(٢) المذهب ، فإنهم إذا قالوا « إن الله منزّه عن الأعراض » لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما ينكر ، لأن الناس يفهمون من ذلك أنه منزّه عن الاستحالة والفساد كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسقام ، ولا ريب أن الله منزّه عن ذلك ، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ، ولا غير ذلك من الصفات التي يسمونها هم أعراضاً .

وكذلك إذا قالوا : « إن الله منزّه عن الحدود والأحياز والجهات » أو هموا الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم : أنه ليس مبايئنا للخلق ولا منفصلاً عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ، ولا على العرش إله ، وأن محمداً لم يُعْرَج به إليه ، ولم ينزل منه شيء ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب إليه شيء ، ولا يتقرب إلى شيء ، ولا ترفع إليه الأيدي في الدعاء ولا غيره ، ونحو ذلك من معاني الجهمية .

وإذا قالوا : « إنه ليس بجسم » أو هموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات ، ولا مثل أبدان الخلق^(٣) ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يُرى / ولا يتكلم بنفسه ، ولا يقوم به صفة ، ولا ٨/٢ هو مباين للخلق ، وأمثال ذلك .

(١) س : على الأعرش .

(٢) هـ : فساد .

(٣) س : الناس .

وإذا قالوا : « لا تحله الحوادث » أوهمو الناس أن مرادهم أنه لا يكون محلاً للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ، ولا له كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته ، وأنه لا يقدر على استواء أو نزول أو إتيان أو مجيء ، وأن المخلوقات التي خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلاً ، بل عين المخلوقات هي الفعل ، ليس هناك فعل ومفعول ، وخلق ومخلوق ، بل المخلوق عين الخلق ، والمفعول عين الفعل ، ونحو ذلك .

وابن كُلاب ومن اتبعه وافقوهم على هذا وخالفوهم في إثبات الصفات ، وكان ابن كُلاب والحرث المحاسبى وأبو العباس القلانسي وغيرهم يثبتون مباينة الخالق للمخلوق^(١) وعلوه بنفسه فوق المخلوقات ، وكان ابن كلاب وأتباعه يقولون : إن العلو على المخلوقات صفة عقلية تعلم بالعقل ، وأما استواؤه على العرش فهو^(٢) من الصفات السمعية الخبرية التي لا تعلم إلا بالخبر ، وكذلك الأشعرى يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى ، ولهذا يثبت العلو ونحوه مما تنفيه المعتزلة ، ويثبت الاستواء على العرش ، ويرد على من تأوله^(٣) بالاستيلاء ونحوه مما لا يختص بالعرش ، بخلاف أتباع صاحب « الإرشاد »^(٤) فإنهم سلكوا طريقة المعتزلة فلم يثبتوا الصفات إلا بالعقل ، وكان الأشعرى وأئمة أصحابه

(١) س ، هـ : للمخلوقات .

(٢) س ، ط ، ر ، ص ، هـ : فهو .

(٣) س : يتأوله .

(٤) وهو إمام الحرمين الجويني .

يقولون : إنهم يحتجون بالعقل لما عرف^(١) ثبوته بالسمع ، فالشرع هو الذى يعتمد عليه فى أصول الدين ، والعقل عاضد له مُعاون .
فصار هؤلاء يسلكون [ما يسلكه مَنْ]^(٢) سلكه [مِنْ] أهل الكلام المعتزلة^(٣) ونحوهم فيقولون : إن الشرع لا يعتمد عليه فيما وصف الله به وما لا يوصف ، وإنما يعتمد فى ذلك عندهم على عقلمهم ، ثم ما لم يثبتهُ إما أن ينفيه وإما أن يقفوا فيه .

ومن هنا طمع فيهم المعتزلة ، وطمعت الفلاسفة فى الطائفتين ، بإعراض قلوبهم عما جاء به الرسول و[عن] طلب^(٤) الهدى من جهته ، وجعل هؤلاء يعارضون بين العقل / والشرع^(٥) كفعل المعتزلة والفلاسفة ، ٩/٢ ولم يكن الأشعرى وأئمة أصحابه على هذا ، بل كانوا موافقين لسائر أهل السنة فى وجوب تصديق ما جاء به الشرع مطلقا ، والقدح فيما يعارضه ، ولم يكونوا يقولون : « إنه لا يُرجع إلى السمع فى الصفات » ولا يقولون : « الأدلة السمعية لا تفيد اليقين » بل كل هذا مما أحدثه المتأخرون الذين مالوا إلى الاعتزال والفلسفة من أتباعهم ، وذلك لأن الأشعرى صرّح بأن تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ليس موقوفا على دليل الأعراض ، وأن الاستدلال به على حدوث العالم من البدع المحرمة فى دين الرسل ، وكذلك غيره ممن يوافقه على نفي الأفعال القائمة به قد يقول : إن هذا

(١) هـ : يعرف .

(٢) يسلكه من : ساقطة من (م) . (ق) .

(٣) م . ق : يسلكون ما سلكه أهل الكلام من المعتزلة .

(٤) وعن طلب : كذا فى (س) وفى سائر النسخ : وطلب .

(٥) س : بين الشرع والعقل .

الدليل دليل الأعراض صحيح ، لكن الاستدلال به بدعة ، ولا حاجة إليه ، فهؤلاء [لا]^(١) يقولون : إن دلالة السمع موقوفة عليه ، لكن المعتزلة القائلون بأن دلالة السمع موقوفة على صحته صرحوا بأنه لا يُستدل بأقوال الرسول على ما يجب ويمتنع من الصفات ، بل ولا الأفعال ، وصرحوا بأنه لا يجوز الاحتجاج على ذلك بالكتاب والسنة ، وإن وافق العقل ، فكيف إذا خالفه ؟

وهذه الطريقة^(٢) هي التي سلكها من وافق المعتزلة في ذلك كصاحب « الإرشاد » وأتباعه ، وهؤلاء يردون دلالة الكتاب والسنة ، تارة يصرحون بأننا وإن علمنا مراد الرسول فليس قوله^(٣) مما يجوز أن يُحتج به في مسائل الصفات ؛ لأن قوله إنما يدل بعد ثبوت صدقه الموقوف على مسائل الصفات ، وتارة يقولون : إنما لم يدل^(٤) لأننا لا نعلم مراده لتطرق الاحتمالات إلى الأدلة السمعية ، وتارة يطعنون في الأخبار .

فهذه الطرق الثلاث التي وافقوا فيها الجهمية^(٥) ونحوهم من المبتدعة : أسقطوا بها حرمة الكتاب والرسول عندهم ، وحرمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، حتى يقولون^(٦) : إنهم لم يحققوا أصول الدين كما حققناها ، وربما اعتذروا عنهم بأنهم كانوا مشغولين^(٧) بالجهاد ، ولهم من جنس هذا

(١) لا : ساقطة من (م) . (ق) .

(٢) س ، ص ، ط ، ر : الطريق .

(٣) س . هـ : لم يكن قوله .

(٤) هـ : أنها لم تدل .

(٥) هـ : المعتزلة .

(٦) حتى يقولون : كذا في (م) فقط ، وفي سائر النسخ : حتى يقولوا .

(٧) س ، هـ : مشغولين .

الكلام الذى يوافقون به الرافضة ونحوهم / من أهل البدع ، ويخالفون به ١٠/٢ الكتاب والسنة والإجماع ، مما ليس هذا موضع بسطه ، وإنما نبهنا على أصول دينهم وحقائق أقوالهم ، وغايتهم أنهم^(١) يدعون فى أصول الدين المخالفة للكتاب والسنة : المعقول^(٢) والكلام ، وكلامهم فيه من التناقض والفساد ما ضارعوا به أهل الإلحاد ؛ فهم من جنس الرافضة : لا عقل صريح ولا نقل صحيح ، بل منتهاهم السفسطة^(٣) فى العقلية والقرمطة^(٤) فى السمعية ، وهذا منتهى كل مبتدع خالف شيئا من الكتاب والسنة ، حتى فى المسائل العملية والقضايا الفقهية .

(١) وغايتهم أنهم : كذا فى (س) . وفى سائر النسخ : وغايتهم وأنهم .

(٢) م (فقط) : والمعقول .

(٣) يقول الفارابى فى كتابه « إحصاء العلوم » ص ٢٤ (تحقيق الأستاذ الدكتور عثمان أمين ، ط الحانجى . ١٩٣١/١٣٥٠) : « وهذا الاسم - أعنى السوفسطائية - اسم المهنة التى بها يقدر الإنسان على المغالطة والتعويى والتلبيس بالقول والإيهام . . . وهو مركب فى اليونانية من « سوفيا » وهى الحكمة ومن « اسطس » وهى الموهمة . فعناه : حكمة موهمة » . وانظر نفس الكتاب ، ص ٢٤ - ٢٦ . وانظر تعليقات الأستاذ المحقق . وانظر أيضاً : التعريفات للجرجانى . مادة « السفسطة » ؛ دستور العلماء للقاضى عبد النبى بن عبد الرسول الأحمديكرى (ط . حيدرآباد) مادة « السفسطة » ؛ مفاتيح العلوم للخوازمي (ط . المتيرية . ١٣٤٢) ص ٩١ ؛ وانظر كتاب السفسطة (ج ٧ من منطق الشفاء لابن سينا) وخاصة ص ٥ ، وانظر تصدير الدكتور إبراهيم مذكور ومقدمة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى . وانظر كلام ابن تيمية عن أنواع السفسطة فى كتاب « الصفدية » ١/٩٧ - ٩٨ ، ط . الرياض . ١٩٧٦/١٣٩٦ .

(٤) القرمطة أى اتباع طريق القرامطة . والقرامطة من الباطنية وهم الذين ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث الذى كان يلقب بقرمط الذى يقول عنه ابن طاهر البغدادي فى كتابه الفرق بين الفرق انه لقب بقرمط « لقرمطة فى خطه أو خطوه . . . وإليه تنسب القرامطة » . (القرمطة كما فى القاموس المحيط : دقة الكتابة ومقاربة الخطوط) وقال ابن الجوزى فى المنتظم إنه كان يسمى كرميته لحمرة عينية وهو بالنبطية حمار العين . وانظر عن القرامطة : الفرق بين الفرق لابن طاهر ، ص ٢٨١ - ٢٩٣ (بتحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط . صبيح ، بدون تاريخ) ؛ مقالات الأشعرى ١/٩٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مقالة حمدان قرمط لهيوار ، الحضارة الإسلامية لآدم متر ٢/٤٥ - ٤٩ ، المنتظم لابن الجوزى ١١٠/٥ - ١١٩ .

م^٢ دره تعارض العقل جـ^٢

ومع ذلك فهم لا يحتاجون من العقلیات فی أصول الدین إلى ما يحتاج إليه المعتزلة ؛ فإن المعتزلة يزعمون أن النبوة لا تتم إلا بقولهم فی التوحید والعدل ، فيجعلون التكذيب بالقدر من أصولهم العقلية ، وكذلك نفي الصفات . وأما هؤلاء فالمشهور عندهم أنه إذا رؤيت المعجزة المعتبرة علم بالضرورة أنها تصديق للرسول ، وإثبات الصانع أيضاً معلوم بالضرورة أو بمقدمات ضرورية ؛ فالعقلیات التي يُعلم بها صحة السمع مقدمات قليلة ضرورية ، بخلاف المعتزلة فإنهم طوّلوا المقدمات وجعلوها نظرية ، فهم خير من المعتزلة فی أصول الدین من وجوه كثيرة ، وإن كان المعتزلة خيراً منهم من بعض الوجوه .

وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كُلاب ، ومال إلى أهل السنة والحديث ، وانتسب إلى الإمام أحمد ، كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها ، كالإبانة و « الموجز » و « المقالات » وغيرها ، وكان مختلطاً بأهل السنة والحديث كاختلاط المتكلم بهم ، بمنزلة ابن عقيل عند متأخريهم ، لكن الأشعري وأئمة أصحابه أتبع لأصول الإمام أحمد وأمثاله من أئمة السنة من مثل ابن عقيل في كثير من أحواله ، ومن اتبع ابن عقيل كأبي الفرج بن الجوزي في كثير من كتبه ، وكان القدماء من أصحاب أحمد كأبي بكر عبد العزيز وأبي الحسن التميمي وأمثالها يذكرونه في كتبهم على طريق ذكر الموافق للسنة^(١) في الجملة^(٢) ، ويذكرون ما ذكره / من تناقض المعتزلة ، وكان بين التميميين ١١/٢

(١) هـ : لأهل السنة .

(٢) س . ص . ط . ر : في الجمل .

وبين القاضي أبي بكر وأمثاله من الائتلاف^(١) والتواصل ما هو معروف ، وكان القاضي أبو بكر يكتب أحيانا في أجوبته في المسائل « محمد بن الطيب الحنبلي »^(٢) ويكتب أيضا « الأشعري » ، ولهذا توجد أقوال التميميين مقاربة^(٣) لأقواله وأقوال أمثاله المتبعين لطريقة ابن كلاب ، وعلى العقيدة التي صنفها أبو الفضل التميمي اعتمد أبو بكر البيهقي في الكتاب الذي صنفه في مناقب الإمام أحمد لما أراد أن يذكر عقيدته^(٤) ، وهذا بخلاف أبي بكر عبد العزيز وأبي عبد الله بن بطة وأبي عبد الله بن حامد وأمثالهم ، فإنهم مخالفون لأصل قول الكلائية .

والأشعري وأئمة أصحابه ، كأبي الحسن الطبري وأبي عبد الله بن مجاهد الباهلي^(٥) والقاضي أبي بكر ، متفقون على إثبات الصفات الخيرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليد ، وإبطال تأويلها ، ليس له في ذلك قولان أصلا ، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين أصلا ، بل جميع من يحكى المقالات من أتباعه وغيرهم يذكر أن ذلك قوله ، ولكن لأتباعه في ذلك قولان .

(١) هـ : من الموافقة .

(٢) س : كتبه محمد بن الطيب الحنبلي .

(٣) مقاربة : كذا في (س) ، وفي سائر النسخ : مقارنة .

(٤) سبقت ترجمة البيهقي . هذا الجزء ، ص ١٠ . وذكر ابن العماد الحنبلي في « شذرات

الذهب » ٣/ ٣٠٥ أن من كتب البيهقي كتابه في مناقب أحمد .

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي . من أخص تلامذة الشافعي ومن أصحاب الأشعري ، عنه أخذ الباقلاني . جعل الذهبي وفاته بعد الستين وثلاثمائة . انظر ترجمته في : المعبر في خبر من غير ٢/ ٣٥٨ ، طبقات الشافعية ٣/ ٣٦٨ ، تبين كذب المغترى لابن عساكر . ص ١٧٧ .

وأول من اشتهر عنه نفيا أبو المعالي الجويني ، فإنه نفي الصفات
الخبرية ، وله في تأويلها قولان ، ففي الإرشاد أولها ، ثم إنه في
« الرسالة النظامية » رجع عن ذلك ، وحرم التأويل . وبين إجماع
السلف على تحريم^(١) التأويل . واستدل بإجماعهم^(٢) على أن التأويل محرم ،
ليس بواجب ولا جائز ، فصار من سلك طريقته ينفي الصفات الخبرية ،
ولهم في التأويل قولان . وأما الأشعرى وأئمة أصحابه فإنهم مثبتون لها ،
يردّون على من ينفيها أو يقف فيها ، فضلا عما يتأولها .

مسألة قيام الأفعال
الاختيارية بالله تعالى
وأقوال السلف فيها

وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به : فإن ابن كلاب والأشعرى
وغيرهما ينفونها ، وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن ، وبسبب ذلك
وغيره تكلم الناس فيهم في هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم ،
ونسبوه إلى البدعة وبقايا بعض الاعتزال فيهم ، وشاع النزاع في ذلك
بين عامة المنتسبين إلى السنة / من أصحاب أحمد وغيرهم . وقد ذكر أبو
بكر عبد العزيز في كتاب « الشافي »^(٣) عن أصحاب أحمد في معنى أن
القرآن غير مخلوق قولين مبنيين على هذا الأصل :

١٢/٢

أحدهما : أنه قديم لا يتعلق بمشيئته وقدرته^(٤) .

والثاني : أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء .

وكذلك ذكر أبو عبد الله بن حامد قولين ، ومن كان يوافق على نفي
ما يقوم به من الأمور المتعلقة بمشيئته وقدرته - كقول ابن كلاب -

(١) هـ : على ترك .

(٢) بإجماعهم : كذا في (س) وفي سائر النسخ : بذلك .

(٣) سبقت ترجمة أبي بكر عبد العزيز والكلام على كتابه الشافي . ج ١ . ص ٢٦٩ ت ٤ .

(٤) س : بقدرته ومشيئته .

[أبو الحسن التميمي وأتباعه^(١) والقاضي^(٢) أبو يعلى وأتباعه كابن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني وأمثالهم ، وإن كان في كلام القاضي ما يوافق هذا تارة وهذا تارة . ومن كان يخالفهم في ذلك أبو عبد الله بن حامد ، وأبو بكر عبد العزيز وأبو عبد الله بن بطة وأبو عبد الله بن منده ، وأبو نصر السجزي ويحيى بن عمار السجستاني وأبو إسماعيل الأنصاري وأمثالهم^(٣) .

والتزاع في هذا الأصل بين أصحاب مالك وبين أصحاب الشافعي وبين أصحاب أبي حنيفة ، وبين أهل الظاهر أيضا ، فداود بن علي صاحب المذهب وأئمتهم على إثبات ذلك ، وأبو محمد بن حزم^(٤) على المبالغة في إنكار ذلك ، وكذلك أهل الكلام ، فالهشامية والكرامية على إثبات ذلك ، والمعتزلة على نفي ذلك ، وقد ذكر الأشعري في « المقالات » عن أبي معاذ التومني^(٥) وزهير الأثري^(٦) وغيرهما / إثبات ١٣/٢

(١) ما بين المعقوفين زيادة في (س) .

(٢) والقاضي : كذا في (س) وفي سائر النسخ : القاضي .

(٣) م ، ق ، ر ، ط : الأنصاري وأبو عمر بن عبد البر وأمثالهم . وفي هامش (ط) ، (ر) كتب : ضرب في الأصل على قوله : أبو عمر بن عبد البر .

(٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، الإمام الظاهري . عالم الأندلس في عصره . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٤٥٦ . انظر ترجمته في : نفح الطيب ٢/٢٨٣ - ٢٨٩ ؛ وفيات الأعيان ١٣/٣ - ١٧ ؛ العبر للذهبي ٣/٣٢٩ ؛ لسان الميزان ٤/١٩٨ - ٢٠٢ ؛ الأعلام ٥/٥٩ .

(٥) أبو معاذ التومني من أئمة المرجئة ورأس فرقة التومنية منها . لم يتمكن من معرفة تاريخ وفاته . انظر في ترجمته ومذهبه : المقالات للأشعري ١/٢٠٤ . ٣٢٦ ، ٢٣٢/٢ ، الملل والنحل ١/١٢٨ ؛ الفرق بين الفرق (بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) . ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ؛ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (ط . القدسي . ١٣٥٧) ١/١٨٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان . مادة : تومن .

(٦) وزهير الأثري : كذا في جميع النسخ وهو خطأ . ولم أعرف من هو زهير الأثري . ولكن الأشعري يتكلم عن آرائه بالتفصيل في المقالات ١/٣٢٦ .

ذلك ، وكذلك المتفلسفة ، فحكوا عن أساطينهم - الذين كانوا قبل أرسطو - أنهم كانوا يشبتون ذلك ، وهو قول أبى البركات صاحب «المعتبر»^(١) وغيره من متأخريهم ، وأما أرسطو وأتباعه - كالفارابى وابن سينا - فينفون ذلك ، وقد ذكر أبو عبد الله الرازى عن بعضهم أن إثبات ذلك يلزم جميع الطوائف وإن أنكره ، وقرر ذلك .

وكلام السلف والأئمة ومن نقل مذهبهم فى هذا الأصل كثير يوجد فى كتب التفسير والأصول .

قال إسحاق بن راهويه : حدثنا بشر بن عمر : سمعت غير واحد من المفسرين يقول^(٢) : « الرحمن على العرش استوى : أى ارتفع » .

وقال البخارى فى « صحيحه » : « قال أبو العالية استوى إلى السماء : ارتفع » ، قال : « وقال مجاهد : استوى : علا على العرش »^(٣) .

(١) هو أبو البركات هبة الله بن ملكا صاحب كتاب «المعتبر فى الحكمة» . اختلف فى اسمه فسماه بعض المؤرخين : هبة الله بن على . وقال بعضهم : ابن ملكا . وقال آخرون : ابن ملكان ، كما اختلفوا فى سنة وفاته فجعلها بعضهم ٥٤٧ وقال آخرون إنها ٥٦٠ أو ٥٧٠ . وهو طبيب وفيلسوف . كان يهودياً وأسلم ، يعرف بأوحد الزمان وفيلسوف العراقيين . طبع كتابه «المعتبر» فى حيدر آباد سنة ١٣٥٧ . انظر ترجمته والكلام عن كتابه فى : آخر الجزء الثالث من كتابه «المعتبر» ، ص ٢٣٠ - ٢٥٢ ؛ طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ط . بيروت) ٢٩٦/٢ - ٣٠٠ ؛ أخبار الحكماء لابن القطى ، ص ٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقى . ص ١٥٢ - ١٥٤ ؛ نكت الحميان للصفدى ، ص ٣٠٤ ؛ وفيات الأعيان ١٢٤/٥ . ١٢٥ ؛ الأعلام ٦٣/٩ .

(٢) س : يقولون .

(٣) ذكر البخارى النصين فى صحيحه ١٢٤/٩ (كتاب التوحيد . باب وكان عرشه على الماء) . فى أول الباب وذكر بين النصين ما يلى : « فزاهن : فخلقهن » .

وقال الحسين بن مسعود البغوى فى تفسيره المشهور^(١) : « وقال ابن عباس وأكثر مفسرى السلف : « استوى إلى السماء : ارتفع إلى السماء »^(٢) وكذلك قال الخليل بن أحمد .

وروى البيهقى فى كتاب « الصفات » قال^(٣) : « قال الفراء : لم استوى أى صعد ، قاله ابن عباس ، وهو كقولك للرجل : كان قاعدا فاستوى قائما »^(٤) .

وروى الشافعى فى مسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عن يوم الجمعة « وهو^(٥) اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش »^(٦) .

والتفاسير الماثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبرى ، وتفسير عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بدحيم ، وتفسير عبد الرحمن بن أبى حاتم ، وتفسير [أبى بكر]

(١) تفسير البغوى على هامش تفسير ابن كثير (ط . المنار . ١٣٤٣) فى تفسير قوله تعالى : (لم استوى إلى السماء) (سورة البقرة : ٢٩) ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) تفسير البغوى : « لم استوى إلى السماء : قال ابن عباس وأكثر مفسرى السلف أى ارتفع إلى السماء » وسبقت ترجمة البغوى : ج ١ ، ص ٣٤٧ .

(٣) فى كتاب « الأسماء والصفات » (بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، ط . السعادة - القاهرة . ١٣٥٨) ص ٤١٢ .

(٤) نص كلام البيهقى : « . . . ثنا يحيى بن زياد الفراء . . . وقد قال ابن عباس رضى الله عنها : لم استوى : صعد . وهذا كقولك للرجل : كان قاعداً فاستوى قائماً ، أو كان قائماً فاستوى قاعداً . وكل فى كلام العرب جائز » .

(٥) م (فقط) : هو .

(٦) جاء الحديث فى ترتيب مسند الشافعى (بتحقيق الشيخ الكوثرى ، القاهرة . ١٣٧٠ / ١٩٥١) ص ١٢٦ - ١٢٧ عن أنس بن مالك وفيه (ص ١٢٧) : وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش .

ابن المنذر^(١) ، وتفسير أبي بكر عبد العزيز ، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني ، وتفسير أبي بكر بن مردويه ، وما قبل هؤلاء من التفسير مثل تفسير أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وغيرهم ، ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير سنيد^(٢) وتفسير عبد الرزاق ، / ووكيع^(٣) بن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصى ، وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها آثار النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين .

وقال أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني في مسائله المعروفة التي نقلها عن أحمد وإسحاق وغيرهما ، وذكر معها من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وغيرهم ما ذكر ، وهو كتاب كبير صنفه على طريقة « الموطأ » ونحوه من المصنفات ، قال في آخره في الجامع : « باب القول في المذهب : هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع ، خارج عن^(٤) الجماعة ، زائل^(٥) عن منهج السنة وسبيل الحق ، وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد^(٦) وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن

(١) وتفسير أبي بكر بن المنذر : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : وتفسير ابن المنذر .

(٢) وتفسير سنيد : ساقطة من (ق) . (هـ) .

(٣) م : وتفسير وكيع .

(٤) عن : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : من .

(٥) م (فقط) : زائع .

(٦) وهو ابن راهوية . وسبقت ترجمته ، ج ١ ص ٢٤٥ . وانظر ما ذكره عنه سزكين

جالسنا^(١) وأخذنا عنهم العلم « وذكر الكلام في الإيمان والقدر والوعيد والإمامة وما أخبر به الرسول من أشراط الساعة وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك - إلى أن قال : « وهو سبحانه بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان ، والله عرش ، وللعرش حَمَلَةٌ يحملونه ، وله حَدٌّ ، والله أعلم بجده ، والله على عرشه عزَّ ذكره وتعالى جده ولا إله غيره ، والله تعالى سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حلیم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، يقظان لا يسهو ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ويتحرك ويسمع ويبصر وينظر ويقبض ويسيطر ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويرضى ويسخط ويبغض ، ويرحم ويعفو ويغفر ويعطي ويمنع ، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ، كيف شاء ، وكما شاء ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » - إلى أن قال : « ولم يزل الله متكلماً^(٢) عالماً ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

وقال الفقيه الحافظ أبو بكر الأثرم في كتاب « السنة »^(٣) ، وقد نقله

عنه الخلال / في « السنة » : « حدثنا إبراهيم بن الحارث - يعني ١٥/٢ العبادي - حدثني الليث بن يحيى ، سمعت إبراهيم بن الأشعث ، قال أبو بكر - هو صاحب الفضيل - سمعت الفضيل بن عياض : يقول « ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف ؛ لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

(١) م (فقط) : جالسناهم .

(٢) والله : كذا في (م) ، (هـ) . وفي سائر النسخ : الله .

(٣) س (فقط) : ولم يزل متكلماً .

(٤) أبو بكر أحمد بن محمد بن هاني الطائي الإسكافي الأثرم صاحب الإمام أحمد ومن أئمة الهدى ، توفي حوالي سنة ٢٦١ . ترجمته في طبقات الحنابلة ٦٦/١ - ٧٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٥٧٠/٢ - ٥٧٢ ؛ الأعلام ١٩٤/١ . ولا يوجد كتاب « السنة » بين أيدينا .

أَحَدٌ [سورة الإخلاص] فلا صفة أبلغ مما وصف [الله عز وجل] ^(١) به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع ، كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهى ، وكما شاء أن يطلع ، وكما شاء أن يضحك ، فليس لنا أن نتوهم أن كيف وكيف ^(٢) وإذا قال لك الجهمي : أنا أكفر برب يزول عن مكانه ، فقل أنت : أنا أؤمن ^(٣) برب يفعل ما يشاء .

وقد ذكر هذا الكلام الأخير عن الفضيل بن عياض البخاري في كتاب «خلق الأفعال» ، هو وغيره من أئمة السنة ، وتلقوه بالقبول . قال البخاري ^(٤) : «وقال الفضيل بن عياض : إذا قال لك الجهمي : أنا كافر برب يزول عن مكانه» فقل : «أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء» .

قال البخاري ^(٥) : «وحدث ^(٦) يزيد بن هارون عن الجهمية فقال ^(٧) : «مَنْ زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر ^(٨) في قلوب العامة فهو جهمي» .

وقال الحلال في كتاب «السنة» : «أخبرني جعفر بن محمد الفريابي ، حدثنا أحمد بن محمد المقدمي ، حدثنا سليمان بن حرب ،

كلام الحلال في كتاب السنة

(١) الله عز وجل : زيادة في (س) .

(٢) م . ق : أن نتوهم فيه كيف وكيف .

(٣) س : أنا مؤمن .

(٤) في كتاب «خلق أفعال العباد» طبع ضمن مجموعة «عقائد السلف» ص ١٢٦ - ١٢٧ . بتحقيق د . على سامي النشار ، د . عمار جمعي الطالبي (الاسكندرية - ١٩٧١) وطبع الكتاب طبعة سابقة ضمن مجموعة في دهل ، الهند . ١٣٠٦ . وجاء هذا النص في ص ٢١ .

(٥) المرجع السابق . ص ١٢٧ (ط . الاسكندرية) = ص ٢١ (ط . الهند) .

(٦) في الطبعين : وحدث .

(٧) في الطبعين : وقال .

(٨) في الطبعين : ما يقر .

قال : سأل بشر بن السري حماد بن زيد فقال : يا أبا إسماعيل ، الحديث الذي جاء « ينزل الله إلى السماء الدنيا » يتحول من مكان إلى مكان ؟ فسكت حماد بن زيد ، ثم قال : هوفي مكانه ، يقرب من خلقه كيف يشاء .

وقال^(١) أبو الحسن الأشعري في كتاب « المقالات » ، لما ذكرَ مقالة كلام الأشعري في المقالات
أهل السنة وأهل الحديث فقال^(٢) : « ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) » إن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ؟ كما جاء الحديث^(٤) عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى^(٦) ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ۖ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ۗ ﴾ [سورة النساء : ٥٩] ويرون^(٨) اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يحدثوا^(٩) في دينهم ما لم يأذن الله ، ويقرون بأن الله^(١٠) يحيى يوم القيامة ، كما قال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ ﴾ [سورة الفجر : ٢٢] وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء^(١١) ، كما قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۚ ﴾ [سورة ق : ١٦] .

(١) م (فقط) : قال .

(٢) مقالات الإسلاميين بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠) ٣٢٣/١ .

(٣) المقالات : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) المقالات : السماء .

(٥) م (فقط) : في الحديث ، وكذا في المقالات . (وفي ط . استانبول ٢٩٥/١) : كما جاء الحديث .

(٦) المقالات : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٧) المقالات : كما قال الله عز وجل .

(٨) م ، ق : ويودون .

(٩) المقالات : وأن لا يبتدعوا .

(١٠) م ، ق ، هـ : بأن الله ، المقالات : أن الله سبحانه .

(١١) كيف شاء : كذا في (س) والمقالات . وفي سائر النسخ : كيف يشاء .

قال الأشعري^(١) : « وبكل ما ذكرنا من أقوالهم^(٢) نقول ، وإليه نذهب »

وقال أبو عثمان إسماعيل الصابوني الملقب بشيخ الإسلام في رسالته المشهورة [عنه]^(٣) في السنة^(٤) ، وقد ذكر ذلك أبو القاسم التميمي^(٥) في كتاب « الحجة في بيان المحجة » له ، قال : « وثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، من غير تشبيه له بتزول المخلوقين ، ولا تمثيل ، ولا تكييف ، بل يثبتون له ما أثبتته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتهون فيه إليه ، ويؤمنون^(٦) الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكفون علمه إلى الله تعالى ، وكذلك يثبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المجيء والابتيان في ظلل من الغمام والملائكة ، وقوله عز وجل : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر : ٢٢]

أقوال أخرى لأئمة أهل السنة : كلام أبي عثمان الصابوني في رسالته في السنة .

وقال : « سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت إبراهيم ابن أبي طالب يقول : سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر^(٧) ذات يوم

(١) المقالات ١/٣٢٥ = (ط . استانبول ١/٢٩٧)

(٢) المقالات : قولهم .

(٣) عنه : زيادة في (س) .

(٤) وهو الذي ساء ابن تيمية قبل صفحات (ص ١٠) بأبي عثمان النيسابوري ، وسبقت ترجمته هناك .

(٥) س ، ص ، ر ، هـ : التيمي . وهو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصباني . سبقت ترجمته ج ١ ص ٢٤٧ ت ٤ .

(٦) م ، ق : ويجرون .

(٧) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي ، أمير خراسان ، كان من أعظم الأمراء وأكثرهم بذلا للمال مع علم ومعرفة . توفي سنة ٢٣٠ . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/٢٧١ - ٢٧٥ ، تاريخ بغداد ٩/٤٨٣ - ٤٨٩ ، شذرات الذهب ٢/٦٨ ، الأعلام ٤/٢٢٦ - ٢٢٧ .

وحضره^(١) إسحاق بن إبراهيم - يعنى ابن راهويه - فُسِّلَ عن حديث النزول ، صحيح هو؟ قال : نعم ، فقال له بعض قواد عبد الله : يا أبا يعقوب ، أترعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال : نعم ، قال : كيف ينزل؟ فقال له إسحاق^(٢) : أثبتته فوق حتى أصف لك النزول ، فقال الرجل : أثبتته فوق ، فقال إسحاق : قال الله عز وجل : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر : ٢٢] فقال له الأمير عبد الله : يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة ، فقال إسحاق : أعز الله الأمير ! ومن يحيى يوم القيامة من يمنعه اليوم؟ .

وروى بإسناده عن إسحاق بن إبراهيم قال : « قال لى الأمير عبد الله ابن طاهر : يا أبا يعقوب ، هذا الحديث الذى ترويه عن رسول الله ١٧/٢ صلى الله عليه وسلم : « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا » كيف ينزل؟ قال : قلت : أعز الله الأمير ! لا يقال لأمر الرب كيف؟ إنما ينزل بلا كيف .

وبإسناده عن عبد الله بن المبارك : أنه سأله سائل عن النزول ليلة النصف من شعبان ، فقال عبد الله : يا ضعيف ، ليلة النصف؟ ينزل في كل ليلة ، فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ، كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان؟ فقال عبد الله بن المبارك : ينزل كيف شاء .

وقال أبو عثمان الصابوني : « فلما صح خبر النزول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة ، وقبلوا الخبر ، واثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه ، وعلموا وعرفوا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الرب تبارك وتعالى

(١) س . ص . ط . هـ : وحضر . وسقطت هذه الكلمة مع كلمات أخرى في (د) .

(٢) فقال له إسحاق : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : قال إسحاق .

لا تُشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق ، تعالى الله عما يقول ^(١) المشبهة والمعطلة علوا كبيرا ، ولعنهم لعنا كثيرا .

وروي الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » ^(٢) « حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، سمعت ^(٣) أبا زكريا العنبري ^(٤) ، سمعت أبا العباس - يعني السراج - سمعت ^(٥) إسحاق بن إبراهيم يقول : دخلت يوما على طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وعنده منصور بن طلحة ، فقال لي : يا أبا يعقوب ، إن الله ينزل كل ليلة ؟ فقلت له : تؤمن به ^(٦) ، فقال له طاهر ^(٧) : ألم أنهك عن هذا الشيخ ؟ ما دعاك إلى أن تسأله عن مثل هذا ؟ قال إسحاق : فقلت له : إذا أنت لم تؤمن أن لك ربا يفعل ما يشاء ليس ^(٨) تحتاج أن تسألني .

قال البيهقي ^(٩) : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، سمعت ^(١٠) أبا جعفر محمد بن صالح بن هاني ، سمعت ^(١١) أحمد بن سلمة يقول ، سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول : جمعني وهذا المتبذع - يعني إبراهيم

(١) س : عما يقوله .

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي . سبقت ترجمته ، وقد طبع كتابه « الأسماء والصفات » (بتحقيق محمد زاهد الكوثري) ، القاهرة ، ١٣٥٨ . والنص التالي في ص ٤٥٢ منه .

(٣) الأسماء والصفات (ص ٤٥٢) : وأخبرنا .

(٤) الأسماء والصفات : يقول سمعت .

(٥) س : العنبري .

(٦) الأسماء والصفات : يقول سمعت أبا العباس يقول سمعت .

(٧) الأسماء والصفات : تؤمن به ؟

(٨) الأسماء والصفات : فقال طاهر .

(٩) الأسماء والصفات : لست .

(١٠) الأسماء والصفات . ص ٤٥٢ قبل النص السابق بقليل .

(١١) الأسماء والصفات : وأخبرنا .

(١٢) الأسماء والصفات : قال سمعت .

(١٣) الأسماء والصفات : يقول سمعت .

بن أبي صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر / فسألني الأمير عن أخبار ١٨/٢
التزول ، فسرديتها^(١) فقال إبراهيم : كفرت برب يتزل من سماء إلى سماء ،
فقلت : آمنتُ برب يفعل ما يشاء ، فرضي^(٢) عبدُ الله كلامي ، وأنكر
على إبراهيم . قال^(٣) : « هذا معنى الحكاية » .

وروى أبو إسماعيل الأنصاري بإسناده عن حرب الكرماني ، قال :
« قال إسحاق بن إبراهيم : لا يجوز الخوض في أمر الله تعالى ، كما يجوز
الخوض في فعل المخلوقين ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يُسْأَلُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٣] ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الله تعالى
بصفاته وأفعاله - يعني كما نتوهم فيهم - وإنما يجوز النظر والتفكير^(٤) في أمر
المخلوقين ، وذلك^(٥) أنه يمكن أن يكون الله موصوفا بالتزول كل ليلة إذا
مضى ثلثها إلى السماء الدنيا كما يشاء ، ولا يسأل : كيف نزوله ؟ لأن
الخالق يصنع ما يشاء كما يشاء .

وعن حرب قال : قال إسحاق بن إبراهيم : ليس في التزول
وصفٌ .

وقال أبو بكر الخلال في كتاب « السنة » « أخبرني يوسف بن موسى
أن أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - قيل له : أهل الجنة ينظرون إلى
ربهم عز وجل ويكلمونه ويكلمهم ؟ قال : نعم ، ينظر وينظرون إليه ،
ويكلمهم ويكلمونه ، كيف شاء وإذا شاء » .

قال : « وأخبرني عبدُ الله^(٦) بن حنبل ، قال : أخبرني أبي حنبل بن

(١) م (فقط) : فسرديتها عليه .

(٢) الأسماء والصفات : قال فرضي .

(٣) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٤) س : والفكر .

(٥) م . ق : وذكر .

(٦) ط . ر . ص . هـ : عبيد الله .

إسحاق^(١) ، قال : قال عمي : نحن نؤمن بأن الله على العرش^(٢) كيف شاء وكما شاء ، بلا حَدٍّ ولا صفة يبلغها واصف ، أو يحده أحد ، فصفات الله له ومنه ، وهو كما وصف نفسه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ بحد ولا غاية ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] هو عالم الغيب والشهادة ، وعلام الغيوب ، ولا يدركه وصف واصف ، وهو كما وصف نفسه ، وليس من الله شيء محدود ، ولا يبلغ علم قدرته أحد ، غلب الأشياء كلها بعلمه وقدرته وسلطانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى : ١١] وكان الله قبل أن يكون شيء ، والله هو الأول وهو الآخر ، ولا يبلغ أحد حدَّ صفاته .

١٩/٢ / قال : وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلا حدثهم ، قال : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تُروى « إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا »^(٣) و « إن الله يرى »^(٤) و « إن الله يضع قدمه »^(٥) وما أشبه

(١) ذكر ابن العماد الحنبلي (شذرات الذهب ١٦٣/٢) في وفيات سنة ٢٧٣ : « وفيها حنبل بن إسحاق الحافظ أبو علي ، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه » إلى أن قال : « وحدث عنه ابنه عبيد الله - أو عبد الله - . . . وأبو بكر الخلال وغيرهم » . ثم قال عن حنبل : « وذكره ابن ثابت فقال : كان ثقة ثيبا . وقال الدارقطني : كان صدوقا » . وكان حنبل يسمى الإمام أحمد عمه ولذلك يذكر عنه ابن العماد بعد قليل : « وقال حنبل : جمعنا عمي ، يعني الإمام أحمد أنا وصالح وعبد الله : يعني أبناء أحمد وقرأ علينا المسند . . الخ » .

(٢) هـ : على عرشه .

(٣) سبق الكلام على أحاديث التزول ، ج ١ . ص ١٥ ، ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) سبق الكلام على حديث الرؤية ، ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٥) الحديث عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ، حتى يضع فيها رب العزة قدمه ، فتقول : قط قط ، وعزتك ، ويؤذى بعضها إلى بعض » وهذه رواية الترمذي في صحيحه (بشرح ابن العربي) ١٥٩/١٢ - ١٦٠ وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وفيه عن أبي هريرة » . والأحاديث التي تذكر وضع الله سبحانه قدمه في النار جاءت في مواضع كثيرة عن كثير من الصحابة : ففي البخاري عن أنس وعن أبي هريرة ١٣٨/٦ (كتاب التفسير ، سورة ق ، قوله تعالى : وتقول هل من مزيد) . وعن أنس

هذه الأحاديث ، فقال أبو عبد الله : تؤمن بها ، ونصدّق بها ، ولا كيف ولا معنى - أى لا نكيّفها ولا نحرفها بالتأويل ، فنقول : معناها كذا - ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، إذا كان بأسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله . ولا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ، ليس كمثله شيء .

وقال حنبل في موضع آخر . عن أحمد ، قال : « ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف به نفسه ؛ قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه ، فحدّ لنفسه صفة ليس يشبهه شيء ، فنعبد الله بصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه » . قال : « فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ، ولا يبلغ الواصفون صفته ، وصفاته منه وله ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، فنقول كما قال ، ونصفه كما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ولا تبلغه صفة الواصفين ، تؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نُزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ، وما وصف به نفسه من كلام ونزول ، وشُلوّه بعبده يوم القيامة ، ووضع كنفه عليه - هذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة ، والتحديد في هذا كله بدعة ، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه : سميع ، بصير ، لم يزل متكلماً عالماً غفوراً ، عالم الغيب والشهادة ، علّام

== ١٣٤/٨ - ١٣٥ (كتاب الإيمان والنذور . باب الحلف بعبدة الله وصفاته وكماله) . وعنه أيضاً ١١٦/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم) وعن أبي هريرة ١٣٤/٩ (كتاب التوحيد . باب ما جاء في قول الله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين) . وجاءت أيضاً في مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك ٢١٨٦/٤ - ٢١٨٨ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون) . وفي المسند عن أبي هريرة ٣٦٨/٢ - ٣٦٩ ، ٥٠٧ ، وعن أبي سعيد الخدري ١٣/٣ .

الغيوب . فهذه صفات وصف [الله] ^(١) بها نفسه ، لا تدفع ولا ترد ، وهو على العرش بلا حد ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] كيف شاء ، المشيئة إليه عز وجل ، والاستطاعة له ، ليس كمثله شيء ، وهو خالق كل شيء ، وهو كما وصف نفسه سميع بصير بلا حد ولا تقدير ، قول إبراهيم لأبيه ^(٢) ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ [سورة مريم : ٤٢] فثبت أن الله سميع بصير ، صفاته منه ، لا نتعدى القرآن / والحديث ، والخبر بضحك الله ، ولا نعلم كيف ^(٣) ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبثبوت القرآن ، لا يصفه الواصفون ، ولا يحده أحد ، تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة .

قلت له : والمشبهة ما يقولون ؟ قال : من قال بَصَرٌ كبصرى ، ويدٌ كيدى ، وقدم كقدمى ، فقد شبه الله بخلقه ، وهذا يحده ، وهذا كلام سوء ، وهذا محدود ، والكلام فى هذا لا أحبه .

وقال محمد بن مخلد : قال أحمد : نحن نصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله .

(١) لفظ « الله » فى س (فقط) .

(٢) م ، ق : قال .

(٣) هـ : إلى أن قال : يضحك الله ولا يعلم كيف . وفى المسند ١١/٤ عن أبى رزين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره . قال : قلت : يا رسول الله . أو يضحك الرب عز وجل ؟ قال : نعم . قال : لن نعلم من رب يضحك خيرا . والحديث فى المسند ١٢/٤ . والأحاديث التى جاءت فى ضحك الله تعالى كثيرة منها عن أبى هريرة فى : البخارى ٣٤/٥ (كتاب مناقب الأنصار ، باب ويؤثرون على أنفسهم) وعنه أيضا فى ١٢٩/٩ (كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) . وهذا الحديث الأخير جاء فى مسلم ١٦٦/١ (كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية) وفى المسند (ط . المعارف) ١٤٢/١٤ (حديث رقم ٧٧٠٣) . ٥٦ - ٥٥/١٥ (حديث رقم ٧٩١٤) . وفى سنن ابن ماجه ٦٨/١ (المقدمة . باب فيما أنكرت الجهمية) .

وقال يوسف بن موسى : إن أبا عبد الله قيل له : ولا يشبه ربنا شيئا من خلقه ، ولا يشبه شيء من خلقه ؟ قال : نعم ، ليس كمثله شيء . »

فقول أحمد : « إنه ينظر إليهم ويكلمهم كيف شاء وإذا شاء » وقوله : « هو على العرش كيف شاء وكما شاء » وقوله : « هو على العرش بلا حد كما قال : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ كيف شاء ، المشيئة إليه ، والاستطاعة له ؛ ليس كمثله شيء . »

[قلت : وهو خالق كل شيء ، وهو كما وصف نفسه سميع بصير شيء ^(١)] يبين أن نظره وتكليمه وعلوه على العرش واستواءه على العرش مما يتعلق بمشيئته واستطاعته .

وقوله : « بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد » نفى به إحاطة علم الخلق به ، وأن يحدوه أو يصفوه على ما هو عليه ، إلا بما أخبر عن نفسه ، ليبين ^(٢) أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته ، كما قال الشافعي في خطبة « الرسالة » ^(٣) : « الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه » ^(٤) ولهذا قال أحمد : « لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية » فنفى أن يدرك له حد أو غاية ، وهذا أصبح

(١) ما بين المعقوفين في (س) فقط . وسقط من سائر النسخ .

(٢) ليبين : كذا في (س) و(هـ) وفي سائر النسخ لثين .

(٣) الرسالة للشافعي (ص ٨) بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمة الله . ط . مصطفى

الحلي . القاهرة ، ١٣٥٨ / ١٩٤٠ .

(٤) عبارة « الحمد لله » جاءت في الرسالة في ص ٧ في أول الكتاب وجاءت باقي العبارات بعد

ذلك في ص ٨ .

القولين في تفسير الإدراك ، وقد بسط الكلام على شرح هذا الكلام في غير هذا الموضع .

وما في هذا الكلام من نفي تحديد الخلق وتقديرهم لربهم وبلوغهم صفته لا يتنافى ما نصَّ عليه أحمد وغيره من الأئمة ، كما ذكره الخلال ٢١/٢ أيضا ، قال : « حدثنا / أبو بكر المروزي ، قال : سمعت أبا عبد الله - لما قيل له ^(١) : روى على بن الحسن ^(٢) بن شقيق عن ابن المبارك ، أنه قيل له : كيف نعرف الله عز وجل ؟ قال : على العرش بجد - قال : قد بلغني ذلك عنه ، وأعجبه ، ثم قال أبو عبد الله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] . ثم قال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر : ٢٢] . »

قال الخلال : وأنبأنا محمد بن علي الوراق ، حدثنا أبو بكر الأثرم ، حدثني محمد بن إبراهيم القيسي ، قال : قلت لأحمد بن حنبل : يحكي عن ابن المبارك - وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟ - قال : في السماء السابعة على عرشه بجد ، فقال أحمد : هكذا هو عندنا .

وأخبرني حرب بن إسماعيل قال : قلت لإسحاق - يعني ابن راهويه - : هو على العرش بجد ؟ قال : نعم بجد .

وذكر عن ابن المبارك قال : هو على عرشه بائن من خلقه بجد .

قال : وأخبرنا المروزي قال : قال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [سورة

(١) س ، ص ، ط ، ر : قيل له بدون « لما » .

(٢) س ، هـ : بن الحسين .

طه : ٢٥ . إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة ، وفي قعور البحار ورؤوس الآكام وبطون الأودية ، وفي كل موضع ، كما يعلم علم مافي^(١) السموات السبع وما فوق العرش ، أحاط بكل شيء علما ، فلا تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس^(٢) إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه ، فلا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره .

فهذا مثاله مما نُقِلَ عن الأئمة ، كما قد بُسِطَ في غير هذا الموضع ، وبينوا^(٣) أن ما أثبتوه له من الحد لا يعلمه غيره ، كما قال مالك وربيعة وغيرهما : الاستواء معلوم ، / والكيف مجهول ، فبين أن كيفية استوائه ٢٢/٢ مجهولة للعباد ، فلم ينفوا ثبوت ذلك في نفس الأمر ، ولكن نفوا علم الخلق به ، وكذلك مثل هذا في كلام عبد العزيز بن عبد الله بن الماجشون وغير واحد من السلف ، والأئمة ينفون علم الخلق بقدره وكيفيته .

كلامه عبد العزيز
الماجشون

وبنحو ذلك قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون في كلامه المعروف ، وقد ذكره ابن بطّة في « الإبانة »^(٤) ، وأبو عمر الطلمنكي في كتابه في الأصول^(٥) ، ورواه أبو بكر الأثرم ، قال :

(١) م (فقط) : ما فوق .

(٢) عبارة « ولا رطب ولا يابس » في (م) فقط .

(٣) وبينوا : كذا في (س) وفي سائر النسخ : بينوا وفي (هـ) يبين .

(٤) تكلمت عن أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان الكبري المعروف بابن بطّة

المتوفى سنة ٣٨٧ وعن كتابيه « الإبانة الصغرى » و « الإبانة الكبرى » فيما سبق ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٥) سبقت ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي المتوفى سنة ٤٢٩ ، ج ١ ، ص

٢٤٧ . وذكر الزركلي (الأعلام ٢٠٦/١) من كتبه : « الوصول إلى معرفة الأصول » .

« حدثنا عبد الله بن صالح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة أنه قال : « أما بعد ، فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتايعت ^(١) فيه الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظم الذي فاقت ^(٢) عظمته الوصف والتقدير ، وكَلَّتْ الألسن عن تفسير صفته ، وانحسرت العقول عن معرفة قدره » - إلى أن قال : « فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو ، وكيف يعلم من يموت ويبيلى قدر من لا يموت ولا يبيلى ^(٣) ؟ وكيف يكون لصفة ^(٤) شيء منه حدّ أو منتهى يعرفه عارف ، أو يحد قدره واصف ؟ الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته : عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه » - إلى أن قال - : « اعرف - رحمك الله - غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها ، إذا لم تعرف [منها] ^(٥) قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف ؟ هل تستدل بذلك على شيء من طاعته ؟ أو تتزجر به عن شيء من معصيته ؟ » - وذكر كلاما طويلا ، إلى أن قال - : « فأما الذى جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا فقد ^(٦) استهوته الشياطين فى الأرض حيران ؛ فصار يستدل - بزعمه ^(٧) - على جحد ما وصف

(١) فى « لسان العرب » : « التتايع : الوقوع فى الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه ، ولا يكون فى الخير . ويقال فى التتايع : إنه اللجاجة » .

(٢) فاقت : كذا فى (س) وفى سائر النسخ : فانت .

(٣) وكيف يعلم من يموت ويبيلى قدر من لا يموت ولا يبيلى : كذا فى (م) فقط . وفى سائر النسخ : وكيف يعرف قدر من لا يموت ولا يبيلى .

(٤) م (فقط) : لصفته .

(٥) منها : زيادة فى (س) .

(٦) هـ : قد .

(٧) س : زعم .

الرب وسمي من نفسه بأن قال : لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا ، فعنى عن اليقين بالحق ، يحدد ما سمي الرب من نفسه ، بصمت الرب عما لم يسم^(١) ، فلم يزل يُعَلَى له الشيطان ، حتى جحد قول الله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة: ٢٢، ٢٣] . فقال : / لا يراه أحد يوم القيامة ، فجحد - والله - ٢٣/٢ أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر في^(٢) وجهه في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، قد قضى أنهم لا يموتون ، فهم بالنظر إليه ينضرون » وذكر كلاماً طويلاً كتب في غير هذا الموضع^(٣) .

كلام آخر للغلال
« السنة »

وقال الغلال في « السنة » : « أخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال : سمعت أبا عبد الله يقول : « من زعم أن الله لم يكلم موسى فقد كفر بالله ، وكذب القرآن ، وردّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ، يستتاب من هذه المقالة ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه » .

قال : « وسمعت أبا عبد الله قال : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ﴾ [سورة النساء ١٦٤] فأثبت الكلام لموسى كرامة منه لموسى ، ثم قال تعالى يؤكد كلامه^(٤) : ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء ١٦٤] .

قلت لأبي عبد الله : « الله عز وجل يكلم عبده يوم القيامة ؟ قال : نعم ، فمن يقضى بين الخلائق إلا الله عز وجل ؟ يكلم عبده ويسأله ، الله

(١) م ، ق : من نفسه ويصف الرب بما لم يسم .

(٢) م (فقط) : إلى .

(٣) في هامش (ط) كتب ما يلي : « في الحموية » .

(٤) س ، ص ، ر ، ط : بعد كلامه .

متكلم ، لم يزل الله يأمر بما يشاء ويحكم ، وليس له عِذْل ولا مثل ، كيف شاء ، وإنِّي شاء .

قال الخلال : « أخبرنا ^(١) محمد بن علي بن بحر أن يعقوب بن بُخْتان حدثهم ، أن أبا عبد الله سئل عمن زعم أن الله لم يتكلم [بصوت] ^(٢) ؟ فقال ^(٣) : بلى ، تكلم بصوت ، وهذه الأحاديث كما جاءت نرويهما ، لكل حديث وجه ، يريدون أن يموهوا على الناس ، من زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر .

حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله - يعني ابن مسعود - قال : « إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجدا ، حتى إذا فزع عن قلوبهم - قال : سكن عن قلوبهم - نادى أهل السماء : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، قال : كذا وكذا » ^(٤) .

قال الخلال : « وأنبأنا ^(٥) أبو بكر المروزي ^(٦) : سمعت أبا عبد الله -

(١) ص . ط ، هـ : أنبأنا .

(٢) بصوت : زيادة في (س) .

(٣) فقال : كذا في (م) . وفي سائر النسخ : قال .

(٤) هذا الأثر عن ابن مسعود جاء هنا موقوفا . وسيد بعد قليل مرفوعا وستكلم عليه بعد قليل . وقد ذكر الطبري في تفسيره ، (ط . بولاق) ٦٢/٢٢ - ٦٣ (تفسير سورة سبأ . آية ٢٣) عدة آثار عن ابن مسعود وغيره من الصحابة مقاربة في معناها لهذا الأثر . وروى البخاري في صحيحه ١٤١/٩ (كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى ولا تنفع الشاعة عنده . . .) هذا الأثر كما يلي : « وقال مسروق عن ابن مسعود : إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئا . فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ، ونادوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق » .

(٥) س ، ر : وأخبرنا .

(٦) م : أبو بكر المروزي (وتكرر ورود الاسم بعد ذلك في هذه الطبعة كثيرا على هذا النحو) ؛ =

وقيل له : إن عبد الوهاب قد تكلم وقال : من زعم أن الله كلّم موسى بلا صوت فهو جهمي عدوّ الله وعدوّ الإسلام - فتبسم أبو عبد الله وقال « ما أحسن ما قال ! عافاه الله ! »

وقال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن قوم يقولون : لما كلّم الله موسى / لم يتكلم بصوت ، فقال أبي : بلى ، تكلم تبارك وتعالى بصوت ، ٢٤/٢ وهذه الأحاديث نرويها كما جاءت ، وحديث ابن مسعود : « إذا تكلم الله بالوحي سمع له صوت كجّر السلسلة على الصّفّوان »^(١) قال أبي : والجهمية تنكره ، قال أبي : وهؤلاء كفار يريدون أن يموّها على الناس ، من زعم أن الله لم يتكلم فهو كافر ، إنما نروي هذه الأحاديث كما جاءت »

س . ر . ط . ص . س . هـ : أبو بكر المروزي . والصواب ما أثبتته . وسبقت ترجمة أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد بن إبراهيم المروزي (المتوفى سنة ٢٩٢) ج ١ ، ص ٦٨ . كما سبقت ترجمة أبي بكر الحلال ، ج ١ ، ص ٦٦ . ت ٣ . وذكر ابن أبي يعلى في ترجمته للخلخال في طبقات الحنابلة ١٢/٢ : « وصحب أبا بكر المروزي (كذا وهو خطأ) إلى أن مات » . وأما الخطيب البغدادي فذكر في ترجمته للخلخال في : تاريخ بغداد ١١٢/٥ : « سمع الحسن بن عرفة وسعدان بن نصر وأبا بكر المروزي ومحمد بن عوف الحمصي ومن في طبقتهم وبعدهم » .

(١) في هامش (ط) . (ص) كتب الحديث كاملاً وذكرت النسختان أنه حديث أبي هريرة ، وسيرد الحديث بعد قليل مروياً عن أبي هريرة رضي الله عنه كما يرد حديث آخر مقارب في معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

أما حديث ابن مسعود فقد رواه أبو داود في سننه ٣٢٥/٤ (كتاب السنة ، باب في القرآن) وهذا نصه : « حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي وعلي بن الحسين بن إبراهيم وعلي بن مسلم قالوا : ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجّر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل فُزع عن قلوبهم . قال : فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق ، الحق » .

قلت : وهذا الصوت الذى تكلم الله به ليس هو الصوت المسموع من العبد ، بل ذلك صوته كما هو معلوم لعامة الناس ، وقد نصَّ على ذلك الأئمة : أحمدٌ وغيره ، فالكلام المسموع منه هو كلام الله ، لا كلام غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة : ٦] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ألا رجل يحملني إلى قومه لأبْلُغَ كلام ربى ، فإن قرِشا منعوني أن أبلغ كلام ربى» رواه أبو داود وغيره^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم : «زينوا القرآن بأصواتكم»^(٢) ، وقال : «ليس منا من لم يَتَعَنَّ بالقرآن»^(٣) .

ذكر الخلال عن إسحاق بن إبراهيم قال لى أبو عبد الله يوما - وكنت

(١) الحديث عن جابر بن عبد الله فى : سنن أبى داود ٣٢٤/٤ (كتاب السنة ، باب فى القرآن) ، الترمذى ٤٥/١١ (كتاب ثواب القرآن . باب ٢٤) . وقال الترمذى : هذا حديث غريب صحيح .

(٢) ذكر البخارى الحديث على أنه عنوان أحد أبواب كتاب التوحيد فقال ١٥٧/٩ (كتاب التوحيد . باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ، وزينوا القرآن بأصواتكم) ولم يذكر الحديث ضمن أحاديث الباب . أما أبو داود فروى الحديث فى سننه عن البراء بن عازب ٩٩/٢ (كتاب الوتر . باب استحباب الترتيل فى القراءة) ورواه عنه من طريقين النسائى فى سننه (بشرح السيوطى) ١٣٩/٢ - ١٤٠ (كتاب افتتاح الصلاة ، باب تزين القرآن بالصوت) ، ورواه عنه أيضاً : ابن ماجه فى سننه ٢٤٦/٢ (كتاب إقامة الصلاة ، باب فى حسن الصوت بالقرآن) ، الدارمى فى سننه ٤٧٤/٢ (كتاب فضائل القرآن ، باب التغنى بالقرآن) ، أحمد فى مسنده ٢٨٣/٤ ، ٢٨٥ .

(٣) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ١٥٣/٩ (كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى : وأسروا قولكم أو اجهروا به) ، سنن أبى داود ١٠٠/٢ (كتاب الوتر ، باب استحباب الترتيل فى القراءة) ، وهو عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى : سنن الدارمى ٣٤٩/١ (كتاب الصلاة . باب التغنى بالقرآن) . ٤٧١/٢ (كتاب فضائل القرآن . باب التغنى بالقرآن) ، المسند (ط . المعارف) ٤٣/٣ - ٤٤ (حديث رقم ١٤٧٦) ، ٥٩/٣ (حديث رقم ١٥١٢) وصحح الشيخ أحمد شاكر الحديثين .

سألته [عنه^(١)] : تدري ما معنى « من لم يتغن بالقرآن » ؟ قلت : لا - قال : هو الرجل يرفع صوته ، فهذا معناه ، إذا رفع صوته^(٢) لقد تَغَيَّ به . وعن صالح بن أحمد أنه قال لأبيه : « زينوا القرآن بأصواتكم » فقال : التريين أن يحسَّنه .

وعن الفضل بن زياد قال : سألت أبا عبد الله عن القراءة ؟ فقال : يحسَّنه بصوته من غير تكلف^(٣) .

وقال الأثرم : سألت أبا عبد الله عن القراءة بالألحان ، فقال : كل شئ مُحَدَّث فإنه لا يعجبني ، إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلفه .

وقال القاضي أبو يَعْلَى : هذا يدل من كلامه على أن صوت القارئ ليس / هو الصوت الذي تكلم الله به ، لأنه أضافه إلى القارئ الذي هو ٢٥/٢ طبعه من غير أن يتعلم^(٤) الألحان^(٥) .

وقال أبو عبد الله البخاري - صاحب الصحيح - في كتاب « خَلَقَ » الأفعال^(٦) : « يُذَكِّرُ عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أن الله ينادي بصوت يسمعه من بَعْدَ كما يسمعه من قَرَبَ ، وليس هذا لغير الله عز وجل^(٧) » .

كلام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد »

(١) عنه : ساقطة من (م) فقط .

(٢) م : صوته به .

(٣) س : تكلف به .

(٤) م : يتكلف ؛ ق : يتكلم .

(٥) ق ، ر : بالألحان .

(٦) في كتاب « خلق أفعال العباد » (ط . الإسكندرية) ص ١٩٢ وجاء الحديث فيه مفصلاً .

(٧) خلق أفعال العباد : فليس هذا لغير الله جل ذكره .

قال أبو عبد الله البخارى^(١) : « وفي هذا دليل على^(٢) أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق ؛ لأن صوت الله^(٣) يُسمع من بعد كما يُسمع من قرب ، وأن الملائكة يُصعقون من صوته ، فإذا تنادى^(٤) الملائكة لم يصعقوا ، قال^(٥) : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٢] فليس لصفة الله ند ولا مثل ، ولا يوجد شئ من صفاته في المخلوقين .

ثم روى بإسناده حديث عبد الله بن أنيس^(٦) - الذى استشهد به في غير موضع من الصحيح^(٧) ، تارة يجزم به ، وتارة يقول : « ويُذكر عن عبد الله بن أنيس^(٨) - قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار^(٩) يطلبه بمظلمة » ، وذكر الحديث - الذى رواه في صحيحه - عن أبي سعيد^(١٠) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) البخارى : ليست في خلق أفعال العباد .

(٢) على : ليست في « خلق أفعال العباد » ولا في نسخة (س) ، (هـ) .

(٣) خلق أفعال العباد : الله جل ذكره .

(٤) م ، ق : يتنادى ، س : نادى .

(٥) خلق أفعال العباد : وقال عز وجل .

(٦) خلق أفعال العباد . ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٧) م : في .

(٨) الحديث في : البخارى ١٤١/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ولا تنفع الشفاعة عنده) وفيه : ويُذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر العباد . . . الحديث . وجاء الحديث في المسند ٤٩٥/٣ مفصلاً عن جابر عن عبد الله بن أنيس . ولم أجد الحديث في موضع آخر في صحيح البخارى .

(٩) خلق أفعال العباد : واحد من النار ، وسقطت كلمة « أهل » .

(١٠) خلق أفعال العباد ، ص ١٩٣ . والحديث في صحيح البخارى في ثلاثة مواضع : عن أبي

«يقول الله يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بَعَثًا إلى النار، قال: يارب، ما بَعَثُ النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال: تسعمائة وتسعة وتسعين - فحينئذ تضع الحامل حملها ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [سورة الحج: ٢] وذكر حديث ابن مسعود - الذي استشهد به أحمد - وذكر الحديث ^(١) الذي رواه في صحيحه عن عكرمة ^(٢): سمعت أبا هريرة يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

/ خُضْعَانًا لقوله: كأنه سلسلة على صفوان ^(٣)، فإذا ﴿فُرِّعَ عَنْ ٢٦/٢ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ: ٢٣] وذكر حديث ابن عباس المعروف من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن نفر من الأنصار ^(٤) - وقد رواه أحمد ومسلم

== سعيد الخدري ٩٧/٦ - ٩٨ (كتاب تفسير القرآن . سورة الحج) ، وعن أبي هريرة مع اختلاف في اللفظ ١١٠/٨ (كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر) ، وعن أبي سعيد الخدري ١٤١/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده) وهو بمعناه في المسند (ط . المعارف) : عن عبد الله بن مسعود ٢٥٠/٥ (حديث رقم ٣٦٧٧) ، وعن أبي هريرة (ط . الحلبي) ٣٧٨/٢ .

(١) خلق أفعال العباد ، وما بعث .

(٢) خلق أفعال العباد ، ص ١٩٣ .

(٣) روى البخاري الحديث التالي عن عكرمة عن أبي هريرة في صحيحه ٨٠/٦ - ٨١ (كتاب التفسير ، سورة الحجر ، باب إلا من استرق السمع) ، وعنها أيضاً ١٢١/٦ - ١٢٢ (كتاب التفسير سورة سبأ ، باب حتى إذا فرغ عن قلوبهم) ، وعنها أيضاً في موضع ثالث عدة روايات ١٤١/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده) . وروى الحديث عن أبي هريرة الترمذي في صحيحه (بشرح ابن العربي) ١٠١/١٢ (كتاب التفسير ، سورة سبأ) ، وابن ماجه في سننه ٦٩/١ - ٧٠ (المقدمة ، باب ١٣ حديث رقم ١٩٤) .

(٤) ط : ر : سلسلة الصفوان .

(٥) خلق أفعال العباد ، ص ١٩٤ .

في صحيحه وغيرهما^(١)، وساقه البخاري من طريق ابن إسحاق عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « ما تقولون في هذا النجم الذي يُرمَى به ؟ قالوا : كنا يارسول الله نقول^(٢) حين رأيناها يُرمَى بها : مات ملك ، ولد مولود ، مات مولود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولكن الله إذا قضى في خلقه أمراً يسمعه أهل العرش فيسبحون^(٣) ، فيسبح مَنْ تحتهم بتسبيحهم ، فيسبح مَنْ تحت ذلك ، فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ، حتى يقول^(٤) بعضهم لبعض : لم سبحتم ؟ فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم ، فيقولون : أفلا^(٥) تسألون من فوقكم مِمَّ^(٦) سبحوا ؟ فيسألونهم ، فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا ، الأمر الذي كان ، فيهبط^(٧) [به]^(٨) الخبر من سماء إلى سماء ، حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ، فيتحدثون به ، فتسترقه الشياطين بالسمع ، على توهم منهم واختلاف ،

(١) روى مسلم الحديث عن ابن عباس في صحيحه ١٧٥٠/٤ - ١٧٥١ (كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان) . ورواه أحمد عنه في مسنده (ط . المعارف) ٢٦٨/٣ - ٢٦٩ رقم ١٨٨٢ . ١٨٨٣ . كما رواه عن ابن عباس أيضاً الترمذي في صحيحه (بشرح ابن العربي) ١٠٢/١٢ - ١٠٣ (كتاب التفسير . سورة سبأ) . وانظر ما ذكره ابن تيمية عن هذا الحديث برواياته المختلفة في كتاب الصفدية (بتحقيق) ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٤ (ط . مطابع حنيفة ، الرياض ، ١٩٧٦/١٣٦٩) .

(٢) خلق أفعال العباد (في نسختي الاسكندرية والمهند ص ٨٨) : أنا نقول .

(٣) خلق أفعال العباد : فيسبحوا (كذا في النسختين) .

(٤) خلق أفعال العباد : ثم يقول .

(٥) أفلا : كذا في (م) وفي خلق أفعال العباد . وفي سائر النسخ : فلا .

(٦) م (فقط) : لم .

(٧) خلق أفعال العباد (في النسختين) : فيهبط .

(٨) به : ساقطة من (م) ، (ق) .

ثم يأتون به [إلى] ^(١) الكهان من أهل الأرض ، فيحدثونهم ، فيخطئون ويصيبون ، فتحدث به الكهان ، ثم إن الله حجب الشياطين عن السماء بهذه النجوم ، فانقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة .

وقال البخاري أيضاً ^(٢) : « ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق ، وأن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعل ، فمن كان له فعل فهو حي ، ومن لم يكن له فعل فهو ميت ، وأن أفعال العباد مخلوقة ، فضيق عليه حتى مضى لسبيله ، وتوجع أهل العلم لما نزل به » .

قال : « وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيماً ومن نحا نحوه ليس بمارق ، ولا مبتدع ، بل [البدع] ^(٣) والترؤس بالجهل بغيرهم ^(٤) أولى ؛ إذ يفتون ^(٥) بالآراء المختلفة مما لم يأذن به الله » .

/ وقال الحارث بن أسد المحاسبي ، في كتاب « فهم القرآن » ^(٦) لما تكلم ٢٧/٢
كلام المحاسبي في « فهم القرآن »
على ما يدخل في النسخ وما لا يدخل فيه النسخ ، وما يُظن أنه متعارض من الآيات ، وذكر عن أهل السنة في الإرادة والسمع والبصر قولين في مثل قوله : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ﴾ [سورة الفتح : ٢٧] وقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ [سورة الإسراء : ١٦]

(١) إلى : ساقطة من (م) . (ق) . (ص) .

(٢) لم أجد الكلام التالي في « خلق أفعال العباد » ويبدو أن هناك نقصاً في المطبوعتين .

(٣) بل البدع : ساقطة من (ص) ، (ر) . (م) . (ق) .

(٤) بغيرهم : كذا في (س) : وفي سائر النسخ : لغيرهم .

(٥) م ، ق : يفتنون .

(٦) نشر الأستاذ حسين القوتلي كتاب « العقل » وكتاب « فهم القرآن » في مجلد واحد وهما للحارث المحاسبي ، وسأقابل كلام المحاسبي الذي يورده ابن تيمية هنا على الطبعة الثانية من هذا المجلد ، وقد نشر بواسطة دار الكندي ، ودار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨/١٣٩٨ .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَمَرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] وكذلك قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٥] وقوله : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] ونحو ذلك ، فقال : « قد ذهب قوم من أهل السنة إلى أن لله استماعا حادثا في ذاته ، وذكر أن هؤلاء وبعض أهل البدع تأولوا ذلك في الإرادة على الحوادث ،^(١)

قال :^(٢) « فأما من ادعى السنة ، فأراد إثبات القدر ،^(٣) فقال : إرادة الله تحدث إن حدثت^(٤) من تقدير سابق الإرادة^(٥) ، وأما بعض أهل البدع فزعموا أن الإرادة إنما هي خلق حادث ، وليست مخلوقة^(٦) ، ولكن بها كَوْن الله المخلوقين^(٧) »

قال :^(٨) « وزعموا^(٩) أن الخلق غير المخلوق ، وأن الخلق هو الإرادة ، وأنها ليست بصفة لله من نفسه^(١٠) . »

(١) انظر كتاب « فهم القرآن » ص ٣٣٢ - ٣٤٠ . ثم انظر ص ٣٤١ حيث يتكلم عن الآيات الثلاث التي يذكرها ابن تيمية (الفتح : ٢٧ ، الإسراء : ١٦ ، يس : ٨٢) ثم يقول المحاسبي في آخر ص ٣٤١ : « وقد تأول بعض من يدعى السنة وبعض أهل البدع ذلك على الحدوث » . وانظر ما ذكره المحاسبي ص ٣٤٢ - ٣٤٤ . وانظر كلام المحاسبي في ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ على آيتي سورة الشعراء والتوبة وفي ص ٣٤٥ يقول : « وقد ذهب قوم إلى أن لله جل وعز استماعا حادثا في ذاته » .

(٢) في كتابه « فهم القرآن » ص ٣٤٢ .

(٣-٣) فهم القرآن : « إرادة الله جل وعز أحدث من تقديره ، تقديره سابق الإرادة »

(٤) عبارة « إن حدثت » في (م) فقط . وفي (س) كتبت إشارة فوق كلمة « تحدث » تشير إلى الهامش حيث كتبت كلمة « حدث »

(٥) فهم القرآن ص ٣٤٢ : وليست بمخلوقة .

(٦) فهم القرآن : ولكن الله جل وعز بها كَوْن المخلوق .

(٧) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٣٤٢ .

(٨) فهم القرآن : فزعمت .

(٩) م ، ق : صفة .

قال : « ولذلك^(١) قال بعضهم : إن رؤيته تحدث^(٢) » .

واختار [الحارث]^(٣) المحاسبي القول الآخر ، وتأول النصوص على أن الحادث هو وقت المراد لا نفس الإرادة ، قال : وكذلك قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ وقوله : ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ تأوله على أن المراد حدوث المسموع والمبصر ، كما تأول قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾ [سورة محمد : ٣١] حتى يكون المعلوم بغير حادث علم في الله^(٤) ؛ ولا بصير ، ولا سمع ، ولا معنى حدث في ذات الله ، تعالى عن الحوادث في نفسه » .

وقال محمد بن الهيصم^(٥) في كتاب « جمل الكلام » له : لما ذكر جمل كلام محمد بن الهيصم في « جمل الكلام »

(١) س . هـ : وكذلك .

(٢) هذه العبارة ليست في كتاب « فهم القرآن » بنصها . ولكن يقول المحاسبي في ص ٣٤٥ : « . . . وكذلك ذهب (قوم) إلى أن رؤية تحدث له »

(٣) الحارث : ليست في (م) . (ق) . (هـ) .

(٤) م : حتى يكون المعلوم بغير حادث في علم الله ؛ ق ، ص ، ط ، ر : حتى يكون المعلوم بغير حادث في علم .

(٥) ص . ط . ر : الهيصم ؛ ق : م : الهيصم . أما محمد بن الهيصم فلم أعرف من هو . ولعله تحريف . وأما محمد بن الهيصم فقد ذكر الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » ٣/٣٦٢ - ٣٦٤ أربعة بهذا الاسم لعل أشهرهم هو أولهم : محمد بن الهيصم بن حماد بن واقد . أبو عبد الله مولى ثقيف . قاضي عكبرا . ويعرف بأبي الأخص . وقد توفي سنة ٢٧٩ . ولكنني لم أعرف أن له كتابا بعنوان « جمل الكلام » وقد بحثت عن هذا الكتاب فلم أجده . انظر في ترجمة أبي الأخص : تاريخ بغداد ٣/٣٦٢ - ٣٦٤ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٠٥ - ٦٠٦ . تهذيب التهذيب ٩/٤٩٨ - ٤٩٩ ، الأعلام ٧/٣٥٧ . ورجحت أن يكون الصواب هو : محمد بن الهيصم «وهو المثبت في (س) . (هـ)» . ومحمد بن الهيصم من رؤوس الكرامية إلا أنه كما قال الشهرستاني (الملل والنحل ١/٣٨) : مقارب . وقال عنه أيضا (١٠٢/١) : « وقد اجتهد ابن الهيصم في إراما مقالة أبي عبد الله (ابن كرام) في كل مسألة حتى ردها من المحال الفاحش إلى نوع يفهم فيها بين العقلاء » . ونرى عنه ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة ٣/٢٢٩ - ٢٣٠) ما ينسب إليه من تجسيم وفوقيه . ولم أجد للرجل ترجمة في كتب الرجال =

م^٤ دره تعارض العقل جـ٢

الكلام في القرآن ، وأنه مبني على خمسة فصول^(١) :

أحدها : أن القرآن كلام الله ، فقد حكى عن جهم بن صفوان أن القرآن / ليس كلام الله على الحقيقة ، إنما هو كلامٌ خلقه الله ، فنُسب^(٢) ٢٨/٢

إليه ، كما قيل : سماء الله ، وأرض الله ، وكما قيل : بيت الله ، وشهر الله ، وأما المعتزلة فإنهم أطلقوا القول بأنه كلام الله على الحقيقة ، ثم وافقوا جهمًا في المعنى ، حيث قالوا : كلام [الله]^(٣) خلقه باثنا منه ، وقال عامة المسلمين : إن القرآن كلام الله على الحقيقة ، وإنه تكلم به .

والفصل الثاني في أن القرآن غير قديم ، فإن الكلائية وأصحاب الأشعرى زعموا أن الله لم يزل يتكلم بالقرآن ، وقال أهل الجماعة : بل إنما تكلم بالقرآن حيث خاطب به جبريل ، وكذلك سائر الكتب .

والفصل الثالث : أن القرآن غير مخلوق ، فإن الجهمية والنجارية والمعتزلة زعموا أنه مخلوق ، وقال أهل الجماعة : [إنه]^(٤) غير مخلوق .

والفصل الرابع : أنه غير بائن من الله^(٥) ، فإن الجهمية وأشياعهم

التي بين يدي ، ولم يذكر كتاب « جمل الكلام » ضمن ما ذكر من كتبه . وانظر عن مذهبه وآرائه ما ورد في : الملل والنحل ٩٩/١ . ١٠١ - ١٠٣ ؛ نهاية الإقدام ، ص ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٤ ، التجسيم عند المسلمين لسهير محمد مختار (القاهرة - ١٩٧١) ص ٨٧ - ٩٣ . وانظر لسان الميزان ٣٥٤/٥ .

(١) كتب في هامش نسخة (ط) أمام هذا الموضع ما يلي : « قوله : على خمسة فصول لم يذكر هنا إلا أربعة فإما أن تكون كذلك وإما أن يكون الخامس قد سقط » وكتب في هامش نسخة (ر) : « لم يذكر هنا إلا أربعة » . وكتب تعليق في هامش نسخة (ص) غير واضح لعله : « ما ذكر في الأصل إلا أربعة فصول »

(٢) س : فينسب .

(٣) كلمة « الله » زيادة في (س) ، (هـ) .

(٤) إنه : ساقطة من (م) ، (ق) .

(٥) س ، هـ : منه .

من المعتزلة قالوا : إن القرآن بائن من الله ، وكذلك سائر كلامه ، وزعموا أن الله خلق كلاما في الشجرة فسمعه موسى ، وخلق كلاما في الهواء فسمعه جبريل ، ولا يصح عندهم أن يوجد من الله كلام يقوم به في الحقيقة ، وقال أهل الجماعة : بل القرآن غير بائن من الله ، وإنما^(١) هو موجود منه ، وقائم به .

وذكر محمد بن الهيصم^(٢) في مسألة الإرادة والخلق والمخلوق وغير ذلك ما يوافق ما ذكره^(٣) هنا من إثبات الصفات الفعلية القائمة بالله التي ليست قديمة ولا مخلوقة .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف « بنقض عثمان بن سعيد ، على بشر^(٤) المريسي الجهمي العنيد ، فيما افترى على الله في التوحيد » قال^(٥) : « وادعى المعارض أيضاً : أن قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يمضي^(٦) ثلث الليل فيقول : هل من مستغفر ؟ هل من تائب^(٧) ؟ هل من داع ؟ » قال^(٨) : « فادعى أن الله لا ينزل بنفسه ، إنما ينزل أمره ورحمته ، وهو على العرش ،

(١) م (فقط) إنما .

(٢) م . ق : الهيصم ، ص ، ط ، ر : الهيصم .

(٣) م (فقط) : ما ذكر .

(٤) بشر : زيادة في (م) فقط .

(٥) في كتاب « رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد » تحقيق الشيخ محمد

حامد الفقي (ط . السنة المحمدية . ١٣٥٨) ص ١٩ .

(٦) رد الدارمي : إذا مضى .

(٧) رد الدارمي : هل من تائب هل من مستغفر .

(٨) رد الدارمي ، ص ٢٠ .

(٩) رد الدارمي : فادعى المعارض أن الله .

وبكل مكان من غير زوال ، لأنه الحى القيوم ؛ والقيوم بزعمه من لا يزول .

٢٩/٢ قال^(١) : / « فيقال لهذا المعارض : وهذا أيضا من حجج النساء والصبيان ، ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته ينزل فى كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليلَ دون النهار ، ويؤقت من الليل شطره أو الأسحار ؟ أفأمره ورحمته يدْعُونَ العباد^(٢) إلى الاستغفار ، أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولان^(٣) : هل من داع فأجيب^(٤) ؟ هل من مستغفر فأغفر له^(٥) ؟ هل من سائل فأعطى^(٦) ؟ فإن قررت^(٧) مذهبك لزمك أن تدعى أن الرحمة والأمر هما اللذان^(٨) يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامهما دون الله ، وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ؟ قد علمتم ذلك ، ولكن تكابرون ، وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شَطْرَ الليل ، ثم لا يمكنان إلا إلى طلوع الفجر ، ثم يرفعان ؟ لأن رفاة يرويه يقول^(٩) فى حديثه « حتى ينفجر الفجر » . قد علمتم ، إن شاء الله ، أن هذا التأويل

(١) بعد النص السابق مباشرة .

(٢) ر . ص : فأمره ورحمته ؛ رد الدارمى : فبرحمته وأمره .

(٣) ر : يدعوان الناس ؛ رد الدارمى : يدعو العباد .

(٤) رد الدارمى : فيقولان .

(٥) م ، ق ، ر : فأجيبه .

(٦) له : ليست فى « رد الدارمى » .

(٧) م ، ق : فأعطيه .

(٨) رد الدارمى : فإن قدرت .

(٩) رد الدارمى : أن تدعو الرحمة والأمر اللذين .

(١٠) م ، ق : راويه .

أبطل باطل ، لا يقبله إلا كل جاهل . وأما دعواك أن تفسير « القيوم » الذى لا يزول عن مكانه ولا^(١) يتحرك ؛ فلا يقبل منك^(٢) هذا التفسير إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه^(٣) أو التابعين ؛ لأن الحى القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك إذا شاء ، ويهبط^(٤) ويرتفع إذا شاء ، ويقبض ويبسط ، ويقوم ويجلس إذا شاء ، لأن أمانة ما بين الحى والميت التحرك ، كل حى متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة ، ومن يلتفت إلى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة إذ فسر نزوله مشروحاً منصوباً ، ووقتَ لنزوله وقتاً مخصوصاً ، لم يدعْ لك ولا لأصحابك فيه كبساً ولا عويصاً .

قال^(٥) : « ثم أجمل المعارض جميع ما ينكر^(٦) الجهمية من صفات الله تعالى وذاته^(٧) المسماة في كتابه ، وفي آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعدها منها بضعا وثلاثين صفة نسقا واحدا ، يحكم عليها ويفسرها بما حكى المرسى وفسرها وتأولها حرفا حرفا ، خلاف ما عني الله وخلاف

(١) م ، ق ، ص ، ط ، ر : ولا .

(٢) رد الدارمى : فلا

(٣) رد الدارمى : مثل .

(٤) س : الصحابة .

(٥) رد الدارمى : وينزل .

(٦) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢١ .

(٧) م ، ق ، ص ، ط ، ر : ما تنكره .

(٨) س ، ر ، ط : وذواته .

(٩) م ، ق ، ص ، ط ، ر : بخلاف .

٣٠/٢ ما تأولها الفقهاء الصالحون ، لا يعتمد في أكثرها إلا / على الميرسي ، فبدأ منها بالوجه ، ثم بالسمع ، والبصر ، والغضب ، والرضا ، والحب ، والبغض ، والفرح ، والكراهة ، والضحك ، والعجب ، والسخط ، والإرادة ، والمشية ، والأصابع ، والكف ، والقدمين . وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : ٨٨] ﴿ فَأَيُّ تَمَازُجٍ تُؤَلُّوْنَ فَكَمْ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى : ١١] و ﴿ خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ [سورة ص : ٧٥] ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [سورة المائدة : ٦٤] و ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح : ١٠] ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [سورة الزمر : ٦٧] وقوله : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة الطور : ٤٨] و ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر : ٢٢] ﴿ وَيَخْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [سورة الحاقة : ١٧] و ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [سورة طه : ٥] و ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ [سورة غافر : ٧] .

وقوله ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٨ ، ٣٠] و ﴿ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٧] و ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] و ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] و ﴿ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٢]

(١) في (رد الدارمي) لم تذكر الآية ولكن فيه : « وخلق آدم بيدي » .

قال^(١) : « عَمَدَ المعارض إلى هذه الصفات والآيات فنسقها ونظم بعضها إلى بعض ، كما نظمها شيئاً بعد شيء ، ثم فرقها أبواباً في كتابه ، وتلطف بردها^(٢) بالتأويل كتلطف الجهمية ؛ معتمداً فيها على تفسير^(٣) الزائغ الجهمي بشر بن غياث المريسي دون من سواه ، مستتراً^(٤) عند الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون بها ، ويصدقون الله ورسوله فيها ، بغير تكييف ولا تمثال^(٥) ؛ فزعم أن هؤلاء المؤمنين بها يكييفونها ويشبهونها بذوات أنفسهم ، وأن العلماء بزعمه قالوا : ليس في شيء منها اجتهاد رأى ، لِيُدْرَكَ كيفية ذلك ، أو يشبه شيء منها بشيء مما هو في الخلق موجود . »

قال^(٦) : « وهذا خطأ ؛ لما^(٧) أن الله ليس كمثله شيء ، فكذلك ليس ككيفيته^(٨) شيء . »

قال أبو سعيد : فقلنا لهذا المعارض المدلس بالتشنيع : أما قولك : إن كيفية هذه الصفات وتشبيهاها بما هو في الخلق خطأ ، فإننا لا نقول : إنه خطأ ، كما قلت^(٩) ، بل هو عندنا كفر ، ونحن لكيفيتها^(١٠) وتشبيهاها بما

(١) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢١ .

(٢) م (فقط) : في ردها .

(٣) رد الدارمي : تفاسير .

(٤) ص ، ط ، ر ، م ، ق ، هـ : تسترا .

(٥) م ، ق : تمثيل ، رد الدارمي : مثال .

(٦) بعد النص السابق مباشرة .

(٧) س ، هـ : كما .

(٨) م ، ق : لكيفيته .

(٩) كما قلت : ليست في رد الدارمي . ولا في (هـ) .

(١٠) رد الدارمي : لتكييفها .

٣١/٢ هو في الخلق موجود^(١) أشدُّ أنفأ^(٢) / منكم ، غير أنا - كما لا نشبهها ولا نكيفها^(٣) - لا نكفر بها ولا نكذبها^(٤) ، ولا نبطلها بتأويل الضلال ، كما أبطلها إمامك المريسي في أماكن من كتابك سنيها لمن غفل عنها ممن حواليك من الأغمار^(٥) .

وأما ما ذكرت من اجتهاد الرأي في تكييف صفات الله فإننا لا نجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والأحكام التي نراها بأعيننا ، ونسمع في آذاننا^(٦) ، فكيف في صفات الله التي لم ترها العيون ، وقصرت عنها الظنون ؟ غير أنا لا نقول فيها كما قال إمامك المريسي : إن هذه الصفات كلها كشيء واحد^(٧) ، وليس السمع منه غير البصر ، ولا الوجه منه غير اليد ، ولا اليد منه غير النفس ، وأن الرحمن ليس يعرف - بزعمكم - لنفسه سمعاً من بصر ، ولا بصراً من سمع ، ولا وجهها من يدين^(٨) ، ولا يدين^(٩) من وجه ، هو كله بزعمكم سمعٌ وبصرٌ ووجهٌ ، وأعلى وأسفل^(١٠) ، ويد ونفس ، وعلم ومشية وإرادة ، مثل

(١) رد الدارمي : بما هو موجود في الخلق .

(٢) م . ق . ص . ط . ر : اتقاء .

(٣) م . ق . ص . ط . ر : لا نكيفها ولا نشبهها .

(٤) رد الدارمي : ولا نكذب .

(٥) رد الدارمي : من الأغمار إن شاء الله تعالى .

(٦) م . ق : ونسمعها بآذاننا ، ص . ط : ونسمع في آذاننا ، ر : ونسمع بآذاننا .

(٧) رد الدارمي : كلها لله غير شيء واحد . وكتب المحقق في تعليقه : كذا في الأصل ، ولعل

« غير » زائدة . فتدبر .

(٨) س : من يد .

(٩) س : ولا يدا .

(١٠) س : أعلى وأسفل .

خلق الأرضين والسماء والجبال^(١) والتلال والهواء ، التي لا يُعرف لشيء منها شيء^(٢) من هذه الصفات والذوات ولا يوقف لها منها على شيء^(٣) ؛ فالله المتعالى^(٤) عندنا أن يكون كذلك ، فقد ميز الله في كتابه السمع من البصر فقال : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [سورة طه : ٤٦] و ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٥] وقال : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٧] ففرق بين الكلام والنظر دون السمع^(٥) ؛ فقال عند السماع [والصوت] : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة : ١١] . و^(٨) ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨١] ولم يقل . قد رأى الله قول التي تجادلك في زوجها^(٩) .

وقال موضع الرؤية [إنه] : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢١٨ . ٢١٩] وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا

(١) والجبال : ليست في رد الدارمى .

(٢) رد الدارمى : شيئا .

(٣-٣) : ساقط من « رد الدارمى » .

(٤) م . ق . ط . ص . ر : تعالى .

(٥) في « رد الدارمى » : ولا ينظر إليهم يوم القيامة .

(٦) م . ق : وبين السمع .

(٧) والصوت : ساقطة من (م) فقط .

(٨) ذكرت الآية في (م) . (ق) إلى قوله تعالى : . . في زوجها .

(٩-٩) : ساقط من (ق) فقط .

(١٠) إنه : زيادة في (س)

فَسِيرَىٰ إِلَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ ﴿ [سورة التوبة : ١٠٥] ^(١) ولم يقل : يسمع الله
تقبلك ويسمع الله عملكم ^(٢) ، فلم يذكر الرؤية فيما يُسمع ، ولا السماع
فيما يُرى ، لما أنهما عنده خلاف ما عندكم .

وكذلك قال الله تعالى : ﴿ وَدُشِّرْ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة القمر :

١٣ ، ١٤] ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة الطور : ٤٨]

﴿ وَلَتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [سورة طه : ٣٩] ولم يقل / لشيء من ذلك : ٣٢/٢
على سمعي . فكما نحن لا نكيّف هذه الصفات لا نكذب بها
كتكذيبكم ، ولا نفسرها كباطل تفسيركم ^(٤) .

ثم قال ^(٥) : « باب الحد والعرض . قال أبو سعيد : وادّعى المعارض

أيضا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية » .

قال ^(٦) : « وهذا هو ^(٧) الأصل الذي بنى عليه جهنم جميع
ضلالاته ، واشتق منها جميع أغلوطاته ^(٨) ، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق
جهنم إليها أحد من العالمين ، فقال له قائل ممن يحاوره ^(٩) : قد علمتُ
مرادك أيها الأعجمي ، تعني ^(١٠) أن الله لا شيء ، لأن الخلق كلهم قد

(١) ورسوله : ليست في « رد الدارمي » ص ٢٣ .

(٢) س : ويسمع عملك .

(٣) آية ٢٠ سورة طه ساقطة من « رد الدارمي » .

(٤) رد الدارمي : ولا نفسرها كتفسيركم .

(٥) بعد الكلام السابق مباشرة . ص ٢٣ .

(٦) بعد ما سبق مباشرة .

(٧) هو : ليست في « رد الدارمي » .

(٨) رد الدارمي : واشتق منه أغلوطاته .

(٩) رد الدارمي : ممن حاوره .

(١٠) رد الدارمي : وتعني .

علموا أنه ليس له شيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله حد وغاية وصفة ، وأن « لا شيء » ليس له حد ولا غاية ولا صفة ، فالشيء أبداً موصوف لا محالة ، ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية ، وقولك : « لا حد له » يعني^(١) أنه لا شيء .

قال أبو سعيد : والله تعالى له حدٌ لا يعلمه أحدٌ غيره ، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه ، ولكن نؤمن^(٢) بالحد ، ونَكِلُ^(٣) علم ذلك إلى الله ، ولمكانه أيضاً حد ، وهو على عرشه فوق سمواته ، فهذان حدان اثنان .

وسئل عبد الله بن المبارك : بم نعرف ربنا ؟ قال : بأنه على عرشه بائن من خلقه . قيل : بحد ؟ قال : بحد . حدثناه الحسن بن الصباح البزار^(٤) عن علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك .

فمن ادّعى أنه ليس لله حد فقد ردّ القرآن ، وادّعى أنه لا شيء ؛ لأن الله وصف حد مكانه [في مواضع كثيرة ، من كتابه] فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [سورة طه : ٥] ﴿ أَمِثَّمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [سورة الملك : ١٦] ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٥] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ قَوْفِهِمْ ﴾ [سورة النحل : ٥٠] ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [سورة فاطر :

(١) م ، ق ، ط ، ص ، ر : تعني .

(٢) أحد : ساقطة من (س) . وفي (هـ) لا يعلمه إلا هو .

(٣) م ، ق ، ص ، ط : يؤمن .

(٤) م ، ق ، ط : ويكل .

(٥) س : البزار .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (م) . (ق) .

(٧) في (م) فقط جاءت الآية ٥٠ سورة النحل قبل ٥٥ من سورة آل عمران .

١٠] فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد ، ومن لم يعترف به فقد

كفر بتنزيل الله ، وجحد آيات الله

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله فوق عرشه فوق

سمواته^(١) وقال للأئمة السوءاء : أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال :

أعنتها فإنها مؤمنة^(٢) ، / فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنها

مؤمنة» دليل على أنها لو لم تؤمن^(٣) بأن الله في السماء ، كما قال الله

ورسوله^(٤) ، لم تكن مؤمنة [وأنه لا يجوز في الرقية المؤمنة إلا من يحد الله

أنه في السماء ، كما قال الله ورسوله]^(٥) .

(١) في «رد الدارمي» ص ٢٤ زاد : «والعمل الصالح يرفعه» .

(٢) روى أبو داود في سنة ٣٢٠/٤ - ٣٢١ (كتاب السنة . باب في الجهمية) حديثاً عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وفي سند الحديث محمد بن بشار وذكر أبو داود أن هذه العبارة وردت في رواية محمد بن بشار فقال ٣٢١/٤ : «قال محمد بن بشار في حديث : إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته . وساق الحديث» .

(٣) هذا جزء من حديث طويل عن معاوية بن الحكم السلمي رضى الله عنه أوله (وهذه رواية مسلم) : «بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم . . الحديث . والحديث في : مسلم ٣٨١/١ - ٣٨٢ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب تحريم الكلام في الصلاة) سنن أبي داود ٣٣٦/١ - ٣٣٧ (كتاب الصلاة . باب تسميت العاطس في الصلاة) ٣١٣/٣ (كتاب الأيمان والنذور . باب في الرقية المؤمنة) ، سنن النسائي (شرح السيوطي) ١٣/٣ - ١٤ (كتاب السهو . باب الكلام في الصلاة) . وروى أحمد حديثاً آخر بهذا المعنى عن أبي هريرة في المسند (ط . المعارف) ٣١/١٥ - ٣٢ (حديث رقم ٧٨٩٣) وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر . والحديث بنفس المعنى في الموطأ ٧٧٦/٢ - ٧٧٧ عن عمر بن الحكم (حديث رقم ٨) وعن رجل من الأنصار (حديث رقم ٩) ، وفي سنن الدارمي عن أبي سلمة عن الشريد ١٨٧/٢ (كتاب النذور والأيمان . باب إذا كان على الرجل رقية مؤمنة) .

(٤) رد الدارمي : . . مؤمنة ، وأنها لو لم تؤمن .

(٥) كما قال الله ورسوله : زيادة في (م) ، (ق) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (م) ، (ق) .

حدثنا^(١) أحمد بن منيع^(٢) حدثنا أبو معاوية عن شبيب بن شيبه^(٣) عن الحسن عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبيه : يا حصين ، كم تعبد اليوم إلهاً؟ قال : سبعة ، ستة في الأرض وواحد في السماء ، قال : فأيهم تُعبد^(٤) لرغبتك ورهبتك؟ قال : الذي في السماء^(٥) ، فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على الكافر ، إذ عرف أن إله العالمين في السماء ، كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ، فحصى الخزاعي في كفره يومئذ كان أعلم بالله الجليل الأجل من المريسي وأصحابه ، مع ما ينتحلون من الإسلام ، إذ ميّز بين الإله الخالق الذي في السماء ، وبين الآلهة والأصنام المخلوقة التي في الأرض .

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين : أن الله في السماء ، وحدثوه بذلك ، إلا المريسي الضال وأصحابه ، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك^(٦) ، إذا حَزَب الصبي شئ يرفع يده^(٧) إلى ربه يدعو في السماء دون ماسواها ، وكل^(٨) أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية .

(١) رد الدارمي : فحدثنا .

(٢) رد الدارمي : أحمد بن منيع البغدادي الأصم .

(٣) بن شيبه : ساقط من (ق) .

(٤) رد الدارمي : تعده .

(٥) الحديث بهذا السند في سنن الترمذي (بشرح ابن العربي) ٢٤/١٣ (كتاب الدعوات . باب

حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو معاوية) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وقد روى هذا

الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه .

(٦) م . ق : قد عرفوا ذلك ؛ هـ : فقد عرفوه بذلك .

(٧) رد الدارمي (ص ٢٥) : يديه .

(٨) رد الدارمي : فكل .

ثم انتدب المعارض لتلك الصفات التي ألفها وعددها في كتابه من الوجه والسمع والبصر وغير ذلك يتأولها ، وبحكم^(١) على الله وعلى رسوله فيها حرفا بعد حرف وشيئا بعد شيء ، بحكم^(٢) بشر بن غياث المريسى ، لا يعتمد فيها على إمام أقدم منه ، ولا أرشد منه عنده ، فاغتنمنا ذلك كله^(٣) منه ، إذ صرح باسمه ، وسلم فيها لحكمه ، لما أن الكلمة قد اجتمعت من عامة الفقهاء في كفره ، وهتك^(٤) ستره ، وافتضاحه في مصره ، وفي سائر الأمصار الذين سمعوا يذكره .

ثم ذكر الكلام على إبطال تأويلات الجهمية للصفات الواردة في الكتاب والسنة^(٥) .

/ وقال^(٦) عثمان بن سعيد في كتاب « الرد على الجهمية » / له^(٧) :
« باب الإيمان بكلام الله تعالى^(٨) ، قال أبو سعيد : فالله المتكلم أولا وآخرا ، لم يزل له الكلام ، إذ لا متكلم غيره ، ولا يزال له الكلام ، إذ لا يبقى متكلم غيره ، فيقول : ﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ [سورة غافر : ١٦] أنا

٣٤/٢

كلام الدارمي في الرد على الجهمية

(١) س : فتأولها وتحكم .

(٢) ر : يحكم ، رد الدارمي : تحكم .

(٣) كله : ليست في (س) ولا « الرد على الدارمي » .

(٤) رد الدارمي : وهتك .

(٥) في ص ٢٥ وما بعدها من « رد الدارمي » .

(٦) س : وقال أيضا .

(٧) طبع كتاب « الرد على الجهمية » للدارمي بتحقيق جوستا ويستام ، لندن ، هولندا ،

١٩٦٠ ، ثم طبع مع مجموعة عقيدة السلف التي سبق أن رجعنا إليها . والكلام التالي في ط . لندن ،

ص ٧١ = ط . الاسكندرية ، ص ٣٢٤ .

(٨) الرد على الجهمية : تبارك وتعالى .

الملك ، أنا الديان^(١) ، أين ملوك الأرض ؟ فلا ينكر كلام الله^(٢) إلا من يريد إبطال ما أنزل الله عز وجل ، وكيف^(٣) يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام وأنطق الأنعام ؟ قال الله تعالى في كتابه ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٦٤] فهذا لا يحتمل تأويلا غير نفس الكلام ، وقال لموسى : ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٤] وقال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٧٥] وقال ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [سورة الفتح : ١٥] وقال ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ [سورة يونس : ٦٤] وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٥]^(٤) ،

وذكر آيات أخر^(٥) ، إلى أن قال^(٦) : «وقال تعالى لقوم موسى حين اتخذوا العجل فقال ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [سورة طه : ٨٩] وقال : ﴿ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٨] .

(١) أنا الديان : ساقطة من (س) فقط .

(٢) الرد على الجهمية : الله عز وجل .

(٣) وكيف : كذا في (س) والرد على الجهمية . وفي سائر النسخ : كيف .

(٤) في (س) والرد على الجهمية : وتمت كلمات ربك

(٥) م ، ق : أخرى . وجاءت هذه الآيات في ص ٧٢ (ط . ليدن) = ص ٣٢٤ - ٣٢٥

(ط . الاسكندرية) .

(٦) ص ٧٢ (ط . ليدن) = ص ٣٢٥ (ط . الاسكندرية) .

قال أبو سعيد : ففي كل ما ذكرنا^(١) تحقيق كلام الله وتثبيته نصا بلا تأويل ، ففيما عاب [الله] تعالى^(٢) به العجل في^(٣) عجزه عن القول والكلام بيان أن الله^(٤) غير عاجز عنه ، وأنه متكلم ، وقائل ، لأنه لم يكن ليعيب^(٥) العجل بشئ هو موجود فيه . وقال إبراهيم^(٦) : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [سورة الانبياء : ٦٣] إلى قوله^(٧) ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الانبياء : ٦٧] ، فلم يعيب إبراهيم أصنامهم وآلهتهم التي يعبدون بالعجز عن الكلام إلا وأن إلهه متكلم قائل .
وبسط الكلام في ذلك ، إلى أن قال^(٨) : «أرأيتم قولكم : إنه مخلوق ، فما بدء خلقه ؟ أقال^(٩) الله له «كن» فكان كلاما قائما بنفسه بلا متكلم به ؟ فقد علم الناس - إلا ما شاء^(١٠) الله منهم - أن الله^(١١) لم يخلق كلاما يرى ويسمع بلا متكلم به ، فلا بد من أن^(١٢) تقولوا في دعواكم :

(١) م . ق : ذكرناه .

(٢) الله تعالى : كذا في (س) . - (هـ) وفي الرد على الجهمية : الله . وفي (ص) . - (ط) ،

(ر) . - (م) . - (ق) : تعالى .

(٣) س : من .

(٤) الرد على الجهمية : الله عز وجل .

(٥) الرد على الجهمية : يعيب .

(٦) م . ق : إبراهيم عليه السلام .

(٧) الرد على الجهمية : . . الآية إلى قوله .

(٨) ص ٨٣ (ط . ليدن) = ص ٣٣٥ (ط . الإسكندرية) .

(٩) الرد على الجهمية : قال .

(١٠) الرد على الجهمية : من شاء .

(١١) الرد على الجهمية : الله عز وجل .

(١٢) الرد على الجهمية : (ط . الإسكندرية) : يرى ويسمع بلا متكلم فلا بد أن . وفي نسخة

ليدن زاد الحق (به) . - (من) بين قوسين .

الله المتكلم بالقرآن ، فأضفتموه إلى الله . فهذا أجور الجور وأكذب الكذب : أن تضيفوا^(١) كلام / المخلوق إلى الخالق ، ولو لم يكن كفرا ٣٥/٢ كان^(٢) كذبا بلا^(٣) شك فيه ، فكيف وهو كفر لا شك فيه ؟ لا يجوز^(٤) لمخلوق يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدعى الربوبية ويدعو الخلق إلى عبادته فيقول : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [سورة طه : ١٤] و ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [سورة طه : ١٢] . ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ﴾ [سورة طه : ١٣] . ﴿ وَاضْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ * اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ [سورة طه : ٤١ . ٤٢] ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [سورة طه : ٤٦] . ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : ٥٦] . ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة يس : ٦٠ . ٦١] قد علم الخلق - إلا مَنْ أضله الله - أنه لا يجوز^(٥) لأحد أن يقول هذا وما أشبهه ويدعيه^(٦) غير الخالق ، بل القائل به والداعي إلى عبادة غير الله^(٧) كافر كفرعون الذي قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٤] والمجيب له والمؤمن بدعوته أكفر وأكذب .

وإن قلت : تكلم^(٨) به مخلوق فأضفناه إلى الله ، لأن الخلق كلهم

(١) س : يضيفوا .

(٢) ط . ص . ر . م . ق : لكان .

(٣) الرد على الجهمية : لا .

(٤) الرد على الجهمية : لا يحق .

(٥) الرد على الجهمية : أنه لا حق .

(٦) ويدعيه : ساقطة من الرد على الجهمية (من النسختين) .

(٧) الرد على الجهمية : إلى عبادته غير الله .

(٨) الرد على الجهمية : إنه تكلم .

بصفاتهم وكلامهم لله ، فهذا المحال الذى ليس وراءه محال ، فضلا عن أن يكون كفرا ؛ لأن الله عز وجل لم ينسب شيئا من الكلام كله إلى نفسه أنه كلامه غير القرآن وما أنزل على رسله^(١) ، فإن [قد]^(٢) تم كلامكم ولزمتهموه لزمتكم أن تسموا الشعر وجميع الغناء والنوح وكلام السباع والبهائم والطير كلام الله ، فهذا مما لا يختلف المصلون في بطوله واستحالته . فما فضل القرآن إذا عندكم على الغناء والنوح والشعر إذا كان كله في دعواكم كلام الله ؟ فكيف خص القرآن بأنه كلام الله ونسب كل كلام إلى قائله ؟ فكفى بقوم ضلالا أن يدعوا قولا^(٣) لا يشك الموحدون في بطوله واستحالته .

وما يزيد دعواكم تكذيبا واستحالة ويزيد المؤمنين بكلام الله إيمانا وتصديقا أن الله قد ميز بين من كلم من رسله في الدنيا^(٤) وبين من لم يكلم ، ومن يكلم من خلقه في الآخرة ومن لا يكلم^(٥) ، فقال : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٣] فيز بين من اختصه الله بكلامه وبين من لم يكلمه ، ثم سمى ممن كلم الله موسى فقال : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٦٤] فلو لم / يكلمه بنفسه إلا على تأويل ما

(١) م ، ق : رسوله .

(٢) قد : ساقطة من (م) . (ق) .

(٣) الرد على الجهمية : أن يدعوا دعوى .

(٤) في الدنيا : ساقطة من نسخة الرد على الجهمية (ط . الإسكندرية) ص ٣٣٦ . وأضافها

محقق (ط . ليدن) ص ٨٤ .

(٥) الرد على الجهمية : وبين من لم يكلم .

ادعيتم ، فما فَضِّلُ مَنْ ذَكَرَ^(١) الله في تكليمه^(٢) إياه على غيره ممن لم يكلمه ؟
إذ كل الرسل في تكليم الله إياهم مثل موسى ، وكلُّ عندكم [لم
يسمع]^(٣) كلام الله^(٤) » وقد قال تعالى^(٥) ﴿ أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران ٧٧] ففي هذا بيان^(٦) أنه^(٧)
[لا]^(٨) يعاقب قوما يوم القيامة بصرف كلامه عنهم [إلا]^(٩) وأنه^(١٠)
يثيب^(١١) بتكليمه^(١٢) قوما آخرين .

وقال أيضا في بيان كفر الجهمية^(١٣) : « أخبر الله^(١٤) أن القرآن كلامه ،
وادعت الجهمية أنه خلقه ، وأخبر الله تبارك وتعالى أنه كلم موسى تكليما ،
وقال هؤلاء : لم يكلمه الله بنفسه ، ولم يسمع موسى نفس كلام الله ،
إنما^(١٥) سمع كلاما خرج إليه من مخلوق ، ففي دعواهم دعا مخلوق موسى

(١) الرد على الجهمية : ما ذكر .

(٢) م (فقط) : تكليمه . وهو خطأ مطبعي .

(٣) لم يسمع : ساقطة من (م) ، (ق) ، (ص) ، (ط) ، (ر) .

(٤) بعد عبارة « كلام الله » توجد عبارات في « الرد على الجهمية » استغرقت ثلاثة أسطر لم ينقلها

ابن تيمية .

(٥) الرد على الجهمية : فما يزيد ذلك تحقيقا قوله .

(٦) الرد على الجهمية : ولا يكلمهم الله . يعني يوم القيامة ففي هذا .

(٧) الرد على الجهمية : بيان يبين .

(٨) لا : كذا في (س) والرد على الجهمية وسقطت من سائر النسخ .

(٩) إلا : ساقطة من (م) - (ق) .

(١٠) س . ط : يثبت ، الرد على الجهمية : مثبت .

(١١) ر : بكلامه .

(١٢) الرد على الجهمية . ص ٩٤ (ط . ليدن) = ص ٣٤٧ (ط . الإسكندرية) .

(١٣) الرد على الجهمية : الله تبارك وتعالى .

(١٤) م ، ق : وإنما .

إلى ربوبيته فقال^(١) : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [سورة طه : ١٢]
فقال له موسى في دعواهم : صدقت ، ثم أتى فرعون يدعوه إلى ربوبية
مخلوق^(٢) كما أجاب موسى في دعواهم ، فما فرق بين موسى وفرعون في
الكفر^(٣) إذا؟ فأى كفر أوضح^(٤) من هذا؟ وقال [الله]^(٥) تبارك
وتعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة
النحل : ٤٠] . وقال هؤلاء : ما قال لشئ قط - قولا وكلاما - كن
فكان ، ولا يقوله أبدا ، ولم يخرج منه كلام قط ، ولا يخرج ، ولا هو
يقدر على الكلام في دعواهم ؛ فالصنم في دعواهم والرحمن بمنزلة
واحدة في الكلام .

وقال أيضا في كتاب « النقض على المريسى »^(٦) : « وادعيت أيها
المريسى في قول الله عز وجل : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي
ظُلُمٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] وفي قوله : ﴿هَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [سورة الأنعام ١٥٨]
فادعيت^(٧) أن هذا ليس منه بإتيان ؛ لما أنه غير متحرك [عندك]^(٨) ،

عود إلى كتاب « النقض
على المريسى »

(١) م ، ق ، ص . ط . ر : فقال له .

(٢) الرد على الجهمية : يدعوه أن يجيب إلى ربوبية مخلوق .

(٣) الرد على الجهمية : وفرعون في مذمهم في الكفر .

(٤) الرد على الجهمية : بأوضح .

(٥) الله : ليست في (م) . (ق) . (ص) . (ط) .

(٦) ص ٥٠ .

(٧) نقض (فقط) : ادعيت .

(٨) عندك : ساقطة من (م) فقط .

ولكن يأتي بالقيامة بزعمك ، وقوله : ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ﴾ : يأتي الله بأمره في ظلل من الغمام ، ولا يأتي هو بنفسه . ثم زعمت أن معناه كمعنى قوله : ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [سورة النحل: ٢٦] ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [سورة الحشر: ٢]^(١)

فيقال لهذا المريسى : قاتلك الله ! ما أجراك على الله وعلى كتابه بلا / ٣٧/٢
علم ولا بصر ! أنباك الله أنه إتيان ، وتقول : ليس بإتيان^(٢) ، إنما هو كقوله^(٣) : ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [سورة النحل : ٢٦] لقد ميزت بين ما جمع الله ، وجمعت بين ما ميز الله ، ولا يجمع بين هذين التأويلين^(٥) إلا كل جاهل بالكتاب والسنة ؛ لأن تأويل كل واحد منهما مقرون به في سياق القراءة ، لا يحمله إلا مثلك^(٦) .

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه ، فوق سمواته ، وأنه لا ينزل قبل يوم القيامة [لعقوبة أحد من خلقه ، ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة]^(٧) ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم ، وتشقق السموات يومئذ لتزوله ، وتُنزَّل الملائكة تنزيلا ، ويَحْمِلُ عرش ربك

(١) نقض : من القواعد . وقوله : وأناهم الله . .

(٢) نقض (فقط) : ليس إتيانا .

(٣) نقض : إنما هو مثل قوله ؛ س ، هـ : وإنما هو كقوله .

(٤) م (فقط) : فقد .

(٥) نقض (فقط) : بين هذين في التأويل .

(٦) نقض (فقط) : بما لا يحمله إلا مثلك .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) . (ق) فقط .

فوقهم يومئذ ثمانية ، كما قال الله ورسوله . فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا ، علموا يقينا أن ما يأتي الناس من العقوبات إنما هو من أمره وعذابه .

فقوله : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ يعنى مكره من قبل قواعد بنيانهم ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [سورة النحل : ٢٦] فتفسير هذا الإتيان خور السقف عليهم من فوقهم ، وقوله : ﴿ فَأَنَّا لَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ مكر بهم ^(١) ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الحشر : ٢] ^(٢) وهم بنو التَّضْيِير ^(٣) ، فتفسير الإتيانين مقرون بهما ، فخرور ^(٤) السقف والرعب ، وتفسير إتيان الله يوم القيامة منصوص في الكتاب مفسر .

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [سورة الحاقة : ١٣ - ١٨] إلى قوله تعالى : ﴿ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٩] ، فقد فسر الله المعنيين ^(٥) تفسيراً لا لبس فيه

(١) في نسخة (س) كتب تحت عبارة « مكر بهم » ما يلي : ليس من القرآن بل تقرير مفعول ليحتسبوا .

(٢) في جميع النسخ وفي نقض ص ٥١ : ففذف في قلوبهم .

(٣) س ، ص ، ر ، ط ، هـ وفي (نقض) : وهم بنو قريظة . وما أثبت في (م) . (ق) . وانظر تفسير الطبري ، وابن كثير ، والبخاري .

(٤) م ، ق ، ر ، ط ، ص : فخرور ؛ س ، هـ : بخرور ؛ نقض : خورور .

(٥) س : فقد فسر الله تعالى المعنيين ؛ نقض : فقد فسر المعنيين .

ولاً يشتهبه^(١) على ذى عقل ، فقال فيما يصيب به^(٢) من العقوبات في الدنيا : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ ﴾ [سورة يونس : ٢٤] فحين قال : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا ﴾ علم أهل العلم أن أمره ينزل من عنده من السماء وهو على عرشه^(٣) ، فلما قال : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [سورة الحاقة : ١٣] الآيات التي ذكرناها^(٤) ، وقال أيضاً : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ [سورة الفرقان : ٢٥] / و : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] و : ﴿ دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر : ٢١ ، ٢٢] علم بما نص^(٥) الله من الدليل وبما حدّد لتزول الملائكة يومئذ^(٦) : « أن هذا إتيان الله بنفسه يوم القيامة ، ليلى محاسبة خلقه بنفسه ، لايلى ذلك^(٧) أحد غيره ، وأن معناه مخالف لمعنى^(٨) إتيان القواعد ، لاختلاف القضيتين » .

إلى أن قال^(٩) : « وقد كفانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) م ، ق : ولا تشبيه .

(٢) به : ساقطة من (نقض) .

(٣) وهو على عرشه : كذا في (س) . (نقض) . وفي سائر النسخ : وهو على العرش .

(٤) س : الآيات التي ذكرناها ؛ نقض : الآية التي ذكرناها .

(٥) بما نص : كذا في (س) فقط . وفي (نقض) وسائر النسخ : بما قص .

(٦) يومئذ : كذا في (س) ، (هـ) ، (نقض) . وفي سائر النسخ : حينئذ .

(٧) ذلك : ليست في (نقض) .

(٨) س (فقط) : معنى .

(٩) نقض ص ٥٢ في وسط الصفحة .

وأصحابه^(١) تفسير هذا الإتيان ، حتى لا نحتاج منك^(٢) له إلى تفسير « وذكر حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين^(٣) في تجليته يوم القيامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه قال : « فيقول المؤمنون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه »^(٤) وذكر حديث ابن عباس^(٥) من وجهين موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه « ثم يأتي الرب تعالى في الكرويين ، وهم أكثر من أهل السموات والأرض » ورواه الحاكم في صحيحه^(٦) ، وذكر^(٧) « عن أنس بن مالك أنه قال ، وتلا هذه الآية : (يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) قال : يبدها الله يوم القيامة بأرض^(٨) من فضة لم تعمل عليها الخطايا ، ينزل عليها الجبار . »

ثم قال^(٩) : « ومن يلتفت أيها المريسي إلى تفسيرك المحال^(١٠) في إتيان

(١) نقض : وأصحابه رضى الله عنهم .

(٢) س : حتى لا نحتاج له منك ، نقض : حتى لا يحتاج له منك .

(٣) في (نقض) في آخر ص ٥٢ .

(٤) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه وأوله (وهذه رواية البخارى) : أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة . . الحديث . وهو في : البخارى ١٥٦/١ - ١٥٧ (كتاب الأذان . باب فضل السجود) . ١١٧/٨ - ١٢٠ (كتاب الرقاق . باب الصراط مجسر جهنم) ، ١٢٨/٩ - ١٢٩ (كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) ، مسلم ١٦٣/١ - ١٦٧ (كتاب الإيمان . باب معرفة طريق الرؤية) ، المسند (ط . الحلبي) ٥٣٣/٢ - ٥٣٤ .

(٥) في (نقض) ص ٥٣ .

(٦) في هامش (س) : فالرفوع في الصحيحين والموقوف قد رواه الحاكم في صحيحه .

(٧) في (نقض) ص ٥٣ .

(٨) بأرض : ساقطة من (نقض) .

(٩) في (نقض) ص ٥٣ .

(١٠) نقض (فقط) : إلى تفسير المحال .

الله يوم القيامة ويدعُ تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه^(١) إلا كل جاهل مجنون خاسر مغبون؟ لما أنك مفتون^(٢) في الدين مأفون^(٣) ، وعلى تفسير كتاب الله غير مأمون ، ويلك ! أياي الله بالقيامة ويتغيب هو بنفسه ؟ فن يحاسب الناس يومئذ ؟ لقد خشيت على من ذهب مذهبك هذا أنه لا يؤمن^(٤) بيوم الحساب .

وادعيت أيها المريسي في قول الله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾^(٥) [سورة البقرة : ٢٥٥] [وادعيت^(٦)] أن تفسير القيوم عندك الذي لا يزول ، يعنى^(٧) الذى لا يتزل ولا يتحرك ولا يقبض ولا ييسط ، وأسندت ذلك عن بعض أصحابك غير مسمى عن الكلبي عن أبي صالح عن / ابن عباس أنه قال : القيوم الذى لا يزول ، ومع روايتك ٣٩/٢ هذه عن ابن عباس دلائل وشواهد أنها باطلة :

إحداها: أنك رويتها^(٨) وأنت المتهم في توحيد الله .

والثانية : أنك رويته^(٩) عن بعض أصحابك غير مسمى ، وأصحابك مئلك في الظنة والتهمة .

(١) نقض : وأصحابه رضى الله عنهم .

(٢) نقض : مغبون .

(٣) س ، ص ، ر ، ط ، نقض : مأفون .

(٤) نقض (فقط) : .. على من ذهب مذهبك هذا واستيقن أنه لا يؤمن ...

(٥) نقض (فقط) : وادعيت أيها المريسي أن قول الله تعالى (هو الحى القيوم) .

(٦) وادعيت : ساقطة من (م) ، (ق) . وفى (نقض) : ادعيت .

(٧) م ، ق ، ر ، ط : تعنى .

(٨) إحداها أنك أنت رويتها : كذا في (نقض) ص ٥٤ . وفى سائر النسخ : أحداها أنك

رويتها .

(٩) م ، ق : أنك رويتها .

والثالثة^(١) : أنه عن الكلبي ، وقد أجمع أهل العلم بالآثر على أن لا يحتجوا بالكلبي في [أدنى^(٢)] حلال ولا حرام ، فكيف في تفسير توحيد الله وتفسير كتابه ؟ وكذلك أبو صالح .

ولو [قد^(٣)] صحت روايتك عن ابن عباس أنه قال : « القيوم : الذي لا يزول » لم نستكره^(٤) ، وكان معناه مفهوما واضحا عند العلماء وعند أهل البصر بالعربية أن معنى لا يزول لا يفنى ولا يبيد ، لا أنه لا يتحرك ولا يزول من مكان إلى مكان إذا شاء ، كما كان يقال للشيء^(٥) الفانى : هو زائل ، كما قال ليبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ وكل نعيم لا محالة زائلٌ^(٦)
يعنى فانٍ ، لا أنه متحرك ، فإن أماره ما بين الحى والميت المتحرك ، وما لا يتحرك فهو ميت لا يوصف بحياة كما لا توصف الأصنام الميتة ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْواتٌ غَيْرِ أَحْيَاءِ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة النحل : ٢٠ ، ٢١] فالله الحى القيوم القابض^(٨) الباسط يتحرك إذا شاء ،

(١) س ، ص ، ر ، ط ، هـ : الثالث .

(٢) أدنى : ساقطة من (م) - (ق) .

(٣) قد : ليست في (م) ، (ق) ، (ط) ، (هـ) ، (نقض) .

(٤) نقض : لم يستكره .

(٥) للشيء : كذا في (س) ، (نقض) . وفي سائر النسخ : فى الشيء .

(٦) البيت فى : شرح ديوان ليبيد بن ربيعة العامري ، ص ٢٥٦ ، تحقيق د . إحسان عباس ، ط . الكويت ، ١٩٦٢ . وقد جاء ضمن حديث رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أصدق بيت قالته الشعراء : ألا كل شيء ما خلا الله باطل . وهو فى مسلم ١٧٦٨/٤ - ١٧٦٩ (كتاب الشعر - أحاديث رقم ٢ - ٦) .

(٧) نقض (فقط) : كما وصف الله الأصنام الميتة فقال :

(٨) القابض : ساقطة من (نقض) ص ٥٥ .

وينزل إذا شاء ، ويفعل ما يشاء ، بخلاف الأصنام الميتة التي لا تنزل حتى تزال .

واحتججت أيها المريسي في نفي التحرك عن الله والزوال بحُجَج الصبيان ، فزعمت^(١) أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين رأى كوكباً وشمساً وقرا قال : ﴿ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦] ثم قلت : ففني إبراهيم المحبة عن كل إله زائل ، يعني أن الله إذا نزل من سماء إلى سماء ، أو نزل يوم القيامة لمحاسبة العباد ، فقد أَفَلَ وزال ، كما أَفَلَ^(٢) الشمس والقمر ، فتنصَّلَ من ربوبيتهما إبراهيم ، فلو قاس هذا القياس تركي طمطمانى أو رومى عجمى^(٣) مازاد. على ما قِسْتُ قبها وسماجة ، ويلك ! مَنْ قَالَ^(٤) مِنْ خَلَقَ اللَّهُ : إن الله إذا نزل أو تحرك - أو نزل ليوم الحساب - أَفَلَ في شيء كما تأفل الشمس في عين حمئة ؟ إن الله لا يأفل في شيء سواه^(٥) إذا نزل / أو ارتفع كما تأفل ٤٠/٢ الشمس والقمر والكواكب ، بل هو العالى على كل شيء ، المحيط بكل شيء في جميع أحواله من نزوله وارتفاعه ، وهو الفَعَّال لما يريد ، لا يأفل في شيء ، بل الأشياء كلها تخضع له وتتواضع ، والشمس والقمر والكواكب خلائق مخلوقة ، إذا أفلت أفلت في مخلوق في عين حَمِيَّة كما قال [الله] تعالى^(٦) ، والله أعلى وأجل ، لا يحيط به شيء ، ولا يحتوى عليه شيء .

(١) فزعمت : كذا في (س) . (نقض) وفي سائر النسخ : وزعمت

(٢) نقض (فقط) : كما أفلت .

(٣) نقض (فقط) : أو ذى أعجمية .

(٤) نقض (فقط) : ومن قال .

(٥) نقض (فقط) : في شيء خلق سواه .

(٦) كما قال الله تعالى : في (س) فقط ، وفي سائر النسخ : كما قال تعالى .

وقال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر صاحب الخلال ، في أول كتابه الكبير المسمى بالمقنع^(١) ، وقد ذكر ذلك عنه القاضي أبو يعلى في كتاب « إيضاح البيان ، في مسألة القرآن^(٢) » قال أبو بكر لما سأله : « إنكم إذا قلتم : لم يزل متكلما كان ذلك عبثا ، فقال : لأصحابنا قولان : أحدهما أنه لم يزل متكلما كالعلم ؛ لأن ضد الكلام الخرس ، كما أن ضد العلم الجهل ، قال : ومن أصحابنا من قال : قد أثبت [سبحانه]^(٣) لنفسه أنه خالق ، ولم يجز^(٤) أن يكون خالقا في كل حال ، بل قلنا : إنه خالق في وقت إرادته أن يخلق ، وإن لم يكن خالقا في كل حال ، ولم يبطل أن يكون خالقا ، كذلك وإن لم يكن متكلما في [كل] حال^(٥) لم يبطل أن يكون متكلما ، بل هو متكلم خالق ، وإن لم يكن خالقا في كل حال ولا متكلما في كل حال . »

كلام أبي بكر عبد العزيز
في « المقنع »

وذكر القاضي أبو يعلى في كتابه المسمى « بإيضاح البيان » هذا السؤال ، فقال : « نقول : إنه لم يزل متكلما ، وليس بمكلم ولا مخاطب ولا آمر ولا ناه ، نص عليه أحمد في رواية حنبل فقال : لم يزل الله متكلما علما غفورا . »

كلام القاضي أبي يعلى
في « إيضاح البيان »

قال : وقال في رواية عبد الله : لم يزل [الله] متكلما إذا شاء^(٦) .

(١) سبقت ترجمة أبي بكر عبد العزيز بن جعفر والإشارة إلى كتابه المقنع ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) بعد هذه العبارة يوجد سقط طويل في نسخة (ر) سنشير إلى نهايته بإذن الله . وسبقت ترجمة

أبي يعلى ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٣) سبحانه : زيادة في (س) .

(٤) فوق كلمة « يجز » إشارة إلى الهامش في نسخة (س) حيث كتبت كلمة : « يجب » .

(٥) م ، ق : إن لم يكن متكلما في حال . .

(٦) م ، ق : لم يزل متكلما .

وقال حنبل في موضع آخر : سمعت أبا عبد الله يقول : لم يزل الله متكلماً ، والقرآن كلام الله غير مخلوق » .

قال القاضي أبو يعلى : « وقال أحمد في الجزء الذي فيه الرد على الجهمية والزنادقة ^(١) : وكذلك الله يتكلم ^(٢) كيف شاء ، من غير أن نقول ^(٣) جوف ولا فهم ولا شفتان » . / وقال بعد ذلك ^(٤) : « بل نقول : إن ٤١/٢ الله لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولا نقول : إنه كان ولا يتكلم حتى خلق ^(٥) » .

كلام عبد الله بن حامد
في أصول الدين ،

وقال أبو عبد الله بن حامد في كتابه في أصول الدين : « وما يجب الإيمان به والتصديق أن الله متكلم ، وأن كلامه قديم [وأنه لم يزل متكلماً في كل أوقاته موصوفاً بذلك ، وكلامه قديم ^(٦)] غير محدث ، كالعلم والقدرة » .

قال : « وقد يبيح على المذهب أن يكون الكلام صفة المتكلم ^(٨) ، لم يزل موصوفاً بذلك ومتكلماً كما شاء ^(٩) وإذا شاء ، ولا نقول : إنه

(١) في كتاب « الرد على الجهمية والزنادقة » لأحمد بن حنبل . ص ٨٩ . ضمن مجموعة عقائد السلف . تحقيق د . علي النشار ، ود . عامر الطالبي ، الاسكندرية . ١٩٧١ .

(٢) الرد على الجهمية : تكلم .

(٣) الرد على الجهمية : يقول (وفي نسخة : نقول) .

(٤) الرد على الجهمية : يجوف (وفي نسخة : جوف) .

(٥) الرد على الجهمية . ص ٩٠ .

(٦) الرد على الجهمية : حتى خلق الكلام (وفي نسخة : حتى خلق كلاماً) .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) . (ق) .

(٨) س (فقط) : متكلم .

(٩) س . هـ : كلما شاء .

ساكت في حال أو متكلم في حال^(١) ، من حيث حدوث الكلام .
قال : « ولا خلاف عن أبي عبد الله أن الله كان متكلماً قبل أن يخلق
الخلق وقبل كل الكائنات ، وأن الله كان فيما لم يزل متكلماً كيف شاء وكما
شاء ، وإذا شاء أنزل كلامه ، وإذا شاء لم يُنزل » .

قلت : قول ابن حامد : « ولا نقول إنه ساكت في حال أو
متكلم^(٢) في حال من حيث حدوث الكلام » يريد به أننا لا نقول : إن
جنس كلامه^(٣) حادث في ذاته ، كما تقوله الكرامية من أنه كان ولا يتكلم
ثم صار يتكلم بعد أن لم يكن متكلماً في الأزل ، ولا كان تكلمه ممكناً .

وقال أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الملقب
بشيخ الإسلام ، في اعتقاد أهل السنة وما وقع عليه إجماع أهل الحق
من الأمة : « اعلم أن الله متكلم قائل مادح نفسه ، وهو متكلم كلما شاء ،
ويتكلم بكلام لا مانع له ولا مُكْرَء ، والقرآن كلامه هو تكلم به » .
وقال أيضاً في كتاب « مناقب أحمد بن حنبل » في باب الإشارة إلى
طريقته في الأصول ، لما ذكر كلامه في مسائل القرآن وترتيب^(٤) البدع
التي ظهرت فيه وأنهم قالوا أولاً : هو مخلوق ، وجرت المحنة المشهورة ،
ثم مسألة اللفظية بسبب حسين الكرايسى^(٥) ، إلى أن قال : وجاءت

كلام أبي إسماعيل
الأنصاري في « مناقب
أحمد بن حنبل »

(١) س (فقط) : .. ساكت في حال متكلم في حال .

(٢) س ، ص . ط : ومتكلم .

(٣) س (فقط) : .. نقول جنس الكلام .

(٤) م ، ق : شيخ .

(٥) م ، ق : وترتيب .

(٦) سبقت ترجمة الكرايسى ج ١ . ص ٢٦٧ وذكرنا هناك ما قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب

٣٦١/٢ : قال أبو الطيب الماوردي كان الكرايسى يقول : القرآن غير مخلوق ، ولفظي به مخلوق ، =

طائفة فقالت : لا يتكلم بعد ماتكلم ، فيكون كلامه ^(١) حادثا ، قال :
وهذه سُحارة ^(٢) أخرى تُقْذَى في الدين غير عين واحدة ، فانتبه / لها ٤٢/٢
أبو بكر بن خزيمة ، وكانت حينئذ بنيسابور دار الآثار تمد إليها الدانات ،
وتشد إليها الركائب ، ويجلب منها العلم ، وما ظنك بمجالس يجلس عنها
الثقفي ^(٣) والصَّبْغِي ^(٤) مع ما جمعا من الحديث والفقه والصدق
والورع واللسان ، والبيت ^(٥) والقَدْر لا يَسْتَرُ ^(٦) لوْث بالكلام واستام
لأهله ^(٧) ، فابن خزيمة في بيت ، ومحمد بن إسحاق في بيت ، وأبو
حامد العرشي ^(٨) في بيت ، قال : فطار لتلك الفتنة ذلك الإمام أبو
بكر فلم يزل يصيح بتشويهها ، ويصنّف في ردها كأنه منذر جيش ، حتى

وأنه لما بلغه إنكار أحمد بن حنبل عليه قال : ما ندرى إيش نعمل بهذا الفتى ، إن قلنا : مخلوق ،
قال : بدعة ، وإن قلنا : غير مخلوق ، قال : بدعة .

(١) كلامه : كذا في (س) فقط ، وفي سائر النسخ : كلاما .
(٢) م ، ق : وهذه سحاة ، وكتب المحققان في هامش (م) : السحاة - بفتح السين - القطعة
من الورق يكتب فيها . وما أثبتناه عن (س) ، (ص) ، (ط) . وفي القاموس المحيط : السُحارة من
الشاه ما يقتلعه القصاب من الرثة والحلقوم .

(٣) سبق الكلام على أبي على الثقفي « هذا الجزء ، ص . وأحسب أنه المقصود هنا .
(٤) في جميع النسخ : والصبغى وفي (هـ) كأنها : الصبغى ورجحت أن يكون الصواب ما أثبتته
خاصة وكثير من الكتب تحرف اسمه إلى « الصبغى » ونبه على ذلك محققا « طبقات الشافعية » والزركل
في « الأعلام » وهو أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد النيسابوري ، المعروف بالصبغى ، ولد
سنة ٢٥٨ وأقام بنيسابور سبعا وخمسين سنة وتوفي سنة ٣٤٢ . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية
٩/٣ - ١٢ ، شذرات الذهب ٣٦١/٢ ، النجوم الزاهرة ٣١٠/٣ ، اللباب لابن الأثير
٤٩/٢ - ٥٠ ، الأعلام ٩١/١ .

(٥) والبيت : كذا منقوطة في (س) وفي سائر النسخ غير منقوطة .
(٦) لا يستر : كذا منقوطة في (ص) . وفي (س) ، (ط) : لا يسر . وفي (هـ) : لاسير
(والكلمة غير منقوطة) .

(٧) عبارة : « والبيت والقدر لا يستر . لوْث بالكلام واستام لأهله » غير مفهومة . ولعلها محرفة .
(٨) لم أعرف من هو .

دَوْنِ فِي الدَّفَاتِرِ ، وَتَمَكَّنَ فِي السَّرَائِرِ ، وَلَقِّنَ فِي الْكِتَابَاتِ ، وَنَقَشَ فِي
الْمَحَارِبِ ، أَنَّ اللَّهَ مَتَكَلِّمٌ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَكَلَّمَ ^(١) ، وَإِنْ شَاءَ سَكَتَ ،
فَعَزَى اللَّهُ ذَلِكَ الْإِمَامَ وَأَوَّلَكَ النِّفَرِ ^(٢) الْغُرَّ عَنْ نَصْرَةِ دِينِهِ وَتَوْقِيرِ نَبِيِّهِ
خَيْرًا » .

قلت : هذه القصة التي أشار إليها عن ابن خزيمة مشهورة ذكرها غير
واحد من المصنفين كالحاكم أبي عبد الله في « تاريخ نيسابور » ^(٣) ،
وغيره ، ذكر أنه رُفِعَ إلى الإمام أنه قد نبغ طائفة من أصحابه يخالفونه
وهو لا يدري ، وأنهم على مذهب الكَلَابِيَّةِ ، وأبو بكر الإمام شديد على
الكَلَابِيَّةِ .

قال : « فحدثني أبو بكر أحمد بن يحيى المتكلم قال : اجتمعنا ليلة
عند بعض أهل العلم ، وجرى ذكر كلام الله : أقديم لم يزل ، أو يثبت
عند اختياره تعالى أن يتكلم به ؟ فوقع بيننا في ذلك خَوْضٌ . قال جماعة
منا : إن كلام الباري قديم لم يزل ، وقال جماعة : إن كلامه قديم ، غير
أنه لا يثبت إلا باختياره لكلامه . فبُكِّرْتُ أنا إلى أبي على الثقفي ،
وأخبرته بما جرى ، فقال : من أنكر أنه لم يزل فقد اعتقد أنه محدث ،
وانتشرت هذه المسألة في البلد ، وذهب منصور الطوسي في جماعة معه
إلى أبي بكر محمد بن إسحاق وأخبروه بذلك ، حتى قال منصور : ألم
أقل للشيخ إن هؤلاء يعتقدون مذهب الكَلَابِيَّةِ ، / وهذا مذهبه ،
٤٣/٢

(١) س . هـ : إِنْ شَاءَ تَكَلَّمَ .

(٢) س (فقط) : الْفُقَرَاءُ .

(٣) سقت ترجمة الحاكم في هذا الجزء ، ص ٩ . وذكر الزركلي في « الأعلام » ١٠١/٧ أن
كتاب « تاريخ نيسابور » يوجد مخطوطا . وانظر ما ذكره سزكين عن هذا الكتاب . ٥٤٥/١ .

فجمع أبو بكر أصحابه ، وقال : ألم أنهمك غير مرة عن الخوض في الكلام ، ولم يزدكم على هذا في ذلك اليوم ، وذكر أنه بعد ذلك خرج على أصحابه ، وأنه صُنِّف في الرد عليهم ، وأنهم ناقضوه ، ونسبوه إلى القول بقول جَهْم في أن القرآن محدث ، وجعلهم هو كُلاَّبِيَّة .

قال الحاكم ^(١) : « سمعت أبا عبد الرحمن ^(٢) بن أحمد المقرئ يقول : سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول : الذي أقول به أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله ، غير مخلوق ، ومن قال : إن القرآن أو شيئاً منه ومن وحيه وتنزيله مخلوق ، أو يقول : إن الله لا يتكلم بعد ما كان تكلم به في الأزل ، أو يقول : إن أفعال الله مخلوقة ، أو يقول : إن القرآن محدث ، أو يقول : إن شيئاً من صفات الله - صفات الذات - أو اسماً من أسماء الله مخلوق ، فهو عندي جهمي يستتاب ، فإن تاب ، وإلا ضربت عنقه ، هذا مذهبي ومذهب مَنْ رأيت من أهل [الأثر في] ^(٣) الشرق والغرب من أهل العلم ، ومن حكى عني خلاف هذا ^(٤) فهو كاذب باهت ، ومن نظري في كتبي المصنَّفة ظهر له وبأن الكُلاَّبِيَّة كَذْبَةٌ فيما يحكون عني مما هو خلاف أصلي وديانتي . »

وذكر عن ابن خزيمة أنه قال : زعم بعض جهلة هؤلاء الذين نبغوا في سنتنا هذه أن الله لا يكرر الكلام ، فهم لا يفهمون كتاب الله ، فإن

(١) هنا نهاية السقط في نسخة (ر) الذي أشرنا إلى بدايته من قبل .

(٢) س (فقط) : أبا سعيد عبد الرحمن .

(٣) الأثر في : ساقطة من (م) ، (ق) .

(٤) س (فقط) : خلاف ذلك .

الله قد أخبر في نص الكتاب^(١) في مواضع أنه خلق آدم ، وأنه أمر الملائكة بالسجود له ، فكرر هذا الذكر في غير موضع ، وكرر ذكر كلامه مع موسى مرة بعد أخرى ، وكرر ذكر عيسى بن مريم في مواضع ، وحمد نفسه في مواضع فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [سورة الكهف : ١] ، و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [سورة الأنعام : ١] ، و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة سبأ : ١] وكرر زيادة على ثلاثين مرة ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [سورة الرحمن] ولم أتوهم أن مسلماً يتوهم أن الله لا يتكلم بشيء مرتين .

قال الحاكم : « سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق - يعني الصبغى^(٢) - يقول ، لما وقع^(٣) [من أمرنا ما وقع]^(٤) ووجد^(٥) بعض المخالفين - يعني المعتزلة - الفرصة في تقرير مذهبهم بحضرتنا ، قال / أبو على الثقفى للإمام^(٦) : ما الذى أنكرت من مذاهبنا^(٧) أيها الإمام حتى نرجع عنه ؟ قال : ميلكم إلى مذهب الكلابية ، فقد كان

(١) س (فقط) : في بعض الكتاب .

(٢) الصبغى : كذا في (هـ) فقط ، وفي سائر النسخ : الصبغى ، وانظر ما سبق أن ذكرته ، وسيرد اسمه في نسخة (س) بعد قليل على أنه : الصبغى .

(٣) م ، ق : رجع .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (م) ، (ق) .

(٥) هـ : وجد .

(٦) ص ، ر ، ط ، هـ : الإمام .

(٧) مذاهبنا : كذا في (س) ، (ط) ، (هـ) . وفي سائر النسخ : مذهبنا .

أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد ^(١) وعلى أصحابه مثل الحارث المحاسبي وغيره ، حتى طال الخطاب بينه وبين أبي علي في هذا الباب ، فقلت : قد جمعت أنا أصول مذاهبنا ^(٢) في طبق فأخرجت إليه [الطبق] ^(٣) فقلت : تأمل ما جمعته ^(٤) بخطي ، وبيته في هذه المسائل ، فإن كان فيها شيء تكرهه فبين لنا وجهه ، فذكر أنه تأمله ولم ينكر منه شيئاً ، وذكر لشيخه ^(٥) الخط وفيه : إن الله يجمع صفات ذاته واحد ، لم يزل ، ولا يزال ، وما أضيف إلى الله من صفات فعله مما هو غير بائن عن الله فغير مخلوق ، وكل شيء أضيف إلى الله بائن عنه دونه مخلوق .

وذكر أن أبا العباس القلانسي وغيره وافقوا من خالف أبا بكر ، وأنه كتب إلى جماعة من العلماء تلك ^(٦) المسائل ، وأنهم كانوا يرفعون من خالف أبا بكر إلى السلطان ، وأن أمير نيسابور أمر أن يمثل أمر أبي بكر فيهم ^(٧) من النفي والضرب والحبس ، وأن عبد الله بن حماد ^(٨) قال : طوبى لهم إن كان ما يقال عنهم مكذوباً عليهم ، وأن عبد الله بن حماد

(١) في هامش (ط) كتب : هو ابن كلاب .

(٢) م ، ق : مذهبنا .

(٣) م ، ق : في صك فأخرجته إليه .

(٤) م ، ق : هذا ما جمعته ، وفي (ط) ، (ر) : يبايض ثم كتب : ملت جمعته . والمثبت عن

(س) ، (هـ) .

(٥) س ، ط ، هـ : وذكر نسخة .

(٦) م ، ق : بتلك .

(٧) س ، هـ : أن يُمثل فيهم أمر أبي بكر .

(٨) ص (فقط) : وأن أبا عبد الله بن حماد .

من غد ذلك اليوم قال : رأيت البارحة في المنام كأن أحمد بن السرى^(١) الزاهد المروزي لكنى برجله ثم قال : كأنك في شك من أمور هؤلاء الكلائية ، قال : ثم نظر إلى محمد بن إسحاق فقال : ﴿ هَذَا بَلَاحٌ لِلنَّاسِ وَلِيُذْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٥٢] وهذه القصة مبسطة في موضع آخر ، وأكثر أهل العلم والدين كانوا مع ابن خزيمة على الكلائية .

ذكر أبو إسماعيل الأنصارى المعروف بشيخ الإسلام في كتاب « ذم الكلام » : « سمعت^(٢) أبا نصر بن أبي سعيد الرداد^(٣) ، سمعت إبراهيم بن إسماعيل الخلال يقول : إني ذهبت بكتاب ابن خزيمة في الصبغى^(٤) والثقفى إلى أمير المؤمنين ، فكتب / بصلبهما ، فقال ابن خزيمة : لا ، قد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم النفاق من أقوام فلم يَصْلِبْهُم » .

كلام الأنصارى في
« ذم الكلام »

٤٥/٢

قال أبو إسماعيل : « سمعت إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى يقول : استتيب الصبغى والثقفى على قبر ابن خزيمة » .
وقال : « سمعت أحمد بن أبي نصر يقول : رأينا محمد بن الحسين السلمى يعنى أبا عبد الرحمن [السلمى]^(٥) صاحب التصانيف المعروفة في طريقة الصوفية - يلعن الكلائية » .

(١) ص (فقط) : الشرى

(٢) ص (فقط) : قال سمعت .

(٣) ص (فقط) : الزراد . وفى (هـ) : أبا نصر بن سعيد الرداد (والكلمة الأخيرة غير منقوطة) .

(٤) الصبغى : كذا فى (س) . وفى سائر النسخ : الضبغى . وفى (هـ) : الصبغى . وهو تحريف .

(٥) السلمى : زيادة فى (س) . (هـ) .

قال : « وسمعت محمد بن العباس بن محمد يقول : كان أبو علي الرِّفَّاء ^(١) يقول : لعن الله الكَلَّابِيَّة ^(٢) » .

ومن الموافقين لابن خزيمة أبو حامد الشاركي ^(٣) ، وأبو سعيد الزاهد ، ويحيى بن عمار ، وأبو عثمان النيسابوري الملقب بشيخ الإسلام .
قال : « وسمعت عبد الواحد بن ياسين يقول : رأيت بابين قُلْعاً من مدرسة أبي الطيب - يعني الصعلوكي - بأمره من بَيْتَيْ شابين حضرا أبا بكر بن فورك ، وسمعت الطيب بن محمد ، سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول : وجدت أبا حامد الإسفرايني وأبا الطيب الصعلوكي وأبا بكر القفال المروزي وأبا منصور الحاكم على الإنكار على الكلام وأهله .

وقال الحافظ أبو نصر السَّجَزِي ^(٤) في رسالته المعروفة إلى أهل زبيد في الواجب من القول في القرآن : « اعلّموا - أرشدنا الله وإياكم - أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كُلاب والقلانسي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم ، بل أخس حالا منهم في

كلام السجزي في
«رسالته إلى أهل
زبيد»

(١) م ، ق : أبو علي الدقاق ؛ ص . ط . ر : أبو علي الرِّفَّاء . ولم أعرف من هو .

(٢) لخص السيوطي كتاب « ذم الكلام » لأبي اسماعيل الأنصاري الهروي . في كتابه « صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام » ص ٦٨ - ١٢٦ . تحقيق د . علي النشار والسيدة سعاد عبد الرازقي ، ولم أجده هذه النصوص في تلخيص السيوطي . وسبقت ترجمة الهروي . ج ١ . ص ٢٤٧ .

(٣) م ، ق : التاركي . ولم أعرف من هو .

(٤) سبقت ترجمته . ج ١ . ص ٢٦٦ .

الباطن ، من أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق ، وإن اختلفت به اللغات ، وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقلیات وقالوا : الكلام حروف متسقة وأصوات مقطّعة ، وقالت -

٤٦/٢ يعنى / علماء العربية - : الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، فالاسم مثل زيد وعمرو ، والفعل مثل جاء وذهب ، والحرف الذى يبنى لمعنى مثل هل وبلى وقد ، وما شاكل ذلك ، فالإجماع مُتَعَدِّد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً ، فلما نبغ ابن كُلاب وأضرابه ، وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق [مجرد] ^(١) العقل ، وهم لا يَخْبِرُونَ أصول السنة ولا ما كان السلف عليه ^(٢) ، ولا يحتجون بالأخبار الواردة فى ذلك ^(٣) زعماً منهم أنها أخبار آحاد وهى لا توجب علماً ، وألزمهم المعتزلة الاتفاق ^(٤) على أن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت ، ويدخله التعاقب والتأليف ، وذلك لا يوجد فى الشاهد إلا بحركة وسكون ، ولا بد له من أن يكون ذا أجزاء وأبعاد ، وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من صفات [ذات] ^(٥) الله تعالى ؛ لأن ذات الحق ^(٦) لا توصف بالاجتماع والافتراق ، والكل والبعض ، والحركة والسكون ، وحكمُ الصفة الذاتية حكمُ الذات .

قالوا : فعلم بهذه الجملة أن الكلام المضاف إلى الله تعالى خُلِقَ له

(١) مجرد : زيادة فى (س) .

(٢) م ، ق : ولا ما كان عليه السلف .

(٣) ص : وما يحتجون بالأخبار الواردة بذلك .

(٤) م ، ق : بالاتفاق .

(٥) ذات : زيادة فى (س) فقط .

(٦) س : لأن ذات الله تعالى .

أُحْدِثَهُ وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، كَمَا نَقُولُ : « خَلَقَ اللَّهُ ، وَعَبَدَ اللَّهُ ، وَفَعَلَ اللَّهُ » .

« قَالَ : فَضَاقَ بَابُنْ كُلاَّبٍ وَأَضْرَابَهُ النَّفْسُ عِنْدَ^(١) هَذَا الْإِلْزَامِ ، لِقَلَّةِ مَعْرِفَتِهِم بِاللَّسَنِ ، وَتَرْكِهِمْ قَبُولَهَا ، وَتَسْلِيمَهُمْ^(٢) الْعِنَانَ إِلَى مَجْرَدِ الْعَقْلِ » .

فَالْتَزَمُوا مَا قَالَتْهُ الْمَعْتَرَّةُ وَرَكِبُوا مَكَايِدَ الْعِيَانِ^(٣) وَخَرَقُوا^(٤) الْإِجْمَاعَ الْمُنْعَقِدَ بَيْنَ الْكَافَّةِ : الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ ، وَقَالُوا^(٥) لِلْمَعْتَرَّةِ : الَّذِي ذَكَرْتُمُوهُ لَيْسَ بِحَقِيقَةِ الْكَلَامِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ^(٦) ذَلِكَ كَلَامًا عَلَى الْمَجَازِ لَكُونِهِ حِكَايَةً أَوْ عِبَارَةً عَنْهُ ، وَحَقِيقَةُ الْكَلَامِ مَعْنَى قَائِمٌ بِذَاتِ الْمُتَكَلِّمِ ، فَهُمْ مِنْ اقْتِصَارٍ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ احْتَرَزَ عَمَّا عُلِمَ دَخُولُهُ عَلَى هَذَا الْحَدِّ ، فَزَادَ فِيهِ « تُتَأَنَّى السَّكُوتُ وَالْخَرَسُ وَالْآفَاتُ الْمَانِعَةُ فِيهِ^(٧) مِنْ الْكَلَامِ » ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ هَذَا إِلَى أَنْ إِثْبَاتِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَجْسِيمٌ ، وَإِثْبَاتِ اللَّغَةِ فِيهِ تَشْبِيهُ ، وَتَعَلَّقُوا بِشُبْهِهِ ، مِنْهَا قَوْلُ الْأَخْطَلِ :
إِنَّ الْبَيَانَ مِنَ الْفَوَادِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَ اللِّسَانَ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا^(٨)
(١) س : ع .
(٢) ر : وَتَسْلِيمٌ .
(٣) س : الْأَعْيَانُ .
(٤) ط : وَخَرَقُوا ، ر : وَخَرَجُوا .
(٥) م (فَقَطْ) : وَقَالَ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٦) س : ص : يَسْمَى .
(٧) فِيهِ : لَيْسَتْ فِي (س) . (ط) . (ر) .

(٨) س : جَعَلَ الْفَوَادِ عَلَى اللِّسَانَ دَلِيلًا . وَهُوَ خِلَافُ الصَّوَابِ . وَالْبَيْتُ يَنْسَبُ لِلْأَخْطَلِ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي دِيْوَانِهِ . وَتَذَكَّرْتُ كَتَبَ الْمُتَكَلِّمِينَ . وَأُورِدَهُ الْبَاقِلَانِيُّ فِي كِتَابِ «الْمُهَيْمِدِ» ص ٢٥١ ط . بَيروَت . ١٩٥٧ . مَعَ بَيْتٍ قَبْلَهُ فَقَالَ : « قَالَ الْأَخْطَلُ :
لَا يَعْجِبُنْكَ مِنْ أَثَرِ حَظِّهِ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ أَصِيلًا
إِنَّ الْكَلَامَ مِنَ الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جَعَلَ اللِّسَانَ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

٤٧/٢ فغَيَّرُوهُ ، وقالوا : « إن الكلام من الفؤاد » وزعموا أن لهم حجة على مقاتلتهم في قول الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [سورة المجادلة : ٨] ، وفي قول الله عز وجل : ﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ [سورة يوسف : ٧٧] واحتجوا بقول العرب : « أرى في نفسك كلاما ، وفي وجهك كلاما » فألجأهم الضيق مما دخل^(١) عليهم في مقاتلتهم إلى أن قالوا : الأخرس متكلم ، وكذلك الساكت والناثم ، ولهم في حال الخرس والسكوت والنوم كلام^(٢) هم متكلمون به ، ثم أفصحوا بأن الخرس والسكوت والآفات المانعة من النطق ليست بأضداد الكلام .

وهذه مقالة تبين فضيحة قائلها في ظاهرها من غير رد عليه ، ومن علم منه خرق إجماع الكافة ومخالفة كل عقلي وسمعي قبله لم يُتَأَطَّرْ ، بل يُجَانَبُ وَيُقَمَّعُ .

كلام السجزي في الإبانة
وقال أبو نصر السَّجْزِي [أيضا]^(٣) في كتابه المسمى بالإبانة في مسألة القرآن : لما قيل [له]^(٤) « إن القراءة^(٥) عمل ، والعمل لا يكون صفة لله ، والدليل على أنها^(٦) عمل أنك تقول : قرأ فلان يقرأ ، وما حسن فيه ذكر المستقبل فهو عند العرب عمل » .

(١) س : يدخل .

(٢) م (فقط) : وهم .

(٣) ص ، ط ، ر : وقال أيضا أبو نصر السجزي .

(٤) له : ساقطة من (م) ، (ق) .

(٥) القراءة : كذا في (س) فقط . وفي سائر النسخ : القرآن .

(٦) م ، ق : أنه .

فقال : « هذا لا يلزم ، لأنك تقول : « قال الله عز وجل »
و « يقول الله عز وجل »^(١) » والله تعالى قال : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [سورة البقرة : ٣٥] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ
هَلْ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [سورة ق : ٣٠] فقد حَسَنَ في
القول ذكر المستقبل .

فإن ارتكبوا العظمى ، وقالوا : كلام الله شيء واحد على أصلنا لا
يتجزأ ، وليس بلغة ، والله سبحانه من الأزل إلى الأبد متكلم بكلام
واحد لا أول له ولا آخر ، فقال : ويقول إنما يرجع إلى العبارة لا إلى
المعبر عنه .

قيل لهم : قد بينا مراراً كثيرة أن قولكم في هذا الباب فاسد ؛ وأنه
مخالف للعقلين والشرعيين جميعاً ، وأن نص الكتاب والثابت من الأثر
قد نطقاً بفساده ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ
نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة النحل : ٤٠] فبين الله سبحانه أنه يقول
[للشيء] ^(٢) « كن إذا أراد كونه ، فعلم بذلك أنه لم يقل للقيامة بعد
كوني » .

/ وقال أيضاً في موضع آخر : « النبي صلى الله عليه وسلم قال : ٤٨/٢
« نبدأ بما بدأ الله به » ^(٣) ثم قرأ ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾

(١) س : وتقول بقول الله تعالى .

(٢) للشيء : زيادة في (س) .

(٣) الحديث عن جابر في سنن الترمذي ٩٤/٤ (كتاب الحج ، باب ما جاء أنه يبدأ بالصفا قبل

المروة) وأوله : « أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة طاف بالبيت سبعاً فقرأ : واتخذوا من مقام
إبراهيم مصلى . فصل خلف المقام ، ثم أتى الحجر فاستلمه . ثم قال : نبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ =

[سورة البقرة : ١٥٨] والله تعالى قال : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٩] وقال : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] فبين جلّ جلاله أنه قال لآدم بعد أن خلقه من تراب : كُنْ ، وأنه إذا أراد شيئا يقول ^(١) له كن فيكون ، ولم يقتض ذلك حدوثاً ^(٢) ولا خلقاً بعد حدوث ^(٣) نوع الكلام ، لِمَا قام من الدليل على انتفاء الخلق عن كلام الله تعالى .

وقال أبو نصر السجزي أيضا : « فأما الله تعالى فإنه متكلم فيما لم يزل ، ولا يزال متكلماً بما شاء من الكلام ، يُسمع من يشاء من خلقه ما شاء من كلامه إذا شاء ذلك ^(٤) ، ويكلم من شاء تكليمه بما يعرفه ولا ^(٥) يجهله ، وهو سبحانه حيّ عليم ^(٦) متكلم لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، ليس يجسم ، ولا في معنى جسم ، ولا يوصف بأداة ولا جارحة ^(٨) وآلة ، وكلامه

==بالصفا . وقرأ : إن الصفا والمروة من شعائر الله قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وجاءت هذه العبارة ضمن صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم عن جابر أيضا في : سنن أبي داود ١٨٣/٢ - ١٨٤ (كتاب المناسك . باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم) .

(١) ص ، ط ، ر ، م ، ق : وأنه إذا أراد شيئا أن يقول .

(٢) س ، ر : حدثا .

(٣) م - ق : ولا خلقا بعد نفى حدوث ؛ س : ولا خلقا يعني حدوث .

(٤) ذلك : ساقطة من (س) .

(٥) تكليمه : كذا في (س) فقط . وفي سائر النسخ : يكلمه .

(٦) م - ق : لا .

(٧) س : عالم .

(٨) س . ص . ر . ط : وجارحة .

أحسن الكلام ، وفيه^(١) سَوْر وآى وكلمات ، وكل ذلك حروف ، وهو مسموع منه على الحقيقة سماعا يعقله الخلق ، ولا^(٢) كيفية لتكلمه وتكليمه ، وجائز^(٣) وجود أعداد من المكلّمين يكلمهم سبحانه في حال واحدة بما يريد من كل واحد منهم ، من غير أن يشغله تكليم هذا عن تكليم هذا .

[قال]^(٤) : « ومنع كثير من أهل العلم^(٥) إطلاق السكوت عليه ، ومن أهل الأثر من جَوَز إطلاق السكوت عليه لوروده في الحديث ، وقال : معناه تركه التوبيخ والتقرير والمحاسبة اليوم ، وسيأتى يوم يقرر فيه ويحاسب ويؤبّخ ، فذلك الترك بمعنى^(٦) السكوت » .

قال : « والأصل الذى يجب أن يعلم : أن اتفاق التسميات لا يوجب اتفاق المسمّينَ بها ، فنحن إذا قلنا إن الله موجود رؤوف واحد حتى علم سميع بصير متكلم ، وقلنا إن النبي صلى الله عليه وسلم كان موجودا حيا عالما سميعا بصيرا متكلم لم يكن ذلك تشبيها ، ولا خالفنا به أحدا من السلف والأئمة ، بل الله موجود لم يزل ، / واحد حتى قديم ٤٩/٢ قديم عالم سميع^(٧) بصير متكلم فيما لم يزل ، ولا يجوز أن يوصف بأضداد هذه الصفات ، والموجود منا إنما وُجِدَ عن عَدَم ، وَحَيِّىَ بمعنى

(١) س : ٠ : ومنه .

(٢) س : لا .

(٣) م (فقط) : جائز .

(٤) قال : فى (س) فقط .

(٥) ص : من أهل الكلام .

(٦) م ، ق : معنى .

(٧) س : حتى علم سميع ، ص : حتى علم قديم عالم سميع ، ط . ر . ق : قديم عالم سميع .

[حَلَّةٌ]^(١) ، ثم يصير ميتا بزوال ذلك المعنى ، وَعَلِمَ بعد أن لم يَعْلَمْ ، وقد ينسى^(٢) ما علم ، وسمع وأبصر وتكلم بجوارح قد تلحقها الآفات ، فلم يكن فيما أطلق للخلق تشبيه بما أطلق للخالق سبحانه وتعالى ، وإن اتفقت مُسَمَّيات^(٣) هذه الصفات .

وقال أبو نصر أيضا : « خاطبني بعض الأشعرية يوما في هذا الفصل ، وقال : التَّجَزُّؤُ على القديم غير جائز ، فقلت له : أتقر بأن الله أَسْمَعَ موسى كلامه على الحقيقة بلا ترجان ؟ فقال : نعم - وهم يطلقون ذلك ، ويموّهون على من لم يخبر^(٤) مذهبهم - وحقيقة سماع كلام الله من ذاته ، على أصل الأشعرى ، محال ؛ لأن سماع الخلق - على ما جُبِلُوا عليه من البنية ، وأَجْرُوا عليه من العادة - لا يكون ألَبَثَ إلا لما هو صوت أوفى معنى الصوت ، وإذا لم يكن كذلك كان الواصل إلى معرفته [بضرب]^(٥) من العلم والفهم ، وهما يقومان في وقت مقام السماع ، لحصول العلم بهما كما يحصل بالسماع ، وربما سُمِيَ ذلك سماعا على التجوز لقربه من معناه ، فأما حقيقة السماع لما يخالف الصوت فلا يتأتى للخلق في العرف الجارى . »

قال : « فقلت لمخاطبي الأشعرى : قد علمنا جميعا أن حقيقة السماع لكلام الله منه على أصلكم محال ، وليس ههنا من تَثْقِيهِ وتَحْشِيهِ

(١) حَلَّةٌ : فى (س) فقط ، أى بمعنى حل فيه .

(٢) م . ق : وقد نسى .

(٣) س : تسميات .

(٤) م . ق ، ص . ط : من لا يخبر .

(٥) بضرب : فى (س) فقط .

تشنيعة^(١) ، وإنما مذهبك أن الله يُفهم من شاء كلامه بلطفية منه ، حتى يصير عالما متيقنا بأن الذي فهمه كلامُ الله ، والذي أريد أن ألزمك وارداً على الفهم وروده على السماع ، فدعِ التويه ، ودعِ المصانعة^(٢) . ما تقول في موسى عليه السلام حيث كلمه الله ؟ أفهم كلامَ الله مطلقاً أم مقيداً ؟ فتلكاً قليلاً ، ثم قال : ما تريد بهذا ؟ فقلت : دع إرادتي وأجب بما عندك ، فأبى وقال : ما تريد بهذا ؟ فقلت : أريد أنك إن قلت : إنه عليه السلام فهم كلام الله مطلقاً اقتضى أن لا يكون لله كلام / من الأزل إلى الأبد إلا وقد فهمه موسى ، وهذا يؤول إلى ٥٠/٢ الكفر ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] ولو جاز ذلك لصار مَنْ فهم كلام الله عالماً بالغيب وبما في نفس الله تعالى ، وقد نفى الله تعالى ذلك بما^(٣) أخبر به عن عيسى عليه السلام أنه يقول^(٤) : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] وإذا لم يميز إطلاقه ، وألجئت إلى أن تقول « أفهمه الله ما شاء من كلامه » دخلت في التبعض الذي هربت منه ، وكفرت من قال به ، ويكون^(٥) مخالفاً أسعد منك ، لأنه قال بما اقتضاه النص الوارد من قبل الله عز وجل ومن قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت آيت أن تقبل

(١) س : شنيعة .

(٢) س : وأدع المضايقة ؛ ص ، ط ، ر : وأدع المصانعة .

(٣) س : لها .

(٤) س : .. السلام بقوله .

(٥) س : ثم يكون .

ذلك ، وادعيت أن الواجب المصيرُ إلى حكم العقل في هذا الباب ،
وقد ردك العقلُ إلى موافقة النص خاصاً^(١) .

فقال : هذا يحتاج إلى تأمل^(٢) ، وقَطَعَ الكلام .

وقال أبو نصر : « لم يزل الله متكلماً ؛ لأن الكلام من صفات المدح
للحي الفاعل ، وضده من النقائص ، والله منزّه عنها » .

وذكر كلاماً كثيراً إلى أن قال : « وقد ثبت بما ذكرناه كون القرآن
مفروقاً مفصّلاً ، ذا أجزاء وأبعاد وآى وكلمات وحروف^(٣) ، وأن ما
كان بخلاف ذلك لم يكن القرآن المتزلّ الذى آمن به المسلمون وجحدته
الكفار ، وأن المقروء سُور وآى وكلمات وحروف ، وكذلك المحفوظ
والمكتوب والمتلو ، وأنه عربى مبين ، نازل بلسان العرب ، ولسان
قريش ، والمراد باللسان في هذا الباب اللغة ، لا اللسان الذى هو لحم
ودم وعروق ، تعالى الله عن ذلك ، وجل عن أن يوصف إلا بما وصف
به نفسه ، وتنزّه عن الأشباه » .

قال : « ونحن نذكر عقب^(٤) هذا الفصل فصلاً في ذكر حروف
القرآن ، وفصلاً بعد ذلك في الصوت وما ورد فيه من القرآن
والحديث ، وكل ذى لُبٍ صحيح يعرف بالحس والمشاهدة قبل
الاستدلال أن القرآن العربى حروف ، ولا فرق بين منكر ذلك ومنكر
الحواس وأنها من مبادئ العلم وأسباب المدايرك » .

(١) س . ص ، ط ، ر : خاسراً .

(٢) س : إلى أن يتأمل .

(٣) م (فقط) : وأحرف .

(٤) س : عقيب .

/ قال : « وقد بين الله في كتابه مالا إشكال بعده في هذا الفصل لما
قال : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ [سورة الشعراء : ١٠] والعرب لا تعرف
نداء^(١) إلا صوتا ، وقد جاء عن موسى تحقيق ذلك ، فإن أنكروا الظاهر
كفروا ، وإن قالوا : « إن النداء غير صوت » خالفوا لغات العرب ،
وإن قالوا : نادى الأمير - إذا أمر غيره بالنداء - دفعوا فضيلة موسى
عليه السلام المختصة به من تكليم الله إياه بذاته من غير واسطة ولا
ترجمان ، وليس^(٢) في وجود الصوت من الله تعالى تشبيه بمن يوجد
الصوت منه من الخلق ، كما لم يكن في إثبات الكلام له تشبيه بمن له
كلام^(٣) من خلقه ، وكيف وكلامه وكلام خلقه [معا] عند الأشعرى
معنى قائم^(٤) بذات المتكلم لا يختلف ، فهو المشبه لا محالة .

قال : « وأما نحن فنقول : كلام الله حرف^(٥) وصوت بحكم
النص » ، قال : « وليس ذلك عن جارحة ولا آلة ، وكلامنا حروف
وأصوات^(٦) ، لا يوجد ذلك منا إلا بآلة ، والله سبحانه وتعالى يتكلم بما
شاء ، لا يشغله شيء عن شيء ، والمتكلم منا لا يتأتى منه أداء حرفين إلا
بأن يفرغ من أحدهما ويتبدىء في الآخر ، والقرآن لما كان كلاما لله كان
معجزاً ، وكلام الخلق غير معجز ، وفي كلام الله بيان ما كان وما سيكون

(١) س : النداء .

(٢) س : ولا ترجمان قال وليس .

(٣) س : بمن له الكلام .

(٤) م (فقط) : وكلام خلقه معنى عند الأشعرى قائم . .

(٥) س : حروف .

(٦) س : وصوت .

وما لا يكون أبدا لو كان كيف كان يكون ، والخلق لا يَصِلون إلى هذه الأشياء إلا بتعريف .

كلام أبي القاسم وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي^(١) الأصهباني الشافعي في كتابه المعروف « بالحجة على تارك المحجة » : « أجمع المسلمون على أن القرآن كلام الله ، وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة الله^(٢) تعالى ، وأنه موصوف به ، وهذه الصفة لازمة لذاته . تقول العرب : « زيد متكلم » فالكلام صفة له لا تعرف^(٣) إلا أن حقيقة هذه الصفة الكلام ، وإذا كان كذلك كان القرآن كلام الله ، وكانت هذه الصفة لازمة له ، أزلية . والدليل على أن الكلام لا يفارق المتكلم أنه لو كان مفارقة^(٤) لم يكن للمتكلم إلا^(٥) كلمة واحدة ، فإذا تكلم بها لم يبق / ٥٢/٢ له كلام ، فلما كان المتكلم قادرا على كلمات كثيرة ، كلمة بعد كلمة ، دل على أن تلك الكلمات فروع لكلامه الذي هو صفة له ملازمة .

قال : « والدليل على أن القرآن غير مخلوق : أنه كلام الله ، وكلام الله سبب إلى خلق الأشياء ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة النحل : ٤٠] أى أردنا خلقه وإيجاده وإظهاره ، فقوله « كن » كلام الله وصفته ، والصفة التي منها يتفرع^(٦)

(١) م ، ص ، ط ، ر : التيمي ، وهو خطأ . وسبقت ترجمته ج ١ - ص ٢٤٧ .

(٢) ص ، ط ، ر : الله .

(٣) عبارة « لا تعرف » ساقطة من (س) ، (ص) ، (ر) .

(٤) س : يفارقه .

(٥) م : المتكلم به إلا .

(٦) م (فقط) : يتفرع .

الخلق والفعل ، وبها يتكون المخلوق ، لا تكون مخلوقه ، ولا يكون مثلها للمخلوق . والدليل على أنه كلام لا يشبه^(١) كلام المخلوقين أنه كلام معجز ، وكلام المخلوقين غير معجز ، لو اجتمع الخلق على أن يأتوا بمثل سورة من سورة ، أو آية من آياته^(٢) ، عجزوا عن ذلك ولم يقدرُوا عليه .

وقال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي^(٣) في كتابه الذي سماه « الفصول في الأصول » ، عن الأئمة الفحول « وذكر اثني عشر إماما : الشافعي ومالك والثوري وأحمد وابن عيينة وابن المبارك والأوزاعي والليث بن سعد وإسحاق بن راهويه والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم .

[ثم^(٤) قال فيه : « سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول : سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول : سمعت الشيخ أبا حامد الإسفرايني يقول : مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار : أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، والقرآن حمّله جبريل مسموعا من الله تعالى ، والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل ، والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي نتلوه نحن بالستتنا ، وفيما بين الدفتين ، وما في صدورنا ، مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومنقوشا ، وكل حرف منه - كالباء والتاء - كله كلام

(١) ق : على أن كلام لا يشبه ، م : على أن كلام الله لا يشبه .

(٢) عبارة : أو آية من آياته : ساقطة من (س) .

(٣) ق ، ر ، ص : الكرجي الشافعي .

(٤) ثم : ساقطة من (م) ، (ق) .

الله غير مخلوق ، ومن قال « مخلوق » ^(١) فهو كافر ، عليه لعائن الله
والملائكة والناس أجمعين

قال الشيخ أبو الحسن : « وكان الشيخ أبو حامد الإسفرايني ^(٢) شديد
الإنكار على الباقلاني وأصحاب الكلام » .

٥٣/٢ قال : « ولم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون / أن يُنسبوا ^(٣) إلى
الأشعري ، ويتبرؤون مما بنى الأشعري مذهبَه عليه ، وينهون أصحابهم
وأحبابهم عن الحثِّم حواليه ، على ما سمعت عدة من المشايخ والأئمة -
منهم الحافظ المؤتمن بن أحمد بن علي الساجي - يقولون ^(٤) : سمعنا جماعة
من المشايخ الثقات ، قالوا : كان الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر
الإسفرايني إمام الأئمة ، الذي طبق الأرض علما وأصحابا إذا سعى إلى
الجمعة من قطعية الكرج إلى جامع ^(٥) المنصور ، يَدْخُلُ ^(٦) الرباط المعروف
بالزوزي ^(٧) المحاذي للجامع ، ويُقْبَلُ على من حضر ، ويقول : اشهدوا
علىَّ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، كما قاله الإمام ابن حنبل ، لا كما
يقوله ^(٨) الباقلاني ، وتكرر ذلك منه جُمُعات ^(٩) ، ففيل له في ذلك ،

(١) س : ومن قال هو مخلوق .

(٢) الاسفرايني : زيادة في (م) فقط .

(٣) س ، هـ : أن ينسبوا .

(٤) م ، ق ، هـ : يقول .

(٥) ط : من قطعية إلى جامع . . . ص ، ر : من قطيعته إلى جامع . . . م : من قطيعته بكر

إلى جامع ، ق : من قطيعته إلى جامع ، هـ : من قطعية الكرخ إلى جامع .

(٦) م (فقط) : ويدخل .

(٧) م . ق : بالزوزي .

(٨) م (فقط) : يقول .

(٩) ق : وتكرر ذلك منه جمعا ، س : وتكرر منه ذلك في جمعات .

فقال : حتى ينتشر في الناس وفي أهل الصلاح ، ويشيع الخبر في أهل البلاد^(١) : أني برىء مما هم عليه^(٢) - يعني الأشعرية - وبرىء من مذهب أبي بكر [بن]^(٣) الباقلاني ؛ فإن جماعة من المتفقهة الغرباء يدخلون على الباقلاني خفية ويقرؤون عليه فيفتنون بمذهبه : فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة ، فيظن ظان أنهم مني تعلموه قبله^(٤) ، وأنا ما قلت^(٥) ، وأنا برىء من مذهب الباقلاني وعقيدته .

قال الشيخ أبو الحسن الكرجي^(٦) : « سمعت شيخي الإمام أبا منصور الفقيه الأصبهاني يقول : سمعت شيخنا الإمام أبا بكر الزادقاني^(٧) يقول : كنت في درس الشيخ أبي حامد الإسفرايني ، وكان ينهى أصحابه عن الكلام ، وعن الدخول على الباقلاني ، فبلغه أن نفرا من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام ، فظن أني معهم ومنهم ، وذكر قصة قال في آخرها : إن الشيخ أبا حامد قال لي : يا بني ، قد بلغني أنك تدخل على هذا الرجل - يعني الباقلاني - فيأياك وإياه ، فإنه مبتدع يدعو الناس إلى الضلالة ، وإلا فلا تحضر مجلسي ، فقلت : أنا عائد بالله مما قيل ، وتائب إليه ، واشهدوا عليّ أني لا أدخل إليه^(٨) . »

(١) س : في البلاد ؛ ط : في أهل البدان .

(٢) س : عليه هؤلاء .

(٣) بن : ساقطة من (م) . (ق) . (هـ) .

(٤) قبله : زيادة في (م) فقط .

(٥) س . هـ : وأنا قلت ؛ ص ، ط ، ر : أنا قلت .

(٦) الكرجي : زيادة في (س) ، (م) . (هـ) .

(٧) س . ص ، ط ، ر : الزادقاني ؛ وفي (هـ) الكلمة غير منقوطة .

(٨) س : عليه .

قال [الشيخ ^(١)] أبو الحسن : « وسمعت الفقيه الإمام أبا منصور سعد بن علي العجلي يقول : سمعت عدة من المشايخ والأئمة ببغداد - ٥٤/٢ أظن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي أحدهم - / قالوا : كان أبو بكر الباقلاني يخرج إلى الحمام متبرقا ، خوفا من الشيخ أبي حامد الإسفرايني .

قال أبو الحسن : « ومعروف شدة الشيخ أبي حامد على أهل الكلام ، حتى مَيَّزُ أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري ^(٢) . وعلقه عنه أبو بكر الزاذقاني . وهو عندي ، وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق [الشيرازي] ^(٣) في كتابيه « اللمع » و « التبصرة » حتى لو وافق قول الأشعري وجها لأصحابنا مَيَّزَ ^(٤) وقال : هو قول بعض أصحابنا ، وبه قالت الأشعرية ، ولم يَعُدَّهُم من أصحاب الشافعي ؛ استنكفوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه ، فضلا عن أصول الدين .

قلت : هذا المنقول عن الشيخ أبي حامد وأمثاله من أئمة أصحاب الشافعي ، أصحاب الوجوه ، معروف في كتبهم المصنفة في أصول الفقه وغيرها .

وقد ذكر ذلك الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب وأبو إسحاق الشيرازي وغير واحد ، بينوا مخالفة الشافعي وغيره من الأئمة لقول ابن كُلاب والأشعري في مسألة الكلام التي امتاز بها ابن كُلاب والأشعري عن غيرهما ، وإلا فسائر المسائل ليس لابن كلاب والأشعري بها

(١) الشيخ : زيادة في (س) .

(٢) ص ، ط ، ر . ق . هـ : من أصول فقه الأشعري .

(٣) الشيرازي : زيادة في (س) .

(٤) م : ميز ، وسقطت الكلمة من (ط) .

اختصاص ، بل ما قالاه قاله غيرهما ، إما من أهل السنة [والحديث]^(١) وإما من غيرهم ، بخلاف ما قاله ابن كلاب في مسألة الكلام ، واتبعه عليه الأشعري ؛ فإنه لم يسبق ابن كلاب إلى ذلك أحد ، ولا وافقه عليه أحد من رؤوس الطوائف ، وأصله في ذلك هي مسألة الصفات الاختيارية ، ونحوها من الأمور المتعلقة بمشيئته وقدرته تعالى : هل تقوم بذاته أم لا ؟ فكان^(٢) السلف والأئمة يشبتون ما يقوم بذاته من الصفات والأفعال مطلقا ، والجهمية من المعتزلة وغيرهم ينكرون ذلك مطلقا ، فوافق ابن كلاب السلف والأئمة في إثبات الصفات ، ووافق الجهمية في نفي قيام الأفعال به تعالى وما يتعلق بمشيئته وقدرته .

ولهذا وغيره تكلم الناس فيمن اتبعه كالقلانسى والأشعري ونحوهما ، بأن في أقوالهم بقايا من الاعتزال ، وهذه البقايا أصلها هو الاستدلال على حدوث العالم / بطريقة الحركات ، فإن هذا الأصل هو الذى أوقع ٥٥/٢ المعتزلة في نفي الصفات والأفعال .

وقد ذكر الأشعري في « رسالته إلى أهل الثغريباب الأبواب » أنه طريق مُبْتَدَع في دين الرسل ، محرم عندهم ، وكذلك غير الأشعري ، كالحطّابي وأمثاله ، يذكرون ذلك ، لكن مع هذا من وافق ابن كُلاب لا يرى بطلان هذه الطريقة عقلا ، وإن لم يقل : إن الدين محتاج إليها ، فلما رأى من رأى صحتها لزمه : إما قول ابن كُلاب ، أو ما يضاهيه . وهذا الذى نقلوه - من إنكار أبى حامد وغيره على القاضى أبى بكر

(١) والحديث : زيادة في (س) .

(٢) فكان : كذا في (س) وفي سائر النسخ : وكان .

الباقلاني - هو بسبب هذا الأصل ، وجرى له بسبب ذلك أمور أخرى ، وقام عليه الشيخ أبو حامد ، والشيخ أبو عبد الله بن حامد وغيرهما من العلماء من أهل العراق وخراسان والشام ، وأهل الحجاز ومصر ، مع ما كان فيه من الفضائل العظيمة والمحاسن الكثيرة والرد على الزنادقة والملحدین وأهل البدع ، حتى إنه لم يكن في المنتسبين إلى ابن كلاب والأشعري أجل منه ولا أحسن [كتباً ^(١)] وتصنيفاً ، ويسببه انتشر هذا القول ، وكان ^(٢) منتسباً إلى الإمام أحمد وأهل السنة [وأهل الحديث والسلف ، مع انتسابه إلى مالك والشافعي وغيرهما من الأئمة] ^(٣) حتى كان يكتب في بعض أجوبته : « محمد بن الطيب الحنبلي » وكان بينه وبين أبي الحسن التيمي وأهل بيته [وغيرهم] ^(٤) من التيمييين من الموالاة والمصافاة ما هو معروف ، كما تقدم ذكر ذلك ، ولهذا غلب على التيمييين موافقته في أصوله ، ولما صنف أبو بكر البيهقي كتابه في « مناقب الإمام أحمد » - وأبو بكر البيهقي موافق لابن الباقلاني في أصوله - ذكر أبو بكر اعتقاد أحمد الذي صنفه أبو الفضل عبد الواحد بن أبي الحسن التيمي ^(٥) ، وهو مشابه لأصول القاضي أبي بكر ، وقد حكى عنه : أنه كان إذا درس مسألة الكلام على أصول ابن كلاب والأشعري يقول : « هذا الذي ذكره أبو الحسن أشرحه لكم وأنا لم تتبين لي هذه المسألة » فكان يحكي عنه الوقف فيها ، إذ له في عدة من المسائل

(١) أحسن كتباً وتصنيفاً : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : أحسن تصنيفاً .

(٢) س (فقط) : ويسببه انتشر أمور كثيرة من ذلك وكان ...

(٣) ما بين المعقوفين زيادة في (س) .

(٤) وغيرهم : زيادة في (س) .

(٥) سبقت ترجمة أبي الفضل التيمي ج ١ ص ٢٢١ .

قولان وأكثر كما تنطق بذلك كتبه ، ومع هذا تكلم فيه أهل العلم ، وفي طريقته التي أصلها هذه المسألة مما ^(١) يطول وصفه ، كما تكلم مَنْ قبل هؤلاء في ابن / كلاب وَمَنْ وافقه ، حتى ذكر أبو إسماعيل الأنصاري ٥٦/٢ قال : سمعت أحمد بن أبي رافع وخلقا يذكران شدة أبي حامد - يعني الإسفرائيني - على ابن الباقلاني ، قال : وأنا بلغت رسالة أبي سعد إلى ابنه سالم ببغداد : إن كنت تريد أن ترجع إلى هَرَاة فلا تقرب الباقلاني ، قال : وسمعت الحسين بن أبي أمانة المالكي ^(٢) يقول : سمعت أبي يقول : لعن الله أبا ذر الهروي ^(٣) ، فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم ، وأول من بثه في المغاربة .

قلت : أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به ، وكان قد قدم إلى بغداد من هَرَاة ، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم ، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم ، كأبي نصر السجزي ، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين بما ليس هذا موضعه ، وهو ممن يرجح طريقة الصبغى والثقفى ^(٤) على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث ، وأهل المغرب كانوا يحجون ، فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها ، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق ، كما رحل أبو الوليد

(١) مما : كذا في (س) وفي سائر النسخ : بما .

(٢) لم أعرف من هو .

(٣) الهروي : زيادة في (م) فقط . وسبقت ترجمته ج ١ ص ٢٦٨ .

(٤) س . هـ : الصبغى والثقفى . وفي سائر النسخ : الثقفى والصبغى .

الباجي^(١) فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي^(٢) صاحب القاضى أبي بكر ، ورحل بعده القاضى أبو بكر بن العربي فأخذ طريقة أبي المعالى فى « الإرشاد » .

ثم إنه ما من هؤلاء إلا مَنْ له فى الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله فى الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين^(٣) ما لا يخفى على من عرف أحوالهم ، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف ، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة^(٤) ، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه ، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال / ما أنكره المسلمون^(٥) من أهل العلم والدين ، وصار الناس بسبب ذلك : منهم من يعظمهم ؛ لما لهم من المحاسن والفضائل ، ومنهم من يذمهم ؛ لما وقع فى كلامهم من البدع والباطل ، وخيار الأمور أوساطها^(٦) .

وهذا ليس مخصوصا بهؤلاء ، بل مثل هذا وقع^(٧) لطوائف من أهل العلم والدين ، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ؛ ويتجاوز لهم عن السيئات ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

(١) سبقت ترجمته ج ١ ص ٢٧١ .

(٢) م (فقط) : الجهمى . وسبقت ترجمته ج ١ ص ٢٧١ .

(٣) ص ، ر ، ط : لكثير من السنة والدين ؛ س : لأكثر أصول السنة والدين .

(٤) فى (س) يوجد شطب على كلمة المعتزلة فى الأصل ، وأشار الناسخ إلى الهامش حيث كتبت كلمة « الجهمية » .

(٥) س : ما أنكرها جمهور المسلمين .

(٦) ق ، ص ، ر ، ط ، هـ : أوسطها .

(٧) ر : واقع .

بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾
[سورة الحشر : ١٠] .

ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه ، تحقيقاً للدعاء الذى استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] .

ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يشع على مَنْ خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده ، [وهو]^(١) من البدع المخالفة للسنة ، فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه^(٢) ، فقل من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين ، لكثرة الاشتباه والاضطراب ، وبُعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذى به يحصل الهدى والصواب ، ويزول به عن القلوب الشك والارتباب ، ولهذا تجد كثيراً من المتأخرين من علماء الطوائف يتناقضون في مثل هذه الأصول ولوازمها ، فيقولون القول الموافق للسنة ، وينفون ما هو من لوازمه ، غير ظانين أنه [من لوازمه ، ويقولون ما ينافيه ، غير ظانين أنه]^(٣) ينافيه ، ويقولون بملزومات القول المنافي الذى ينافي^(٤) ما أثبتوه من السنة ، وربما كفروا من خالفهم في القول المنافي وملزوماته ، فيكون مضمون قولهم : أن

(١) وهو : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : وهى .

(٢) ر : وهو وأصحابه ؛ م : وهو من أصحابه .

(٣) س - هـ : من .

(٤) ما بين المعقوفين في (س) فقط وسقط من سائر النسخ .

(٥) س (فقط) : ويقولون بلوازم القول المنافي التى تنافى ..

يقولوا قولاً ويكفّروا من يقوله ، وهذا يوجد لكثير منهم في الحال الواحد ؛ لعدم تفتّنه لتناقض القولين ، ويوجد في الحالين ، لاختلاف نظره واجتهاده .

وسبب ذلك ما أوقعه^(١) أهل الإلحاد والضلال من الألفاظ المجملة التي يظن الظان أنه لا يدخل فيها إلا الحق ، وقد دخل فيها الحق والباطل ، فمن لم ينقّب^(٢) عنها أو يستفصل المتكلم بها - كما كان السلف والأئمة يفعلون^(٣) - صار متناقضاً أو مبتدعاً ضالاً من حيث لا يشعر . ٥٨/٢

وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتدعة كلّفِظَ الجسم والجوهر والعرض وحلول الحوادث ونحو ذلك ، كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله^(٤) ، فوقع [منهم] من الخطأ والضلال^(٥) ما أوجب ذلك ، وهذه حال أهل البدع كالخوارج وأمثالهم ، فإن البدعة لا تكون حقاً محضاً موافقاً للسنة ، إذ لو كانت كذلك لم تكن باطلاً ، ولا تكون باطلاً محضاً لا حق فيه ، إذ لو كانت كذلك لم تحفّ على الناس ، ولكن تشتمل على حق وباطل ، فيكون صاحبها قد لبس الحق بالباطل : إما مخطئاً غالطاً ، وإما متعمداً لنفاقٍ فيه وإلحاد .

(١) م (فقط) : ما ابتدعه .

(٢) س ، ص ، ر ، ط : يقف .

(٣) ص ، ر ، ط ، ق : يفعلونه .

(٤) م - ق : رسله .

(٥) ق ، ص ، ر ، ط : فوقع من الخطأ والضلال ، م : فوقع في كلامهم من الخطأ والضلال .

كما قال تعالى ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة : ٤٧] فأخبر أن المنافقين لو خرجوا في جيش المسلمين ما زادوهم إلا خبالا ، وكانوا يسعون بينهم مسرعين ، يطلبون لهم الفتنة ، وفي المؤمنين مَنْ يقبل منهم ويستجيب لهم : إما لظن مخطيء ، أو لنوع من الهوى ، أو لمجموعهما ؛ فإن المؤمن إنما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه ، ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات »^(١) .

وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلاتهم : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٦ ، ٧] ، فالمغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به ، والضالون عبدوا الله بلا علم .

ولهذا نزه الله نبيه عن الأمرين بقوله ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿ [سورة النجم : ١ ، ٢] وقال تعالى ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [سورة ص : ٤٥] .

وهذا الذى تقدم ذكره - من إنكار أئمة العراقيين من أصحاب الشافعى قول / ابن كُلاب ومتبعيه فى القرآن - هو معروف فى كتبهم ، ٥٩/٢

(١) لم أجده هذا الحديث .

ومعلوم أنه ليس بعد الشافعي وابن سريج مثل الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، حتى ذكر أبو إسحاق في « طبقات الفقهاء » عن أبي الحسين القدوري^(١) : أنه كان يقول في الشيخ أبي حامد : إنه أنظر من الشافعي ، وهذا الكلام - وإن لم يكن مطابقاً لمعناه ، لجلالة قدر الشافعي وعلو مرتبته - فلولا براعة أبي حامد ، ما قال فيه الشيخ أبو الحسين القدوري مثل هذا [القول]^(٢) .

كلام أبي حامد
الإسفراييني في « التعليق
في أصول الفقه »

وقد قال أبو حامد في كتاب « التعليق في أصول الفقه » : « مسألة في أن الأمر أمر لصيغته أو لقريته تقتزن به : يختلف الناس في الأمر : هل له صيغته تدل على كونه أمراً ، أم ليس له ذلك ؟ على ثلاثة مذاهب ، فذهب أئمة الفقهاء إلى أن الأمر له صيغة تدل بمجرد ما على كونه أمراً إذا عَرِيت^(٣) عن القرائن ، وذلك مثل قول القائل : افعل كذا وكذا ، وإذا وجد ذلك عارياً عن القرائن كان أمراً ، ولا يحتاج في كونه أمراً إلى قريته .

هذا مذهب الشافعي رحمه الله ومالك وأبي حنيفة والأوزاعي ، وجاعة أهل العلم ، وهو قول البلخي من المعتزلة^(٤) .

وذهبت المعتزلة بأسرها - غير البلخي - إلى أن الأمر لا صيغة له ، ولا يدل اللفظ بمجرد ما على كونه أمراً ، وإنما يكون أمراً بقريته تقتزن

(١) أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد القدوري ، فقيه حنفي ، توفي في بغداد سنة ٤٢٨ . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٦٠/١ - ٦١ ، الأعلام ٢٠٦/١ .

(٢) القول : زيادة في (س) .

(٣) س ، هـ : تعرت ، ص ، ر ، ط : تعريت .

(٤) سبقت ترجمة الكمي . ح ١ - ص ٨١ .

به ، وهى الإرادة ، ثم اختلفوا فى تلك الإرادة : فمنهم من قال : هى إرادة المأمور به ، فإذا قال : افعل ، وأراد بذلك إيجاد المأمور به صار أمراً ، وإذا عَرِيَ عن ذلك لم يكن أمراً ، ومنهم من قال : يحتاج إلى إرادة شيتين : إرادة المأمور به ، وإرادة كون اللفظ أمراً ، ومنهم من اعتبر إرادة ثلاثة أشياء ، ولسنا^(١) نتكلم معهم فى هذا الفصل ؛ فإنه شىء^(٢) يتفرع على مذاهبهم ، وإنما الخلاف بيننا وبينهم فى الأصل ، وهو أن اللفظ هل يكون أمراً بصيغته ، أو بقرينة تقتزن به ؟

وذهب الأشعرى ومَن تابعه إلى أن الأمر هو مَعْنَى قائم بنفس الأمر ، لا يفارق الذات ولا يزايلها ، وكذلك عنده سائر أقسام الكلام من النهى والخبر / والاستخبار وغير ذلك ، كل هذه المعانى^(٣) قائمة بالذات ٦٠/٢ لا تزايلها ، كالقدرة والعلم وغير ذلك ، وسواء فى هذا أمر الله تعالى وأمر الآدميين ، إلا أن أمر الله تعالى يختص بكونه قديماً ، وأمر الآدمى مُحدث ، وهذه الألفاظ والأصوات ليست عندهم أمراً ولا نهياً ، وإنما هى عبارة عنه .

قال : « وكان ابن كُلاب عبد الله بن سعيد القطان يقول : هى حكاية عن الأمر ، وخالفه أبو الحسن الأشعرى فى ذلك ، فقال : لا يجوز أن يقال : « إنها حكاية » ؛ لأن الحكاية تحتاج إلى أن تكون مثل المحكى ، ولكن هو عبارة عن الأمر القائم بالنفس ، وتقرر مذهبهم على هذا . فإذا كان هذا حقيقة مذهبهم ، فليس يتصور بيننا وبينهم خلاف

(١) ص . س . ر . ط . هـ : وليس .

(٢) شىء : ساقطة من (ص) . (ط) . (ر) . (ق) .

(٣) س : معانى ؛ هـ : معان .

في أن الأمر هل له صيغة أم لا ، فإنه إذا كان الأمر عندهم هو المعنى القائم بالنفس ، فذلك المعنى لا يقال : إن له صيغة ، أو ليست له صيغة ، وإنما يقال ذلك في الألفاظ ، ولكن يقع الخلاف في اللفظ الذي هو عندهم عبارة عن الأمر ، وعندنا ^(١) أن هذا هو أمر ، وتدل صيغته على ذلك من غير قرينة ، وعندهم أنه لا يكون عبارة عن الأمر ، ولا دالاً على ذلك بمجرد صيغته ، ولكنه يكون موقوفاً على ما بيّنه ^(٢) الدليل ، فإن دل الدليل على أنه أريد به العبارة عن الأمر حُمل عليه ، وإن دل الدليل على أنه أريد به العبارة عن غيره من التهديد والتعجيز والتحذير وغير ذلك حُمل عليه ، إلا أننا نتكلم معهم في الجملة : أن هذا اللفظ ، هل يدل على الأمر من غير قرينة أم لا ؟ وبسط كلامه في هذه المسألة إلى آخرها .

وهذا أيضاً معروف عن أئمة الطريقة الخراسانية ، ومن متأخريهم أبو محمد الجويني والد أبي المعالي ^(٣) .

وقد ذكر [القاضي] ^(٤) أبو القاسم بن عساكر في مناقبه ما ذكره عبد الغافر الفارسي في ترجمة أبي محمد الجويني ^(٥) « قال : سمعت خالي أبا

(١) س ، ص ، ط ، ر - ه : عندنا .

(٢) س : يبينه - ه : يشبه .

(٣) أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الجويني والد إمام الحرمين ، من علماء التفسير والفقه ، توفي سنة ٤٣٨ . انظر ترجمته في : وفیات الأعيان ٢/ ٢٥٠ - ٢٥١ ، طبقات الشافعية ٧٣/٥ - ٩٣ ، تبیین کذب المفتری لابن عساكر ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ، الأعلام ٢٩٠/٤ - ٢٩١ .

(٤) القاضي : زيادة في (س) .

(٥) هذا النص في كتاب تبیین کذب المفتری لابن عساكر ، ص ٢٥٧ ، كما بين ابن تيمية بعد

ايراده له .

سعيد^(١) - يعنى عبد الواحد بن أبى القاسم القشيري^(٢) - يقول : كان أئمتنا فى عصره ، والمحققون من أصحابنا ، يعتقدون / فيه من الكمال ٦١/٢ والفضل والخصال الحميدة أنه لو جاز أن يبعث الله نبياً فى عصره لما كان إلا هو ، من حسن طريقته وورعه وزهده وديانته فى كمال فضله .

قال أبو محمد فى آخر كتاب صنفه سماه : « عقيدة أصحاب الإمام المطلى الشافعى وكافة أهل السنة والجماعة » وقد نقل هذا عنه أبو القاسم ابن عساكر فى كتابه الذى سماه « تبين كذب المفتري^(٣) » .

« قال أبو محمد : ونعتقد^(٤) أن المصيب من المجتهدين فى الأصول والفروع واحد ، ويجب التعيين فى الأصول ، فأما [فى]^(٥) الفروع فربما يتأق التعيين وربما لا يتأق ، ومذهب الشيخ أبى الحسن^(٦) تصويب المجتهدين فى الفروع ، وليس ذلك مذهب الشافعى^(٧) ، وأبو الحسن أحد أصحاب الشافعى^(٨) ، فإذا خالفه فى شىء أعرضنا عنه فيه ، ومن هذا القبيل قوله : [إنه]^(٩) لا صيغة للألفاظ ، أى الكلام^(٩) ، وتقل وتعز

(١) أبى سعيد . كذا فى (س) فقط . والذى فى « تبين » : وسمعت خالى الإمام أبى سعيد .

(٢) تبين : يعنى عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري .

(٣) ص ١١٥ .

(٤) تبين : وقال : ونعتقد .

(٥) فى : زيادة فى (س) . (ص) . وهى فى « تبين » .

(٦) تبين : أبى الحسن رحمه الله .

(٧) تبين : الشافعى رضى الله عنه .

(٨) إنه : زيادة فى (س) . (هـ) وفى « تبين » : أن .

(٩) س : أى للكلام . وسقطت هذه العبارة فى « تبين » .

مخالفته^(١) أصول الشافعي^(٢) ونصوصه ، وربما نسب المبتدعون إليه^(٣) ما هو برىء منه ، كما نسبوا إليه^(٤) أنه يقول : ليس في المصحف قرآن ، ولا في القبر نبي ، وكذلك الاستثناء في الإيمان ونفى القدرة على الخلق^(٥) في الأزل ، وتكفير العوام ، وإيجاب علم الدليل عليهم^(٦) قال : « وقد تصفحت ما تصفحت من كتبه ، فوجدتها^(٧) كلها خلاف ما نسب إليه » .

قلت : هذه المسائل فيها كلام ليس هذا موضعه ، ولكن المقصود هنا : أنه جعل من القليل الذي خالف فيه الشافعي وأعرض عنه فيه أصحابه : مسألة صيغ الألفاظ ، وهذه هي مسألة الكلام ، وقوله فيها هو قول ابن كُلاب « إن كلام الله معنى واحد قائم بنفس الله تعالى : إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا ، وإن عُبر عنه بالعبرية كان تورا ، وإن عُبر عنه بالسريانية كان إنجيلا ، وإن القرآن العربي لم يتكلم الله به ، بل وليس هو كلام الله ، وإنما خلقه في بعض الأجسام » .

وجمهور الناس من أهل السنة وأهل البدعة يقولون : إن فساد هذا القول معلوم بالاضطرار ، وإن معاني القرآن ليست هي معاني التوراة ، وليست معاني التوراة / المعربة هي القرآن ، ولا القرآن إذا ترجم بالعبرية هو التوراة ، ولا حقيقة الأمر هي حقيقة الخبر .

(١) هـ : مخالفة .

(٢) تبين : الشافعي رضى الله عنه .

(٣-٤) : ساقط من « تبين » .

(٤) تبين : نفي قدرة الخلق .

(٥) بعد ماسبق مباشرة .

(٦) تبين : من كتبه وتأملت نصوصه في هذه المسائل فوجدتها ...

وإنما اضطرَّ ابن كلاب والأشعري ونحوهما إلى [هذا] ^(١) الأصل :
أنهم لما اعتقدوا أن الله لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته ، لا فعلٌ ولا
تكلمٌ ولا غير ذلك ، وقد تبين لهم فساد قول من يقول : « القرآن
مخلوق » ولا يجعل الله تعالى كلاماً قائماً بنفسه ، بل يجعل كلامه ما خلقه
في غيره ، وعرفوا أن الكلام لا يكون مفعولاً منفصلاً عن المتكلم ، ولا
يتصف الموصوف بما هو منفصل عنه ^(٢) ، بل إذا خلق الله شيئاً من
الصفات والأفعال بمحلٍّ كان ذلك صفةً لذلك المحل ، لا الله ، فإذا
خلق في محلٍّ الحركة كان ذلك المحل هو المتحرك بها ، وكذلك إذا خلق
فيه حياة كان ذلك المحل هو الحيُّ بها ، وكذلك إذا خلق علماً أو قدرة ^(٣)
(كان ذلك المحل هو العالم القادر بها ؛ فإذا خلق كلاماً في غيره) ^(٤) كان
ذلك المحل هو المتكلم به .

وهذا التقرير ^(٥) مما اتفق عليه القائلون بأن القرآن غير مخلوق من
جميع الطوائف [مثل] ^(٦) أهل الحديث والسنة ، ومثل الكرامية
والكلابية وغيرهم .

ولازم هذا أن من قال : « إن القرآن العربي مخلوق » أن لا يكون
القرآن العربي كلام الله ، بل يكون كلاماً للمحل الذي خلق فيه ، ومن

(١) هذا : ساقطة من (م) . (ق) . والمعنى أن الذي اضطرَّ ابن كلاب والأشعري إلى هذا
الكلام السابق هو هذا الأصل الذي يتكلم عنه ابن تيمية .

(٢) عنه : ساقطة من (ص) . (ط) . (ر) . (ق) .

(٣) م . ق : ... علماً وقدرة وكلاماً .

(٤ - ٤) ساقط من (ق) فقط .

(٥) س : التقدير .

(٦) مثل : زيادة في (س) فقط .

قال « إن لفظ الكلام يقع بالاشتراك على هذا وهذا » تبطل حجته على المعتزلة ؛ فإن أصل الحجة أنه إذا خلق كلاما في محل كان الكلام صفة^(١) لذلك المحل ، فإذا كان القرآن العربي كلاما مخلوقا في محل ، كان ذلك المحل هو المتكلم به^(٢) ، ولم يكن كلام الله ، ولهذا قال من قال : « لا يسمى كلاما إلا مجازا » فرارا من أن يثبتوا كلاما حقيقيا قائما بغير المتكلم به ، فلما عظم شناعة^(٣) الناس على هذا القول ، وكان تسمية هذا كلاما حقيقة معلوما^(٤) بالاضطرار من اللغة ، أراد [من ينصرهم] أن يجعل لفظ^(٥) الكلام مشتركا^(٦) ؛ فأفسد^(٧) الأصل الذي بَنَوْا عليه قولهم .

٦٣/٢ / وبإنكار هذا الأصل استطال عليهم مَنْ يقول بخلق القرآن^(٨) من المعتزلة والشيعة والخوارج ونحوهم ، فإن هؤلاء لما ناظرهم مَنْ سلك طريقة ابن كلاب - ومضمونها : أن الله لا يقدر على الكلام ولا يتكلم بما شاء ولا هو متكلم باختياره ومشيئته - طمع فيهم أولئك ؛ لأن جمهور الخلق يعلمون أن المتكلم يتكلم بمشيئته واختياره ، وهو قادر على الكلام ، وهو يتكلم بما يشاء^(٩) .

ولكن منشأ اضطراب الفريقين اشتراكهما في أنه لا يقوم به ما يكون

(١) س : إذا خُلِقَ كلام في محل كان صفة .

(٢) به : ساقط من (ص) . (ط) . (ر) . (ق) .

(٣) م (فقط) : تشنيع .

(٤) س (فقط) : حقيقة مما يعلم .

(٥) ص ، ط ، ر ، ق : أراد أن يجعل لفظ ؛ م : أرادوا أن يجعل لفظ .

(٦) هـ : من اللغة أراد أن يجعل الكلام لفظا مشتركا .

(٧) م (فقط) : فأفسدوا .

(٨) س ، هـ : من يقول القرآن مخلوق .

(٩) س ، ط : بما شاء ؛ هـ : إذا شاء .

بإرادته وقدرته ؛ فلزم هؤلاء - إذا جعلوه يتكلم [بإرادته] وقدرته^(١) واختياره - أن يكون كلامه مخلوقا منفصلا عنه ، ولزم هؤلاء - إذا جعلوه غير مخلوق - أن لا يكون قادراً على الكلام ، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولا يتكلم بما يشاء .

والمقصود هنا أن عبد الله بن سعيد بن كلاب وأتباعه وافقوا^(٢) سلف الأمة وسائر العقلاء على^(٣) أن كلام المتكلم لا بد أن يقوم به ، فما لا يكون إلا باثنا عنه لا يكون كلامه ، كما قال الأئمة : كلام الله من الله ليس ببائن منه ، وقالوا : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود ، فقالوا : « منه بدأ » رداً على الجهمية الذين يقولون : بدأ من غيره ، ومقصودهم أنه هو المتكلم به ، كما قال تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [سورة الزمر : ١] وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [سورة السجدة : ١٣] وأمثال ذلك .

ثم إنهم - مع موافقتهم للسلف والأئمة والجمهور على هذا - اعتقدوا هذا الأصل ، وهو أنه لا يقوم به ما يكون مقدوراً له متعلقاً بمشيئته ، بناء على هذا الأصل الذي وافقوا فيه المعتزلة ، فاحتاجوا حينئذ أن يثبتوا ما [لا] يكون^(٤) مقدوراً مراداً ، قالوا : والحروف المنظومة والأصوات لا تكون إلا مقدورة مرادة ، فأثبتوا معنى واحداً ، لم يمكنهم إثبات معاني متعددة ، خوفاً من إثبات ما لا نهاية له ، فاحتاجوا

(١) يتكلم بإرادته وقدرته : كذا في (س) وفي سائر النسخ : يتكلم بقدرته .

(٢) وأتباعه وافقوا . . : كذا في (س) وفي سائر النسخ : وأتباعه لما وافقوا . .

(٣) على : كذا في (م) وفي سائر النسخ : في .

(٤) م (فقط) : ما يكون .

أن يقولوا « معنى واحدا » فقالوا القول الذى لزمته تلك اللوازم التى عظم فيها تكثير جمهور المسلمين ، بل جمهور العقلاء عليهم^(١) .

٦٤/٢ / وأنكر الناس عليهم أمورا : إثبات معنى واحد ، هو الأمر والخبر ، وجعل القرآن العربى ليس من كلام الله^(٢) الذى تكلم به ، وأن الكلام المنزل ليس هو كلام الله ، وأن التوراة والإنجيل والقرآن إنما تختلف عباراتها ، فإذا عبّر عن التوراة بالعربية كان هو القرآن ، وأن الله لا يقدر أن يتكلم ، ولا يتكلم بمشيئته واختياره ، وتكليمه لمن كلمه من خلقه ، كموسى وآدم ، ليس إلا خلق إدراك ذلك المعنى لهم ، فالتكليم^(٣) هو خلق الإدراك فقط .

ثم منهم من يقول : السمع يتعلق بذلك المعنى وبكل موجود ، فكل موجود يمكن أن يُرى ويُسمع ، كما يقوله أبو الحسن .

ومنهم من يقول : بل كلام الله لا يسمع بحال ، لآمنه ولا من غيره ؛ إذ هو معنى ، والمعنى يُفهم ولا يسمع^(٤) ، كما يقوله أبو بكر ونحوه .

ومنهم من يقول : إنه يسمع ذلك المعنى من القارئ مع صوته المسموع منه كما يقول ذلك طائفة أخرى .

وجمهور العقلاء يقولون : إن هذه الأقوال معلومة الفساد

(١) م (فقط) : عليه . وهو خطأ .

(٢) م (فقط) ليس هو كلام الله .

(٣) م - ق : فالتكلم .

(٤) يفهم ولا يسمع : كذا فى (م) . (هـ) فقط ، وفى سائر النسخ : يفهم لا يسمع .

بالضرورة ، وإنما ألجأ [إليها] ^(١) القائلين بها ما تقدم ^(٢) من الأصول التي استلزمت هذه المحاذير ، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم .

وكذلك من قال : « لا يتكلم إلا بأصوات قديمة أزلية ليست متعاقبة ، وهو لا يقدر على التكلم بها ، ولا له في ذلك مشيئة ولا فعل » من أهل الحديث والفقهاء والكلام المتسبين إلى السنة ، فجمهور العقلاء يقولون : إن قول هؤلاء أيضاً معلوم الفساد بالضرورة ، وإنما ألجأهم إلى ذلك اعتقادهم أن الكلام لا يتعلق بمشيئة المتكلم وقدرته ، مع علمهم بأن الكلام يتضمن حروفاً منظومة وصوتاً مسموعاً من المتكلم .

وأما من قال : « إن الصوت المسموع من القارئ قديم » أو : « يسمع منه صوت قديم ومحدث » فهذا أظهر فساداً من أن يحتاج إلى الكلام عليه .

/ وكلام السلف والأئمة والعلماء في هذا الأصل كثير منتشر ، ليس ٦٥/٢ هذا موضع استقصائه .

دلالة القرآن على مسألة
أفعال الله تعالى

وأما دلالة الكتاب والسنة على هذا الأصل فأكثر من أن تحصر ، وقد ذكر منها الإمام أحمد وغيره من العلماء في الرد على الجهمية مآجموه ، كما ذكر الحلال في « كتاب السنة » ، قال : « أخبرنا المروزي قال : هذا مآجموه واحتج به أبو عبد الله على الجهمية من القرآن ، وكتبه بخطه ، وكتبته من كتابه ؛ فذكر المروزي آيات كثيرة ، دون ما ذكر الخضر بن أحمد عن عبد الله بن أحمد ، وقال فيه : سمعت

(١) إليها : ساقطة من (م) فقط .

(٢) هـ : وإنما ألجأهم إليها ما تقدم .

أبا عبد الله يقول : في القرآن عليهم من الحجج في غير موضع - يعني الجهمية - .

قال الخلال : وأنبأنا^(١) الخضر بن أحمد المثني الكندي سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدت هذا الكتاب بخط أبي ، فيما احتج به على الجهمية ، وقد ألف^(٢) الآيات إلى الآيات في السور ، فذكر آيات كثيرة تدل على هذا الأصل ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٦] وقوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة البقرة : ١١٧] وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٤] وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [سورة المجادلة : ١] وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨١] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَتِهِ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - ﴾ إلى قوله تعالى - ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٥ - ٤٧] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(١) س : وأخبرنا .

(٢) س : ألف .

(٣) ما بين المعقوفتين في (س) فقط .

فَيَكُونُ ﴿ [سورة آل عمران : ٥٩] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ
اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٧] وقوله تعالى : ٦٦/٢
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٣] . ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٦٤] وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا
وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] . ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٩] ^(١) ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [سورة
هود : ١١٠] . ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الشورى :
٢١] ، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة هود : ١١٩] ، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة
يوسف : ٣] ، وقوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ
الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف : ١٠٩] . وقال تعالى :
﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ
الْمُقَدَّسِ طَوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [سورة طه : ١١ - ١٤] إلى

(١) سقطت آية سورة يونس من نسخة (م) . وفي نسخة (م) توجد كلمة (وقوله) بين الآيات
ولعلها إضافة من المحققين .

(٢) آية سورة الشورى في (م) فقط .

قوله : - ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [سورة طه : ٤٦] ^(١)
 ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [سورة طه : ٣٩] .
 ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [سورة طه :
 ١٢٩] . ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
 الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم
 مَّعَهُمْ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٣ - ٨٤] . وقوله ^(٢) ﴿ وَذَا الثَّنُونِ إِذْ ذَهَبَ
 مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ
 وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧ - ٨٨] . وقوله ^(٢)
 ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ *
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٨ .
 ٨٩] وقوله ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
 اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ٥٩] ،
 وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [سورة
 النمل : ٨٠] . وقوله : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي
 الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
 [سورة القصص : ٣٠] . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَمَرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ
 كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٨] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا
 لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ ﴾

(١) في نسخة (م) بعد الآية ٤٦ من سورة طه كتب إلى قوله . وهو خطأ .

(٢) في (م) فقط : إلى قوله .

[سورة الصافات : ١٧١ - ١٧٣] . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٦٧] . وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة غافر : ٦٨] . ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٦٠] ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [سورة الشورى : ١٤] . ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [سورة الشورى : ٥١] ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٥] . وقوله : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [سورة المجادلة : ١] .

قلت : وفي القرآن مواضع كثيرة تدل على هذا الأصل ، كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٩] ، وقوله : ﴿ قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] ، وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [سورة فصلت : ٩ - ١١] ، وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] ، وقوله : ﴿ هَلْ

يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴿ [سورة الأنعام : ١٥٨] ، وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر : ٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] ، وقوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] في غير موضع في القرآن ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة النحل : ٤٠] . وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ [سورة الإسراء : ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [سورة الرعد : ١١] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن : ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة القصص : ٦٥] ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [سورة القصص : ٦٢] ، ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٠] ، ﴿ وَطَفِقًا يَحْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٢] ، وقوله

آية ٦٥ من سورة القصص في (س) فقط .

تعالى : ﴿ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٥] ، وقوله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ [سورة يس : ٥٨] وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] . وقوله : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الجاثية : ٦] . وقوله : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة المرسلات : ٥٠^(١)] . وقوله : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء : ٨٧] .

وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى ، بل يدخل في ذلك عامة ما أخبر الله به من أفعاله ، لا سيما المرتبة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [سورة الضحى : ٥] ، وقوله : ﴿ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْيَسْرَى ﴾ [سورة الليل : ٧] ، وقوله : ﴿ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعُسْرَى ﴾ [سورة الليل : ١٠] ، وقوله : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [سورة العنكبوت : ٢٥ ، ٢٦] ، وقوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعَ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [سورة القيامة : ١٧ - ١٩] ، وقوله : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [سورة الانشقاق : ٨] ، وقوله : ﴿ أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ [سورة عبس : ٢٥ ، ٢٦] . وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الروم : ٢٧] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾ [سورة المرسلات : ١٦ ، ١٧] ونحو ذلك .

(١) الآية ٥٠ من سورة المرسلات في (م) فقط .

لكن الاستدلال بمثل هذا مبني على أن الفعل ليس هو المفعول ،
والخلق ليس هو المخلوق ، وهو قول جمهور الناس على اختلاف
أصنافهم ، وقد قرر هذا في غير هذا الموضع .

٦٩/٢ / ثم هؤلاء على قولين: منهم من يقول : إن الفعل قديم لازم
للذات لا يتعلق بمشيئته وقدرته ، ومنهم من يقول : يتعلق بمشيئته
وقدرته ، وإن قيل إن نوعه قديم^(١) ، فهؤلاء يحتجون بما هو الظاهر
المفهوم من النصوص .

وإذا تأول من ينازعهم أن المتجدد إنما هو المفعول المخلوق فقط من
غير تجديد فعل ، كان هذا بمنزلة من يتأول نصوص الإرادة والحب
والبغض^(٢) والرضا والسخط ، على أن المتجدد ليس أيضاً إلا المخلوقات
التي تُراد وتُحب [وتُرَضَى]^(٣) وتُسَخَطُ ، وكذلك نصوص القول
والكلام والحديث ، ونحو ذلك : على أن المتجدد ليس إلا إدراك
الخلق [لذلك، وتأويل]^(٤) الإتيان^(٥) والجيء [على أن المتجدد]^(٦)
ليس^(٧) إلا مخلوقاً من المخلوقات .

فهذه التأويلات كلها من نمط واحد ، ولا نزاع بين الناس أنها
خلاف المفهوم الظاهر الذي دل عليه القرآن والحديث .

(١) س . ص . ط . ر . هـ : متقدم .

(٢) والبغض : ساقطة من (س) .

(٣) وترضى : زيادة في (س) .

(٤) لذلك وتأويل : في (س) فقط .

(٥) الإتيان : كذا في (س) وفي سائر النسخ : والإتيان .

(٦) على أن المتجدد : في (س) فقط .

(٧) ليس : كذا في (س) . (هـ) وفي سائر النسخ : وليس .

ثم ملاحظة الباطنية يقولون : إن الرسل أرادوا إفهام الناس ما يتخيلونه ، وإن لم يكن مطابقا للخارج ، ويجعلون ذلك بمنزلة ما يراه النائم ، فتفسير القرآن عندهم يشبه تعبير الرؤيا التي لا يفهم تعبيرها من ظاهرها ، كرؤيا يوسف والمملك ، بخلاف الرؤيا التي يكون ظاهرها مطابقا لباطنها .

وأما المسلمون من أهل الكلام [النفاة]^(١) فهم وإن كانوا يكفرون من يقول بهذا ، فيما أن يتأولوا تأويلات يُعلم بالضرورة أن الرسول لم يُرِدْهَا ، وإما أن يقولوا : ما ندرى^(٢) ما أراد ، فهم إما في جهل بسيط أو مركب ، ومَدَار هؤلاء كلهم على أن العقل عَارِضٌ مَدَلَّت عليه النصوص .

وقد بيّن أهلُ الإثبات أن العقل مطابق موافق لما أُخبرت به النصوص ، ودلت عليه^(٣) ، لا معارض له ، لكن المقصود هنا أن نبين أن القرآن والسنة فيهما من الدلالة على هذا الأصل مالا يكاد يحصر^(٤) ، فن له فهم في كتاب الله يستدل بما ذُكر من النصوص على ما تُرك ، ومن عرف حقيقة قول الثُّقاة علم أن القرآن مناقض لذلك مناقضةً لاحيلة لهم فيها ، وأن القرآن يثبت ما يقدر الله عليه ويشأؤه / من أفعاله التي ليست ٧٠/٢ هي نفس المخلوقات وغير أفعاله . ولولا ما وقع في كلام الناس من الالتباس والإجمال لما كان يُحتاج أن يُقال : الأفعال التي ليست هي

النفاة : زيادة في (س) .

س ، ص ، ر ، ط : لاندري .

عبارة « ودلت عليه » في (م) فقط .

س : ينحصر .

نفس المخلوقات ، فإن المعقول عند جميع الناس أن الفعل المتعدى إلى مفعول ليس هو نفس المفعول ، ولكن النفاة عندهم أن المخلوقات هي نفس فعل الله ، ليس له فعل عندهم إلا نفس المخلوقات^(١) ؛ فلهذا احتج إلى البيان .

ومما يدل على هذا الأصل ما علق بشرط ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [سورة الطلاق : ٣٠ . ٢] وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٣١] وقوله : ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [سورة الأنفال : ٢٩] وقوله : ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [سورة الطلاق : ١] وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الكهف : ٢٣ . ٢٤] وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بَأْهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْصَحَ اللَّهُ ﴾ [سورة محمد : ٢٨] .

وفي الجملة هذا في كتاب الله أكثر من أن يحصر .

وكذلك [في] الأحاديث [المستفيضة] الصحيحة^(٢) المتلقاة بالقبول ، كقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه « ولا يزال عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه »^(٣) وقوله : « أتدرون ماذا قال ربكم

دلالة السنة على أفعال
الله تعالى

(١) س : المخلوق .

(٢) وكذلك في الأحاديث المستفيضة الصحيحة : كذا في (س) فقط . وفي سائر النسخ :

وكذلك الأحاديث الصحيحة .

(٣) سيرد هذا الحديث بعد صفحات مطولا بإذن الله .

الليلة ؟ ^(١) وقوله في حديث الشفاعة : « إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ^(٢) . » وقوله : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات كجّر السلسلة على الصفا ^(٣) » وقوله : « إن الله يُحدث من أمره ما شاء وإن مما أحدث : أن لا تكلموا في الصلاة ^(٤) » وقوله في حديث التجلي : « فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ^(٥) . » وقوله : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دَوِّيَّة مَهْلَكَةٍ ^(٦) عليها طعامه وشرابه ، فطلبها فلم يجدها ، فنام تحت

(١) الحديث بهذه العبارة في الموطأ ١/١٩٢ (كتاب الاستسقاء . باب الاستمطار بالنجوم) عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : أتدرون ماذا قال ربكم ؟ الحديث . وجاء الحديث وفيه هل يتدرون ماذا قال ربكم ؟ في : البخاري ١/١٦٥ (كتاب الأذان . باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم) ، مسلم ١/٨٣ - ٨٤ (كتاب الإيمان . باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء) ، سنن أبي داود ٤/٢١ (كتاب الطب ، باب في النجوم) .

(٢) هذه العبارة جزء من حديث في الشفاعة وهو حديث طويل رواه أبو هريرة في : البخاري ٤/١٣٤ - ١٣٥ (كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه) . ٨٤/٦٠ - ٨٥ (كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل : باب ذرية من حملنا مع نوح) ، مسلم ١/١٨٤ - ١٨٦ (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) .

(٣) سبق هذا الحديث ، ج ٢ - ص ٣٩ .

(٤) الحديث رواه ابن مسعود بألفاظ مختلفة في : البخاري ٩/١٥٢ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : كل يوم هوفى شأن) ، سنن النسائي (شرح السيوطي) ٣/١٦ - ١٧ (كتاب السهو : باب الكلام في الصلاة) ، المسند (ط . المعارف) ٥/٢٠٠ (رقم ٣٣٩/٥ - ٣٤٠) (رقم ٣٨٨٥) ، ٦/٢١ (رقم ٣٩٤٤) ، ٦/٩١ (رقم ٤١٤٥) .

(٥) أشار ابن تيمية إلى هذا الحديث من قبل ، ج ٢ ، ص ٧٠ . وعلقت عليه هناك ، ت ٤ .

(٦) قال الشيخ أحمد شاکر في شرحه للحديث : المسند (ط . المعارف) ٥/٢٢٥ : « دوية بفتح الدال وتشديد الواو المكسورة ، وتشديد الياء المفتوحة ، قال ابن الأثير : الدو : الصحراء ، والدوية منسوبة إليها ، وقد تبدل من إحدى الواوين ألف فيقال : داوية على غير قياس ، نحو طائي في النسب =

شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه ،
فأله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته » وهذا الحديث مستفيض عن
النبي صلى الله عليه وسلم / وسلم في الصحيحين من غير وجه ، من
حديث ابن مسعود وأبي هريرة [وأنس] وغيرهم . ٧١/٢

وقوله ^(١) : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما صاحبه ، كلاهما
يدخل الجنة » ^(٢) . وفي حديث آخر من يدخل الجنة « قال : فيضحك
الله منه » ^(٣) وقوله « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه
حاجب » ^(٤) ولا ترجان » ^(٥) . وفي حديث « قسمت الصلاة بيني وبين

إلى طى . مهلكة : بفتح الميم واللام : أى موضع الهلاك . أو الهلاك نفسه ، وفتح لامها وتكسر :
وهما أيضا المفارقة . قاله ابن الأثير . ونقل الحافظ في الفتح أن في بعض نسخ البخارى : بضم الميم وكسر
اللام من الرباعى . أى تهلك هى من يحصل فيها » وانظر : النهاية في غريب الحديث : مادة « دوا »
ومادة « هلك » .

(١) ق . ر . ص . ط : .. وأبي هريرة وقوله : م : وأبي هريرة وغيرهما وقوله . وجاء الحديث
عن ابن مسعود وأبي هريرة وأنس والنعمان بن بشير والبراء بن عازب بألفاظ مختلفة . انظر :
البخارى ٦٧/٨ - ٦٨ (كتاب الدعوات . باب التوبة) ، مسلم ٢١٠٢/٤ - ٢١٠٥ (كتاب التوبة .
باب في الحى على التوبة والفرح بها) ، سنن الترمذى (بشرح ابن العرى) ٣٠٧/٩ - ٣٠٨ (كتاب
القيامة . باب حدثنا هناد حدثنا عبد الله بن مسعود) ، المسند (ط . المعارف) ٢٢٥/٥ - ٢٢٦
(رقم ٣٦٢٧) ، جامع الأصول لابن الأثير ٦٣/٣ - ٦٧ .

(٢) هذا جزء من حديث عن أبي هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ٢٣/٤ - ٢٤ (كتاب
الجهاد . باب الكافر يقتل المسلم) ، مسلم ١٥٠٤/٣ - ١٥٠٥ (كتاب الإمارة . باب بيان الرجلين
يقتل أحدهما الآخر) ، سنن ابن ماجه ٦٨/١ (المقدمة . باب فيما أنكرت الجهمية) ، سنن النسائى
(بشرح السيوطى) ٣٢/٦ (كتاب الجهاد . باب اجتماع القاتل والمقتول فى سبيل الله فى الجنة) .
(٣) سيرد الحديث مطولا بعد قليل بإذن الله .

(٤) م . ق : حجاب .

(٥) الحديث عن عدى بن حاتم فى : البخارى ١١٢/٨ (كتاب الرقاق ، باب من نوقش
الحساب عذب) ، مسلم ٨٦/٣ (كتاب الزكاة . باب الحث على الصدقة) ، سنن ابن ماجه ٦٦/١
(المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية) . ٥٩٠/١ (كتاب الزكاة . باب فضل الصدقة) .

عبدى نصفين ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدنى عبدى ، [فإذا قال : الرحمن الرحيم قال : أثنى على عبدى]^(١) فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدنى عبدى^(٢) .
وقوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : مَنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا^(٣) » وقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا شَطْرَ اللَّيْلِ ، أَوْ ثُلُثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ » .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الأنصارى الذى أضاف رجلا وآثره على نفسه وأهله ، فلما أصبح الرجل غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لقد ضحكك الله الليلة ، أو عجب^(٤) من فعالكما^(٥) »

(١) ما بين القوسين ساقط من (م) . (ق) .

(٢) جاء هذا الحديث مع اختلاف فى اللفظ عن أبى هريرة فى : صحيح مسلم ٢٩٦/١ - ٢٩٧ (كتاب الصلاة . باب وجوب قراءة الفاتحة) ، سنن الترمذى (بشرح ابن العربى) ٦٩/١١ - ٧١ (كتاب التفسير . سورة الفاتحة) .

(٣) الحديث مع اختلاف فى الألفاظ عن أبى هريرة وأنس فى : البخارى ١٢١/٩ (كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه) . ١٥٦/٩ (كتاب التوحيد . باب ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه) ، مسلم ٢٠٦٧/٤ - ٢٠٦٨ (كتاب الذكر . باب فضل الذكر) . ٢١٠٢/٤ (كتاب التوبة . باب فى الحظ على التوبة) ، سنن الترمذى ٩١/١٣ (كتاب الدعوات . باب فى حسن الظن بالله عز وجل) ، سنن ابن ماجه ١٢٥٥/٢ - ١٢٥٦ (كتاب الأدب . باب فضل العمل) ، المسند (ط . الحلبي) ٤١٣/٢ . ٤٣٥ . ٤٠/٣ . ١٢٢ . وفى مواضع أخرى فيه . (٤) م (فقط) : وأعجب .

(٥) الحديث عن أبى هريرة فى : البخارى ٣٤/٥ (كتاب مناقب الأنصار . باب ويؤثرون على أنفسهم) . ١٤٨/٦ - ١٤٩ (كتاب التفسير . سورة الحشر) .

م^١ دره تعارض العقل جا^٢

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر : ٩] وهذه الأحاديث كلها في الصحيحين .

وفي السنن من حديث على عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الركوب على الدابة ، قال : فقلت « يارسول الله من أى شىء تضحك ؟ قال : ربك يضحك إلى عبده إذا قال : رب اغفرلى ذنوبى ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، قال : علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى ^(١) » وفى لفظ : « إن ربك ليعجب من عبده إذا قال : رب اغفرلى ذنوبى ، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى ^(٢) » وفى حديث أبى رزین عنه صلى الله عليه وسلم قال : « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين ^(٣) قنطين ، فيظل يضحك ، يعلم أن فرجكم قريب ، فقال له أبو رزین : أو يضحك الرب ؟ قال نعم ، فقال لن نعدم من رب يضحك خيراً ^(٤) .

وفى الصحيحين وغيرهما - فى حديث التجلى الطويل المشهور الذى

(١) الحديث عن على رضى الله عنه فى : سنن الترمذى ١٣/٦ - ٧ (كتاب الدعاء . باب ما يقول إذا ركب الناقة) .

(٢) ص ، س ، ر : غيره وقد ذكر الترمذى هذه الرواية .

(٣) ق : أذلين . وقال ابن الأثير فى النهاية فى مادة « أزل » : فيه عجب ربكم من أزلكم وقنوطكم . هكذا يروى فى بعض الطرق والمعروف من إلكم . وسيرد فى موضعه . الأزل : الشدة والضيق ، وقد أزل الرجل يأزل أزلاً ، أى صار فى ضيق وجذب . كأنه أراد من شدة يأسكم وقنوطكم .

(٤) الحديث عن أبى رزین العقيل فى : سنن ابن ماجه ١/٦٤ (المقدمة . باب فيما أنكرت الجهمية) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٤/١١ - ١٢ . ولا توجد عبارة : « ينظر إليكم أزلين قنطين » فى الكتابين .

رُويَ عن / النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة - فهو في ٧٢/٢
الصحيحين من حديث أبي هريرة^(١) وأبي سعيد^(٢)، وفي مسلم من
حديث جابر^(٣)، ورواه أحمد من حديث ابن مسعود وغيره^(٤)،
قال في حديث أبي هريرة « قال : أو لستَ قد أُعطيْتَ العهود
والمواثيق : أن لا تسأل غير الذي أُعطيْتَ ؟ فيقول : يارب لا تجعلني
أشقى خلقك ! فيضحك الله تبارك وتعالى منه ، ثم يأذن له في دخول
الجنة » .

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « فيقول الله : يا ابن آدم ، أترضى أن أُعطيك الدنيا ومثلها
معه ؟ فيقول : أيُّ ربٍّ أستهزئ بي ، وأنت رب العالمين ؟ وضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألا تسألوني : مم ضحكْتَ ؟
فقالوا : مم ضحكْتَ يا رسول الله ؟ فقال : من ضحك رب العالمين ،

(١) أشرت من قبل - ج١ - ص ٣٨ ، ت ٩ إلى حديث التجلي المروي عن أبي هريرة في
الصحيحين وغيرهما .

(٢) حديث أبي سعيد الخدري في التجلي في نفس مواضع حديث أبي هريرة إذ جاء في آخر
الحديث أن أبا سعيد الخدري جلس مع أبي هريرة واستمع إلى حديثه فلم يغير عليه شيئاً من حديثه حتى
انتهى قوله : هذا لك ومثله معه . قال أبو سعيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هذا
لك وعشرة أمثاله . وأورد مسلم حديثاً انفرد به أبو سعيد الخدري في نفس الباب بعد الحديث السابق
١٦٧/١ - ١٧١ (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) .

(٣) الحديث عن جابر في مسلم ١٧٧/١ - ١٧٨ (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة
فيها) .

(٤) لم أجد حديث التجلي في مسند عبد الله بن مسعود ولعل ابن تيمية يقصد الأحاديث التي
جاءت في آخر من يدخل الجنة فهي جزء من مضمون حديث التجلي . انظر المسند (ط . المعارف)
مثلاً : الأحاديث رقم ٣٥٩٥ ، ٣٧١٤ ، ٣٨٩٩ .

حين قال : أنتهزىء بي وأنت رب العالمين ؟ فيقول : إني لا أستهزىء بك ، ولكنى على ما أشاء قادر»^(١) .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة ، قالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : يقتل هذا فيلج الجنة ، ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد »^(٢) .

وفي الصحيح أيضا عنه صلى الله عليه وسلم قال « عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل »^(٣) .

وفي حديث معروف : « لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه »^(٤) ، ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا تبشش الله به^(٥) كما يتبشش أهل الغائب بطلعته^(٦) .

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال : « الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون - وفي لفظ :

(١) هذه العبارات جزء من حديث عن عبد الله مسعودي : مسلم ١٧٤/١ - ١٧٥ (كتاب الإيمان - باب آخر أهل النار خروجا) وجاء في الباب حديثان آخران بنفس المعنى ١٧٣/١ - ١٧٤ .
(٢) ورد هذا الحديث مختصرا قبل قليل .

(٣) في السلاسل : كذا في (س) وفي سائر النسخ : بالسلاسل . والحديث عن أبي هريرة في : البخارى ٦٠/٤ (كتاب الجهاد ، باب الأسارى في السلاسل) ، سنن أبي داود ٧٥/٣ - ٧٦ (كتاب الجهاد . باب الأسير يوثق) ، المستد في مواضع كثيرة (ط . الحلبي) . انظر ٣٠٢/٢ : ٢٤٩/٥ .
(٤) س : فيسبغه .

(٥) به : كذا في (س) وفي سائر النسخ : له .

(٦) الحديث عن أبي هريرة في المستد (ط . الحلبي) ٣٠٧/٢ : ٣٢٨ ، ٣٤٠ : ٤٥٣ . وفي سنن ابن ماجه ٢٦٢/١ (كتاب المساجد : باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة) .

مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون - فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ^(١) .

وفي الصحيح أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله لا ينظر / صُوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ^(٢) . ٧٣/٢

وفي الصحيحين عن أبي واقد اللّيثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان قاعدا في أصحابه إذ جاء ثلاثة نفر ، فأما رجل فوجد فرجة في الحلقة فجلس ، وأما رجل فجلس ، يعني خلفهم ، وأما رجل فانطلق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم عن هؤلاء النفر ؟ أما الرجل الذي جلس في الحلقة فرجل أوى إلى الله فأواه الله ، وأما الرجل الذي جلس خلف الحلقة فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الرجل الذي انطلق فأعرض فأعرض الله عنه » ^(٣) .

وعن سلمان الفارسي موقوفا ومرفوعا قال : « إن الله يَسْتَحْيِي أن

(١) الحديث عن أبي سعيد الخدري في : مسلم ٢٠٩٨/٤ (كتاب الذكر والدعاء ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء) ، المسند ١٩/٣ ، ٦١ ، سنن ابن ماجه ١٣٢٥/٢ (كتاب الفتن ، باب فتنه النساء) ، سنن الترمذى ٤٠/٩ - ٤٤ (كتاب الفتن ، باب ما جاء ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة) .

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه في : مسلم ١٩٨٧/٤ (كتاب البر - باب تحريم ظلم المسلم) ، سنن ابن ماجه ١٣٨٨/٢ (كتاب الزهد ، باب القناعة) ، المسند (ط . المعارف) ٢٧٧/١٤ (رقم ٧٨١٤) ، (ط . الحلبي) ٥٣٩/٢ .

(٣) الحديث في : البخارى ٢٠/١ (كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهى به المجلس) ، ٩٨/١ (كتاب الصلاة ، باب الخلق والجلوس في المسجد) ، مسلم ١٧١٣/٤ (كتاب السلام - باب من أتى مجلسا) ، سنن الترمذى (بشرح ابن العرى) ١٨٩/١٠ - ١٩٠ (كتاب الاستئذان ، باب حدثنا الأنصارى) ، المسند ٢١٩/٥ .

يسقط العبدُ يديه إليه يسأله^(١) فيها خيراً فيردّها صِفراً خائبين^(٢) «
وفي الصحيح عنه ، فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى « لا يزال عبدى
يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ،
وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ،
فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى ، ولئن سألتنى
لأعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيننه ، وما ترددت عن شيء^(٣) أنا فاعله
ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ولا
بد له منه^(٤) » .

وفي [الحديث^(٥)] الصحيح عن عبادة [بن الصامت]^(٦) عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه ، فقالت عائشة : إنا لنكره الموت ؟ قال : ليس
ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت يُبشِّرُ برضوان الله وكرامته ، وإذا
بشر بذلك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره

(١) س : فيسأله .

(٢) الحديث عن سلمان رضى الله عنه في المسند (ط . الحلبي) ٤٣٨/٥ ، وقد ورد في هذه
الصفحة مرتين الأولى موقوفاً والثانية مرفوعاً .

(٣) م ، ق : في شيء .

(٤) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه وأوله : إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب
وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل ...
الحديث ، وهذه رواية البخارى . انظر الحديث في البخارى ١٠٥/٨ (كتاب الرقاق ، باب
التواضع) ، وهو عن عائشة رضى الله عنها في المسند (ط . الحلبي) ٢٥٦/٦ .

(٥) ما بين المعقوفين في (س) فقط .

(٦) م ، ق : بشر .

الموت بُشِّرَ بعذاب الله وَسَخَّطَهُ ^(١) ، فكره لقاء الله ، وكره الله لقاءه ^(٢) »

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله ^(٣) »

/ وفي الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ٧٤/٢ : « إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ؟ وقد أعطينا ما لم نُعطَ . أحدا من خلقك ، فيقول عز وجل : أنا أعطيتكم أفضل من ذلك ، قالوا : يارب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال :

(١) س : يبشر .

(٢) س : وعقوبته .

(٣) س (فقط) : .. لقاءه وعقوبته فإذا بشر بذلك كره لقاء الله فكره الله لقاءه . وأورد البخاري الحديث عن أبي هريرة في صحيحه ١٤٥/٩ (كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى يريدون أن يدلوا كلام الله) . وقد ورد الحديث عن أنس بن مالك عن عبادة بن الصامت وفي رواية أخرى عن عائشة وفي رواية ثالثة ذكر الحديث أبو هريرة وعلقت عليه عائشة وفي رواية رابعة عن أبي موسى . وقد ذكر جميع هذه الروايات مسلم في صحيحه ٢٠٦٥/٤ - ٢٠٦٧ (كتاب الذكر والدعاء ، باب من أحب لقاء الله) . والحديث عن عبادة بن الصامت في : سنن الترمذي (بشر ابن العربي) ٢٨٧/٤ (كتاب الجنائز . باب ما جاء فيمن أحب لقاء الله) ؛ وذكر النسائي روايات الحديث المختلفة في سنته ٨/٤ - ٩ (كتاب الجنائز . باب فيمن أحب لقاء الله) . وأورده مالك في الموطأ مع اختلاف في اللفظ عن أبي هريرة ٢٤٠/١ (كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز) .

(٤) الحديث عن البراء بن عازب في : البخاري ٣٢/٥ (كتاب مناقب الأنصار . باب حب الأنصار) ، مسلم ٨٥/١ (كتاب الإيمان . باب الدليل على أن حب الأنصار ... الخ) ؛ سنن الترمذي (بشر ابن العربي) ٢٦٦/١٣ (كتاب المناقب ، باب في فضل الأنصار وقریش) .

أَجِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا ^(١) »

وفى الصحيحين عن أنس قال : « أنزل علينا - ثم كان من المنسوخ - : أبلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا ، فرضى عنا وأرضانا ^(٢) » .

وفى حديث عمرو بن مالك الرُّوَاسِي قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، أرضَ عني ، قال : فأعرض عني ، ثلاثاً ، قال : قلت : يا رسول الله ، إن الرب ليرضى فيرضى ، فأرض عني ، فرضى عني ^(٣) » .

وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ لَيْقُتَطِعَ بِهَا مَالَ أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ ، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانِ » ^(٤) .

(١) سيرد هذا الحديث بعد صفحات إن شاء الله . فانظر إلى كلامي عنه هناك .
(٢) الحديث عن أنس في : البخارى ٢٦/٢ (كتاب الوتر . باب القنوت قبل الركوع وبعده) ولكن ذكره البخارى مختصراً ولم يذكر هذه العبارة فيه . أما مسلم فقد أورد الحديث وفيه هذه العبارة في صحيحه ٤٦٨/١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب استجابات القنوت) ولغظه عن أنس بن مالك قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله . قال أنس : أنزل الله عز وجل في الذين قتلوا بيئر معونة قرآناً قرأناه حتى نسخ بعد : أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه .

(٣) لم أجد هذا الحديث .

(٤) الحديث عن ابن مسعود في : البخارى ١٣٧/٨ - ١٣٨ (كتاب الأيمان والنذور . باب قول الله تعالى إن الذين يشترون بعهد الله ..) وهو عنه بلفظ : من حلف على يمين كاذبة ... ١٣٤/٨ (كتاب الأيمان . باب عهد الله عز وجل) . ٣٤/٦ (كتاب التفسير . سورة آل عمران : إن الذين يشترون بعهد الله) : مسلم ١٢٢/١ - ١٢٣ (كتاب الأيمان . باب وعيد من اقتطع حق مسلم يمين قاجرة) الأحاديث ٢٢٠ - ٢٢٢ ؛ سنن الترمذى . ٢١١/٥ (كتاب التفسير . باب ومن سورة آل عمران) .

وفي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اشتد غضبُ الله على قوم فعلُوا هذا برسول الله^(٢) » وهو حينئذ يشير إلى رباعيته^(٣) .

وقال : « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله^(٤) » .

وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله [إليها] ملكا^(٥) فَصَوَّرَهَا ، وَخَلَقَ سَمْعَهَا^(٦) وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : ياربُّ ذكراً أم^(٧) أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : ياربُّ أجله فيقضى^(٨) ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، فيقول : ياربُّ رزقه ؟ فيقضى ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم

(١) ق . ط . ص ، ر : وفي الصحيح

(٢) ق . س . ط ، ص . ر : فعلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الحديث عن أبي هريرة في : البخارى ١٠١/٥ (كتاب المغازى . باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد) ، مسلم ١٤١٧/٣ (كتاب الجهاد . باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣١٧/٢ . وعن ابن عباس مع اختلاف في الألفاظ في المسند (ط . المعارف) ٢٠٩/٤ - ٢١١ (رقم ٦٥٠٩) .

(٤) الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة في البخارى ومسلم في نفس مكان الحديث السابق . وهو عن ابن عباس بمعناه في المسند . (ط . الحلبي) ٤٩٢/٢ .

(٥) بعث الله ملكا : كذا في (س) فقط . وهو الذى في صحيح مسلم .

(٦) وخلق سمعها : كذا في (س) فقط . وهو الذى في مسلم

(٧) أم : كذا في (س) فقط . وهو الذى في مسلم .

(٨) فيقضى : كذا في (م) فقط . وهو الذى في مسلم .

يُخْرِجُ الْمَلِكُ الصَّحِيفَةَ فِي يَدِهِ ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أَمَرَ ^(١) وَلَا يَنْقُصُ ^(٢) .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي سَجُودِهِ / « أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » ^(٣) .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ » ^(٤) . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ ^(٥) عَنْ أَنَسٍ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « فَإِذَا رَأَيْتَ رَبِّي وَقَعْتَ لَهُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ، ثُمَّ يَقُولُ [لِي ^(٦)] : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ ^(٧) تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ » وَذَكَرَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ^(٨) .

(١) عَلَى مَا أَمَرَ : كَذَا فِي (م) فَقَطْ . وَهُوَ الَّذِي فِي مُسْلِمَ .

(٢) الْحَدِيثُ عَنْ حَبِيبَةَ بِنِ اسِيدِ الْغَفَارِيِّ فِي : مُسْلِمَ ٢٠٣٧/٤ (كِتَابُ الْقَدْرِ ، بَابُ كَيْفِيَةِ الْخَلْقِ الْآدَمِيِّ) ١ ، وَانْظُرْ ص ٢٠٣٨ .

(٣) الْحَدِيثُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي : مُسْلِمَ ٣٥٢/١ (كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ) وَأَوَّلُهُ : فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعْتُ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مُتَصَوِّبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ : اَللّهُمَّ اَعُوذُ بِرِضَاكَ . . . الْحَدِيثُ . (٤) الْحَدِيثُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ فِي : سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ١٢/٤ (كِتَابُ الطَّبِّ - بَابُ كَيْفِ الرُّقَى) .

(٥) س : وَفِي الصَّحِيحِ .

(٦) لِي : سَاقِطَةٌ مِنْ (م) - (ق) .

(٧) م (فَقَطْ) : وَسَلْ .

(٨) الْحَدِيثُ عَنْ أَنَسٍ فِي : الْبُخَارِيِّ ١١٦/٨ (كِتَابُ الرِّقَاقِ - بَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ) .

١٢١/٩ - ١٢٢ (كِتَابُ التَّوْحِيدِ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَمَّا خَلَقْتَ بِيَدِي) ١ مُسْلِمَ ١٨٠/١ - ١٨٤ (كِتَابُ الْإِيمَانِ - بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مُتَزَلَّةٌ فِيهَا) . وَوَرَدَ الْحَدِيثُ بِالْفَافِ مُقَارَبَةً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

وفي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم^(٢) - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون^(٣) » .

وفي الصحيحين^(٤) أيضاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن لله ملائكة سيّارة^(٥) فضلاً عن كتاب الناس » .
سياحين^(٦) في الأرض ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلمّوا^(٧) إلى حاجتكم ، قال : فيجيئون^(٨) حتى يحقّقون^(٩) بهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيقول الله عز وجل : أى شيء تركتم عبادي

== وتكلّمت عنه قبل صفحات قليلة . وورد أيضاً عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في المسند (ط . المعارف) ١٦١/١ - ١٦٣ (حديث رقم ١٥) .

(١) س : وفي الصحيح .

(٢) ر : فيسألهم ربهم .

(٣) الحديث عن أبي هريرة في : البخاري ١١١/١ - ١١٢ (كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر) . ١٤٢/٩ (كتاب التوحيد . باب كلام الرب مع جبريل) ، مسلم ٤٣٩/١ (كتاب المساجد . باب فضل صلاة الصبح والعصر) ، سنن النسائي ١٩٤/١ (كتاب الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة) ، الموطأ ١٧٠/١ (كتاب قصر الصلاة في السفر . باب جامع الصلاة) ، المسند (ط . المعارف) ٢٣٨/١٣ (رقم ٧٤٨٣) . (ط . الحلبي) ٣١٢/٢ . ٤٨٦ .

(٤) س : وفي الصحيح .

(٥) سيارة : زيادة في (م) .

(٦) س : سائحون .

(٧) س ، ص ، ط ، ر : هلم .

(٨) س ، ص ، ط ، ر : فيخرجون .

(٩) س : يحقّقوا .

يصنعون ؟ قال : فيقولون : تركناهم يحمدونك ويسبحونك
ويمجدونك ، قال : فيقول : هل رأوني ؟ [قال] : ^(١) فيقولون : لا ،
قال : كيف لو رأوني ؟ قال : فيقولون : لو رأوك لكانوا أشد تمجيداً
وأشد ذكراً ، قال : فيقول : فأى شيء يطلبون ؟ قالوا : يطلبون
الجنة ، قال : فيقول : وهل ^(٢) رأوها ؟ [قال] : ^(٣) فيقولون : لا ،
قال : فيقول : كيف لو رأوها ؟ قال : فيقولون : لو رأوها كانوا أشد
عليها حرصاً وأشد لها طلباً ، قال : فيقول : من أى شيء يتعوذون ؟
قال : فيقولون : يتعوذون من النار ، قال : فيقول : وهل رأوها ؟
قال : فيقولون : لا ، قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال :
فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها تعوذاً وأشد منها هرباً ، قال :
فيقول : إني أشهدكم أني قد غفرت / لهم ، قال فيقولون : إن فيهم
فلانا الخطاء ، لم يردهم ، إنما جاء في حاجة ، قال : فيقول : هم
القوم لا يشقى بهم ^(٤) جليسهم ^(٥) .

وفي الصحيحين عن النبي ^(٦) صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله

(١) قال : زيادة في (س)

(٢) س . ص . ط . ر : هل .

(٣) قال : ساقطة من (م) . (ق) .

(٤) بهم : ساقطة من (س) .

(٥) الحديث عن أبي هريرة في : البخاري ٨٦/٨ - ٨٧ (كتاب الدعوات . باب فضل ذكر الله عز وجل) ؛ مسلم ٢٠٦٩/٤ - ٢٠٧٠ (كتاب الذكر والدعاء . باب فضل مجالس الذكر) ؛ سنن الترمذي ٨٩/١٣ (كتاب الدعوات . باب ما جاء في أن الله ملائكة سياحين في الأرض) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٥٦/١٣ - ١٦٠ (رقم ٧٤١٨ - ٧٤٢٠) .

(٦) النبي .. كذا في : (س) . وفي سائر النسخ : عن أنس عن النبي .

إذا أحب عبداً نادى جبريل^(١) : إني قد أحبيت فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادى في السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض^(٢) » وقال في البغض مثل ذلك^(٣) .

وفي الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم ، وإن اقترب إليَّ شبراً اقتربت إليه ذراعاً ، وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة^(٤) » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد : أنها شهدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما جلس قوم يذكرون الله إلا حقت

(١) س : نادى يا جبريل .

(٢) الحديث عن أبي هريرة في : البخاري ١١١/٤ (كتاب بدء الخلق . باب ذكر الملائكة) . ١٤/٨ (كتاب الأدب . باب اليقظة من الله تعالى) . ١٤٢/٩ (كتاب التوحيد . باب كلام الرب مع جبريل) . وروايات البخاري هذه اقتصرنا على الحب . وكذا في : الموطأ ٩٥٣/٢ (كتاب الشعر . باب ما جاء في المتحابين في الله) وقال مالك : وإذا أبغض الله العبد . قال مالك : لا أحبه إلا أنه قال في البغض مثل ذلك .

(٣) جاءت روايات أخرى للحديث عن أبي هريرة فيها ذكر الحب والبغض كما في : مسلم ٢٠٣٠/٤ - ٢٠٣١ (كتاب البر والصلة والآداب . باب إذا أحب الله عبداً) ، سنن الترمذي ١٨/١٢ (كتاب التفسير . سورة مريم) ، المسند (ط . المعارف) ٤٨/١٤ (رقم ٧٦١٤) . وورد في المسند في مواضع أخرى كثيرة عن أبي هريرة .

(٤) ورد هذا الحديث من قبل في هذا الجزء . ص ١٢٧ . وتكلمت عليه هناك . ت ٣ . وبدأ هناك هكذا : يقول الله تعالى : من تقرب إلى شبرا ... الخ . والزيادة الموجودة هنا في نفس تلك المواضع . وانظر أيضا : المسند (ط . المعارف) ١٥٤/١٣ - ١٥٥ (رقم ٧٤١٦)

بهم^(١) الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده^(٢) .
وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن
رجلاً أصاب ذنباً ، فقال : رب^(٣) ، إني قد أصبت ذنباً فاغفره لي ،
فقال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت
لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أذنب ذنباً آخر ، فقال : أي رب ،
إني قد أذنبت ذنباً فاغفره لي ، فقال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر
الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ، فليعمل^(٤) ما يشاء^(٥) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« يقبض الله الأرض ويطوى السماء يمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين
ملوك الأرض ؟^(٦) »

(١) ر : إلا حفتهم .

(٢) الحديث مع اختلاف في الألفاظ عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري في : مسلم ٢٠٧٤/٤
(كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن) ؛ سنن ابن ماجه ١٢٤٥/٢ (كتاب
الأدب ، باب فضل الذكر) . ووردت ألفاظ قريبة من ألفاظ هذا الحديث ضمن حديث آخر رواه
أبو هريرة أوله : من نفس عن مؤمن كربة .. وفيه : وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب
الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة .. الخ . انظر مسلم (في الموضع
السابق) ؛ سنن ابن ماجه ٨٢/١ (المقدمة ، باب ١٧) ؛ سنن أبي داود ٩٥/٢ (كتاب الوتر -
باب في ثواب قراءة القرآن) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٦١/١٣ (رقم ٧٤٢١) .

(٣) م : يارب .

(٤) فليعمل : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : فليفعل .

(٥) الحديث عن أبي هريرة في : البخاري ١٤٥/٩ (كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : يريدون
أن يبدلوا كلام الله) ؛ مسلم ٢١١٢/٤ - ٢١١٣ (كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب) .
(٦) الحديث عن أبي هريرة في : البخاري ١٢٦/٦ (كتاب التفسير ، سورة الزمر) ، ١٠٨/٨
(كتاب الرقاق - باب يقبض الله الأرض) . ١١٦/٩ (كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى ملك
الناس) ؛ مسلم ٢١٤٨/٤ (كتاب صفات المنافقين - باب كتاب صفة القيامة) ؛ سنن ابن ماجه
٦٨/١ - ٦٩ (المقدمة - باب فيما أنكرت الجهمية) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٤٧/٢ .

وفي الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه حاجب ^(١) ولا ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا / شيئاً قدّمه ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ٧٧/٢ شيئاً قدّمه ، وينظر أمامه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة ^(٢) » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الرؤية قال فيه : « فيلقى العبد فيقول : أى قُل ، ألم أكرمك ، وأسودك وأزوّجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يارب ، قال : فيقول : أفظنت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا ، فيقول : إني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني ، فيقول : أى قُل - فذكر مثل ما قال الأول - ويلقى الثالث فيقول : آمنت بك وبكتابك وبرسولك ، وصليت وصمت وتصدق ، وثنى بخير ما استطاع ، قال : فيقول : فهل هنا إذن ، قال : ثم يقال : ألا نبعث شاهدنا عليك ؟ فيفكر في نفسه مَنْ الذى يشهد على ^(٣) ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخذه : انطق ، فتنطق فخذ له ولحمه وعظامه بعمله ^(٤) ما كان ذلك ، ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق ^(٥) وذكر الحديث .

(١) م . ق : حجاب .

(٢) ورد الحديث مختصراً قبل صفحات . ج ٢ . ص ١٢٦ . وتكلمت عنه هناك . ت ٥ .

(٣) على : كذا في (س) وهو الذى في صحيح مسلم . وفي سائر النسخ : عليه .

(٤) بعمله : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : تعلمه . والذى في صحيح مسلم : .. وعظامه

يعمله وذلك ليعذر من نفسه .

(٥) الحديث عن أبي هريرة في : مسلم ٢٢٧٩/٤ - ٢٢٨٠ (كتاب الزهد والرقائق . حديث رقم

١٦) وفي آخر الحديث : وذلك المنافق الذى يسخط الله عليه . وقال النووي في شرحه على مسلم ==

وفي صحيح مسلم عن أنس قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضحك ، قال : هل تدرون مم أضحك ؟ قال : قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يارب ألم تجرني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى ، قال : فيقول : فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني ، قال : فيقول : فكفى بنفسك عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيختم على فيه ، ويقال لأركانها : انطقي ، فتنتطق بأعماله ، قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام ، قال : فيقول : بُعْداً لكنّ وسحقاً ، فعنكن كنت أناضل ^(١) . »

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله لأهل النار عذاباً يوم القيامة : لو كان لك ما على الأرض من شيء ، أكنت تفتدى به ؟ فيقول : نعم ، فيقول له : قد أردت منك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي ^(٢) ، فأبيت إلا أن تشرك ^(٣) . »

١٠٣/١٧ - ١٠٤ : أى قل : هو بضم القاء وإسكان اللام ومعناه : يا فلان وأذكرك ترأس وتربع : أما ترأس فبفتح التاء وإسكان الراء وبعدها همزة مفتوحة ومعناه رئيس القوم وكبيرهم . وأما تربع : فبفتح التاء والباء الموحدة وفي رواية ابن ماهان : تربع بثناء فوق الراء . ومعناه بالموحدة : تأخذ المرباع الذى كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها .

(١) الحديث عن أنس في : مسلم ٢٢٨٠/٤ - ٢٢٨١ (نفس الكتاب والباب السابقين . حديث رقم ١٧)

(٢) س . ص : أن لا تشرك بي شيئاً .

(٣) الحديث عن أنس في : البخارى ١٣٣/٤ (كتاب الأنبياء . باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة) ، مسلم ٢١٦٠/٤ - ٢١٦١ (كتاب صفات المنافقين . باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً) .

/ وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ٧٨/٢
 « يَذْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ ، حَتَّى يَضَعَ كَتْفَهُ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : عَمِلْتَ كَذَا
 وَكَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ ، فَيَقْرَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : قَدْ سَتَرْتُ ^(١)
 عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، قَالَ : ثُمَّ يُعْطَى كِتَابُ
 حَسَنَاتِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً ﴾ [سورة الحاقة : ١٩] وَأَمَّا
 الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادُونَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ
 عَلَى الظَّالِمِينَ ^(٢) .

وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرَضْتُ فَلَمْ ^(٣)
 تَعُدَّنِي ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ :
 أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدَّتُهُ
 لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ، وَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ،
 فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، وَكَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ تَبَارَكَ
 وَتَعَالَى : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا اسْتَسْقَاكَ فَلَمْ تَسْقِهِ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ
 لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ قَالَ : وَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ،
 اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تَطْعَمْنِي ، فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ وَكَيْفَ أَطْعَمُكَ ، وَأَنْتَ

(١) سَتَرْتُ : كَذَبْتُ فِي (س) . (ط) . (ر) . (ق) . وَهِيَ رَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ . وَفِي (م) .
 (ص) : سَتَرْتُهَا . وَهِيَ رَوَايَةُ مُسْلِمٍ .

(٢) الْحَدِيثُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ : الْبُخَارِيُّ ١٤٨/٩ (كِتَابُ التَّوْحِيدِ . بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ) ، مُسْلِمٌ ٢١٢٠/٤ (كِتَابُ النَّبِيِّ بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ) ، الْمُسْنَدُ
 (ط . الْمَعَارِفُ) ٢٥٤/٧ (رَقْمُ ٥٤٣٦) . ١٥٥/٨ - ١٥٦ (رَقْمُ ٥٨٢٥) .

(٣) م (فَقَطْ) : فَعَلِمَ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه؟ أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي»^(١).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقول [لأهل الجنة]^(٢): يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضى؟ وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ قال: فيقولون: يارب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٣) وهذا فيه ذكر المخاطبة [وذكر] الرضوان^(٤) جميعاً.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً من النار: رجل يخرج / حبوا، فيقول له ربه: ادخل الجنة، فيقول: إن الجنة ملأى، فيقول له ذلك ثلاث مرات، كل ذلك يعيد: الجنة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرات»^(٥).

(١) ورد هذا الحديث من قبل، ج١، ص ١٤٩. انظر تعليق عليه، ت ٢.

(٢) لأهل الجنة: زيادة في (س): وهي في الصحيحين.

(٣) الحديث عن أبي سعيد الخدري في: البخاري ١١٤/٨ (كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار)، مسلم ٢١٧٦/٤ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة...).

(٤) م، ق: المخاطبة والرضوان.

(٥) الحديث عن ابن مسعود في: البخاري ١١٧/٨ (كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار)، ١٤٧/٩ - ١٤٨ (كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل مع الأنبياء وغيرهم)، مسلم ١٧٣/١ (كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً)، سنن ابن ماجه ١٤٥٢/٢ (كتاب الزهد، باب صفة الجنة)، المسند (ط. المعارف) ١٨١/٦ - ١٨٢ (رقم ٤٣٩١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ^(١) ، ولهم عذاب أليم : رجل حلف على يمين على مال امرئ ^(٢) . مسلم فاقطعه ، ورجل حلف على يمين بعد العصر : أنه أعطى بسلعته أكثر مما أعطى ، وهو كاذب ، ورجل منع فضل ماء ، يقول الله اليوم أمنعتك من فضلي ^(٣) ، كما منعت فضل مالم تعمل يدالك ^(٤) . »

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ، قال : فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا ^(٥) ، من هم يارسول الله ؟ قال : المسبل [إزاره] ^(٦) ، والمثان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ^(٧) . »

(١) ولا يزكيهم : زيادة في (م) فقط . وهي في إحدى روايات مسلم .

(٢) امرئ : ساقطة من (س)

(٣) س : فإن الله يقول اليوم أمنعتك فضلي .

(٤) الحديث عن أبي هريرة مع اختلاف في الألفاظ في : البخاري ١٣٣/٩ (كتاب التوحيد .

باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) ؛ مسلم ١٠٣/١ (كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم إسبال الإزار ... ؛ سنن أبي داود ٣٧٦/٣ - ٣٧٧ (كتاب البيوع . باب في منع الماء) ؛ سنن ابن ماجه ٧٤٤/٢ (كتاب التجارات ، باب ما جاء في كراهية الأيمان في الشراء والبيع) . ٩٥٨/٢ (كتاب الجهاد . باب الوفاء بالبيعة)

(٥) في (ط) ، (ر) . (ص) وردت عبارة خابوا وخسروا مرتين ، وأما في (س) فتكررت ثلاث مرات .

(٦) إزاره : زيادة في (س)

(٧) س : .. إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب . والمثان عطاؤه . والحديث عن أبي ذر في :

مسلم ١٠٢/١ (كتاب الإيمان . باب غلظ تحريم إسبال الإزار ...) ؛ سنن ابن ماجه ٧٤٤/٢ - ٧٤٥ (كتاب التجارات . باب ما جاء في كراهية الأيمان في البيع والشراء)

وهذان الحديثان فيها نفى التكليم^(١) والنظر عن بعض الناس ، كما نفى^(٢) القرآن مثل ذلك ، وأما نفى التكليم^(٣) وحده ففي غير حديث .

وهذا الباب في الاحاديث كثير جدا يتعذر استقصاؤه ، ولكن نبينا ببعضه على نوعه ، والأحاديث جاءت في هذا الباب كما جاءت الآيات مع زيادة تفسير في الحديث ، كما أن أحاديث الأحكام تجيء موافقة لكتاب الله ، مع تفسيرها لمُجْمَلِهِ ، ومع ما فيها من الزيادات التي لاتعارض القرآن ؛ فإن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه الكتاب والحكمة ، وأمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة ، وامتنن على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم / : « ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه »^(٤) . وفي رواية : « ألا إنه مثل القرآن أو أكثر »^(٥) .

٨٠/٢

فالحكمة التي أنزلها الله عليه مع القرآن ، وعلمها لأمته ، تتناول ما تكلم به في الدين من غير القرآن من أنواع الخبر والأمر ، فخبره موافق

(١) م (فقط) : التكلم

(٢) كما نفى : كذا في (م) فقط . وفي سائر النسخ : كما في .

(٣) م (فقط) : التكلم .

(٤) هذه العبارة هي أول حديث جاء عن المقدم بن معديكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو في : سنن أبي داود ٢٧٩/٤ (كتاب السنة . باب في لزوم السنة) . وجاء الحديث عن المقدم بدون هذه العبارة في سنن الترمذي ١٣٣/١٠ (كتاب العلم . باب ما نهى عنه أنه يقال عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) ؛ سنن ابن ماجه ٦/١ (المقدمة . باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقليظ على من عارضه) .

(٥) لم أجد هذا الحديث .

لخبر الله ، وأمره موافق لأمر الله ، فكما أنه يأمر [بما في الكتاب أو]^(١) بما هو تفسير ما في الكتاب ، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب ؛ فهو أيضا يخبر بما في الكتاب وبما هو تفسير ما في الكتاب ، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب ، فجاءت أخباره في هذا الباب يذكر فيها أفعال الرب : كخلقه ورزقه وعدله وإحسانه وإثابته ومعاقبته ، ويذكر فيها أنواع كلامه وتكليمه للملائكته وأنبيائه وغيرهم من عباده ، ويذكر فيها ما يذكره من رضاه وسخطه ، وجهه وبغضه ، وفرحه وضحكته ، وغير ذلك من الأمور التي تدخل في هذا الباب .

الناس في مسألة أفعال
الله تعالى ثلاثة أقسام

والناس في هذا الباب ثلاثة أقسام :

الجهمية المحضة من المعتزلة ومن وافقهم^(٣) ، يجعلون^(٤) هذا كله مخلوقا منفصلا عن الله تعالى .

والكلائية ومن وافقهم ، يثبتون ما يثبتون من ذلك : إما قديما بعينه لازماً لذات الله ، وإما مخلوقا منفصلا عنه .

وجمهور أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام ، يقولون : بل هنا قسم ثالث قائم بذات الله متعلق بمشيئته وقدرته ، كما دلت عليه النصوص الكثيرة .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م) فقط .

(٢) أو بما هو : كذا في (س) وفي سائر النسخ ما عدا (م) : وبما هو . وفي (م) : بما هو .

(٣) س : من المعتزلة وغيرهم .

(٤) س - ص : تجعل ؛ ر - ط : يجعل .

ثم بعض هؤلاء قد يجعلون نوع ذلك حادثا ، كما تقوله الكرامية ^(١) ،
وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثا ، بل
قدما ، ويفرقون بين حدوث النوع وحدوث الفرد من أفرادها ، كما يفرق
جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه ؛ فإن نعيم أهل
الجنة يدوم نوعه ولا يدوم كل واحد واحد من الأعيان الفانية ، ومن
الأعيان الحادثة مالا يفنى بعد / حدوثه ، كأرواح الآدميين ، فإنها
مُبْدَعَةٌ ، كانت بعد أن لم تكن ، ومع هذا فهي باقية دائمة . ٨١/٢

والفلاسفة تجوّز مثل ذلك في دوام النوع دون أشخاصه ، لكن
الدهرية منهم ظنوا أن حركات الأفلاك من هذا الباب ، وأنها قديمة
النوع ، فاعتقدوا قدمها ، وليس لهم على ذلك دليل أصلا ، وعامة ما
يحتجون به إبطال قول من لا يفرّق بين حدوث النوع وحدوث
الشخص ، ويقولون ^(٢) : إنه يلزم من حدوث الأعيان حدوث نوعها ،
ويقولون ^(٣) : إن ذلك كله ^(٤) حدث من غير تجدد أمر حادث .

وهذا القول إذا بطل كان بطلانه أقوى في الحجة على
الدهرية في ^(٥) إفساد ^(٦) قولهم ، وفي صحة ما جاء به الكتاب والسنة ، كما
تقدم بيانه ، وإن لم يبطل بطل قولهم .

(١) بعد كلمة « الكرامية » توجد إشارة إلى الهامش في نسخة (هـ) حيث كتب ما يلي : « وابن
كرام كان متأخرا بعد محنة الإمام أحمد بن حنبل فكان ابن كرام بعد ابن كلاب بمدة . وكان أكثر أهل
القبلة قبل ابن كرام على مخالفة المعتزلة والكلابية . ودفن ابن كرام في حدود سنة ستين ومائتين » .

(٢) س ، ق . هـ : ويقول .

(٣) هـ : ويقول .

(٤) كله : ساقطة من (س) ، (هـ) .

(٥) س : وفي .

(٦) هـ : فساد

فالمعقول الصريح موافق للشرع متابع له كيف ما أدير الأمر ،
وليس في صريح المعقول ما يناقض صحيح المنقول ، وهو المطلوب .
ومن المعلوم : أن أصل الإيمان تصديق الرسول فيما أخبر ، وطاعته
فيما أمر ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أنه لا يجوز أن يكون ثمّ دليل
لا عقلي ولا غير عقلي يناقض ذلك ، وهذا هو المطلوب هنا .
ولكن أقواماً^(١) ادعوا معارضة طائفة من أخباره للمعقول .

وأصل وقوع ذلك في المتسبين للإسلام^(٢) والإيمان : أن أقواماً من
أهل النظر والكلام أرادوا نصرة ما اعتقدوا أنه قوله^(٣) بما اعتقدوه أنه
حجة ، ورأوا أن تلك الحجة لها لوازم يجب التزامها ، وتلك اللوازم
تناقض كثيراً من أخباره .

أصل خطأ المجتدة في
هذه المسألة

وهؤلاء غلطوا في المنقول والمعقول جميعاً ، كما اعتقدت المعتزلة
وغيرهم من الجهمية نفقاء الصفات والأفعال أنه أخبر أن كل ماسوى
الذات القديمة المجردة عن الصفات مُحدث الشخص والنوع جميعاً ،
وظنوا أن هذا من التوحيد الذى جاء به ، واحتجوا على ذلك بما يستلزم
حدوث كل ما قامت به صفة وفعل ، وجعلوا / هذا هو الطريق إلى ٨٢/٢
إثبات وجوده ووحدانيته وتصديق رسله ، فقالوا : إن كلامه مخلوق ،
خَلَقَهُ في غيره ، لم يَقم به كلام ، وإنه لا يُرى في الآخرة ، ولا يكون
مبايناً للخلق ، ولا يقوم به علم ولا قدرة ولا غيرها^(٤) من الصفات ، ولا

(١) أقواماً : كذا في (م) . وفي سائر النسخ : أقوام .

(٢) س . ص . ر . ط : إلى الإسلام .

(٣) الفصير هنا يعود على الرسول . أى قول الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) ط ، ر ، ق ، ص : ولا غيرها .

فعل من الأفعال ، لا خَلَقَ للعالم ولا استواء ولا غير ذلك ، فإنه لو قام به فعل أو صفة لكان موصوفاً محلاً للأعراض ، ولو قام به فعل يتعلق بمشيئته للزم تعاقب الأفعال ودوام الحوادث ، وإذا جوزوا دوام النوع الحادث أو قدمه بطل ما به احتجوا على ما ظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به .

وهم مخطئون في المنقول والمقول .

أما المنقول : فإن الرسول لم يخبر قط بقدم ذات مجردة عن الصفات والأفعال ، بل النصوص الإلهية متظاهرة باتصاف الرب بالصفات والأفعال . وهذا معلوم بالضرورة لمن سمع الكتاب والسنة ، وهم يسلمون أن هذا هو الذى يظهر من النصوص ، ولكن أخبر عن الله بأسمائه الحسنى وآياته المثبتة لصفاته وأفعاله ، وأنه : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [سورة الفرقان : ٥٩] .

فمن قال : « [إن] ^(١) الأفلاك قديمة أزلية » فقله مناقض لقول الرسول صلى الله عليه وسلم بلا ريب ، كما أن من قال « إن الرب تعالى لا علم له ولا قدرة ولا كلام ولا فعل » ^(٢) فقله مناقض لقول الرسول ، وليس مع واحد ^(٣) منهما عقل صريح يدل على قوله ، بل العقل الصريح مناقض لقوله ، كما قد بين في موضعه من وجوه كثيرة ، مثل ما يقال : إن العقل الصريح يعلم أن إثبات عالم بلا علم وقادر بلا قدرة ممتنع ، كإثبات

(١) إن : زيادة في (س)

(٢) س : ولا له كلام ولا له فعل .

(٣) م . ق : فليس لواحد .

علم بلا عالم وقدرة بلا قادر. وأعظم امتناعاً من ذلك أن يكون العلم هو العالم ، والعلم هو القدرة ؛ فهذا قول نفاة الصفات .

وأما القائلون بتقديم العالم فقولهم يستلزم امتناع حدوث حادث ، فإن القديم إما واجب بنفسه أو لازم للواجب بنفسه ، ولوازم الواجب لا تكون محدثة ولا مستلزمة لمحدث ، فالحوادث ليست من لوازمه ، وما لا يكون من لوازمه يتوقف / وجوده على حدوث سبب حادث ، فإذا كان ٨٣/٢ القديم الواجب بنفسه ، أو اللازم للواجب ، لا يصدر عنه حادث - امتنع حدوث الحوادث ، وهذا حقيقة قولهم ؛ فإنهم يزعمون أن العالم له علة قديمة موجبة له ؛ وهو لازم لعلته ، وعلته عندهم مستلزمة لمعلولها ومعلول معلولها ، فيمتنع أن يحدث شيء في الوجود ؛ إذ الحادث المعين يكون لازماً للقديم بالضرورة واتفاق العقلاء .

وإذا قالوا : « يجوز أن يحدث عن الواجب بنفسه حادث بواسطة » . قيل : الكلام في تلك الوسطة كالكلام في الأول ، فإنها إن كانت قديمة لازمة له لزم قدم المعلولات كلها ، وإن كانت حادثة فلا بد لها من سبب حادث .

وإذا قالوا : « كل حادث مشروط بحادث قبله لا إلى أول » . قيل لهم : فليست أعيان الحوادث من لوازم الواجب بنفسه ، وإذا كان النوع من لوازم الواجب امتنع وجود الواجب بنفسه بدون النوع ، ونوع الحوادث ممكن بنفسه ليس فيه واجب بنفسه ، فيكون نوع الحوادث صادراً عن الواجب بنفسه ، فلا يجب قدم شيء معين من أجزاء العالم ، لا الفلك ولا غيره ، وهو نقيض قولهم .

وإذا قالوا: «نوع الحوادث لازم لجرم الفلك والنفس، وهذان لازمَان للعقل، وهو لازم للواجب بنفسه».

قيل لهم: فذاته مستلزمة لنوع الحوادث، سواء كان بوسط أو بغير وسط، والذات القديمة المستلزمة لمعلولها لا يحدث عنها شيء، لا بوسط ولا بغير وسط، سواء كان الحادث نوعاً أو شخصاً، لأن النوع الحادث يمتنع مقارنته لها، كما تمتنع مقارنة الشخص الحادث لها؛ لأن النوع الحادث إنما يوجد شيئاً فشيئاً، والمقارن لها قديم معها لا يوجد شيئاً فشيئاً، فبطل أن تكون الحوادث صادرة عن علة تامة^(١) مستلزمة [لنوعها]^(٢) المقترن^(٣) ببعضه ببعض أو شخص منها، فبطل أن يكون العالم صادراً عن علة موجبة له، كما بطل وجوبه بنفسه، وهو المطلوب.

ومما يبين ذلك: أن القديم يستلزم قدم موجبه، أو وجوبه بنفسه، فإن القديم إما واجب بنفسه وإما واجب بغيره، إذ الممكن الذي لا موجب له لا يكون / موجوداً، فضلاً عن أن يكون قديماً، بالضرورة ٨٤/٢ واتفاق العقلاء، وإذا كان واجباً بغيره فلا بد أن يكون الموجب له قديماً، بالضرورة واتفاق العقلاء، وإذا كان واجباً بغيره فلا بد أن يكون الموجب له قديماً، ولا يكون موجباً له حتى تكون شروط الإيجاب قديمة أيضاً، فيمتنع أن يكون موجب القديم أو شرط من شروط الإيجاب حادثاً؛ لأن الموجب المقتضى للفاعل المؤثر يمتنع أن يتأخر عن موجبه

(١) تامة: ساقطة من (س).

(٢) لنوعها: في (س) فقط.

(٣) م، ق: المقترن.

الذى هو مقتضاه وأثره ، وهذا معلوم بالضرورة ، ومتفق عليه بين العقلاء .

وإذا كان كذلك فيمتنع أن يكون جميع العالم واجبا بنفسه ، إذ لو كان^(١) كذلك لم يكن في الموجودات ما هو حادث ، لأن الحادث كان معدوما ، وهو مفتقر إلى محدث يحدثه ، فضلا عن أن يكون واجبا بنفسه .

فثبت أن في العالم ما ليس بواجب ، والواجب بغيره لا بد له من موجب تام مستلزم لموجبه ، والموجب التام لا يتأخر عنه شيء من موجبه ومقتضاه ، فيمتنع صدور الحوادث عن موجب تام ، كما يمتنع أن تكون هى واجبة بنفسها ، وإذا لم تكن واجبة^(٢) ولا صادرة عن علة موجبة فلا بد لها من فاعل ليس موجبا بذاته ، وإذا كان غاية ما يقولون : إن العالم صادر عن علة موجبة بنفسها بغير^(٣) واسطة أو بوسائط لازمة لتلك العلة ؛ فعلى هذا التقدير : يمتنع حدوث الحوادث عنه ، فإن لم يكن للحوادث فاعل غيره ، وإلا لزم حدوثها بلا محدث ، وهذا معلوم الفساد بالضرورة .

فتبين أن للحوادث محدثا ليس هو مستلزما لموجبه ومقتضاه ، فامتنع أن يكون محدث الحوادث علة مستلزما لمعلولها ، أو أن يكون شيئا^(٤) من

(١) س : وإذا كان .

(٢) س . لا واجبة .

(٣) م ، ق : من غير .

(٤) س : أو أن يكون أو شيئا .

معلولاتها ، وهم يقولون : إن العالم صادر عن علة مستلزمة لمعلولها ، وكل ما سواها معلول لها ، وهذا مما تبين بطلانه بالضرورة .

ومن قال : « إن مجموع أجزاء العالم واجبة أو قديمة » فقله معلوم الفساد بالضرورة .

ومن قال : « إن الحوادث صادرة عن جزء منه واجب » فقله أيضاً معلوم الفساد^(١) ، سواء جعل ذلك الجزء الأفلاك أو بعضها ، لوجهين :

٨٥/٢ / أحدهما : أن ذلك الجزء الذى هو واجب بغيره إذا كان علة تامة لغيره لزم أيضاً قدم معلوله معه ، فيلزم أن لا يحدث شئ ، وإن كان ذلك الجزء الواجب ليس هو علة تامة ، امتنع صدور شئ عن^(٢) غير علة تامة ، ولو قدر إمكان الحدوث^(٣) عن غير علة تامة أمكن حدوث كل ما سوى الله ، فعلى كل تقدير قولهم باطل .

الوجه الثانى : [أنه]^(٤) من المعلوم أنه ليس شئ من أجزاء العالم مستقلاً بالإبداع لغيره من أجزائه ، وإن قيل : « إن بعض أجزائه سبب لبعض » فتأثيره متوقف على سبب آخر ، وعلى انتفاء موانع ، فلا يمكن أن يجعل شئ من أجزاء العالم رباً واجباً بنفسه ، قديماً مبدعاً لغيره ، والحوادث لا بد لها من رب واجب بنفسه قديم مبدع لغيره ، وليس شئ من أجزاء العالم مما يمكن ذلك فيه ، فعلم أن الرب تعالى خارج عن العالم وأجزائه وصفاته ، وهذا كله مبسوط فى موضع آخر^(٥) .

(١) ر ، هـ : معلوم الفساد بالضرورة .

(٢) ط : من .

(٣) م (فقط) : ولو قدر إمكان حدوث الحوادث .

(٤) أنه : زيادة فى (س) ، وفى (هـ) إذ .

(٥) س : فى غير هذا الموضع .

والمقصود هنا بيان أنه ليس في المعقول ما يناقض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد عُلم أن المدعين لمعقولٍ يناقضه صنفان :

صنف يجوزون عليه وعلى غيره من الرسل فيما أخبروا به عن الله تعالى وبلغوه إلى الأمم عن الله تعالى الكذب عمداً أو خطأ ، أو أن يظهر نقيض ما يبطن ، كما يقول ذلك من يقوله من الكفار بالرسل ، ومن المظهرين لتصديقهم ، كالمتناقضين من المتفلسفة والقرامطة والباطنية ونحوهم ممن يقول بشئ من ذلك.

وصنف لا يجوزون عليهم ذلك ، وهذا هو الذى يقوله المتكلمون المنتسبون إلى الإسلام^(١) على اختلاف أصنافهم .

والمبتدعة من هؤلاء مخبطون في السمع وفي العقل ؛ ففي السمع حيث يقولون على الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقل عمداً أو خطأ ، وفي العقل حيث يقررون ذلك بما يظنونه براهين ، وإذا كانت الدعوى خطأ لم تكن حجتها إلا باطلة ، / فإن الدليل لازم لدلوله ، ولازم الحق لا ١٦/٢ يكون إلا حقاً ، وأما الباطل^(٢) فقد يلزمه الحق ، فلهذا يحتج على الحق بالحق تارة وبالباطل تارة^(٣) ، وأما الباطل فلا يحتج عليه إلا بباطل ، فإن^(٤) حجته لو كانت حقاً لكان الباطل لازماً للحق ، وهذا لا يجوز ،

(١) س ، ص ، ر ، ط : إلى المسلمين .

(٢) م ، ق : وأما الدليل الباطل .

(٣) س : وبالباطل أخرى .

(٤) س : لأن .

لأنه يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم ، فلو كان [الباطل] ^(١) مستلزماً للحق لكان الباطل حقاً ، فإن الحجة الصحيحة لا تستلزم إلا حقاً ، وأما الدعوى الصحيحة : فقد تكون حجتها صحيحة ، وقد تكون باطلة . ومن أعظم ما بنى عليه المتكلمة النافية ^(٢) للأفعال وبعض الصفات أو جميعها أصولهم التي عارضوها بها الكتاب والسنة : [هى] ^(٣) هذه المسألة ، وهى نفي قيام ما يشاؤه ويقدر عليه بذاته من أفعاله وغيرها .

(فصل)

وقد ذكر أبو عبد الله الرازى - هو وأبو الحسن الآمدى ومن اتبعهما - أدلة نفاة ذلك ، وأبطلوها كلها ، ولم يستدلوا على نفي ذلك إلا بأن ما يقوم به إن كان صفة [كمال] ^(٤) كان عدمه قبل حدوثها نقصاً ، وإن كان نقصاً لزم اتصافه بالنقص ، والله تعالى منزّه عن ذلك .

كلام الرازى والآمدى
عن أدلة النفاة

وهذه الحجة ضعيفة ^(٥) ، ولعلها أضعف مما ضعّفوه ، ونحن نذكر ما

(١) الباطل : ساقطة من (م) فقط .

(٢) م (فقط) : المتكلمون النافون .

(٣) هى : ساقطة من (م) فقط .

(٤) كمال : ساقطة من (م) فقط .

(٥) عند كلمة ضعيفة توجد إشارة إلى الهامش فى نسخة (هـ) (ص ١٣٩) حيث كُتب تعليق طويل فى أوله عبارة « هذه التخريجة من المجلد الثانى » وأما التعليق فهو كما يلى : « باطلة من وجوه : أحدها أن القول فى أفعاله القائمة به كالقول فى أفعاله التى هى المفعولة المنفصلة التى يحدثها بمشيئته . وإن القائلين يقدم العالم أوردوا عليهم هذا السؤال فقالوا : إن كان صفة كمال لزم عدم الكمال له من الأزل . وإن كان صفة نقص لزم اتصافه بالنقص . فأجابوهم بأنه ليس صفة كمال ولا نقص . وهذا كما أن من حجج النفاة أنه لو كان قابلاً لقيام الحوادث به لكان القبول من لوازم ذاته . ووجود القبول فى الأزل محال . فأجيبوا بأنه لا فرق بين حدوث ما يقوم به أو بغيره . فإذا قيل : لو كان قادراً على فعل الحوادث لكان ذلك من لوازم ذاته . وذلك فى الأزل محال . فما كان جواباً عن هذا كان جواباً عن هذا .

ذكره أبو عبد الله بن الخطيب في ذلك في أجل كتبه الكلامية الذي سماه «نهاية العقول» في دراية الأصول» وذكر أنه أورد فيه من الحقائق والدقائق ما لا يكاد يوجد في شيء من كتب الأولين والآخرين، والسابقين واللاحقين، من الموافقين والمخالفين، ووصفه بصفات تطول.

قال^(١): «وهذا كله^(٢) لا يعلمه إلا من تقدم تحصيله لأكثر كلام العلماء، وتحقيق وقوفه على مجامع^(٣) بحث^(٤) العقلاء، من المحققين والمبطلين^(٥)، والموافقين والمخالفين». / قال^(٦): «فإني^(٧) قلماً ٨٧/٢

الوجه الثاني: أن يقال: كونه بحيث يتكلم ويفعل ما يشاء صفة كمال، وهو لم يزل متصفاً بذلك وأما الشيء المعين فحدوثه لا نقص ولا كمال.

الثالث: ما تعني بقولك: عدم ذلك نقص؟ أتعني به أن ذاته ناقصة وأنها ليست متصفة بصفات الكمال الواجبة لها؟ أم تعني به عدم ما سيوجد لها؟ فالأول باطل، وأما الثاني فلم قلت إنه ممتنع. الرابع: أنتم قلتم ما ذكره أبو المعالي والرازي وغيرهما من أن تنزيهه عن النقائص إنما علم بالسمع لا بالعقل. فإذا قلتم إنه ليس في العقل ما ينفي ذلك، لم يبق نفي ذلك إلا بالسمع الذي هو الإجماع عندكم. ومعلوم السمع لم ينف هذه الأمور وإنما نفي ما يناقض صفات الكمال كالموت المنافي للحياة. والسنة والنوم المنافي للقيومية. واللغوب المنافي لكمال القدرة. ولهذا كان الصواب أن الله تعالى منزّه عن النقائص شرعاً وعقلاً. فإن العقل كما دل على اتصاله بصفات الكمال من العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر دل على نفي أضدادها، فإن إثبات الشيء يستلزم نفي ضده ولا تعني النقائص إلا ما ينافي صفات الكمال.

(١) في كتابه «نهاية العقول في دراية الأصول» وستقابل النصوص التالية على نسختين خطيتين بدار الكتب المصرية: الأولى بمكتبة طلعت علم كلام رقم ٥٦٥. والثانية بدار الكتب علم كلام توحيد رقم ٧٤٨.

(٢) نسخة طلعت (ظ ٢): وهذا كتاب؛ نسخة دار الكتب (ص ٢): هذا كتاب.

(٣) نسخة طلعت: وقوفه مجامع.

(٤) نسخة دار الكتب: مباحث، نسخة طلعت تقرأ: سياحت.

(٥) نسخة طلعت كتبت خطأ: والمبطلين.

(٦) بعد الكلام السابق بسطر واحد.

(٧) النسختان الخطيتان: فإني.

تكلّمت فيه^(١) في المبادئ والمقدمات ، بل أكثر العناية كان مصروفاً إلى تلخيص^(٢) النهايات والغايات »

وقال في هذا الكتاب^(٣) : « الأصل الثاني عشر ، وهو ما يستحيل^(٤) على الله » قال^(٥) : « المسألة الرابعة في أنه^(٦) يستحيل عليه أن^(٧) يكون محلاً للحوادث ، وافقت^(٨) الكرامية على تجويز ذلك ، وأما^(٩) تجدد الأحوال : فالمعتزلة اختلفوا في تجويزه^(١٠) ، مثل المدركية والسامعية والبصرية^(١١) والمريدية والكارهية ، وأما أبو الحسين البصري^(١٢) فإنه أثبت تجدد العالميات في ذاته . »

قال^(١٣) : « وأما الفلاسفة فع انهم في المشهور أبعد الناس عن هذا المذهب ، ولكنهم يقولون بذلك من حيث لا يعرفونه ، فإنهم يجوزون

(١) فيه : ليست في المخطوطتين .

(٢) لسخة دار الكتب : تمحيص .

(٣) يوجد في الجزء الثاني من نسخة دار الكتب ظ ٣٨ (ولا يوجد من نسخة طلعت إلا جزء واحد) .

(٤) نسخة دار الكتب : فيما يستحيل .

(٥) نسخة دار الكتب ص ٤٦ .

(٦) المخطوطة : أنه تعالى .

(٧) نسخة دار الكتب : س : يستحيل أن .

(٨) نسخة دار الكتب : اتفقت .

(٩) نسخة دار الكتب : أما .

(١٠) نسخة دار الكتب : فالمعتزلة اتفقوا على تجويزه .

(١١) م . ق : والبصرية .

(١٢) مخطوطة دار الكتب : وأما أبو الحسين ، وفي (س) : أبو الحسين البصري ، وفي ط : أبو

الحسن البصري وفي الهامش : لعله أبو الحسين . وأما في سائر النسخ : أبو الحسن البصري . وهو أبو

الحسين محمد بن علي الطيب البصري . سبقت ترجمته ج ١ ص ٩٤ .

بعد الكلام السابق مباشرة .

تجدد الإضافات على ذاته ، مع أن الإضافة عندهم عَرَضٌ وُجُودِيٌّ^(١) ، وذلك يقتضى كون ذاته^(٢) موصوفة بالحوادث ، وأما أبو البركات البغدادي فقد صرَّح باتصاف ذاته^(٣) بالصفات المحدثة .

قلت : أبو عبد الله الرازي غالب مادته في كلام المعتزلة : ما يحده في كتب أبي الحسين البصري ، وصاحبه محمود الخوارزمي ، وشيخه عبد الجبار الهمداني ونحوهم ، وفي كلام الفلاسفة : ما يحده في كتب ابن سينا وأبي البركات ونحوهما ، وفي مذهب الأشعري : [يعتمد]^(٤) على كتب أبي المعالي ، كالشامل ونحوه ، وبعض كتب القاضي أبي بكر وأمثاله ، وهو ينقل أيضا من كلام الشهرستاني وأمثاله . وأما كتب القدماء كأبي الحسن الأشعري وأبي محمد بن كُلاب وأمثالهما ، وكتب قدماء المعتزلة والنجارية والضرارية ونحوهم ؛ فكتبه تدل على أنه لم يكن يعرف ما فيها ، وكذلك مذهب طوائف الفلاسفة المتقدمين ، وإلا فهذا القول الذي حكاه عن أبي البركات هو قول أكثر قدماء الفلاسفة الذين كانوا قبل أرسطو ، وقول كثير منهم ، كما نقل ذلك أرباب المقالات عنهم ، فنقل أرباب المقالات الناقلون^(٥) لاختلاف الفلاسفة في الباري ما هو ؟ قالوا : قال سقراط وأفلاطون وأرسطو : إن الباري لا يعبر^(٦)

(١) نسخة دار الكتب : فإنهم يجوزون تجديد الإضافات عندهم أعراض وجودية .

(٢) نسخة دار الكتب : ذاته تعالى .

(٣) نسخة دار الكتب : ذاته تعالى .

(٤) يعتمد : زيادة في (س) .

(٥) س ، ص ، ر ، ط ، هـ : الناقلين .

(٦) س : لم يعبر .

عنه إلا بهو فقط ، وهو الهوية المحضة غير المتكثرة ، وهى الحكمة المحضة والحق المحض ، وليست لله صورة مثل الصورة التى تكثرت فى العنصر ، وهو الأيس^(١) الذى لا يحيط به الذهن ولا العقل ، ولا يجوز عليه التغير^(٢) ولا الصفة ولا العدد ولا الإضافة ولا الوقت ولا المكان ولا الحدود ، ولا يدرك بالحواس ولا بالعقول^(٣) من جهة غاية الكُنه ، لكن بأنه^(٤) واحد أزلى ليس باثنين ، لأننا إن أوقعنا عليه العدد لزمته الثنية^(٥) ، وإن أوقعنا عليه الإضافة لزمه الزمان والمكان والقَبْلُ والبَعْدُ ، وإن أوقعنا عليه المكان لزمه الحدود^(٦) ، وجعلناه متناهيًا إلى غيره ، وقال تاليس^(٧) (٨)

(١) م . ق : المقدس ، ص ، ط ، ر : الاليس ، هـ : الأمر . والاليس هو الوجود .

(٢) هـ : ولا تجوز عليه العبر (غير منقوطة) ، س : ولا تجوز عليه العبر (غير منقوطة) ، سائر النسخ : ولا تجوز عليه العين . ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٣) س : ولا بالعقل .

(٤) م (فقط) : ولكن يدرك بأنه . ولعل كلمة « يدرك » زيادة أضافها المحققان .

(٥) لزمته : كذا فى (هـ) . وفى سائر النسخ : لزمه .

(٦) س . هـ : وإن وقعت .

(٧) س : لزمته .

(٨) ر . ص . ط . ق : باليس ، هـ (الكلمة غير منقوطة) . والمثبت عن (م) . (س) .

وهو : تاليس . أو طاليس ، أو ثاليس Thales الملطى أول الحكماء السبعة وأول الفلاسفة اليونانيين .

اشتهر عام ٥٨٥ ق . م . ذكرته الكتب العربية . انظر مثلاً : تاريخ الحكماء لابن القفطى (ط) .

لينزج . ١٩٠٣) ص ١٠٧ ؛ تاريخ مختصر الدول لابن العبري . ص ٣٧ (ط) . بيروت . ١٩٥٨) .

الملل والنحل للشهرستانى ٦٦/٢ - ٦٨ . وانظر عنه وعن آرائه : تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم .

ص ١٢ - ١٤ . ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥٨/١٣٧٨ . فجر الفلسفة اليونانية

قبل سقراط للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى . ص ٤٨ - ٥٦ . ط . عيسى الحلبي . القاهرة . ١٩٥٤ .

الفلسفة عند اليونان للدكتورة أميرة حلمي مطر . ص ٤٧ - ٤٩ ، ط . دار النهضة العربية .

القاهرة . ١٩٦٨ . ربيع الفكر اليونانى للدكتور عبد الرحمن بدوى ، ص ٩٥ - ٩٧ . مكتبة النهضة

وبلاطرخس^(١) ولوقيوس^(٢) وكسيفائيس^(٣) وانبذقليس^(٤) جميعا : إن الباري واحد ساكن ، غير أن انبذقليس قال : إنه متحرك بنوع سكون ، كالعقل المتحرك بنوع سكون ، فذلك جائز ؛ لأن العقل إذا كان مُبْدِعاً فهو متحرك بنوع سكون ، فلا محالة أن المبدع متحرك

== المصرية . القاهرة ١٩٥٨ ، نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان للدكتور على سامي النشار . ص ٢١ - ٢٣ . ط . المعارف ، الإسكندرية . ١٩٦٤

Greek philosophy: Thales To Aristotle, ed. by G.E. Allen, The Free Press, New York, London, 1968.

(١) وبلاطرخس: كذا في (س). وفي (هـ): بلاطرخس (بدون نقط). وفي سائر النسخ: وبلاطن حسن . وهو تحريف . وبلاطرخوس (فلوطرخس . فلوطرخيس) = Plutarch = Plutarchus من مؤرخي الفلسفة اليونانية ومن فلاسفة الأفلاطونية الجديدة . عاش في النصف الأول من القرن الأول الميلادي . انظر عنه : تاريخ الحكماء لابن القفطي . ص ٢٥٧ ، الملل والنحل ١٠٢/٢ - ١٠٣ ؛ الفلسفة عند اليونان للدكتور أميرة مطر . ص ٤٧٠ ؛ خريف الفكر اليوناني للدكتور عبد الرحمن بدوي . ص ٣٧ .

(٢) ق . ر . ص . ط . هـ : ولوتسوس ؛ م : ولوقسوس . وهناك : لوقيس : ذكره ابن القفطي (تاريخ الحكماء . ص ٢٦٨) وقال إنه من شراح أرسطو . وقد يكون المقصود : لوقيوس Leukippos استاذ ديمقريطس . انظر عنه : تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم . ص ٣٨ ؛ الفلسفة عند اليونان للدكتور أميرة مطر . ص ١٠٩ ؛ فجر الفلسفة اليونانية للدكتور الأهواني . ص ٢٠٧ - ٢١٦ .

(٣) ص . ط . ق : وبشعائيس ؛ ر : وبشعائيس ؛ م : ولسقائيس ؛ هـ : وكسفايس . ولم أعرف من هو المقصود .

(٤) س : وأنبذقليس (وكذا رسمها في (هـ) ولكن بدون نقط) . وهو : أنبذقليس = أنبذوقليس = Empedokles القائل بالعناصر الأربعة وبالجملة والكراهية بين هذه العناصر وفي الكون كله . وقد عرف حوالي عام ٤٤٤ ق . م . انظر عنه : الملل والنحل ٧٢/٢ - ٧٨ ؛ طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٩/١ - ٦٠ (وسماه : بنبذقليس) ؛ تاريخ الحكماء لابن القفطي . ص ١٥ - ١٦ (وسماه : أنبذقليس) ؛ تاريخ ابن العبري . ص ٣٠ - ٣١ (وسماه : امبذقليس) ؛ فجر الفلسفة للأهواني . ص ١٦١ - ١٩٠ ؛ تاريخ الفلسفة لكرم . ص ٣٥ - ٣٧ ؛ الفلسفة عند اليونان ، ص ٩٧ - ١٠٣ ؛ ربيع الفكر اليوناني . ص ١٤٤ - ١٥٠ ؛ نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان ، ص ١٣٦ - ١٥٨ .

بسكون ، لأنه علة ، قالوا : وشايعه^(١) على هذا القول فيثاغورس^(٢)
ومن بعده إلى زمن أفلاطون^(٣)
وقال زينون^(٤) وديمقراط^(٥) وساغوريون^(٦) : إن الباري

(١) س . هـ : وتابعه .

(٢) ر . ص : افلساغورس ؛ س . ط . هـ : أفكساغورس . وهو : فيثاغورس =

Pythagoras . فيلسوف ورياضي شهير . عرف حوالى منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

قال إن العالم أشبه بعالم الأعداد منه بعالم الماء أو النار أو التراب وقال إن الموجودات أعداد وأن العالم عدد ونعم وقال بالتناسخ . انظر عنه : الملل والنحل ٧٨/٢ - ٨٩ ؛ تاريخ الحكماء . ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ طبقات الأطباء ٦٠/١ - ٦٨ ؛ تاريخ ابن العبري . ص ٥٠ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية لكرم . ص ٢٠ - ٢٦ ؛ فجر الفلسفة اليونانية . ص ٧٠ - ٩٢ ؛ نشأة الفكر الفلسفي ، ص ٣٨ - ٦٠ ؛ ربيع الفكر اليوناني . ص ١٠٦ - ١١٦ ؛ الفلسفة عند

اليونان . ص ٦٩ - ٨٢ . Greek philosophy, pp. 36-40.

(٣) أفلاطون : كذا في (م) . وفي سائر النسخ : أفلاطن . وأفلاطون Plato هو الفيلسوف

اليوناني الشهير . ولد سنة ٤٢٨ ق . م . وتوفي سنة ٣٤٨ ق . م . انظر عنه وعن آرائه : الملل والنحل ٩٤/٢ - ١٠١ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٧ - ٢٧ ؛ طبقات الأطباء ٧٨/١ - ٨٤ ؛ أفلاطون للدكتور عبد الرحمن بدوي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٥٤ ؛ الفلسفة عند اليونان .

ص ١٦٥ - ٢٤٣ . Greek philosophy, pp. 58-255; A.E. Taylor: Plato, London, 1963.

(٤) زينون Zeno الايلي . عرف بين عامي ٤٦٤ . ٤٦٠ ق . م . وهو صاحب حجج جدلية

معروفة . انظر عنه وعن آرائه : الملل والنحل ١٠٤/٢ - ١٠٧ ؛ فجر الفلسفة اليونانية ، ص ١٤٥ - ١٥٤ ؛ نشأة الفكر الفلسفي . ص ٧٢ - ٨٦ ؛ ربيع الفكر اليوناني . ص ١٢٥ - ١٣٤ ؛

الفلسفة عند اليونان . ص ٩٣ - ٩٦ . Greek philosophy, pp. 47-49.

وهناك فيلسوف آخر يعرف بزينون وهو زينون الرواق .

(٥) ديمقراط = ديمقريطس = Demokritos عرف واشتهر عام ٤٢٠ ق . م . وهو أهم

شخصيات المدرسة الذرية . ومذهبا - كما ذكر المسلمون فيما بعد - هو مذهب القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ أو بالجواهر الفرد . انظر عنه وعن مذهبه : أخبار الحكماء . ص ١٨٢ (ويسميه : ذومقراطيس) ؛ الملل والنحل ١٠٧/١ - ١٠٨ . ١٢٠ - ١٢٢ ؛ طبقات الأطباء والحكماء لابن جليل . ص ٣٣ . تحقيق الأستاذ فؤاد سيد ، ط . المعهد الفرنسي ، القاهرة ، ١٩٥٥ ؛ فجر الفلسفة اليونانية . ص ٢١٧ - ٢٢٨ ؛ الفلسفة عند اليونان . ص ١١٠ - ١١٣ ؛ نشأة الفكر الفلسفي .

ص ١٧٥ - ١٧٩ ؛ ربيع الفكر اليوناني . ص ١٥١ - ١٥٦ ؛ برتراندرسل : تاريخ الفلسفة الغربية =

متحرك في الحقيقة ، وإن حركته فوق الذهن ، فليست زوالاً ^(١)

قالوا : وقال تاليس - وهو أحد أساطين الحكمة - : إن صفة
البارى لا تدركها العقول إلا من جهة آثاره ، فأما من جهة هُويته ^(٢) : فغير
مُدْرَكٍ له صفةً من نحو ذاته ، بل من نحو ذاتنا ، وكان ^(٣) يقول : أبدع
الله العالم لا الحاجة ^(٤) إليه ، بل لفضله ، ولولا ظهور أفاعيل ^(٥) الفضيلة لم
يكن ههنا وجود ^(٦) ، وكان يقول : إن فوق السماء عوالم مُبدّعة أبدعها
من لا تدرك العقول كُنْهه .

وقال فيثاغورس نحو قول تاليس : لا يدرك من جهة النفس ، هو
فوق الصفات العلوية ^(٧) الروحانية ، غير مدرك بجوهريته ^(٨) ، بل من قبل
آثاره في كل عالم ، فيوصف وينعت بقدر ^(٩) ظهور تلك الآثار في ذلك
العالم ، وهو الواحد الذي إذا رامت العقول إدراك معرفته عرفت أن
ذواتها مُبدّعة مسبوقة مخلوقة .

١١٤/١ . ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود . ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، تاريخ
الفلسفة اليونانية . ص ٣٨ - ٤١ . Greek philosophy, pp. 54-56.

(٦) هـ : وساغورن . ولم أعرف من هو .

(١) م . ق : زولا . وهو تحريف .

(٢) هـ : هوية .

(٣) م : كان .

(٤) س : ليس بحاجة ، هـ : ليس الحاجة .

(٥) أفاعيل : ليست في (س) .

(٦) س : جود .

(٧) س : المعلومة .

(٨) بجوهريته : كذا في (س) . وفي (م) ، (ق) ، (ص) ، (ط) ، (هـ) : من نحو

هويته ، ر : منه نحو هويته .

(٩) ر : بغير .

قالوا : وقال انكسيانس^(١) نحو مقالة هذين ، غير أنه يُجَوِّز لقائل أن يقول : إن الباري يتحرك بحركة فوق هذه الحركات .

كلام ابن ملكا في قلت : وكذلك أبو البركات في «المعتبر» حكى المقاتلين عن غيره ، بل / عن القائلين بقديم العالم ، فقال^(٢) : «قال القائلون بالحدوث للقدميين : فإذا كان الله لم يزل جوادا خالقا^(٣) قديما في الأزل ، فالحوادث في العالم كيف وجدت ؟ أعن القديم أم عن غيره ؟ فإن قلت : هو خالقها ، وعنه صدر وجودها ، فقد قلت بأن القديم خلق المحدث ، وأراد خلقه بعد أن لم يرد ، وإن قلت : إن غيره فعل الحوادث^(٤) ، فقد أشركتم بعد ما بالغتم في التوحيد لواجب الوجود بذاته » .

قال^(٥) : « فقال القدميون : بل الخالق الأول^(٦) الواحد القديم هو خالق^(٧) المخلوقات بأسرها [من]^(٨) قديم وحديث ، وحده لا شريك له

(١) س . هـ : انكسيانس ، م ، ق : ابلسايس . وفي (ر) . (ط) . (ص) : الكلمة غير منقوطة . وانكسيانس Anaximenes من فلاسفة المدرسة الملطية قال إن الهواء أصل العالم . انظر عنه وعن مذهبه : الملل والنحل ٧٠/٢ - ٧٢ ، تاريخ الفلسفة اليونانية . ص ١٦ - ١٧ ، فجر الفلسفة اليونانية . ص ٦٥ - ٦٩ ، ربيع الفكر اليوناني . ص ١٠١ - ١٠٣ ، نشأة الفكر الفلسفي ص ٣٠ - ٣٥ ، الفلسفة عند اليونان . ص ٥٣ - ٥٤ ، Greek philosophy, pp.33-35.

(٢) س : وقال . وكلامه في كتاب «المعتبر في الحكمة» ٤٤/٣ - ٤٥ . ط . حيدرآباد . ١٣٥٨ .

(٣) ر د ص . ط : وخالقا . والمثبت هو الذي في «المعتبر» ٤٤/٣ . وفي (هـ) : خالقا وجواداً .

(٤)المعتبر : خلق الحوادث .

(٥) بعد الكلام السابق مباشرة ٤٥/٣ .

(٦) الأول : كذا في (س) والمعتبر . وفي سائر النسخ : الأزلي .

(٧) س : الخالق .

(٨) من : زيادة في (س) . (هـ) . وهي في «المعتبر» .

في وجوده^(١) وخلقه وملكه وأمره ، وتشعب رأيهم في ذلك إلى مذهبين :
 فمنهم من قال : إنه خلق الأشياء القديمة دائمة الوجود بدوام وجوده
 والحوادث^(٢) شيئاً بعد شيء ، أراد فخلق ، وخلق فأراد ، أوجب^(٣)
 خلقه إرادته^(٤) ، وأوجب إرادته خلقه . مثال ذلك : أنه أراد خلق آدم
 الذي هو الأب فخلقه وأوجده ، وأراد بوجود الأب وجود الابن^(٥) ،
 أراد فجاء ، وجاد فأراد ، إرادة بعد إرادة لموجود بعد موجود^(٦) ، فإذا
 قلتم : لم أوجد ؟ قيل : لأنه أراد فجاء ، ولم أراد ؟ قيل : لأنه أوجد ،
 فوجود^(٧) الحوادث يقتضى بعضها بعضاً^(٨) من جودة السابق واللاحق .
 فإن قالوا : كيف تحدث له الإرادة ؟ وكيف يكون^(٩) له حال منتظرة
 تكون بعد أن لم تكن ؟ وكيف يكون محل الحوادث ؟ قيل : وكيف
 يكون محلاً لغير الحوادث ؟ أعنى الإرادة القديمة^(١٠) .

-
- (١) وجوده : كذا في نسخة الأصل في الاعتبار . وفي (س) . (هـ) ونسخة أخرى من الاعتبار :
 وجوده .
 (٢) بعد كلمة « والحوادث » لم يصور مصور نسخة (س) الصفحات التالية حتى ص ١٧١ عند
 عبارة : من مشيئة الله وإرادته .
 (٣) الاعتبار : فأوجب .
 (٤) هـ : أراد فخلق وخلق فأوجب خلقه إرادته .
 (٥) ر . ط . ص : وأقضى وجود الأب بوجوده وجود الابن . الاعتبار : واقتضى وجود الأب من
 وجوده وجود الابن ؛ هـ : واقتضى وجود الأب بوجوده وجود الابن .
 (٦) ق . ص . ط : بعده موجود .
 (٧) فوجود : كذا في (ر) والمعتبر . وفي (م) . (س) : ووجود . ط . ص . ق :
 موجود .

- (٨) الاعتبار : بعضها بعضاً .
 (٩) من وجوده : كذا في (ر) . (ط) . (ص) . الاعتبار . وفي (م) ، (ق) : من وجوده .
 (١٠) الاعتبار : تكون .
 (١١) الإرادة : كذا في (هـ) . الاعتبار . وفي سائر النسخ : للإرادة .

فإن قيل : لأنها له منه^(١) . قيل : والإرادات له منه^(٢) .
فإن قيل : الإرادة^(٣) القديمة له في قدمه . قيل : والحديثه^(٤) له
في قدمه ؛ لأن السابق من وجوده^(٥) بالإرادة السابقة أوجب عنده^(٦)
إرادة لاحقة ، فأحدث خلقاً بعد خلق بإرادة بعد إرادة وجبت في
حكيمته من خلقه بعد خلقه ، فاللاحق من إرادته وجب عن سابق إرادته
بتوسط مراداته ، [وهكذا] هلم جرا^(٨) .

قال^(٩) : « والتتريه عن الإرادة الحادثة^(١٠) كالتتريه عن الإرادة
القديمة ، في كونه / محلاً [لها]^(١١) ، لكنه لا وَجْهَ لهذا التتريه ، كما
سنتكلم عليه في فصل العلم ، إذا قلنا في علمه : لم يعلم^(١٢) ؟ وكيف
يعلم » ؟

قال^(١٣) : « فهذا أحد المذهبين » [قال] :^(١٤) ، « وأما المذهب

-
- (١) ص : لا نهاية له منه .
 - (٢) المعتبر : والإرادات الحادثة له منه .
 - (٣) المعتبر : إن الإرادة .
 - (٤) والحديثه : كذا في (هـ) ، المعتبر . وفي سائر النسخ : والحديث .
 - (٥) المعتبر : من وجوده .
 - (٦) ص ، ط ، ر : عند ؛ م ، ق : عنه . والمثبت عن (هـ) ، والمعتبر .
 - (٧) ط : فإن حدث .
 - (٨) م . ق : وهلم جرا .
 - (٩) بعد الكلام السابق مباشرة ، المعتبر ، ٤٥/٣ .
 - (١٠) ص ، ط ، ر : الخالقة .
 - (١١) لها : ساقطة من (م) . (ق) .
 - (١٢) المعتبر : بما يعلم .
 - (١٣) بعد الكلام السابق مباشرة . المعتبر ٤٥/٣ .
 - (١٤) قال : ساقطة من (م) . (ق) والكلام التالي بعد للكلام السابق مباشرة .

الآخر^(١) : فإن أهله يقولون [إن كل حادث] يتجدد^(٢) بعد علمه ، فله سبب يوجب حدوثه ، وذلك السبب حادث أيضا ، حتى ترتق أسباب الحوادث^(٣) إلى الحركة الدائمة في المتحركات الدائمة » وساق تمام قول هؤلاء ، وهو قول أرسطو وأتباعه^(٤) .

وقد نقل غير واحد أن أول من قال بقدم العالم من الفلاسفة هو أرسطو ، وأما أساطين الفلاسفة قبله فلم يكونوا يقولون بقدم صورة الفلك ، وإن كان لهم في المادة أقوال آخر ، وقد بسط الكلام على هذا الأصل في مسألة العلم وغيره لما ردّ على من زعم أنه لا يعلم الجزئيات ، حذرا من التغير والتكثر في ذاته ، وذكر حجة أرسطو وابن سينا ونقّضها^(٥) .

وقال^(٦) : « فأما القول بإيجاب الغيرية^(٧) فيه بإدراك الأغيار والكثرة بكثرة المدركات ، فجوابه المحقق : أنه لا يتكرر بذلك تكثرا في ذاته ، بل في إضافاته^(٨) ومناسباته ، وتلك مما لا يعيد^(٩) الكثرة على هويته

(١) فوق كلمة « الآخر » توجد إشارة إلى الهامش في نسخة (هـ) حيث كتب ما يلي : « مذهب أرسطو وأتباعه وهو أول قائل بقدم العالم ، وأساطين الفلاسفة قبله لم يقولوا بقدم صورة الفلك ، وإن كان لهم في المادة أقوال آخر » .

(٢) م . ق : فإن أهله يقولون بتجدده .

(٣) هـ : أسباب الحدوث .

(٤) انظر المعتبر ٤٥/٣ - ٤٨ .

(٥) انظر المعتبر ٦٩/٣ - ٧٦ .

(٦) المعتبر ٧٦/٣ - ٧٧ .

(٧) ص . ط . ر : الغرية . وهو تحريف .

(٨) إضافاته : كذا في المعتبر . هـ . وفي سائر النسخ : إضافته .

(٩) المعتبر : تعيد .

وذاته ، ولا الوحدة التي أوجبت وجوب^(١) وجوده بذاته ومبدئيته الأولى التي بها عرفناه ، وبحسبها أوجبنا له ما أوجبنا ، وسلبنا عنه ما سلبنا ، هي وحدة مدركاته ونسبه وإضافاته ، بل إنما هي وحدة حقيقته وذاته وهويته .

قال^(٢) : « ولا تعتقدن^(٣) أن الوحدة المقولة في صفات واجب الوجود بذاته قيلت على طريق التنزيه ، بل لزم بالبرهان عن مبدئيته الأولى^(٤) ووجوب وجوده بذاته ، والذي لزم عن ذلك لم يلزم إلا في حقيقته وذاته ، لا في مدركاته وإضافاته^(٥) . فإما أن يتغير^(٦) بإدراك المتغيرات فذلك أمر إضافي « لا معنى في نفس الذات ، وذلك مما لم تبطله الحجة^(٧) ، ولم يمنع البرهان ، ونفيه من طريق التنزيه والإجلال لا وجبة له ، بل التنزيه من هذا التنزيه والإجلال من هذا الإجلال أولى .

/ وتكلم على قول أرسطو ، إذ قال^(٨) : من المحال أن يكون كماله بعقل غيره ، إذ^(٩) كان جوهرًا في الغاية من الإلهية^(١٠) والكرامة والعقل

٩١/٢

(١) المعتبر : أوجبت له في وجوب . وفي (هـ) سقطت كلمة : وجوب .

(٢) بعد الكلام السابق مباشرة . المعتبر ٧٧/٣ .

(٣) ولا تعتقدن : كذا في (هـ) ، المعتبر . وفي سائر النسخ : ولا تعتقد .

(٤) المعتبر : عن مبدئية الأول .

(٥) ط ، ص . ر . هـ : ومضافاته ، وأشار محقق المعتبر إلى أن الكلمة وردت هكذا في نسخة أخرى غير نسخة الأصل .

(٦) م ، ق : فإما أن تتغير ، المعتبر : فإما أنه يتغير .

(٧) المعتبر : وذلك مما لم يبطل بحجة ولم يمنع ببرهان .

(٨) م (فقط) : فقال . والكلام التالي هو تلخيص لكلام أرسطو . وانظر المعتبر ٧٤/٣ .

(٩) م (فقط) : وإذا .

(١٠) ق ، ص ، ر ، ط : من الآلهة . وفي (هـ) : الاله (وكأنها : الإلهة) .

فلا يتغير ، والتغير فيه انتقال إلى الأنقص ، وهذا هو حركة ما . فيكون هذا العقل ليس عقلا بالفعل ، لكن بالقوة ، فقال أبو البركات ^(١) : « ما قيل في منع التغير مطلقا ^(٢) حتى يمنع ^(٣) التغير في المعارف والعلوم : فهو غير لازم في التغير مطلقا ، بل هو غير لازم ألَبَتَة ، وإن لزم كان لزومه في بعض تغيرات الأجسام ، مثل الحرارة والبرودة ، وفي بعض الأوقات ، لا في كل حال ووقت ، [ولا] يلزم ^(٤) مثل ذلك في النفوس التي تخصها المعرفة والعلم دون الأجسام ، فإنه يقول : إن كل تغير وانفعال فإنه يلزم أن يتحرك قبل ذلك التغير ^(٥) حركة مكانية ^(٦) . »

قال : ^(٧) « وهذا محال ، فإن النفوس تتجدد لها المعارف والعلوم من غير أن تتحرك على المكان ^(٨) ، على رأيه ، فإنه لا يعتقد فيها أنها مما يكون ^(٩) في مكان ألَبَتَة ، فكيف أن تتحرك فيه ؟ وإنما ذلك للأجسام في بعض التغيرات والأحوال ، كالتسخن والتبرد ، ولا يلزم فيها أبدا ^(١٠) ، ^(١١) »

(١) المعتبر ٧٧/٣ - ٧٨ .

(٢) المعتبر : فأما الذي قد قاله قبل هذا في منع التغير مطلقا .

(٣) هـ : حتى يمنع .

(٤) م (فقط) : ويلزم . وما أثبتته هو الذي في « المعتبر » وفي سائر النسخ

(٥) المعتبر : أن يتحرك قبله ذلك المتغير .

(٦) ط : مباينة .

(٧) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٨) المعتبر : في المكان .

(٩) المعتبر : تكون .

(١٠) م (فقط) : فيها .

(١١) بعد « أبدا » يوجد كلام في « المعتبر » سقط من جميع النسخ وهو : « فإن الحجر الكبير يسخن

ولا يصعد ويبرد ولا يهبط بل ولا يتحرك من مكانه » .

وإنما ذلك فيما يصعد^(١) بالبخر من الماء ويتدخن من الأرض من الأجزاء التي هي كالهباء دون غيرها من الأحجار الكبار الصلبة التي تحمي حتى تصير بحيث تحرق وهي في مكانها لا تتحرك، والماء يسخن سخونة^(٢) كثيرة وهو في مكانه لا يتبخر [وإنما يتبخر]^(٣) منه بعض الأجزاء^(٤)، ثم تكون الحركة المكانية بعد الاستحالة، لا قبلها، كما قال: إن جميع هذه هي حركات توجد بأخرة^(٥) بعد الحركة المكانية، وفيما عدا ذلك فقد يسود الجسم ويبيض هو في مكانه لم يتحرك ولا يتحرك قبل الاستحالة ولا بعدها، فما لزم هذا في كل جسم، بل في بعض الأجسام، ولا في كل حال ووقت، بل في بعض الأحوال والأوقات، ولا كان ذلك على طريق التقدم كما قال، بل على طريق التبع، ولو لزم في التغيرات الجسمانية لما لزم في التغيرات النفسانية، ولو لزم في التغيرات النفسانية أيضا لما لزم انتقال الحكم فيه إلى التغيرات في المعارف والعلوم والعزائم والإرادات، فالحكم الجزئي لا يلزم كلياً، ولا يتعدى من البعض إلى البعض، وإلا لكانت الأشياء على حالة واحدة^(٦) .

٩٢/٢ / وبسط الكلام في مسألة العلم، وقال^(٧) - لما ذكر القولين

(١) يصعد: كذا في (د) والمعتبر، وفي سائر النسخ: يتصعد.

(٢) المعتبر ٧٨/٣: بسخونة.

(٣) وإنما يتبخر: ساقطة من (م) . (ق) .

(٤) ط: لا يتجزأ وإنما يتجزأ منه بعض الأجزاء.

(٥) المعتبر: بأخرة.

(٦) المعتبر: وإلا لكانت الأشياء كلها على حال واحدة.

(٧) النص التالي قبل النصوص السابقة وقد ذكره في الفصل التاسع من الجزء الثالث وعنوانه: في

تمام النظر في الحدود والقدم. وهذا النص في ٤٧/٣.

المتقدمين : « والقائلون بالحدوث قالوا : إنه لا يحتاج^(١) إلى هذا التحمل^(٢) ، وسموه على طريق^(٣) المجادلة باسم التحمل للتشجيع والتسفيه ، بل نقول : بأن المبدىء المعيد خلق العالم وأحدثه بإرادة قديمة أزلية أراد بها في القدم إحداث العالم حتى أحدثه » .

وقال^(٤) : « وقيل^(٥) في جوابهم : إن ذلك المبدأ لا يتغير . ويتخصص^(٦) في القدم إلا بمقول يجعله مقصوداً في العلم القديم عند الإرادة القديمة ، حيث أرادته في مدة العدم^(٧) السابق لحدوث^(٨) العالم التي هي مدة غير متناهية البداية ، وما لا يُعقل ولا يتصور لا يُعلم ، وما لا يمكن أن يُعلم لا يعلمه عالم ، لا لأن الله لا يقدر على علمه ، لكن لأنه في نفسه غير مقدور عليه ، ثم ما الذى يقولونه في حوادث العالم : من^(٩) مشيئة الله وإرادته التي بها يقبل الدعاء من الداعى ، ويُحسن إلى المحسن ، ويسئ إلى المسيئ ، ويقبل توبة التائب ، ويغفر للمستغفر ، هل يكون ذلك عنه أولاً يكون ؟ فإن قالوا بأنه^(١٠) لا يكون أبطلوا بذلك^(١١) »

(١) المعتبر : قالوا إنا لا نحتاج .

(٢) ط : التحمل ، ص : المحتمل ، هـ : التحميل .

(٣) ص : طريقة .

(٤) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٥) المعتبر : وقد قيل .

(٦) المعتبر : لا يتعين ولا يتخصص .

(٧) ط ، هـ ، المعتبر : القدم . وفي نسخة أخرى من المعتبر : العدم .

(٨) المعتبر : يحدث .

(٩) من مشيئة ... الخ : هنا تبدأ المقابلة مرة أخرى مع نسخة (س) .

(١٠) م : أنه .

(١١) بذلك : كذا في (هـ) ، وفي سائر النسخ : ذلك .

الشرع الذى قَصَدُهم نُصَرَّتُهُ ، وأبطلوا حكم أوامره ونواهيه ، وكلَّ ما جاء لأجله من الحث على الطاعة ، والنهى عن المعصية ، وإن قالوا : يكون ذلك بأسره [عنه ^(١)] فهل هو بإرادة أم بغير إرادة ؟ وكونه بغير إرادة أشنع ، وإن كان بإرادة ^(٢) فهل هى إرادة ^(٣) قديمة أم ^(٤) محدثة ؟ فإن كانت قديمة فالإرادات القديمة غير واحدة ، وما أظنهم يقولون : إن المرادات الكثيرة ^(٥) صَدَرَتْ عن إرادة واحدة .

قال : « وإن قالوا : إن ذلك يصدر عنه بإرادات حادثة ، فقد قالوا بما هربوا منه أولاً . »

تعليق ابن تيمية قلت : فأبو البركات لاستبعاد عقله أن تُصَدَّرَ المرادات الكثيرة ^(٦) عن إرادة واحدة ظن أن هؤلاء لا يقولون به ، وهم يقولون به ، فإن هذا قول ابن كلاب ^(٧) والأشعرى ، ومن وافقهما من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف ، يقولون : إنه يعلم المعلومات كلها بعلم واحد بالعين ، ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة بالعين ، وإن كلامه الذى تكلم به ^(٨) من الأمر بكل مأمور والخبر عن كل مخبر عنه / هو أيضاً واحد بالعين ^(٩) ، ثم تنازع القائلون بهذا الأصل : هل كلامه معنى فقط والقرآن

٩٣/٢

(١) عنه : ساقطة من (م) . (ق) .

(٢) م : بإرادته .

(٣) س : إرادات ؛ هـ : بإرادات .

(٤) أم : كذا فى (س) والمعتبر . وفى سائر النسخ : أو .

(٥) الكثيرة : كذا فى (س) والمعتبر . وفى سائر النسخ : المتكثرة .

(٦) ابن كلاب : كذا فى (س) ، (هـ) ، وفى سائر النسخ : ابن الحاجب .

(٧) س : يتكلم به .

(٨) م (فقط) : للعين .

العربي ليس هو كلامه ، أو كلامه الحروف أو الحروف والأصوات التي نزل بها القرآن وغيره ، وهي قديمة العين ؟ على قولين .

ومن القائلين بقديم أعيان الحروف والأصوات مَنْ لا يقولُ هي واحدة ، بل يقول : هي متعدّدة ، وإن كانت لا نهاية لها ، ويقول بثبوت حروف ، أو حروف ومعان لا نهاية لها في آن واحد ، وأنها لم تزل ولا تزال ، وهذا مما أوجب قول القائلين بأن كلام الله مخلوق ، وأنه ليس له كلام قائم بذاته ، لما رأوا أن ^(١) ما ليس بمخلوق فهو قديم العين ، والثاني ممتنع عندهم ، فتعين الأول .

وأولئك الصنفان قالوا : والأول ممتنع ، فتعين الثاني ، وهؤلاء إنما قالوا هذه الأقوال لظنهم أنه يمتنع أن تقوم به الأمور الاختيارية : لا كلام باختياره ^(٢) ، ولا غير كلام ، كما قد بيّن في موضعه .

وهذا [الاصل وهو] ^(٣) القول بقيام الحوادث [به] ^(٤) هو قول هشام بن الحكم وهشام الجواليقي وابن مالك الحَضْرَمِي وعلي بن ميثم ^(٥)

(١) ص . ر . ط . هـ : أنه .

(٢) م (فقط) : لا كلام له باختياره .

(٣) الأصل وهو : ساقطة من (م) . (ق) .

(٤) به : ساقطة من (م) . (ق) . (س) .

(٥) م ، ق : علي بن سهم ؛ ط . ص ، ر : علي بن مسهم ؛ س : علي بن ميثم . والكلمة في (هـ) غير منقوطة . ولعل الصواب ما أثبتته . قال ابن حجر في ترجمته في لسان الميزان ٢٦٥/٤ - ٢٦٦ : « علي بن ميثم العوفي أحد الرافضة . حكى عنه النظام قال : كنا نكلمه فيذكر ما يذهب إليه فنقول : أراى أو سماع ؟ فينكر أن يكون يقول شيئا من رأيه . فنخبره فيقول : هذا هو بخلاف ذلك فيما مضى ، فأرأينا خجل من ذلك قط . حكاه ابن حزم في الملل والنحل . قلت : وهو مشهور من أهل البصرة ، وكانت بينه وبين أبي الهذيل مناظرة في الفدية . ذكرها أبو القاسم التيمي في كتاب « الحجة » . . . الخ » .

وأتباعهم^(١). وطوائف من متقدمي أهل الكلام والفقه، كأبي معاذ التومني وزهير الأثرى، وداود الأصبهاني وغيرهم كما ذكره الأشعري عنهم في المقالات، وقال^(٢) «وكل القائلين بأن^(٣) القرآن ليس بمخلوق - كنعو عبد الله بن سعيد بن كلاب^(٤)، ومن قال: إنه محدث، كنعو زهير الأثرى - يعني وداود الأصبهاني - ومن^(٥) قال: إنه حدث^(٦)، كنعو أبي معاذ التومني - يقولون: إن القرآن ليس بجسم ولا عرض».

وأما أقوال أئمة الفقه^(٧) والحديث والتصوف والتفسير وغيرهم من علماء المسلمين [وكذلك كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان]^(٨) فكلام الرازي يدل على أنه لم يكن مطلعاً^(٩) على ذلك.

/ والمقصود هنا أن نبين غاية حجة النفاة، فإنه بعد أن ذكر الخلاف قال^(١٠): «والمعتمد أن نقول: كل ماصح قيامه بالباري تعالى: فيما أن يكون صفة كمال، أو لا يكون، فإن كان صفة كمال استحال أن يكون

٩٤/٢

كلام آثر للرازي

(١) س: وأتباعها.

(٢) مقالات الإسلاميين ٢٣٤/٢ - ٢٣٥.

(٣) المقالات: إن.

(٤) المقالات: عبد الله بن كلاب.

(٥) المقالات: كنعو زهير ومن..

(٦) م. ق: حادث.

(٧) س: الفقهاء.

(٨) العبارة التي بين المعقوفين جاءت في (س) في هذا الموضع. وفي سائر النسخ بعد عبارة:

مطلعا على ذلك.

(٩) م (فقط): مطلقا. وهو خطأ.

(١٠) لم يبين ابن تيمية المرجع الذي ذكر فيه الرازي الكلام التالي والمعاني المتضمنة في هذه العبارات

ملخصة في: الأربعين - ص ١٢٠، المسائل الخمسون في أصول الكلام للرازي ص ٣٥٩. ضمن

مجموعة الرسائل «مطبوعة كردستان العلمية - القاهرة. ١٣٢٨.

حادثاً ، وإلا كانت ذاته قبل اتصافه بتلك الصفة خالية عن صفة الكمال ، والخالي عن الكمال الذي هو ممكن الاتصاف به ناقص ، والنقص على الله محال بإجماع الأمة ، وإن لم يكن صفة كمال استحالة اتصاف الباري بها ، لأن إجماع الأمة على ^(١) أن صفات الله ^(٢) بأسرها صفات ^(٣) كمال ، فإثبات صفة لامن صفات الكمال خرق للإجماع ، وإنه غير جائز .

قال : « وهذا ما نعول عليه ، وإنه مركب من السمع والعقل » .
قال : « والذي عول عليه أصحابنا أنه لو صح اتصافه بالحوادث لوجب اتصافه بالحوادث أو بأضدادها في الأزل ، وذلك يوجب اتصافه بالحوادث في الأزل ، وإنه محال » .
وقال : « وهذه الدلالة مبنية على أن القابل للضدين يستحيل خلوه عنهما ، وقد عرفت فساد » .

قال : « ومن أصحابنا من أورد هذه الدلالة على وجه لا يحتاج في تقريرها إلى البناء على ذلك الأصل ، وهو أنه لو كان قابلاً للحوادث لكان قابلاً لها في الأزل ، وكون الشيء قابلاً للشيء فرع عن ^(٤) إمكان وجود المقبول ، فيلزم صحة حدوث الحوادث في الأزل ، وهو محال » .
قال : « إلا أن ذلك معارض ^(٥) بأن الله قادر في الأزل ، ولا يلزم من أزلية قدريته صحة أزلية المقدور ، فكذلك ههنا » .

(١) ط : لأن الإجماع على ..

(٢) س : الباري .

(٣) ط . ص . ر . هـ : صفة .

(٤) س . ص . ط . ر . هـ : على .

(٥) ص . ط . ر : عارض .

قال : « ومنهم من قال : لو كانت الحوادث قائمة به لتغير ، وهو محال » .

قال : « وهذا ضعيف ، لأنه إن فُسِّرَ التغير بقيام الحوادث به اتحد اللازم والملزوم ، وإن فسر بغيره امتنع إثبات الشرطية » .

قال : « وأما المعتزلة فجعلهم تمسكوا بأن المفهوم من قيام الصفة بالموصوف / حصولها في الحيز ثبعا لحصول ذلك الموصوف فيه ، والبارى ٩٥/٢ تعالى ليس في الجهة ، فامتنع قيام الصفة به » .

قال : « وقد عرفت ضعف هذه الطريقة » .

قال : « ومشايخهم استدلوا بأن الجوهر إنما يصح قيام المعاني الحادثة به لكونه متحيزا ، بدليل أن العَرَض لما لم يكن متحيزا لم يصح قيام هذه المعاني به » .

قال : « وإنه باطل ؛ لاحتمال أن يقال : إن الجوهر إنما صح (١) قيام الحوادث به لا لكونه متحيزا ، بل لأمر آخر مشترك بينه وبين الباري تعالى ، وغير مشترك بينه وبين العرض . سَلَّمْنَا ذلك ، إلا أنه من المحتمل أن يكون الجوهر يقبل الحوادث لكونه متحيزا ، والله تعالى يقبلها لوصف آخر ؛ لصحة تعليل الأحكام المتساوية بالعلل المختلفة » .

قال : « واستدلوا أيضاً بأنه لو صح قيام حادث به لصح قيام كل حادث به » .

قال : « وهذه دعوى لا يمكن إقامة البرهان عليها » .

قال : « فهذه عيون ما تمسكت به الناس^(١) في هذه المسألة » .

تعلق ابن تيمية **قلت** : أبو عبد الله الرازي من أعظم الناس منازعة للكرامية ، حتى يذكر بينه وبينهم أنواع من ذلك ، وميله إلى المعتزلة والمتفلسفة أكثر من ميله إليهم ، واختلف كلامه في تكفيرهم ، وإن كان هو قد استقر أمره على أنه لا يكفر أحدا من أهل القبلة ، لا لهم ولا للمعتزلة ولا لأمثالهم . وهذه المسألة من أشهر المسائل التي ينازعهم فيها ، ومع هذا قد^(٢) ذكر أن قولهم يلزم أكثر الطوائف ، وذكر أنه ليس لمخالفهم عليهم حجة صحيحة ، إلا الحجة التي احتج [هو]^(٣) بها ، وهي من أضعف الحجج ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى .

وأما الحجج التي يحتج بها الكلائية والمعتزلة فقد بين هو فسادها ، مع أنه قد استوعب حجج النفاة ، والذي ذكره هو مجموع ما يوجد في كتب الناس مفرقا . / ونحن نوضح ذلك :

٩٦/٢

فأما الحجة الأولى - وهي^(٤) : « أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، فلو جاز اتصافه بها لم يخل [منها وما لم يخل]^(٥) من الحوادث ؛ فهو حادث^(٦) » فهذه الحجة مبينة على مقدمتين ، وفي كل من المقدمتين نزاع معروف بين طوائف من^(٧) المسلمين :

(١) م ، ق : ما تمسك به أهل السنة .

(٢) م (فقط) : فقد .

(٣) هو : ساقطة من (م) . (ق) .

(٤) س ، ر ، ط ، ص ، ق : وهو .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة في (س) - (هـ) .

(٦) ط : فلو جاز اتصافه بها لم يخل من الحوادث وما لم يخل من الحوادث فهو حادث .

(٧) من : زيادة في (م) - (ق) .

أما الأولى - وهي أن القابل للشيء لا يخلو منه ومن ضده^(١) - فأكثر العقلاء على خلافها ، والتزاع فيها بين طوائف الفقهاء والنظار ، ومن الفقهاء من أتباع الأئمة الأربعة ، كأصحاب أحمد ومالك الشافعي وأبي حنيفة وغيرهم ، ومن^(٢) قال ذلك التزم أن يكون لكل جسم طعم ولون وريح وغير ذلك من أنواع الأعراض، ولا دليل لأصحابها عليها .

وأبو المعالي في كتابه المشهور الذي سماه « الإرشاد » ، إلى قواطع الأدلة « لم يذكر على ذلك حجة ، بل هذه المقدمة احتاج إليها في مسألة حدوث العالم لما أراد أن يبين أن الجسم لا يخلو من كل جنس من أجناس الأعراض عن عرض منه^(٣) ، فأحال على كلامه مع الكرامية ، ولما تكلم مع الكرامية في [هذه] المسألة أحال على كلامه في مسألة حدوث العالم مع الفلاسفة ، ولم يذكر دليلاً عقلياً ، لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء . وإنما احتج على الكرامية بتناقضهم .

ومضمون ما اعتمد عليه من قال : « إن القابل للشيء لا يخلو منه ومن ضده » أن الجسم لا يخلو عن الأكوان الأربعة : الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون ، فتُقاس بقية الأعراض عليها ، واحتجوا بأن القابل لها لا يخلو عنها وعن ضدها بعد الاتصاف ، كما سلمته الكرامية ، فكذاك قبل الاتصاف .

(١) م . ق : عنه وعن .

(٢) س : فيها بين طوائف النظار وبين الفقهاء من أتباع .

(٣) م : من .

(٤) م : والتزم .

(٥) منه : ساقطة من (س) .

(٦) هذه : زيادة في (س) - (هـ) .

فأجابهم مَنْ خالفهم - كالرازي وغيره - بأن الأولى قياسٌ مخض
بغير جامع ، فإذا قُدر أن الجسم يستلزم نوعاً من أنواع الأعراض ، فمن
أين يجب أن يستلزم بقية الأنواع ؟ وأيضاً فإن الذي يُسَلَّمونه لهم الحركة
والسكون ، والسكون : هل وجودٌ أو عدمٌ ؟^(١) فيه قولان معروفان ، وأما
الاجتماع والافتراق فهو مبني على / مسألة الجوهر الفرد ، ومن قال : ٩٧/٢
« إن الأجسام ليست مركبة من الجواهر الفردة »^(٢) - وهم أكثر
الطوائف - لم يقل بأن الجسم لا يخلو من الاجتماع والافتراق ، بل الجسم
البسيط عنده واحد ، سواء قَبِلَ الافتراق أو لم يقبله ، وكذلك إذا قُدر
أن فيه حقائق مختلفة متلازمة لم يلزم من ذلك أن يقبل الاجتماع
والافتراق .

وأما كونه لا يخلو عنهما^(٣) بعد الاتصاف فأجابوا عنه بمنع ذلك في
الأعراض^(٤) التي لا تقبل البقاء كالحركات^(٥) والأصوات ، وأما ما يقبل
البقاء فهو مبني على أن الباقي هل^(٦) يفتقر زواله إلى ضد أم لا ؟ فمن
قال : « إن الباقي لا يفتقر زواله إلى ضد » أمكنه أن يقول يجوز الخلو
عن الاتصاف بالحادث بعد قيامه بدون ضد يزيله ، ومن قال : « لا
يزول إلا بضد » قال : إن الحادث لا يزول إلا بضد حادث ، فإن
الحادث بعد الحدوث لا يخلو المحل منه ومن ضده ، بناءً على هذا

(١) م . ق : وجودي أو علمي .

(٢) س : المفردة .

(٣) س . ط . هـ : عنها .

(٤) ط . ر . ص . هـ : من الأعراض .

(٥) س : بقاء الحركات .

(٦) هل : ساقطة من (ط) .

الأصل ، فإن كان [هذا] ^(١) الأصل صحيحاً ثبت الفرق ، وإن كان باطلا منع الفرق ، وتناقضهم يدلُّ على فساد أحد قوليهما ^(٢).

ثم القائلون بموجب هذا الأصل طوائف ^(٣) كثيرون ، بل أكثر الناس على هذا ، فلا يلزم من تناقض الكرامية تناقض غيرهم .

وأما المقدمة الثانية - « وهى أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث » - فهذه قد نازع فيها طوائف من أهل الكلام والفلسفة والفقه والحديث والتصوف وغيرهم ، وقالوا : التسلسل الممتنع هو التسلسل فى العلل ، فأما التسلسل فى الآثار المتعاقبة والشروط المتعاقبة فلا دليل على بطلانه ، بل لا يمكن حدوث شىء من الحوادث ، لا العالم ولا شىء من أجزاء العالم ، إلا بناء ^(٤) على هذا الأصل ؛ فن لم يجوز ذلك لزمه حدوث الحوادث بلا سبب حادث ، وذلك يستلزم ترجيح أحد طرفى الممكن بلا مرجح ، كما قد بسط هذا فى مسألة حدوث العالم ، ويبيّن أنه لا بد من تسلسل الحوادث أو الترجيح بلا مرجح ، وأن القائلين بالحدوث بلا سبب حادث ^(٥) / يلزمهم الترجيح بلا مرجح ، [وأن القائلين بقدّم العالم يلزمهم الترجيح بلا مرجح] ^(٦) ويلزمهم حدوث الحوادث بلا محدث أصلا ، وهذا أفسد من حدوثها بلا سبب حادث .

٩٨/٢

(١) هذا : زيادة فى (س) .

(٢) س ، ط : قولهم .

(٣) طوائف : ساقطة من (ق) .

(٤) ق : بنى .

(٥) عبارة « بلا سبب حادث » ساقطة من (س) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (م) ، (ق) . وفى س : والقائلين .

والطوائف أيضا متنازعة^(١) في هذا الأصل ، وجمهور الفلاسفة وجمهور أهل الحديث لا يمنعون ذلك . وأما أهل الكلام : فلمعتزلة فيه قولان ، وللأشعرية فيه قولان .

وأما الحجة الثانية - وهي^(٢) أنه « لو كان قابلا لها لكان قابلا لها في الأزل ، وذلك فرع إمكان وجودها [ووجودها]^(٣) في الأزل [محال]^(٤) - فقد أجاب عنها بالمعارضة بأنه قادر على الحوادث ، ولا يلزم من كون القدرة أزلية أن يكون إمكان المقدور أزليا .

قلت^(٥) : ويمكن أن يجاب عنها بوجوه أخرى :

أحدها : أنه لا يسلم أنه إذا كان قابلا لحدوث الحادث أن يكون قابلا له في الأزل إلا إذا أمكن وجود ذلك في الأزل ، فإنه إذا قيل : « هو قابل لما يمتنع أن يكون أزليا » كان بمنزلة أن يقال : هو قادر على ما يمتنع أن يكون أزليا ؛ فمن اعتقد امتناع حدوث حادث في الأزل ، وقال مع ذلك بأنه قادر على الحوادث وقابل لها ؛ لم يلزمه القول بإمكان وجود المقدور المقبول في الأزل ،^(٦) لكن هذا المقام هو مقام الذين يقولون « يمتنع حدوث الحوادث بلا سبب حادث » والكلام في هذا مشترك بين كونه قادرا وقابلا ، فمن جَوَّز حدوث الحوادث بلا سبب حادث - كالكلائية وأمثالهم من المعتزلة والكرامية - كان كلامه في هذا

(١) س : متنازعون .

(٢) س ، ط ، ر ، ق ، ص ، هـ : وهو .

(٣) ووجودها : ساقطة من (م) ، (ق) .

(٤) محال : زيادة في (س) .

(٥) قلت : ساقطة من (س) .

(٦) س : لم يلزمه أن يكون وجود المقدور والمقبول في الأزل .

بمنزلة كلامه في هذا ، ومن قال : « إن حدوث الحوادث لابد له من سبب حادث » - كما يقوله من يقوله من أهل الكلام والفلسفة وأهل الحديث وغيرهم الذين يقولون : إنه تقوم به الأمور المتعلقة بقدرته ومشيتته ، ولم يزل كذلك ، أو يقولون بتعاقب ذلك في غيره ، كما يشترك في هذا الأصل من يقوله من المشامية والمعتزلة والمرجئة وأهل الحديث والسلفية والفلاسفة ومن وافق هؤلاء من أتباع الأشعرى^(١) وغيرهم - فقولهم في هذا كقولهم في هذا .

٩٩/٢ / الوجه الثاني : أن يلتزم قائل ذلك إمكان وجود المقبول في الأزل ، كما يلتزم من يلتزم إمكان وجود المقدور^(٢) في الأزل ، وقد عرف أن لطوائف المسلمين في هذا الأصل قولين معروفين ، فإن مالا يتناهى من الحوادث : هل يمكن وجوده في [الماضي] والمستقبل^(٣) أو في الماضي فقط أو فيها جميعاً ؟ على ثلاثة أقوال معروفة ، قال بكل قولٍ طوائفٌ من نظار المسلمين وغيرهم .

الوجه الثالث : أن يُجَابَ بجواب مركب ، فيقال : هو قابل لما هو قادر عليه ، فإن كان ثبوت جنسها في الأزل ممكناً كان قابلاً لذلك في الأزل وقادراً عليه في الأزل^(٤) ، وإن لم يكن ثبوت هذا الجنس ممكناً في الأزل كان قابلاً للممكن من ذلك ، كما هو قادر على الممكن من ذلك .

الوجه الرابع : أن يقال : كونه قابلاً أو ليس بقابل : هو نظر في

(١) س . ص : من الأشعرية .

(٢) س : المقدورات .

(٣) م . ق . . وجوده في المستقبل فقط .

(٤) عبارة « وقادراً عليه في الأزل » : ساقطة من (ق) . - (ص) .

محل هذه الأمور ، وليس نظراً في إمكان تسلسلها أو امتناع ذلك ، كما أن النظر في كونه يقبل الاتصاف بالصفات - كالعلم والقدرة - هو نظر في إمكان اتصافه بذلك . فأما وجوبُ تناهي ما مضى من الحوادث أو ما بقي ، وإمكان وجود جنس الحوادث في الأزل : فذلك لا اختصاص له بمحل دون محل ، فإن قُدِّرَ امتناعُ قيام ذلك به فلا فرق بين المتسلسل والمتناهي ، وإن قُدِّرَ إمكان ذلك كان بمثابة إمكان حدوث الحوادث المنفصلة ، والكلامُ في إمكان تسلسلها وعدم إمكان ذلك مسألة أخرى .

الجواب^(١) الخامس : أن يقال : هذه الأمور المقبولة هي من الحوادث المقدورة ، بخلاف الصفات اللازمة له ، فإنها ليست مقدورة ، فالمقبولات تنقسم إلى مقدور وغير مقدور ، كما أن المقدورات تنقسم إلى مقبول وغير مقبول ، وما يقوم بالذات من الحوادث هو مقبول مقدور ، وحينئذ إذا كان وجود المقدور في الأزل محالاً كان وجود هذا المقبول في الأزل محالاً ، لأن هذا المقبول مقدور من المقدورات ، وإذا كان وجود هذه الحوادث المقدورة المقبولة محالاً في الأزل لم يلزم من ذلك / امتناع وجودها فيما لا يزال ، كسائر الحوادث ، ولم يلزم من كون ١٠٠/٢ الذات قابلة لها إمكان وجودها في الأزل .

الجواب^(٢) السادس : أن يقال : أنتم تقولون : « إنه قادر في الأزل » مع امتناع وجود المقدور في الأزل ، وتقولون : « إنه قادر في الأزل على ما لا يزال^(٣) » فإن كان هذا الكلام صحيحاً أمكن أن يقال في

(١) م . ق : الوجه

(٢) ق : على ما لم يزال .

المقبول^(١) كذلك ، ويقال : هو قابل^(٢) في الأزل مع امتناع وجود
المقبول في الأزل ، وهو قابل في الأزل لما [لا]^(٣) يزال ، وإن كان هذا
الكلام باطلاً لزم إما إمكان وجود المقدور في الأزل ، وإما امتناع كونه
قادراً في الأزل ، وعلى التقديرين : يبطل ما ذكرتموه من الفرق بين
القادر وبين القابل بقولكم^(٤) : « تقدم القدرة على المقدور واجب دون
تقدم القابل على المقبول » .

الجواب^(٥) السابع : أن يقال : أنتم اعتمدتم في هذا على أن تلك
القابلية يجب أن تكون من لوازم الذات ، ويلزم من ذلك إمكان وجود
المقبول في الأزل ؛ لأن قابلية الشيء لغيره نسبة بين القابل والمقبول ،
والنسبة بين الشئين موقوفة عليهما ، فيقال لكم : إن كانت النسبة^(٦) بين
الشئين موقوفة عليهما - أى على تحققهما معا في زمن واحد ، كما اقتضاه
كلامكم - بطل فرقكم ، وهو قولكم « بأن تقدم القدرة على المقدور
واجب » فإن القدرة نسبة بين القادر والمقدور ، مع وجوب تقدم القدرة
على المقدور ، وهكذا تقولون « الإرادة قديمة ، مع امتناع وجود المراد
في الأزل » وتقولون : « الخطاب قديم ، مع امتناع وجود المخاطب في
الأزل » فإذا كنتم تقولون بأن هذه الأمور التي تتضمن النسبة بين شئين
تتحقق في الأزل مع وجود أحد المنتسبين في الأزل دون الآخر ، أمكن

(١) ق : في القبول .

(٢) س : هو فاعل .

(٣) لا : ساقطة من (م) .

(٤) س : فقولكم .

(٥) م : الوجه .

(٦) س : النسبة .

أن يقال : [إن]^(١) القابلية متحققة في الأزل ، مع امتناع تحقق المقبول في الأزل ، كما قال كثير من الناس : إن التكوين ثابت في الأزل ، مع امتناع وجود المكوّن في الأزل .

وأما الحجة الثالثة - وهو أن قيام الحوادث به تغيّر ، والله منزّه عن التغير - فهذه هي التي اعتمد عليها الشهرستاني في « نهاية الإقدام » ولم يحتج بغيرها .

وقد أجاب الرازي وغيره عن ذلك بأن لفظ « التغير » مجمل ، فإن ١٠١/٢ الشمس والقمر [والكواكب]^(٢) إذا تحركت^(٣) أو تحركت الرياح أو تحركت الأشجار والدواب^(٤) من الأناسي وغيرهم فهل يسمى هذا تغيراً ، أولاً يسمى تغيراً ؟ فإن سُمي تغيراً كان المعنى أنه إذا تحرك المتحرك فقد تحرك ، وإذا تغير بهذا التفسير^(٥) فقد تغير ، وإذا قامت به الحوادث - كالحركة ونحوها - فقد قامت به الحوادث ، فهذا معنى قوله : « إن فُسر بذلك فقد اتحد اللازم والملزوم » .

فيقال : وما الدليل على امتناع هذا المعنى ؟ وإن سماه المسمى تغيراً ، وإن كان هذا لا يسمى تغيراً ، بل المراد بالتغير غير مجرد قيام الحوادث ، مثل أن يعنى بالتغير الاستحالة في الصفات ، كما يقال : تغير المريض ، وتغيرت البلاد ، وتغير الناس ، ونحو ذلك ، فلا دليل على أنه يلزم من

(١) إن : ساقطة من (م) . (ق)

(٢) س : ومي .

(٣) والكواكب : ساقطة من (م) . (ق) .

(٤) م : إذا تحركتا .

(٥) م ، ق ، هـ : أو الدواب

(٦) م ، ق : التغير

الحركة ونحوها من الحوادث مثل هذا التغير، ولا ريب أن التغير المعروف في اللغة هو المعنى الثاني، فإن الناس لا يقولون للشمس والقمر والكواكب - إذا كانت جارية في السماء - : إن هذا تغير، وإنما^(١) تغيرت، ولا يقولون للإنسان إذا كانت عادته أن يقرأ^(٢) القرآن ويصلي الخمس : إنه كلما قرأ وصلى قد تغير، وإنما يقولون ذلك لمن لم تكن عادته هذه الأفعال، فإذا تغيرت صفته وعادته [قيل] : إنه قد تغير^(٣).
وحينئذ فمن قال : « إنه سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء، فعلاً لما يشاء » لم يسم أفعاله تغيراً، ومن قال : « إنه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً، وفعل بعد أن لم يكن فاعلاً » [فإنه]^(٤) يلزم من قال : « إن الكلام والفعل يقوم به » ما يلزم من قال : « إن الكلام والفعل يقوم بغيره » والقول في أحد النوعين كالقول في الآخر. وإذا قدر أن النزاع لفظي فلا بد من دليل سمعي أو عقلي يجوز أحدهما ويمنع الآخر، وإلا فلا يجوز التفريق بين المتأثلين بمجرد الدعوى، أو بمجرد إطلاق لفظي من غير أن يكون ذلك اللفظ مما يدل على ذلك المعنى في كلام المعصوم؛ فأما إذا كان اللفظ في كلام المعصوم - وهو كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل الإجماع - / وعلم مرادُهُ بذلك اللفظ؛ فإنه يجب مراعاة مدلول ذلك اللفظ، ولا يجوز مخالفة قول المعصوم. وإطلاق التغير على الأفعال، كإطلاق لفظ « الغير » على الصفات، وإطلاق لفظ « الجسم »

(١) م . ق : أو أنها .

(٢) ق : إذا كان يقرأ . وفي (هـ) : إذا كانت عادته يقرأ .

(٣) م . ق . ط . ر . ص . هـ : إذا تغيرت صفته وعادته إنه قد تغير .

(٤) فإنه : زيادة في (س) .

على الذات ، وكل هذه الألفاظ فيها إجمال واشتباه وإيهام . ومذهب السلف والأئمة : أنهم لا يطلقون لفظ «الغير» على الصفات ، لا نفياً ولا إثباتاً ، فلا يطلقون القول بأنها غيره ولا بأنها ليست غيره ، إذ اللفظ مجمل ، فإن أراد المُطْلِق بالغير المباينَ فليست غيرها ، وإن أراد بالغير ما قد يعلم أحدهما دون الآخر ، فهي غير ، وهكذا ما كان من هذا الباب . وإذا كان هذا كلامهم في لفظ «الغير» فلفظ «التغير» مشتق منه . ومن تأمل كلام فحول النظر في هذه المسألة علم أن الرازي قد استوعب ما ذكره ، وأن النفاة ليست معهم حجة عقلية تثبت^(١) على السبر^(٢) ، وإنما غايتهم^(٣) إلزام التناقض لمن يخالفهم من المعتزلة والكرامية والفلاسفة .

ومن المعلوم أن تناقض المنازع يستلزم فساد أحد قوليه ، لا يستلزم فساد قوله بعينه الذي هو مورد النزاع ، ولهذا كان مَنْ دَمَّ أهل الكلام المحدث من أهل العلم لأنهم يصفونهم بهذا ، ويقولون : يقابلون^(٤) فاسداً بفساد ، وأكثر كلامهم في إبداء مناقضات الخصوم .

وأيضاً فغير ذلك الخصم لا يلتزم مقالته التي ناقض بها مورد النزاع ، كما في هذه المسألة ؛ فإنه وإن كانت الكرامية قد تناقضوا فيها فلم يتناقض فيها غيرهم من الأئمة والسلف وأهل الحديث وغيرهم من طوائف أهل النظر والكلام .

(١) تثبت : كذا في (س) . (هـ) فقط . وفي سائر النسخ : بينة .

(٢) على السبر : كذا في (س) . (ر) . (ط) . (هـ) . وفي (ص) : على التفسير . وفي

(ق) : على السبر . وفي (م) : على المثبتين .

(٣) م (فقط) : وإنما غاية ما معهم .

(٤) م (فقط) : إنهم يقابلون .

وقد قال أبو القاسم الأنصاري - شيخ الشهرستاني وتلميذ أبي المعالي - في «شرح الإرشاد»^(١) : «أجود ما يتمسك به في هذه المسألة تناقض الخصوم» .

وهو كما قال : فإنه لم يجد لمن تقدمه في ذلك مسلكا سديداً ، لا عقلياً ولا سمعياً . واعتبر ذلك بما ذكره أبو المعالي في كتابه الذي سماه : «الإرشاد إلى / قواطع الأدلة» وقد ضمّنه عيون الأدلة الكلامية التي يسلكها موافقوه ، وقد تكلم على هذا الأصل في موضعين من كتابه : أحدهما : في مسألة حدوث العالم^(٢) ، فإنه استدلّ بدليل الأعراض المشهور ، وهو أن الجسم لا يخلو عن الأعراض ، وما لا يخلو عنها فهو حادث^(٣) ، وهو الدليل الذي اعتمدت عليه المعتزلة قبله ، وهو الذي ذمه الأشعرى في «رسالته إلى أهل الثغر» ، ويّين أنه ليس من طرق الأنبياء وأتباعهم ، والدليل هو مبني على إثبات أربع مقدمات : الأعراض ، وإثبات حدوثها ، وأن الجسم لا يخلو منها ، وإبطال حوادث لا أول لها^(٤) ، فلما صار إلى المقدمة الثالثة قال^(٥) : «وأما الأصل الثالث -

أقوال الجويني في مسألة أفعال الله ورد ابن تيمية عليه . ١٠٣/٢

(١) أبو القاسم سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري . من أهل نيسابور . المتوفى سنة ٥١١ أو ٥١٢ ، كان فقيهاً شافعيًا ومفسراً ومتكلمًا ومن كتبه «شرح الإرشاد في أصول الدين» وكتاب «الغنية في فروع الشافعية» . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ٩٦/٧ - ٩٩ ؛ شذرات الذهب ٣٤/٤ ؛ العبر ٢٧/٤ - ٢٨ ؛ الأعلام ٢٠٠/٣

(٢) انظر كتاب «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» للجويني (ط) . الخانجي . ١٩٥٠/١٣٦٩ ص ١٧ - ٢٧ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٧ .

(٤) المرجع السابق . ص ١٧ - ١٨ .

(٥) المرجع السابق . ص ٢٢ .

وهو^(١) تبين استحالة تعرّي الجواهر عن الأعراض - فالذى صار إليه أهل الحق : أن الجوهر لا يخلو عن كل جنس من الأعراض وعن جميع^(٢) أصداده ، إن كان له أصداد^(٣) . وإن كان له ضد واحد لم يخل الجوهر عن أحد الضدين ، وإن^(٤) قُدِّرَ عَرَضٌ لا ضد له لم يخل الجوهر عن قبول واحد من جنسه .

قال^(٥) : « وجوّزت الملحدة خلو الجوهر عن جميع الأعراض ، والجواهر في اصطلاحهم تسمى الهَيُولَى والمادة^(٦) ، والأعراض تسمى الصورة . »

قال^(٧) : « وجوّز الصالحى^(٨) العرو^(٩) عن جملة الأعراض ابتداء ، ومنع البصريون من المعتزلة من^(١٠) العرو عن جميع^(١١) الأكوان ، وجوزوا

(١) الارشاد : فهو .

(٢) وعن جميع : كذا في (س) ، (هـ) وفي « الإرشاد » ص ٢٣ ، وفي سائر النسخ : ومن

جميع .

(٣) س : فإن كان له أصداد ؛ الإرشاد : إن كانت له أصداد ؛ هـ : وإذا كان له أصداد

(٤) الإرشاد (في نسخة الأصل) : فإن ، وفي نسختين ذكرهما المحققان في الهامش : وإن .

(٥) بعد الكلام السابق مباشرة في « الإرشاد » ص ٢٣ .

(٦) في « الإرشاد » أثبت المحققان كلمة « الهَيُولَى » فقط وذكر في التعليق : ح . م زادا :

والمادة .

(٧) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٨) لعله : صالح بن عمرو الصالحى ، ذكره الشهرستانى في « الملل والنحل » وذكر « الصالحية »

فقال : « أصحاب صالح بن عمرو الصالحى ومحمد بن شبيب وأبو شمروغيلان بن حرث ومحمد بن التيمي كلهم جمعوا بين القدر والإرجاء » . وانظر كلام الأشعرى على أبي الحسين الصالحى ومذهبه في

الارجاء في : مقالات الإسلاميين ١٩٨/١ .

(٩) الإرشاد : الخلو . وفي التعليق أن نسخة « م » ذكرت : العرو .

(١٠) من : ليست في « الإرشاد » .

(١١) جميع : ليست في « (س) » . « الإرشاد » . (هـ) .

الخلو عما عداها ، وقال الكعبي^(١) ومتبعوه : يجوز الخلو عن الأكوان ، ويمتنع العرو عن الألوان^(٢) .

قال^(٣) : « وكل مخالف لنا يوافقنا على امتناع العرو عن الأعراض بعد قبول الجواهر لها ، فيفرض^(٤) الكلام على الملحدة^(٥) في الأكوان ؛ فإن القول فيها يستند إلى الضرورة ، فإننا^(٦) ببديهة العقل نعلم أن الجواهر القابلة للاجتماع والافتراق لا تعقل غير متماسة ولا متباينة .

ومما يوضح ذلك : أنها إذا اجتمعت فيما لا يزال^(٧) فلا يتقرر اجتماعها^(٨) إلا عن / افتراق سابق ، إذا قدر لها الوجود قبل الاجتماع ، وكذلك إذا طرأ الافتراق عليها اضطررنا إلى العلم بأن الافتراق مسبق باجتماع ، وغرضنا في روم^(٩) إثبات حدث^(١٠) العالم ؛ يتضح^(١١) بالأكوان^(١٢) .

(١) سبقت ترجمة الكعبي ج ١ . ص ٨١ .

(٢) الألوان : كذا في (س) ، « الإرشاد » ص ٢٤ . وفي : ط ، ص ، ر ، هـ : الأكوان . وفي (م) . (ق) : الأعراض .

(٣) بعد الكلام السابق مباشرة . ص ٢٤ .

(٤) يفرض : كذا في (س) ، (ص) ، « الإرشاد » . وفي (ر) . (م) . (ق) . (ط) : فنفرض

(٥) م ، ق : على التجدد .

(٦) فإننا : كذا في (هـ) . « الإرشاد » . وفي سائر النسخ : فإننا .

(٧) « الإرشاد » (في نسخة واحدة) : فيما لم يزل .

(٨) « الإرشاد » : فلا يتقرر في العقل اجتماعها .

(٩) م . ق : في دوام .

(١٠) م . ق . هـ : حلوث .

(١١) يتضح : كذا في (س) و « الإرشاد » . وفي سائر النسخ : فيصح . وفي (هـ) : سطح (كذا غير منقوطة) .

(١٢) بالأكوان : كذا في نسخة « م » من « الإرشاد » وما أثبتته المحققان : بثبوت الأكوان .

قلت : إثبات الأكوان بقبول الحركة والسكون هو الذى لا يمكن^(١) دفعه ؛ فإن الجسم الباقى لابد له من الحركة أو السكون ، وأما الاجتماع والافتراق فهو مبنى على إثبات الجوهر الفرد ، والتزاع فيه كثير مشهور ، فإن من ينفيه لا يقول : إن الجسم مركب منه ، ولا إن الجواهر كانت متفرقة فاجتمعت ، والذين يثبتونه أيضاً لا يمكنهم إثبات أن الجواهر كانت متفرقة فاجتمعت ، فإنه لا دليل على أن السموات كانت جواهر متفرقة فجمع بينها ، ولهذا قال فى الدليل^(٢) : « فإننا ببديهة العقل نعلم أن الجواهر القابلة للاجتماع والافتراق لا تعقل غير متماسة ولا متباينة » . وهذا كلام صحيح ، لكن الشأن فى إثبات الجواهر القابلة للاجتماع والافتراق ؛ فما ذكره من الدليل مبنى على تقدير أنها كانت^(٣) متفرقة فاجتمعت ، وهذا التقدير غير معلوم ، بل هو تقدير مُتَّفٍ فى نفس الأمر عند جمهور العقلاء من المسلمين وغيرهم .

ثم قال أبو المعالى^(٤) : « وإن^(٥) حاولنا رداً على المعتزلة فيما خالفونا [فيه]^(٦) تمسكنا بنكتتين : إحداهما : الاستشهاد بالاجتماع^(٧) على امتناع العرو عن الأعراض بعد الاتصاف بها . فنقول : كل عَرَض باقٍ فإنه ينتنى عن محله بطريان ضده^(٨) ، ثم الضد إنما يطرأ فى حال عدم المنتنى به

(١) س : هو الذى يمكن .

(٢) وهو ما سبق وروده فى ص ١٩٠ وهو فى الإرشاد ص ٢٤ .

(٣) كانت : ساقطة من (ق) . (ر) . (ص) . (ط) .

(٤) الإرشاد ص ٢٤ بعد النص الأخير .

(٥) الإرشاد فى نسخة واحدة : فإن .

(٦) خالفونا فيه : كذا فى (هـ) وفى « الإرشاد » . وسقطت (فيه) من سائر النسخ .

(٧) بالاجتماع : كذا فى (هـ) وفى « الإرشاد » وفى سائر النسخ : بالاجتماع .

(٨) ص - ر : هذه . وهو تحريف . وفى الإرشاد فى نسخة : ضد فيه . وفى نسخة : ضد .

م^{١٣} دره تعارض العقل ج^٢

على زعمهم ، فإذا انتفى البياضُ فهلا جاز أن لا يحدث بعد انتفائه لون^(١) ، إن كان يجوز الخلو^(٢) من الألوان^(٣) ، وتطرد^(٤) هذه الطريقة في أجناس الأعراض .

قلت : مضمون هذا أنه قاس ما بعد الاتصاف على ما قبله ، وقد أجابه المنازعون عن هذا بأن الفرق بينهما : أن الضد لا يزول إلا بطريان ضده ؛ فلهذا لم يخلُ منها : فإن كان هذا الفرق صحيحاً بطل القياس ، وإلا منع الحكم في الأصل ، وقيل : بل يجوز خلوه بعد الاتصاف إذا أمكن زوال الضد بدون طريان آخر ، / وما ذكره في ١٠٥/٢ السواد والبياض قضية جزئية^(٥) ، فلا تثبت بها دعوى كلية ، ومن أين يعلم أن كل طعم في الأجسام إذا زال فلا بد أن يخلفه طعم آخر؟ وكل ريح إذا زالت فلا بد أن يخلفها ريح آخر؟ وكذلك في الإرادة والكراهة ونحو ذلك ، فمن أين يعلم أن المريد للشيء المحب له إذا زالت إرادته ومحبته فلا بد أن يخلفه كراهية^(٦) وبُغضة؟ ولم لا يجوز خلوه الحى عن حب المعين وبغضه وإراداته وكراهته؟

قال : ^(٧) « ونقول أيضا : الدال على استحالة قيام الحوادث بذات

(١) م . ق . ط . ص : كون .

(٢) الإرشاد : تقدير الخلو .

(٣) من الألوان : كذا في (س) ، وفي « الإرشاد » . ص ٢٥ . وفي نسخة من « الإرشاد » : من

الألوان ابتداء . وفي سائر النسخ : عن الألوان .

(٤) الإرشاد : وتطرد .

(٥) انظر ما ذكره قبل قليل : « فإذا انتفى البياض فهلا جاز أن لا يحدث بعد انتفائه

لون » .

(٦) س : كراهة ؛ م : كراهيته .

(٧) الإرشاد : ص ٢٥ بعد النص السابق مباشرة .

الرب سبحانه وتعالى : أنها لو قامت به لم يخلُ عنها ، وذلك يقضى بجدته ^(١) ، فإذا جوز الخصم عروّ الجوهر عن حوادث ^(٢) مع قبوله لها صحةً وجوازاً فلا يستقيم مع ذلك دليل على استحالة قبول الباري ^(٣) للحوادث .

^(٤) قلت : فلقاتل ^(٥) أن يقول : هذا غايته ^(٦) إلزام هؤلاء المعتزلة : ^(٧) إنكم إذا جوزتم ذلك لم يكن لكم حجة على استحالة قبول الباري للحوادث ^(٨) .

فيقال : إما أن يكون هذا لازماً ، وإما أن لا يكون لازماً : فإن كان لازماً دل ذلك على أنه لا دليل للمعتزلة على ذلك ، ولا دليل له أيضاً ؛ فإن مجرد موافقة المعتزلة له لا يكون دليلاً لواحد منهما في شيء من المسائل التي لم نعلم ^(٨) فيها نزاعاً ، فكيف مع ظهور التزاع ؟ وإن لم يكن لازماً لهم لم يكن حجة عليهم .

فقد تبين أنه لم يذكر حجة على أن القابل للشيء لا يخلو منه ومن

ضده

الموضع الثاني - قال في أثناء الكتاب ^(٩):

- (١) م . ق . هـ : يقضى بجدته ط : يقضى بجدته ، الإرشاد : يقضى لجدته .
- (٢) الإرشاد : عن الحوادث .
- (٣) الإرشاد : الباري تعالى .
- (٤ - ٤) ساقطة من (ق) فقط .
- (٥) س : ولقاتل .
- (٦) م : غاية .
- (٧) م : هؤلاء للمعتزلة .
- (٨) ط . ص . ر : يعلم .
- (٩) الإرشاد . ص ٤٤ .

« (فصل) ^(١) مما ^(٢) يخالف ^(٣) فيه الجوهر حكم الإله : قبولُ الأعراض ، وصحة الاتصاف بالحوادث ، والربُّ ^(٤) يتقدس عن قبول الحوادث . »

قال : ^(٥) « وذهبت الكرامية إلى أن الحوادث تقوم بذات الرب ، ثم زعموا أنه لا يتصف بما يقوم به من الحوادث ، وصاروا ^(٦) إلى جهالة لم يُسبقوا إليها ، فقالوا : [القول] الحادث ^(٧) يقوم ^(٨) بذات الرب ^(٩) ، وهو غير قائل به ^(١٠) ، وإنما يقول ^(١١) بالقائلية ^(١٢) ، والقائلية ^(١٣) عندهم / القدرة على التكلم ^(١٤) ، وحقيقة أصلهم : أن أسماء الرب لا يجوز أن تتجدد ^(١٥) ، ولذلك ^(١٦) وصفوه بكونه خالقا في

(١) زاد المحققان بعد كلمة فصل عبارة « في عدم قبول الله للأعراض » وجعلاهما عنوانا للفصل .

(٢) س . ص . ط . ر . هـ : فبا ، وفي « الإرشاد » : مما .

(٣) م . ق : خالف .

(٤) الإرشاد : والرب سبحانه وتعالى .

(٥) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٦) الإرشاد : وصار . وهو خطأ .

(٧) القول الحادث : كذا في « الإرشاد » . وفي (هـ) : القول بالحادث . وفي (س) :

الحوادث . وفي سائر النسخ : الحادث .

(٨) س : تقوم .

(٩) الإرشاد : الرب سبحانه وتعالى .

(١٠) قائل به : كذا في « الإرشاد » . (هـ) . وفي (ر) : قائل . وفي سائر النسخ : قابل .

(١١) يقول : كذا في (س) . (ص) . (ر) . (ط) . وفي (م) . (ق) : يقوم . وفي

الإرشاد : وإنما هو قائل .

(١٢) م . ق . ص . ط : بالقائلية .

(١٣) م . ق . ص . ط : والقائلية .

(١٤) عبارة : والقائلية عندهم القدرة على التكلم ليست في « الارشاد » .

(١٥) أن تتجدد : كذا في (س) . (هـ) . وفي « الإرشاد » . ص ٤٥ . وفي سائر النسخ : أن

تجرد .

(١٦) م . ق . ط . ر . ص : وكذلك .

الأزل ، ولم يتحاشوا من قيام الحوادث به ، وتكبوإ إثبات^(١) وصف جديد له ذكرأ وقولا^(٢) .

قال^(٣) : « والدليل على بطلان ما قالوه : أنه لو قبل الحوادث لم يخل منها ، لما سبق تقريره في الجواهر ، حيث قضينا باستحالة تعريها عن الأعراض ، ولو لم تخل^(٤) عن الحوادث لم تسبقها ، وينساق ذلك إلى الحكم بحدوث الصانع^(٥) . »

قال^(٦) : « ولا يستقيم هذا الدليل على أصل المعتزلة ، مع مصيرهم إلى تجويز خلو الجوهر عن الأعراض ، على تفصيل لهم أشرنا إليه ، وإثباتهم أحكاما متجددة لذات الرب تعالى من الإرادة المحدثة القائمة لا بمحل على زعمهم ، ويصدهم أيضا عن طرد دليل في هذه المسألة : أنه إذا لم يمتنع تجدد أحكام للذات من غير أن تدل على الحدث لم يبعد مثل ذلك في اعتوار نفس الأعراض على الذات . »

-
- (١) الإرشاد (في نسختين) : عن إثبات . وفي نسخة بدون « عن » .
 (٢) ذكرأ وقولا : كذا في « الإرشاد » وفي (هـ) . وفي سائر النسخ : قولأ وذكرأ .
 (٣) بعد النص السابق مباشرة .
 (٤) الإرشاد في نسخة : وما لم تخل ، وفي نسختين : ولو يخل .
 (٥) م . ق . ر . ط : وسباق . ولم تظهر الكلمة في مصورة (ص) .
 (٦) م . ق : وسباق ذلك يؤدي إلى الحكم بحدوث الصانع .
 (٧) بعد النص السابق مباشرة .
 (٨) الإرشاد (في نسختين) : من الارادات الحادثة . وفي نسخة : عن الارادة الحادثة .
 (٩) الإرشاد : لا بمحال .
 (١٠) الإرشاد : (في نسختين) : دليلهم ، وفي نسخة : دليل .
 (١١) م . ق . ط : الحدود .
 (١٢) م . ق . ط . ر . ص : لم يتعد .

هذا كلامه ، ولقائل أن يقول : قوله « الدليل على بطلان ما قالوه : أنه لو قبلها لم يخل منها لما سبق تقريره في الجواهر^(١) » هو لم يذكر دليلاً هناك إلا قياس ما قبل الاتصاف على ما بعده ، وهو ليس حجة علمية عقلية ، بل غايته : احتجاج بموافقة منازعه في مسألة عظيمة عقلية تُردُّ لأجلها نصوصُ الكتاب والسنة ، وينبئ^(٢) عليها من مسائل الصفات والأفعال أمور عظيمة اضطرب فيها الناس ، فن الذي يجعل أصول الدين مجرد قول قائله طائفة من أهل الكلام وافق بعضهم بعضاً عليه من غير حجة عقلية ولا سمعية ؟

وقد أجابه المنازعون بجواب مركب ، وهو إما الفرق - إن صح - وإلا منع^(٣) حكم الأصل .

وأيضاً فإنه قد قرر هناك وهنا أن المعتزلة أئمة الكلام الذين أظهروا في الإسلام نفى الصفات والأفعال ، وسموا ذلك تقديساً له عن الأعراض والحوادث ، / وقد ذكر أبو المعالي أنه لا حجة لهم على استحالة اتصافه بالحوادث ، وأنه يلزمهم نقيض ذلك ؛ أما الأول : فإن القابل للشيء عندهم يجوز أن يخلو عنه وعن ضده ، وأما لزوم هذا القول لهم : فلا ثباتهم أحكاماً متجددةً للرب^(٤) ، وأنه إذا لم يمتنع تجدد أحكام للذات

(١) ط - ص - ر : الجواهر . وسبق ورود هذه العبارة قبل قليل .

(٢) س : وهذا .

(٣) م - ق : وينبئ ؛ س : وينبئ .

(٤) منع : كذا في (س) . وفي (م) : فنع . وفي (ص) : (ط) - (ر) - (ق) : لمنع .

(٥) س ، ص ، ر - ط ، هـ : قد .

(٦) س : وأنه تعالى .

من غير أن يدل^(١) على الحدوث : لم يبعد مثل ذلك في اعتوار أنفس^(٢) الأعراض ، وكان^(٣) ما ذكره الأستاذ أبو المعالي يقتضى أن القول بحلول الحوادث يلزم المعتزلة ، وأنه لا دليل لهم على نفي ذلك ، وهو أيضا لم يذكر دليلا لموافقيه على نفي ذلك .

فأفاد ما ذكره أن أئمة النفاة لحلول الحوادث به القائلين بأنه لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته [وقدرته]^(٤) لا دليل لهم على ذلك ، بل قولهم يستلزم قول أهل الإثبات لذلك .

قال^(٥) : « ونقول للكرامية : مصيركم إلى إثبات قول حادث مع نفيكم اتصاف البارئ به تناقض ؛ إذ لو جاز قيام معنى بمحل^(٦) من غير أن يتصف المحل بحكمه لجاز شاهدا قيام أقوال وعلوم وإرادات بمحال من غير أن تتصف المحال بأحكام موجبة عن المعاني ، وذلك يخلط الحقائق ويحير إلى جهالات » .

قال^(٧) : « ثم نقول لهم : إذا جوزتم قيام ضروب من الحوادث بذاته ، فما المانع من تجويز قيام أكوان^(٨) حادثه بذاته على التعاقب ؟

(١) س : تدل ؛ هـ : غير منقوطة .

(٢) م . ق . ص : نفس .

(٣) س . هـ : فكان .

(٤) وقدرته : زيادة في (س) . (هـ) .

(٥) بعد النص الأخير مباشرة في « الإرشاد » ص ٤٥ .

(٦) الإرشاد : بمحل غالبا .

(٧) بعد الكلام السابق مباشرة في الإرشاد . ص ٤٦ .

(٨) الإرشاد : ألوان .

وكذلك سبيل الإلزام فيما يوافقوننا^(١) على استحالة قيامه به^(٢) من الحوادث .
ومما يلزمهم : تجويز قيام قدرة حادثة وعلم حادث بذاته ، على حسب
أصلهم في القول والإرادة الحادثين ولا يجدون بين ما جَوَّزوه وامتنعوا عنه
فصلا » .

قال^(٤) : « ونقول لهم^(٥) : قد وصفتم الرب تعالى بكونه متحيزا ، وكل
متحيز جسم^(٧) وجرم ، ولا يتقرر^(٨) في المعقول خلو الأجرام من الأكوان^(٩) ؛ فما
المانع من تجويز قيام الأكوان بذات الرب ؟ ولا يحيص لهم عن شيء مما
ألزموه » .

قلت : ولقائل أن يقول : هذه الوجوه الأربعة التي ذكرها ليس فيها
حجة تصلح لإثبات الظن في الفروع ، فضلا عن إثبات اعتقاد يقيني في
أصول الدين / يُعارضُ به^(١١) نصوص الكتاب والسنة ؛ فإن غاية هذا
الكلام - إن صح - أن الكرامية تناقضوا ، وقالوا قولاً ولم يلتزموا
بلوازمه^(١٢) .

(١) ق . ط . ص . ر . س . هـ : فيما يوافقونا . والمثبت عن (م) والارشاد .

(٢) الإرشاد (في نسخة واحدة) : به سبحانه . وفي نسختين : به .

(٣) الإرشاد (في نسخة واحدة) : الحادثين . وفي نسختين : الحادثين .

(٤) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٥) الإرشاد : ونقول أيضا .

(٦) الإرشاد (في نسختين) : إذا . وفي نسخة : قد .

(٧) س : حجم .

(٨) الإرشاد (في نسخة) : فلا يتقرر . وفي أخرى : ولا يتقرر . وفي ثالثة : ولا يتعذر .

(٩) الإرشاد (في نسخة) : عن الألوان . وفي أخرى : على الألوان . وفي ثالثة : عن

الأكوان .

(١٠) قيام الأكوان : كذا في نسخة من الإرشاد . وفي أخرى : قيام الألوان . وفي ثالثة : قيام ألوان .

(١١) م (فقط) : تعارض به . وفي (هـ) غير منقوطة .

(١٢) س . ص . ط . ر . هـ : لوازمه .

فيقال : إن كان ما ذكره لازماً لهم لزمهم الخطأ : إما في إثبات الملزوم ، وإما في نفي اللازم ، ولم يتعين الخطأ في أحدهما ، فلم لا يجوز أن يكون خطأهم في نفي اللوازم^(١) ؟ فإن أقام على ذلك دليلاً عقلياً كان هو حجة كافية في المسألة ، وإلا استفدنا خطأ الكرامية في أحد قولهم ، وإن لم يكن ما ذكره لازماً لهم لم يفد لا إثبات تناقضهم ولا دليلاً في مورد النزاع .

ثم يقال : أما الوجه الأول فحاصله نزاع لفظي : هل يتصف بالحوادث أو لا يتصف ؟ كالنزاع في أمثال ذلك ، وإذا كان من أصلهم الفرق بين اللازم وغير اللازم ، بحيث يسمون اللازم صفة دون العارض ، كاصطلاح من يفرق بين الصفات والأفعال [فلا يسمى الأفعال صفات وإن قامت بمحل^(٢)] كاصطلاح^(٣) من يفرق بين الأقوال والأفعال ، فلا يسمى ما يتكلم به الإنسان عملاً ، وإن كان له فيه حركة ونحو ذلك - كانت هذه أموراً اصطلاحية لفظية لغوية ، لا معاني عقلية . والمرجع في إطلاق الألفاظ - نفيًا وإثباتًا - إلى ما جاءت به الشريعة ، فقد يكون في إطلاق اللفظ مفسدة وإن كان المعنى صحيحاً .

وما ألزمهم إياه في الشاهد : فأكثر الناس يلتزمون في الأفعال ؛ فإن الناس تفرق في الإطلاقات بين صفات الإنسان وبين أفعاله ، كالقيام

(١) م . ق . هـ : اللازم .

(٢) ما بين المعقوفين في (س) . (هـ) . وفي (ر) . (ص) . (ط) : وصفات إن قامت بمحل . ومكان هذه العبارات يوجد سقط في (ق) .

(٣) ق . ر . ص . م . هـ : وكاصطلاح ؛ ط : وكان اصطلاح .

والقعود والذهاب والجيء ؛ فلا يسمون^(١) ذلك صفات ، وإن قامت بالحل . وكذلك العلم الذي يعرض للعالم ويزول ، والإرادة التي تعرض له وتزول ، قد لا يسمون ذلك صفة له ، وإنما يصفونه بما كان ثابتا له كالخلق الثابت .

وبالجملة فهذه بحوث لفظية سمعية ، لا عقلية ، وليس هذا موضعها .

وأما قيام الأكوان به على التعاقب ، وقيام ما أحالوا قيامه به ، فهم يفرقون بين ما جوزوه ومنعوه بما يفرق به مثبتة الصفات بين ما وصفوه ١٠٩/٢ [به] وبين ما منعوه ، / فكما أنهم يصفونه بصفات الكمال فلا يلزمهم أن يصفوه بغيرها ، فكذلك هؤلاء يقولون ، فإن صح الفرق وإلا كانوا متناقضين .

ومن المعلوم أن الله تعالى لما وُصِفَ بالسمع والبصر - كما دلت عليه النصوص - ألزمت النفاة لأهل الإثبات إدراك الشم والذوق واللمس ، فن الناس من طرد القياس ، ومنهم من فرق بين الثلاثة والاثنين ، ومنهم من فرق بين إدراك اللمس ، وإدراك^(٢) الشم والذوق ؛ لكون النصوص أثبتت الثلاثة دون الاثنين .

فإذا قال المعتزلة البصريون والقاضي أبو بكر وأبو المعالي وغيرهما ممن يصفه بالإدراكات الخمسة ، لمن لم يصفه إلا باثنين أو ثلاثة : يلزمكم

(١) م - ق : فلا يسمى .

(٢) م ، ق : وقد .

(٣) به : ساقطة من (م) .

(٤) س : وبين إدراك .

طرد القياس ، لزمهم إما الفرق وإلا كانوا متناقضين ، ولم يكن هذا دليلاً على إبطال اتصافه بالسمع والبصر . وكذلك إذا قال من جعل الإدراكات الخمسة تتعلق به ، كما فعله هؤلاء ومن وافقهم ، كالقاضي أبي يعلى ونحوه لمن أثبت الرؤية : يلزمكم أن تصفوه بتعلق السمع والشم والذوق واللمس به ، كما قلتم في الرؤية ؛ كانوا أيضاً على طريقين : منهم من يذكر الفرق ، ومنهم من يفرق بين اللمس وغيره ، لمجيء النصوص بذلك دون غيره .

قال أبو المعالي في « إرشاده »^(١) : « فإن قيل : قد وصفتم الرب تعالى^(٢) بكونه سمعياً بصيراً ، والسمع والبصر إدراكان ، ثم ثبت شاهداً [إدراكات] سواهما^(٣) : إدراك يتعلق بقبيل الطعوم ، وإدراك يتعلق بقبيل الروائح ، وإدراك يتعلق بالحرارة والبرودة واللين والخشونة ، فهل تصفون الرب تعالى بأحكام هذه الإدراكات أم تقتصرون على وصفه بكونه سمعياً بصيراً ؟

قلنا : الصحيح المقطوع به عندنا : وجوب وصفه بأحكام الإدراك^(٤) ، إذ كل إدراك ينفيه ضد [فهو آفة]^(٥) فما دل على وجوب

(١) في « الإرشاد » ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) م . ق : قد وصفتم لنا الرب تعالى ، ص . هـ : قد وصفتم الرب ، ط : قد وضعتم الرب تعالى ، س : قد وصفت الرب ، الإرشاد : قد وصفتم البارئ (وفي نسخة) : الرب تعالى . والمثبت عن (ر) .

(٣) الإرشاد : ثم ثبت شاهداً إدراكات سواهما (وفي نسخة لا توجد كلمة : إدراكات) . وفي سائر النسخ : ثم ثبت شاهداً سواهما . وزدت كلمة « إدراكات » ليستقيم الكلام .

(٤) الإرشاد (ص ٧٧) : الإدراكات .

(٥) عبارة « فهو آفة » في « الإرشاد » ص ٧٧ . وسقطت من جميع النسخ . وفي (هـ) : هو آفة .

(٦) فما : كذا في (س) والإرشاد . وفي سائر النسخ : بما .

وصفه بحكم^(١) السمع والبصر ، فهو دال على وجوب وصفه بأحكام الإدراك^(٢) ، ثم يتقدس الرب تعالى^(٣) عن كونه شاماً ذائقاً لامساً^(٤) : فإن هذه الصفات منبئة عن ضروب من الاتصالات ، والرب يتعالى/عنها ، وهي لا تنبئ^(٥) عن حقائق الإدراكات ؛ فإن الإنسان يقول : شممت تفاحة فلم أدرك ريحها^(٦) ، ولو كان الشم دالاً على الإدراك لكان ذلك بمثابة قول القائل : أدركت ريحها ، ولم أدركه ، وكذلك القول في الذوق واللمس^(٧) .

[قلت : ^(٨) ولا يلزم من تناقض هؤلاء - إن كانوا متناقضين - نفي الرؤية التي تواترت بها النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقلت^(٩) : وأما تعاقب الحوادث : فهم نفوه ، بناء على امتناع حوادث لا أول لها ، فإن صح هذا الفرق وإلا لزمهم طرد الجواز^(١٠) ، كما طرده غيرهم ممن لا يمنع ذلك .

(١) الإرشاد : بأحكام .

(٢) هـ : الادراكات .

(٣) الرب تعالى : كذا في (ط) . (ر) . (هـ) . وفي الإرشاد : الرب سبحانه وتعالى .

(٤) شاماً ذائقاً لامساً : كذا في (هـ) . الإرشاد . وفي (س) : شاماً أو ذائقاً أو لامساً . وفي سائر النسخ : شاماً وذائقاً ولامساً .

(٥) الإرشاد : ثم هي لا تنبئ .

(٦) ط . ر : يريحها .

(٧) هنا آخر عبارات « الإرشاد » ص ٧٧ .

(٨) قلت : زيادة في (س) .

(٩) وقلت : كذا في (ط) . (ر) . وفي (م) . (ق) . (ص) : قلت . وسقطت الكلمة

من (س) . (هـ) .

(١٠) ص : طرد ذلك الجواز .

وأما حدوث القدرة والعلم فنفوهما ؛ لأن عدم ذلك يستلزم النقص ، لعموم تعلق العلم والقدرة ، بخلاف الإرادة والكلام ، فإنه لا عموم لهما ؛ فإنه سبحانه لا يتكلم إلا بالصدق ، لا يتكلم بكل شيء ، ولا يريد إلا ما يسبق^(١) علمه به ، لا يريد كل شيء ، بخلاف العلم والقدرة ، فإنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير .

وهذا كما فرقت المعتزلة بين هذا وهذا ، فقالوا : إن له إرادة حادثة وكلاماً حادثاً ، ولم يقولوا : له عالمية حادثة وقادرية حادثة ، فالسؤال على الفريقين جميعاً . فإن صح الفرق ، وإلا كانوا متناقضين . وقد أثبت غيرهم قيام علم بالموجود بعد وجوده ، ولم يجعل ذلك عين العلم المتعلق به قبل وجوده ، كما دل على ذلك ظاهر النصوص . وقد أثبت ذلك من أهل الكلام والفلسفة طوائف ، كأبي الحسين البصري وأبي البركات وغيرهم ، وغير المتقدمين مثل هشام بن الحكم وأمثاله ، ومثل جهم . والمقرق^(٢) - إن صح فرقه - وإلا لزم تناقضه .

وقيام الأكوان به نفوه^(٣) ؛ لأنها هي دليلهم على حدوث العالم [كما]^(٤) استدلت بذلك المعتزلة ، وهم يقولون : المتصف بالأكوان لا يخلو منها . وهذا معلوم بالبديهة كما بيّنه الأستاذ أبو المعالي في أول كلامه ، وقال^(٥) : « نفرض الكلام في الأكوان^(٦) ؛ فإن القول فيها يستند

(١) س : ما سبق .

(٢) م ق : والفرق .

(٣) س . ص . ط . ر : نفوها . وفي (هـ) : وقيام الألوان به نفوها .

(٤) كما : ساقطة من (م) فقط .

(٥) الإرشاد . ص ٢٤ .

(٦) الإرشاد : فيفرض الكلام مع الملحدة في الأكوان .

١١١/٢ إلى الضرورة ، فإذا كان من المعلوم بالضرورة : أن القابل للأكوان لا يخلو عنها ، فلو وصفوه بالأكوان للزم أن لا يخلو عنها ، وهم يقولون / بامتناع تسلسل الحوادث ، ويقولون : مالا يخلو من الحوادث فهو حادث ، كما يوافقهم على ذلك أبو المعالي وأمثاله ؛ فإن كان هذا الفرق صحيحاً بطل الإلزام لهم وصح فرقهم ، وإن لم يكن هذا الفرق صحيحاً لم يكن في ذلك حجة للمنازع لهم ، بل يقول القائل : كلا كما مخطيء ، حيث قلت بامتناع دوام الحوادث وتسلسلها .

ومعلوم أن هذا كلام متين لا جواب عنه ؛ فإن فرقهم بين الأكوان وغيرها هو العلم الضروري من الجميع بأن^(١) القابل للأكوان لا يخلو منها ، فما قبل الحركة والسكون لم يخل من أحدهما^(٢) ؛ فهذا هو محيصهم عما ألزمهم به ؛ فإن كانت الأكوان كغيرها في أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده فقد ثبت تناقضهم إذا كان قابلاً لها ، وإن لم تكن مثل غيرها - كما تقوله المعتزلة - صح فرقهم . وهم يدعون أنه ليس قابلاً لها ، كما قد وافقهم على ذلك المعتزلة والأشعرية .

فإذا قال المعارض عليهم : يجب على أصلهم أن يكون قابلاً لها ؛ لأنهم يصفونه بكونه متحيزاً ، وكل متحيز جسم^(٣) وجرم ، قيل : هذا كما تقوله المعتزلة للأشعرية : يلزمكم إذا قلتم إن له حياة وعلماً وقدرة : أن يكون متحيزاً ؛ لأنه لا يُعقل قيام هذه الصفات إلا بمتحيز ، ويقولون :

(١) س . ط . ر . هـ : أن . ولم تظهر الكلمة في (ص) .

(٢) س : لا يخلو منها .

(٣) س : حجم .

إنه لا يعقل موصوف بالعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة إلا ما هو جسم ؛ فإذا وصفتموه بهذه الصفات لزمكم أن يكون جسماً .

فإذا قال هؤلاء للمعتزلة : قد اتفقنا نحن وأنتم على أنه حي عليم قدير ، وليس بمتحيز ولا جسم ، فإذا عقلنا موجوداً حياً عليماً قديراً ليس بجسم عقلنا حياة وعلماً وقدرة لا تقوم بجسم ، قالوا : وأنتم وافقتمونا على أنه حي عليم قدير ، وإثباتُ حي عليم قدير بلا حياة ولا علم ولا قدرة مكابرةٌ للعقل واللغة والشرع .

قالت الكرامية هؤلاء : قد اتفقنا نحن وأنتم على أنه موصوف بالحياة والعلم والقدرة ونحو ذلك من الصفات ، مع اتفاقنا [نحن وأنتم]^(١) على أنه لا يتصف بالأكوان ، فهكذا إذا جَوَّزنا عليه أنه يسمع أصوات عباده حين يدعونه ، ويراهم بعد أن / يخلقهم ، ويغضب عليهم إذا ١١٢/٢ عَصَوْهُ ، ويجب العبد إذا تقرب إليه بالنوافل ، ويكلم^(٢) موسى حين أتى الوادي ، ويحاسب خلقه يوم القيامة ، ونحو ذلك مما دلت عليه النصوص ؛ لم يلزمنا مع ذلك أن نجوِّز عليه حدوث الأكوان .

ومن تدبر كلام هؤلاء الطوائف - بعضهم مع بعض - تبين له أنهم لا يعتصمون فيما يخالفون به الكتاب والسنة إلا بحجة جدلية يسلمها بعضهم لبعض ، وآخر منتهاهم : حجة يحتجون بها في إثبات حدوث العالم لقيام الأكوان^(٣) به أو الأعراض ، ونحو ذلك من الحجج التي هي

(١) نحن وأنتم : زيادة في (س) .

(٢) ويكلم : كذا في (س) وفي سائر النسخ : ونادى .

(٣) س : الألوان .

أصل الكلام المحدث ، الذي ذمه السلف والأئمة وقالوا : إنه جهل ، وإن^(١) "حكم أهله « أن يُضربوا بالجريد والتعال ، ويُطَاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » ولكن^(٢) مَنْ عرف حقائق ما انتهى إليه هؤلاء الفضلاء الأذكياء ازداد بصيرة وعلماً و يقيناً بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبأن ما يعارضون به الكتاب والسنة من كلامهم الذي يسمونه عقليات : هي من هذا الجنس الذي لا ينفق إلا بما فيه من الألفاظ الجملة المشتبهة ، مع من قلت معرفته بما جاء به الرسول وبطرق إثبات ذلك ، ويتوهم أن يمثل هذا الكلام يثبت معرفة الله وصدق رسله^(٣) ، وأن الطعن في ذلك طعن فيما به يصير العبد مؤمناً ، فيتعجل رد كثير مما جاء به الرسول [صلى الله عليه وسلم] لظنه أنه بهذا الرد يصير مصدقاً للرسول^(٤) في الباقي . وإذا انعم النظر تبين له أنه كلما ازداد تصديقاً لمثل هذا الكلام ازداد نفاقاً وردا لما جاء به الرسول ، وكلما ازداد معرفة بحقيقة هذا الكلام وفساده ازداد إيماناً وعلماً بحقيقة ما جاء به الرسول ، ولهذا قال من قال من الأئمة : « قلّ أحدٌ نظر في الكلام إلا تزندق وكان^(٥) في قلبه غل على أهل الإسلام » بل قالوا : « علماء الكلام زنادقة » .

ولهذا قيل : إن حقيقة ما صنفه هؤلاء [في كتبهم]^(٦) من الكلام

(١) س : وقالوا إن .

(٢) م . ق : وكذا .

(٣) س . ص : رسوله .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) فقط .

(٥) إلا تزندق وكان : كذا في (م) فقط . وفي سائر النسخ : إلا كان .

(٦) في كتبهم : زيادة في (س) .

[الباطل المحدث المخالف للشرع والعقل هو] ^(١) : ترتيبُ الأصول في تكذيب الرسول ، ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول ؛ ولولا أن هؤلاء القوم جعلوا هذا علماً مقولاً وديناً مقبولاً ، يردُّون به نصوص الكتاب والسنة ، ويقولون : إن هذا هو الحق /الذي يجب قبوله ، دون ١١٣/٢ ماعارضه من النصوص الإلهية والأخبار النبوية ، ويتبعهم ^(٢) على ذلك من طوائف أهل العلم والدين مالا يحصيه إلا الله : لا اعتقادهم أن هؤلاء أخذوا منهم وأعظم تحقيقاً - لم يكن بنا حاجة إلى كشف هذه المقالات ، مع أن الكلام هنا لا يحتمل إلا الاختصار .

ومقصودنا بحكاية هذا الكلام : أن يعلم أن ما ذكره الرازي في هذه المسألة قد استوعب فيه [جميع] ^(٣) حجج النفاة ، وبيّن فسادها . وأما الحجة التي احتج بها فهي أضعف من غيرها كما سيأتى بيانه . وقد ذكر أن هذه المسألة تلزم عامة الطوائف .

وذكر في كتاب « الأربعين » أنها تلزم أصحابه أيضاً ، فقال في الأربعين ^(٤) : « المشهور أن الكرامية يجوزون ذلك ، وينكره سائر الطوائف ، وقيل : أكثر العقلاء يقولون به ، وإن أنكروه باللسان ، فإن أبا علي وأبا هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا : إنه يريد ^(٥) بإرادة حادثة ،

(١) ما بين المعقوفتين زيادة في (س) . إلا أن في آخره : للشرع والعقل له . ولعل ما أثبتته هو الصواب .

(٢) م : وتبعهم .

(٣) جميع : زيادة في (س) .

(٤) الأربعين في أصول الدين ص ١١٨ وما بعدها . الطبعة الأولى - حيدرآباد . ١٣٥٣ .

والكلام التالي منقول من تلخيص كتاب « الأربعين » وهو « لباب الأربعين » للأرموى - ص ٣٧ .

(٥) لباب الأربعين : قالوا بأنه تعالى يريد .

لا في محل^(١) ، ويكره بکراهة حادثة لا في محل^(٢) ، إلا أن صفة المريدية والكارهية محدثة [في ذاته تعالى]^(٣) . وإذا حضر^(٤) المرئى والمسموع حدث في ذاته تعالى^(٥) صفة السامعية والبصرية ، لكنهم إنما يطلقون لفظ التجدد^(٦) دون الحدوث^(٧) . وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته^(٨) علوماً متجددة بحسب تجدد المعلومات . والأشعرية يثبتون نسخَ الحكم ، مفسرين ذلك^(٩) برفعه أو انتهائه ، والارتفاع والانتفاء عدمُ بعد الوجود^(١٠) ، ويقولون : إنه^(١١) عالم بعلم واحد يتعلق قبل وقوع المعلوم بأنه سيقع ، وبعده يزول ذلك التعلق ويتعلق بأنه وقع ، ويقولون : بأن قدرته تتعلق^(١٢) بإيجاد المعين ، وإذا^(١٣) وُجد انقطع ذلك التعلق ، لامتناع إيجاد الموجود ، وكذا^(١٤) تعلق الإرادة بترجيح المعين ، وأيضاً

-
- (١) عبارة « لا في محل » سقطت من « لباب الأربعين » ومن جميع النسخ ما عدا نسخة (م) والعبارة موجودة في « الأربعين » ، ص ١١٨ .
- (٢) هـ : ولكن بکراهية بإرادة حادثة لا في محل . وهو تحريف .
- (٣) في ذاته تعالى : زيادة في (س) . (هـ) . وفي « لباب الأربعين » . ص ٣٧ .
- (٤) حضر : كذا في (س) وفي « لباب » وفي سائر النسخ : حصل . وفي (هـ) : وأحضر .
- (٥) تعالى : ليست في « لباب » .
- (٦) م ، ق ، ص : المتجدد . والمثبت من (س) . « لباب » .
- (٧) م ، ق ، ط ، هـ : الحادث . والمثبت من (س) . « لباب » .
- (٨) لباب ظ ٣٧ : في ذاته تعالى .
- (٩) ذلك : ساقطة من « لباب » .
- (١٠) لباب : عدم تقدم الوجود . وهو تحريف . وفي « الأربعين » : فقد عدم بعد وجوده .
- (١١) لباب : بأنه .
- (١٢) لباب : بأن قدرته تعالى يتعلق .
- (١٣) لباب : فإذا .
- (١٤) وكذا : في (س) . (هـ) . « لباب » . وفي سائر النسخ : وكذلك .

المعدوم لا يكون مرثياً ولا مسموعاً ، وعند الوجود يكون مرثياً ومسموعاً^(١) ؛ ^(٢) فهذه التعلقات حادثة .

فإن التزم جاهل كون المعدوم مرثياً ومسموعاً^(٣) ، قلنا : الله تعالى يرى المعدوم معدوماً ، لا موجوداً ، وعند وجوده يراه موجوداً لا معدوماً ؛ لأن رؤية الموجود / معدوماً أو بالعكس^(٤) غلط ، وأنه يوجب ١١٤/٢ ما ذكرنا ، والفلاسفة - مع بعدهم عن هذا - يقولون بأن الإضافات - ^(٥) وهى القبلىة والبعدىة [والمعنى] - موجودة فى الأعيان ، فيكون الله^(٦) مع كل حادث ، وذلك الوصف الإضافى حدث فى ذاته^(٧) وأبو البركات من المتأخرين منهم صرح فى «المعتبر» بإرادات^(٨) محدثة ، وعلوم محدثة^(٩) فى ذاته تعالى ، زاعماً بأنه^(١٠) لا يمكن الاعتراف بكونه إلهاً لهذا العالم إلا مع هذا القول ، ثم قال : «الإجلال من هذا الإجلال والتتزيه من هذا التتزيه واجب^(١١)» .

(١) لباب : يصير مرثياً مسموعاً .

(٢-٣) : ساقط من «لباب» وانظر الأربعين . ص ١١٩ .

(٣) لباب : لأن رؤية المعدوم موجوداً وبالعكس .

(٤-٥) : عبارة : «وهى القبلىة والبعدىة والمعنى» ليست فى «لباب» . والظاهر أنها زيادة

للتوضيح من ابن تيمية . وسقطت كلمة «والمعنى» من (م) . (ق) .

(٥) لباب : الله تعالى .

(٦) لباب : فى ذاته تعالى .

(٧) لباب : بإرادة .

(٨) لباب : وعد غير محدثة . وهو تحريف .

(٩) لباب : أنه .

(١٠) لباب : من هذا الإجلال واجب والتتزيه من هذا التتزيه لازم .

قال الرازي^(١) : « واعلم أن الصفة إما حقيقية^(٢) عارية عن الإضافة كالسواد والبياض ، أو حقيقية^(٣) تلزمها إضافة كالعلم والقدرة ، فإنه يلزمها تعلق بالمعلوم والمقدور ، وهو إضافة مخصوصة بينهما^(٤) ، وإما إضافة^(٥) مَحْضَة ككون الشيء قبل غيره وبعده ويمينه ويساره ، فإن تغير^(٦) كهذه الأشياء لا يوجب تغيراً في الذات ، ولا في صفة حقيقية منها . فنقول : تغير الإضافات لا مَحْصَصَ عنه^(٧) . وأما تغير الصفات الحقيقية : فالكرامية يثبتونه ، وغيرهم ينكرونه ، فظهر^(٨) الفرق بين مذهب الكرامية [وغيرهم]^(٩) . لأنسمى ذلك صفة ، ولا نقول : إن ذلك تغير في الصفات الحقيقية ، كما تقدم^(١٠) . »

ثم استدل الرازي بثلاثة أوجه^(١١) :

« أحدها^(١٢) : أن صفاته صفات^(١٣) كمال ، فحدوثها يوجب

(١) بعد الكلام السابق مباشرة . لباب . ط ٣٧ .

(٢) س ، م ، ق . هـ : حقيقة . وفي « لباب » : إما أن تكون حقيقية .

(٣) هـ ، م ، ق . س : حقيقة .

(٤) لباب : بينهما وبينها .

(٥) س . ص . ط . ر : إضافة .

(٦) ر : فإن تعلق .

(٧) لباب : لا محيص له .

(٨) م ، ق : فظاهر .

(٩) وغيرهم : ساقطة من (م) ، (ق) ، (ص) ، (ط) ، (ر) .

(١٠-١١) : هذه العبارات ليست في « لباب » ولا في « الأربعين » .

(١١-١٢) : مكان هذه العبارات في « لباب » : لنا وجوه .

(١٢) لباب : فا .

(١٣) لباب : أن صفاته تعالى صفة .

نقصانه ، يعنى قبل^(١) حدوثها ، والإضافات لوجود لها فى الأعيان ، دفعاً للتسلسل ، فلا يرد نقصاً^(٢) .

ولقائل أن يقول : هذا الدليل قد تقدم الكلام عليه ، والمنازع لا يسمى ذلك صفة ، وإن وصف الموصوف بنوع ذلك ، فليس كل فرد من الأفراد صفة كمال مستحقة القدم^(٣) ، بحيث يكون عدمها فى الأزل نقصاً ، وما اقتضت الحكمة^(٤) حدوثه فى وقت لم يكن عدمه قبل ذلك نقصاً ، بل الكمالُ عدمه حيث لا تقتضى الحكمة وجود حدوثه ، ووجوده حيث اقتضت الحكمة وجوده ، كالحوادث المنفصلة ؛ فليس عدم كل شيء نقصاً عما عدم عنه .

وأيضاً فالحوادث لا يمكن وجودها إلا متعاقبة ، وقدمها ممتنع ، وما كان ممتنع الوجود لم يكن / عدمه نقصاً ، والتسلسل المذكور هو ١١٥/٢ التسلسل فى الآثار والشروط ونحوها ، وهذا فيه قولان مشهوران ، فالمتنازع قد يختار^(٥) جوازه ، لاسيما مَنْ يقول : إن الرب لم يزل فاعلاً متكلماً إذا شاء .

« الثانى^(٦) : لو كانت ذاته قابلة للحوادث لكانت تلك^(٧) القابلية من

(١) لباب : يوجب نقصانه تعالى قبل .

(٢) م ، ق : نقضا . وهو تحريف .

(٣) س : للقدم ؛ ص ، ط ، ر : العدم .

(٤) م ، ق : حكته .

(٥) ص ، ط ، ر : قد لا يختار .

(٦) لباب : ب .

(٧) تلك : ليست فى « لباب » .

لوازمها^(١) ، وأزلية القابلية توجب صحة وجود المقبول أزلاً ؛ لأن قابلية الشيء للغير^(٢) نسبة بينهما ، والنسبة بين الشئين موقوفة^(٣) عليهما ، لكن وجود^(٤) الحوادث في الأزل محال ، ولا يلزم علينا القدرة الأزلية ؛ لأن تقدم القدرة^(٥) على المقدور واجب ، دون تقدم^(٦) القابل على المقبول .

قال الأرموى^(٧) : « ولقائل أن يقول : ما ذكرتم بتقدير التسليم يقتضي أزلية صحة وجود الحوادث ، لا صحة أزلية وجود الحوادث ، وقد عرفت الفرق بينهما في مسألة الحدوث ، والفرق المذكور - إن صح - أغنى عن الدليل السابق ، وإلا نفي النقص^(٨) ، وأيضاً إذا^(٩) صح الفرق ، مع أن الدليل المذكور ينفيه ، لزم بطلان الدليل .

قلت : [فقد] ذكر الأرموى في بطلان هذا الدليل ثلاثة أوجه : أحدها : الفرق بين صحة أزلية الحدوث وأزلية صحة الحدوث ، وسيأتي إن شاء الله الكلام فيه ، ويبان أنه فرق فاسد . لكن يقال : إن صح هذا الفرق بطل الدليل ، وإن لم يصح لزم إمكان الحوادث في الأزل ، ولزم إمكان وجود المقدور والمقبول في الأزل ، وكلاهما يُنْطَلِ

(١) لباب : من لوازمها لما سبق في مسألة إثبات الصانع .

(٢) لباب : لغيره .

(٣) لباب : متوقفة .

(٤) لباب : لكنا بينا أن وجود .

(٥) لباب : القادر .

(٦) تقدم : ليست في « لباب » .

(٧) سبقت ترجمة الأرموى - ج ١ - ص ٣٢٣ . والكلام التالي في « لباب » ص ٣٨ .

(٨) م - ق : النقص . وفي « لباب » وإلا بقي النقص .

(٩) لباب : إن .

(١٠) فقد : ساقطة من (م) .

الدليل ، أو يقال : ما كان جوابا لكم عن المقدور كان جوابا لنا عن المقبول ، أو يقال : إن صح هذا الفرق بطل الدليل ، وإن لم يصح هذا الفرق فاللازم أحد أمرين : إما إمكان دوام الحوادث [وإما امتناع دوامها ، فإن كان اللازم هو الأول لزم إمكان وجود جنس الحوادث المقبولة في الأزل وبطل الدليل ، وإن كان اللازم هو الثاني كان وجودها في الأزل ممتنعا . وحينئذ فإذا جاز أن يقال : هو قادر عليها مع امتناع وجود المقدور أمكن أن يقال : هو قابل لها مع امتناع وجود المقبول .

وقول الأرموى : والفرق المذكور إن صح أغنى عن الدليل السابق وإلا بقي النقص . قد يُقال : أراد به الفرق بين أزلية الصحة وصحة الأزلية . وقد يُقال : عني به الفرق بين القادر والقابل ، فإن أراد الأول كان معنى كلامه : إن صح الفرق أمكن أن يكون قابلا لها في الأزل وتكون صحتها أزلية ، أى لم تزل ممكنة صحيحة ، مع امتناع صحة أزلية الحوادث كما يقولون ، إذ لم تزل الحوادث ممكنة صحيحة جاثرة مع امتناع كون الحادث أزليا ، ويقولون : صحة الجواز وإمكانها أزلى لامتناع انقلابها من الامتناع إلى الإمكان من غير سبب حادث مع امتناع وجودها في الأزل وامتناع صحة أزليتها .

وهذا الفرق ذكره الغزالي في «تهافت الفلاسفة» والرازي وغيرهما في جواب من قال بأن إمكان وجود المقدورات لأصل له ، فقالوا : نحن نقول : إمكان الحوادث لا بداية لها ، ونقول الشيء المعين بشرط كونه

حادثاً لا بداية لأزليته ، ولا يلزم من ذلك إمكان وجود شئ من
الحوادث في الأزل ، لأن كونه حادثاً مع كونه أزلياً ممتنع .

وهذا الفرق عند التحقيق باطل ، فإنه مستلزم للجمع بين
النقيضين ، فإن الحادث يجب أن يكون مسبوقاً بالعدم .

فإذا قيل بأن الحادث لم يزل ممكناً ، وأن صحته وإمكانه أزليته ،
كان معناه أن ما كان مسبوقاً بالعدم يمكن أن يكون أزلياً ، والأزلى لا
يكون مسبوقاً بالعدم ، فكان معناه أن ما يجب أن يكون حادثاً يمكن
أن يكون قديماً ، وما يجب كونه مسبوقاً بالعدم يجوز أن يكون أزلياً
غير مسبوق بالعدم ، وهذا جمع بين النقيضين .

فإذا قيل : الحادث المعين إمكانه هل هو أزلى أو حادث ؟

قيل : بل هو حادث ، فإن كون الحادث المعين في الأزل ممتنع لذاته ،
وهذا الممتنع لا يكون قط ، ولكن حدثت أسباب أوجبت إمكان
حدوثه ، فكان إمكان حدوثه ممكناً ، كوجود الولد المشروط بوجود
والده ، فإن كونه ابن فلان يستلزم وجود فلان ، ويمتنع أن يكون وجود
ابن فلان موجوداً قبل وجود فلان ، والممتنع لذاته لا يكون مقدوراً ،
وتجدد القادرية بتجدد إمكان المقدور ليس ممتنعاً ، فإن الجميع حاصل
بمشيئة الرب وقدرته ، وهو سبحانه بما يحدثه بمشيئته وقدرته يجعل
المعدوم موجوداً ، فيجعل ما لم يكن ممكناً مقدوراً يصير ممكناً مقدوراً ،
وهذا مبسوط في موضع آخر .

والمقصود شرح مراد الأرموى ، فإذا أراد بالفرق الفرق بين صحة

الأزلية وأزلية الصحة ، كان معنى كلامه : إن صح هذا الفرق بطل الدليل ، فإنه يقول في الحوادث المقبولة ما يقال في الحوادث المنفصلة من الفرق بين صحة أزليتها وأزلية صحتها ، لكن لو أراد بالفرق هذا لم يستقم قوله : « إن هذا الفرق إن صح أغنى عن الدليل السابق » بل هذا الفرق إن صح بطل الدليل المذكور ، فهذا يرجح أنه أراد بالفرق بين القادر والقابل ، فيكون قد ذكر ثلاثة أجوبة ، نقول إن صح الفرق بينهما بأن القابل يستلزم وجود المقبول في الأزل دون القادر ، فهذا الفرق يغني عن الدليل ، وإن لم يصح هذا الفرق انتقض الدليل بالقادر^(١) .

الوجه الثاني : أنه إن صح الفرق بين المقذور والمقبول بأن المقذور يجب تأخره / عن القدرة ، والمقبول لا يجب ذلك فيه ؛ كان هذا وحده ١١٦/٢ دليلاً على وجوب حصول الحادث في الأزل إذا كان قابلاً له ، وحيث لا حاجة إلى أن يستدل على ذلك بما ذكره^(٢) من النسبة إن^(٣) كان الفرق صحيحاً ، وإن لم يكن صحيحاً صح النقض به .

الثالث : أن الدليل المذكور يوجب وجود المقذور في الأزل ؛ لأن القادرية على الشيئين^(٤) نسبة بينهما ، والنسبة بين الشيئين متوقفة عليهما ، فإن صح الفرق بين المقذور والمقبول - مع أن الدليل يتناولهما جميعاً وينفي

(١) الكلام بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ وهو موجود في نسخة (س) في ورقة ملصقة بين أوراق المخطوطة ، وتوجد منه سطور قليلة في نسخة (هـ) .

(٢) س : بما ذكر ..

(٣) س ، ر : إذا .

(٤) س ، هـ : على الشيء .

الفرق - لزوم بطلان الدليل ، فيلزم بطلان مقدمة الدليل أو انتقاضه^(١) ، وكلاهما مبطل له ، وهذا بيّن .

قال الرازي^(٢) : « الثالث^(٣) قول الخليل^(٤) : ﴿ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦] يدل على أن المتغير لا يكون إلهاً » .

ولقائل أن يقول : إن كان الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم احتج بالأفول على نفي كونه ربّ العالمين ، لزوم أنه لم يكن ينفي عنه حلول الحوادث ؛ لأن الأفول هو المغيّب والاحتجاب باتفاق أهل التفسير واللغة ، وهو مما يعلم من اللغة اضطراباً ، وهو حين بزغ قال : (هَذَا رَبِّي) فإذا كان من حين بزوغه إلى حال^(٥) أفوله لم ينف عنه الربوبية دل على أنه لم يجعل حركته منافية لذلك ، وإنما جعل المنافي الأفول ، وإن كان الخليل صلى الله عليه وسلم إنما احتج بالأفول على أنه لا يصلح^(٦) أن يتخذ رباً يشرك به^(٧) ، ويُدعى من دون الله ، فليس فيه تعرض لأفعال الله تعالى ، فقصة الخليل إما أن تكون حجة عليهم ، أو لا لهم ولا عليهم .

قال الرازي^(٨) : « واحتجوا^(٩) بأن الدليل على أن الكلام والسمع^(١٠) »

(١) ص ، ط ، ر ، هـ : وانتقاضه .

(٢) في « لباب » ظ ٣٨ .

(٣) لباب : ج .

(٤) لباب : الخليل عليه السلام .

(٥) س : إلى حين .

(٦) ط : لا يصح .

(٧) م ، ق : . . . رباً ويشرك به .

(٨) في « لباب » بعد الكلام السابق مباشرة .

(٩) لباب : احتجوا .

(١٠) لباب : الكلام والإرادة والسمع .

والبصر صفاتٌ حادثة ، ولا بد لها من محل ، وهو ذاته تعالى ، ولأنه يصح قيام الصفات القديمة بذاته تعالى باتفاق^(١) منا ومن الأشعرية ، والقَدَم لا يعتبر في المقتضى ؛ فإنه^(٢) عبارة عن نفس الأزلية^(٣) وهو عديمي^(٤) ؛ فالمقتضى هو^(٥) كونها صفات ، والحوادث كذلك فليزِم قيامها به^(٦) .

قال^(٧) : « والجواب عن الأول بالجواب^(٨) عن أدلة حدوث تلك الصفات ، وعن / الثاني بأن^(٩) تلك الصفات قد تكون مخالفة لهذه ١١٧/٢ بالنوع ، سلمنا أنه لا فارق سوى القدم فلم قلتم : إنه عديمي ، فإنه عبارة عن نفي العدم^(١٠) السابق ، ونفى النفي ثبوت^(١١) ؟ » .

قلت : ليس المقصود هنا ذكر أدلة المثبتة ؛ فإن النصوص تدل على ذلك في مواضع لا تكاد تحصى إلا بكلفة ، وإنما الغرض بيان : هل في العقل ما يعارض النصوص ؟ ومن أراد تقرير ما احتجوا به من الدليل العقلي على الإثبات قدَح فيما يذكره النفاة من امتناع حدوث تلك الأمور .

(١) لباب : بالاتفاق .

(٢) لباب : لأنه .

(٣) لباب : عن نفي الأولية . وكذلك في « الأربعين » ص ١٢٢ .

(٤) الأربعين : وذلك قيد عديمي .

(٥) هو : ليست في « لباب » .

(٦) لباب : فليزِم صحة قيامها به .

(٧) بعد الكلام السابق مباشرة في « لباب » ط ٣٨ .

(٨) لباب : كالجواب .

(٩) س ، ص ، ط ، ر ، هـ : أن .

(١٠) هـ : فإنه عبارة عن العدم السابق .

(١١) م . ق : ونفي العدم ثبوت ، ص . ط . ر : ونفي الثبوت ثبوت . وما أثبتته عن (س) .

« الأربعين » وفي (هـ) : ونفي المنفي ثبوت .

وعمدَةُ المانعين هو امتناعُ حلولِ الحوادث ، وامتناعُ تسلسلها ، فإذا كانوا لا ينفون حدوثها في ذاته إلا لامتناع حلول الحوادث : لم يحز أن يجيبوا عن أدلة الحدوث بمجرد دليل امتناع حلول الحوادث إن لم يجيبوا عن المعارض ؛ لأن ذلك دَوْر ، فإذا قال القائل : الدليل على بطلان دليل المثبتة هو دليل النفاة ، قيل له : دليلُ النفاة لا يتم إلا ببطلان دليل المثبتة ، فإذا لم تمكن المطالبة إلا بدليل المثبتة كان صحة دليل النفاة متوقفاً^(١) على صحته ، وذلك دَوْر ؛ فإنه لا يتم نفي ذلك إلا بالجواب عن حجة المثبتين ، فيكون قولهم بانتفاء حلول الحوادث مبنيًا على انتفاء حلول الحوادث ، فلا يكون لهم حجة على ذلك^(٢) .

[فالملتبثون معهم السمعيات الكثيرة المتواترة بخلاف النفاة ، فإنه ليس معهم شيء من السمع ، وإنما يدعون قيام الدليل العقلي على امتناع قيام الحوادث به ، فإذا أراد بعض المثبتين أن يقيم دليلاً عقلياً على قيامها به أو إمكان قيامها به ، احتاج إلى أن يجيب عن أدلة النفاة ، والنفاة لا يتم دليلهم على النفي حتى يجيبوا على أدلة المثبتين ، وإلا فلو قُدِّر تعارض الأدلة العقلية من الجانبين فتكافأتا ، وبقيت الأدلة السمعية خالية عن معارض يجب تقدمه عليها ، فإذا احتج المثبتون بالآيات والأحاديث لم يمكن للنفاة أن يقولوا هذا يثبت^(٣) قيام الحوادث به وذلك ممنوع ، إلا إذا أقاموا الدليل العقلي على الامتناع ، وأجابوا عما يحتج به المثبتة من الدليل العقلي ، فلا بد للنفاة من هذا وهذا ، بخلاف المثبتة فإنه يمكنهم

(١) س : موقوفا :

(٢) س : فلا يكون لهم على ذلك حجة .

(٣) كلمة « يثبت » غير واضحة بالأصل ، وكذا استظهرتها .

أن يقولوا السمع دل على ذلك ، ولم يقوموا دليلا عقليا خاليا عن المعارض المقاوم ينفي ذلك ، فلا يحتاج المثبتون إلى دليل عقلي يوافق السمع ، بل يكفيهم إبطال ما يعارضه ، وإذا أقاموا دليلا عقليا فعورضوا بأدلة النفاة لم يحتاجوا إلى إبطالها ، بل تكفيهم المعارضة ، فإذا أبطلوها كانوا قد سدوا على النفاة الأبواب .

فلهذا كان ما يحتاج إليه النفاة من إقامة دليل عقلي ، وإبطال ما يعارضه ، مما احتاج إليه المثبتة ، بل يكفيهم منع مقدمات المعارض ، فإن أبطلوها فقد زادوا ، وتكفيهم المعارضة بالعقلية ، فإن بينوا رجحان عقليتهم فقد زادوا ، وإذا بينوا صحة عقليتهم وبطلان عقلية النفاة ومعهم السمعية ، كانوا قد أثبتوا أن معهم السمع والعقل ، وأن المنازع ليس معه لا سمع ولا عقل ^(١) .

وأما أدلة المثبتين فهو ما يذكرونه من الشرعيات والعقلية ، وهم قد قدحوا في أدلة النفاة ، فبتم كلامهم .

وأما التسلسل فالكرامية ومن وافقهم لا يجيزونه ، كما لا يجيزه كثير من المعتزلة ومن وافقهم ، وأما من يجوز التسلسل في الآثار من أهل الحديث والكلام والفلسفة وغيرهم ، فهؤلاء قد عُرِف طعنهم في أدلة النفاة ، وطعن بعض النفاة في أدلة بعض ، حتى ^(٢) متكلمة أهل الإثبات

(١) ما بين المعقوفين في هامش نسخة (س) وهو ساقط من سائر النسخ وكتب مكانه في (م) .
(ق) : بياض بأصله . وفي (ص) : بياض بالأصل . وفي (ط) : سقط من هنا على الأصل أولها فالمثبتون الخ . وتكررت نفس العبارة في (ر) ولكنها كاملة : « سقط من هنا على الأصل ورقة معلقة أولها فالمثبتون الخ » .

(٢) م ، ق : من .

[من] الأشعرية^(١) وغيرهم متنازعون في ذلك كما قد عرف .
 وأيضاً فإن المثبتين يقولون : كونه قادراً على الفعل بنفسه صفة كمال ،
 كما أن قدرته على المفعول المنفصل صفة كمال ، فإننا إذا عرضنا على
 صريح العقل من يقدر / على الفعل القائم به والمنفصل^(٢) عنه ومن لا
 يقدر على أحدهما^(٣) علم أن الأول أكمل ، كما إذا عرضنا عليه من يعلم
 نفسه وغيره ومن لا يعلم إلا أحدهما ، وأمثال ذلك ، ويقول من يجوز
 دوام الحوادث وتسلسلها : إذا عَرَضْنَا على صريح العقل من يقدر على
 الأفعال المتعاقبة الدائمة ويفعلها دائمة متعاقبة ، ومن لا يقدر على الدائمة
 المتعاقبة كان الأول أكمل . ١١٨/٢

وكذلك إذا عرضنا على العقل من فعل الأفعال المتعاقبة مع
 حدوثها ، ومن لا يفعل حادثاً أصلاً لثلا يكون عدمه قبل وجوده عدم
 كمال ، شهد صريح العقل بأن الأول أكمل ، فإن الثاني ينفي قدرته وفعله
 للجميع ، لثلا يعدم البعض في الأزل ، والأول يثبت قدرته وفعله
 للجميع مع عدم البعض في الأزل ، فذاك ينفي الجميع حذراً من فوت
 البعض ، والثاني يثبت ما يثبت من الكمال مع فوت البعض ، ففوت
 البعض لازم على التقديرين ، وامتاز^(٤) الأول بإثبات كمال في قدرته
 وفعله لم يثبت الثاني .

وأيضاً فهم^(٥) يقولون : كون الكلام لا يقوم بذاته يمنع أن يكون

(١) م . ق : . الإثبات فالأشعرية .

(٢) س : القائم به المنفصل .

(٣) م (فقط) : ومن لا يقدر [إلا] على أحدهما . ويبدو أنها زيادة أضافها المحققان .

(٤) م (فقط) : وامتياز .

(٥) س : فإنهم .

كلامه ، فإن ما قام به شيء من الصفات والأفعال عاد حكمه إليه ، لا إلى غيره ، فإذا خلق في محل علما أو قدرة أو كلاما كان ذلك صفة للمحل الذى خلق فيه ، فذلك المحل هو العالم القادر المتكلم به ، فإذا خلق كلاما في محل كان ذلك الكلام المخلوق كلام ذلك المحل ، لا كلامه ، فإذا خلق في الشجرة : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة القصص: ٣٠] ولم يقم هو به كلام كان ذلك كلاما للشجرة ، فتكون هي القائلة : (إني أنا الله رب العالمين) وهذا باطل ؛ فيتعين^(١) أن يقوم به الكلام ، وكونه لا يقدر أن يتكلم ولا يتكلم بما شاء ، بل يلزمه الكلام كما تلزمه الحياة ، مع كون تكليمه هو خلق مجرد الإدراك ، يقتضى أن يكون القادر على الكلام الذى يتكلم باختياره أكمل منه ، فإننا إذا عرضنا على العقل مَنْ يتكلم باختياره وقدرته وَمَنْ كلامه بغير اختياره وقدرته كان الأول أكمل ، فتعين أن يكون متكلماً بقدرته ومشيئته / كلاما يقوم ١١٩/٢ بذاته ، وكذلك في مجيئه وإتيانه واستوائه وأمثلة ذلك ، إن قَدَرْنَا هذه أمورا منفصلة عنه : لزم أن لا يوصف بها ، وإن قَدَرْنَاها لازمة [لذاته] ^(٢) لا تكون بمشيئته وقدرته : لزم عجزه وتفضيل غيره عليه ، فيجب أن يوصف بالقدرة على هذه الأفعال القائمة به ، التى يفعلها بمشيئته وقدرته ، وهذا هو الذى تعنيه النفاة بقولهم : لا تحله الحوادث ، كما يعنون نفي العلم والقدرة ونحوهما بقولهم : لا تحله الأعراض . وأيضا فإن ما به تثبت الصفات القائمة به ، تثبت الأفعال القائمة به

(١) س : فتعين .

(٢) لذاته : ساقطة من (م) ، (ق) .

التي تحصل^(١) بقدرته واختياره ، ونحو ذلك ، وذلك أنه يقال : العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام ونحو ذلك صفات كمال ، فلو لم يتصف الربُّ بها اتصف بنقائضها كالجهل والعجز والصمم والبكم والخرس ، وهذه صفات نقص ، والله منزّه عن ذلك ؛ فيجب اتصافه بصفات الكمال ، ويقال : كل كمال يثبت لمخلوق^(٢) من غير أن يكون فيه نقص بوجه من الوجوه فالخالق تعالى أولى به ، وكل نقص تنزّه عنه مخلوق فالخالق سبحانه أولى بتنزيهه عنه ، بل كل كمال يكون للموجود لا يستلزم نقصا فالواجب الوجود أولى به من كل موجود ، وأمثال هذه الأدلة المبسوطة في غير هذا الموضع .

فإذا قال النفاة من الجهمية والمتفلسفة والباطنية : هذه الصفات متقابلة تقابل العدم والمملكة ، فلا يلزم من رفع أحدهما ثبوت الثاني ، إلا أن يكون المحل قابلاً لهما ، فأما ما لا يقبلها كالجناد فلا يقال فيه حى ولا ميت ، ولا أعمى ولا بصير^(٣) .

أجيبوا عن ذلك بعدة أجوبة :

مثل أن يقال : هذا اصطلاح لكم ، وإلا فاللغة العربية لا فرق فيها ، والمعاني العقلية لا يعتبر فيها مجرد الاصطلاحات .

ومثل أن يُقال : فما لا يقبل هذه الصفات كالجناد أنقص مما يقبلها

(١) م . ق : التي لا تحصل .

(٢) س . هـ : ثبت للمخلوق .

(٣) في نسخة (هـ) بعد عبارة « ولا أعمى ولا بصير » زيادة مشار إليها في المامش وهي : « يعنى يقولون إنما يلزم اتصافه بنقيض ذلك لو كان قيام الأفعال به يمكننا يعنى قائما بكون عدم البصر عى وعدم الكلام خرسا إذا كان المحل قابلا كالحيران » .

ويتصف بالناقص منها ، فالحي الأعمى أكمل من الجراد الذي لا يوصف ببصر ولا عمى ، وهذا بعينه يُقال فيما يقوم به من الأفعال ونحوها التي يقدر عليها ويشاؤها ، فإنه لو لم يتصف بالقدرة على هذه الأفعال لزم / اتصافه بالعجز عنها ، وذلك نقص ممتنع كما تقدم ، والقادر على ١٢٠/٢ الفعل والكلام أكمل من العاجز عن ذلك .

فإذا قال النافي « إنما يلزم اتصافه بنقيض ذلك لو كان قيام الأفعال به ممكناً ، فأما مالا يقبل ذلك كالجدار فلا يقال : هو قادر على الحركة ولا عاجز عنها »

فيقال : هذا نزاع لفظي كما تقدم ، ويقال أيضاً : فملا يقبل قيام الأفعال الاختيارية به والقدرة عليها كالجراد أنقص مما يقبل ذلك كالحَيوان ، فالحيوان الذي يقبل أن يتحرك بقدرة وإرادته إذا قُدِّرَ عجزه هو أكمل مما لا يقبل الاتصاف بذلك كالجراد ، فإذا وصفتموه بعدم قبول ذلك كان ذلك أنقص من أن تصفوه بالعجز عن ذلك ، وإذا كان وصفه بالعجز عن ذلك صفة نقص ، مع إمكان اتصافه بالقدرة على ذلك ، فوصفه بعدم قبول الأفعال والقدرة عليها أعظم نقصاً .

فإن قال النافي : لو جاز أن يفعل أفعالا تقوم به بإرادته وقدرته للزم أن يكون محلاً للحوادث ، وما قَبِلَ الشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، فيلزم تعاقبها ، وما تعاقبت عليه الحوادث فهو حادث ؛ لامتناع حوادث لا أول لها .

(١) م (فقط) : وإنما .

(٢) م ، ق : يصفوه .

قيل لهم : هذا مبنى على مقدمتين : على أن ما يقبل الشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، وعلى امتناع دوام الحوادث ، وكل من المقدمتين قد بين فسادها^(١) كما تقدم .

ثم قبل العلم بفسادها^(٢) يعلم بصريح العقل أن ما ذكر في إثبات هذه الأفعال من الأدلة العقلية الموافقة للأدلة الشرعية أبين وأظهر وأصرح في العقل من امتناع دوام الحوادث وتعاقبها ، فإن هذه المقدمة في غاية الخفاء والاشتباه ، وأكثر العقلاء من جميع الأمم ينازعون فيها ويدفعونها ، وهي أصل علم الكلام الذي ذمه السلف والأئمة ، وبهذه^(٣) المقدمة استطالت الدهرية على من احتج بها من متكلمة أهل الملل ، وعجزوهم عن إثبات كون الله تعالى يحدث شيئاً لا العالم ولا غيره ، والذين اعتقدوا صحة هذه المقدمة من الجهمية والمعتزلة^(٤) ومن وافقهم ظنوا أن حدوث العالم وإثبات الصانع لا يتم إلا بها ، وفي حقيقة الأمر ١٢٧٢ هـ تنافى / حدوث العالم وإثبات الصانع ، بل لا يمكن القول بإحداث الله تعالى لشيء^(٥) من الحوادث إلا بنقيضها ، ولا يمكن إثبات خلق الله لما خلقه وتصديق رسله فيما أخبروا به عنه إلا بنقيضها ، فما جعلوه أصلاً ودليلاً على صحة المعقول والمنقول ، هو منافٍ مناقض للمنقول والمعقول ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

(١) م . ق : فسادهما .

(٢) م ، ق : بفسادهما .

(٣) م ، ق ، ص . ط . ر : ولده .

(٤) س : من الجهمية المعتزلة .

(٥) س : الشيء .

وأيضاً فإن هؤلاء النفاة يقولون : لم يكن الرب تعالى قادراً على الفعل فصار قادراً ، وكان الفعل ممتنعاً فصار ممكناً ، من غير تجدد شيء أصلاً يوجب القدرة والإمكان ، وهذا معنى قول القائل : إنه يلزم أن ينقلب الشيء من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي ، وهذا مما تجزم العقول ببطلانه ، مع ما فيه من وصف الله بالعجز وتجدد القدرة له من غير سبب .

ومن اعتذر منهم^(١) عن ذلك - مثل كثير منهم - قالوا : إن الممتنع هو القدرة على الفعل في الأزل ، فنفس انتفاء الأزل^(٢) يوجب إمكان الفعل والقدرة عليه .

قيل لهم^(٣) : الأزل ليس هو شيئاً كان موجوداً فعدم ، ولا معدوماً فوجد ، حتى يقال : إنه تجدد أمر أوجب ذلك ، بل الأزل كالأبد ، فكما أن الأبد هو الدوام في المستقبل ، فالأزل هو الدوام في الماضي ، فكما أن الأبد لا يختص بوقت دون وقت ، فالأزل لا يختص بوقت دون وقت^(٤) ، فالأزلى هو : الذى لم يزل كائناً ، والأبدى هو : الذى لا يزال كائناً ، وكونه لم يزل ولا يزال معناه دوامه وبقاؤه ، الذى ليس له مبتدأ ولا منتهى ، فقول القائل : « شرط قدرته انتفاء الأزل » كقول نظيره : « شرط قدرته انتفاء الأبد » .

فإذا كان سلف الأمة وأئمتها وجماهير الطوائف أنكروا قول الجهم في

(١) هـ : ومن اعتذر منهم كالآمدى .

(٢) ر : اللازم .

(٣) س ، هـ : له .

(٤) فى (ط) أمام هذا الكلام فى الهامش كتب : تعريف الأزلى والأبدى .

كونه تعالى لا يقدر في الأبد على الأفعال ، فكذلك قول من قال : لا يقدر في الأزل على الأفعال ، وقول أبي الهذيل : « إنه تعالى لا يقدر على أفعال حادثة في الأبد » يشبه قول من قال : « لا يقدر على أفعال حادثة في الأزل » ، وقد بسط الكلام على هذا ، وقول من يفرق بين النوعين في غير هذا الموضع .

(فصل)

/ وقد استدل بعضهم على النفي بدليل آخر ، فقال : إن كل صفة تفرض لواجب الوجود فإن حقيقته كافية في حصولها [أو لا حصولها ^(١)] وإلا لزم افتقاره إلى سبب منفصل ، وهذا يقتضى إمكانه ، فيكون الواجب ممكنا ، هذا خلف ، وحينئذ يلزم من دوام حقيقته دوام تلك الصفة .

١٢٢/٢

الاستدلال على النفي
بدليل آخر والرد عليه
من وجوه

والمثبتون يجيبون عن هذا بوجوه :

أحدها : أن هذا إنما يقال فيما كان لازما لذاته في النفي أو الإثبات ، أما ما كان موقوفا على مشيئته وقدرته كأفعاله فإنه يكون إذا شاء الله تعالى ، ولا يكون إذا لم يشأه ، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فإن بين المستدل أنه لا يجوز أن يقوم بذاته ما يتعلق بمشيئته وقدرته كان هذا وحده كافيا في المسألة ، وإن لم يبين ذلك لم يكن فيما ذكره حجة .
الثاني : أن يقال : [إن ^(٢)] هذا منقوض بأفعاله ، فإن حقيقته

(١) س . هـ : أزلا حصولها ، والعبارة ساقطة من (م) . (ق) .

(٢) س . هـ : وذلك .

(٣) إن : زيادة في (س) .

كافية في حصولها ، وإلا لزم افتقاره إلى سبب منفصل ، وذلك يقتضي إمكانه ، فيكون الواجب ممكنا ، فما كان جوابا عن الأفعال كان جوابا للمثبتين القائلين : إنه يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته ، ومن جَوَزَ أنه يفعل بعد أن لم يكن فاعلا بمحض القدرة والمشيئة القديمة قال هنا كذلك كما يقوله الكرامية ، ومن قال : « إنه لم يزل يفعل ويتكلم إذا شاء » قال هنا كذلك ، كما يقوله مَنْ يقوله من أئمة السنة والحديث ^(١).

الثالث : أن يقال : أتعني بقولك « ذاته كافية » أنها مستلزمة لوجود اللازم في الأزل ؟ أم هي كافية [فيه] ^(٢) وإن تأخر وجوده ؟ فإن عنيت الأول انتقض عليك بالمفعولات الحادثة ، فإنه يلزمك إما عدمها وإما افتقاره إلى سبب منفصل ؛ إذ كان ^(٣) ما لا تكفي فيه الذات يفتقر إلى سبب منفصل ، وإن عنيت الثاني كان حجة عليك ؛ إذ كان ^(٤) ما تكفي الذات يمكن تأخره

/ الرابع : أن يقال : قولك « يفتقر إلى سبب منفصل » ^(٥) تعني به ١٢٣/٢ شيئا يكون من فعل الله تعالى ، أو شيئا لا يكون من فعله ؟ أما الأول فلا يلزم افتقاره إلى غيره ، فإنه ^(٦) إذا كان هو فاعل الأسباب فهو فاعلها وفاعل ما يحدث بها ، فلا يكون مفتقرا إلى غيره ، وأما إن عنيت بالسبب

(١) س : من أئمة السلف وأهل الحديث .

(٢) م ، ق : أو هي .

(٣) فيه : ساقطة من (م) فقط .

(٤) س ، ص ، ط ، ر ، هـ : إذا كان .

(٥) س ، ص ، ط ، ر ، هـ : إذا كان .

(٦) م (فقط) : متصل - وهو خطأ .

(٧) م ، ق : لأنه .

ما لا يكون من فعله لزمك أن كل ما لا يكفي فيه الذات فلا يستلزم^(١) وجوده في الأزل ألا يوجد^(٢) إلا بشريك مع الله ليس من مخلوقاته ، ومعلوم أن هذا خلاف إجماع أهل الإيمان ، بل خلاف إجماع جماهير العقلاء ، وهو خلاف المعقول الصريح أيضا ، فإن ذلك الشريك المقدّر^(٣) إن كان واجب الوجود بنفسه إلها آخر لزم إثبات خالق قديم مع الله مشارك له في فعله لا يفعل إلا به ، وهذا مع أنه لم يقل به أحد من بني آدم ، فهو باطل في نفسه ، لأنه يستلزم افتقار كل من الفاعلين إلى الآخر ، فإن التقدير في هذا المشترك هو أن أحدهما لا يستقل به ، بل يحتاج إلى معاونة الآخر ؛ وما احتاج إلى معاونة الآخر كان فقيرا إلى غيره ليس بغنى ، وكان عاجزا ليس بقادر ، فإن كان هذا دليلا على انتفاء الوجوب بطل دليلك ، وإن لم يكن دليلا بطل دليلك أيضا ، فإنه مبنى عليه ، وإن كان ذلك الشريك المقدّر^(٤) ليس واجب الوجود^(٥) بنفسه فهو ممكن لا يوجد إلا بالواجب بنفسه ، فلزم أن يكون من مفعولاته .

[الجواب] الخامس^(٦) : أن يقال قول المحتج : «كل ما يفرض له [فأما أن]^(٧) تكون ذاته كافية في ثبوت حصوله أو لا تكفي في

(١) م ، ق - ص . ط . ر ، هـ : ولا تستلزم .

(٢) م ، ق ، لا يوجد ، هـ : وأن لا يوجد .

(٣) م ، ق : المقدور .

(٤) م ، ق : المقدور .

(٥) م ، ق : بواجب الوجود .

(٦) الجواب الخامس : كذا في (س) ، وفي (م) . (ق) . (هـ) : الخامس وسقطت كلمة

(الجواب) ، ص ، ط ، ر : الجواب الرابع . وهو خطأ .

(٧) فأما أن : ساقطة من (م) . (ق) .

حصوله^(١) ، وإلا لزم افتقاره إلى سبب منفصل « كلامٌ باطلٌ » ، وذلك أنه يقال : لا نسلم أن مالا يكون مجرد الذات كافية في ثبوته أو انتفائه يفتقر^(٢) فيه إلى سبب منفصل ، وإنما يلزم ذلك أن لو لم تكن الذات قادرة على ما يتصل بها من الأفعال ، فإذا كانت قادرة على ذلك أمكن أن يكون ما يتجدد لها من الثبوت موقوفا على ما يقوم بها من مقدراتها ، فليس مجرد الذات مقتضية لذلك ، ولا افتقرت^(٣) إلى سبب منفصل ، وذلك أن لفظ « الذات » فيه^(٤) إجمال واشتباه ، ويسبب الإجمال في ذلك وقعت شبهة في مسائل الصفات والأفعال ، / فإنه يقال له : ما تريد ١٢٤/٢ بذاته ؟ أتريد به الذات المجردة عما يقوم بها من مقدراتها ومرادها ؟ أم تعنى به الذات القادرة على ما تريده مما يقوم بها ومما لا يقوم بها ؟ فإن أردت به الأول كان التلازم صحيحا ، فإنه إذا قدر ذات لا يقوم بها شيء من ذلك ، كان ما يثبت لها وما ينفي عنها إن لم تكن هي كافية [فيه]^(٥) ، وإلا افتقرت إلى سبب منفصل ، لأنه لا يقوم بها ما تقدر عليه وتريده ، لكن يقال : ثبوت التلازم ليس بحجة إن لم تكن الذات في نفس الأمر كذلك ، وكون الذات في نفس الأمر كذلك هو رأس المسألة ، ومحل النزاع ، فلا يكون الدليل صحيحا حتى يثبت المطلوب ، ولو ثبت المطلوب لم يحتج إلى الدليل^(٦) ، فتكون قد صادرت [على]^(٧)

(١) م . ق : أو نفي حصوله .

(٢) يفتقر : كذا في (س) ، وفي سائر النسخ : تفتقر . وفي (هـ) : الكلمة غير منقوطة .

(٣) م (فقط) : وإلا افتقرت .

(٤) س : فيها .

(٥) فيه : زيادة في (س) . (ر) .

(٦) م . ق : إلى دليل .

(٧) على : ساقطة من (م) .

المطلوب حيث جعلته مقدمة في إثبات نفسه ، وهذا باطل بصريح العقل
واتفاق أهله العارفين بذلك .

وإن أردت بالذات النوع الثاني لم يصح التلازم ، فإنه إذا قدر ذات
تقدر على أن تفعل الأفعال التي تختارها وتقوم بها ، لم يلزم أن يكون ما
يتجدد من تلك الأفعال موقوفاً على سبب منفصل ، ولا يكون مجرد
الذات بدون ما يتجدد من مقدورها^(١) ومرادها كافياً في كل فرد من
ذلك ، بل قد يكون الفعل الثاني لا يوجد إلا بالأول ، والأول بما قبله
وهلم جرّاً ، فليس بمجرد الذات بدون ما تجده كافياً في حصول
المتأخرات ، ولا هي مفتقرة في ذلك إلى أمور منفصلة عنها ، فلفظ
«الذات» قد يُراد به الذات بما يقوم بها ، وقد يراد به الذات المجردة عما
يقوم بها .

فإذا قيل «هل الذات كافية» إن أريد به الذات المجردة فتلك لا
حقيقة لها في الخارج عند أهل الإثبات ، وإذا قدرت^(٢) تقديرها فهي لا
تكفي في إثبات ما يثبت لها ، وإن أريد به الذات المنعوتة^(٣) فإنه^(٤) يقوم
بها الأفعال الاختيارية ، فعلوم أن هذه الذات لا يجب أن يتوقف ما
يتجدد لها من فعل ومفعول على سبب منفصل عنها ، ونظير هذا قول نفاة
الصفات : إن الصفات هلى هي زائدة على الذات أو ليست / زائدة؟

١٢٥/٢

(١) وإن : كذا في (س) . (هـ) . وفي سائر النسخ : فإن .

(٢) ر : مقدوراتها .

(٣) وإذا قدرت : كذا في (س) وفي سائر النسخ : وإذا قدر .

(٤) المنعوتة : كذا في (س) وفي سائر النسخ : المنعوت .

(٥) س : بانه .

فإننا قد بينا في غير هذا الموضع أن الذات المجردة عن الصفات لا حقيقة لها، بل الصفات زائدة على ما يشبه النفاة من الذات، وأما الذات الموصوفة بصفاتها القادرة على أفعالها فتلك مستلزمة لما يلزمها من الصفات، قادرة على ما تشاؤه من الأفعال، فهي لا تكون إلا موصوفة، لا يمكن أن تتجرد عن الصفات اللازمة لها، حتى يُقال: هل هي زائدة عليها أو ليست زائدة عليها؟ بل هي داخلية في مسمى اسمها، والأفعال القائمة بها بقدرتها وإرادتها كذلك.

فكما أنه مُسمَّى بأسمائه الحسنى، منعوت بصفاته العلى، قبل خلق السموات والأرض، وبعد إقامة القيامة، وفيما بين ذلك، لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الإكرام والجلال، فكذلك هو مسمى بأسمائه الحسنى منعوت بصفاته العلى، قبل هذه الأفعال وبعدها.

وكما^(١) أن ذلك ثابت قبل حدوث المفعولات وبعدها، فهو أيضاً ثابت قبل حدوث الأفعال وبعدها، ومن آياته الشمس والقمر والكواكب، وما تستحقه هذه الأعيان من الأسماء والصفات هو ثابت لها قبل الحركات المعينة وبعدها، ولا يحتاج أن يقدر لها^(٢) ذات مجردة عن [النور وعن]^(٣) دوام الحركة، ثم زيد عليها النور ودوام الحركة، فالخالق سبحانه أولى بثبوت الكمال له^(٤) وانتفاء النقص عنه، والمخلوقات

(١) س: فكا.

(٢) ص. ط. ر. م. ق: بها.

(٣) النور وعن: ساقط من (م) فقط.

(٤) م. ق: بثبوت كماله.

إنما احتاجت فيما يحدث عنها إلى سبب منفصل لأنها هي في نفسها^(١) محتاجة إلى الفاعل المنفصل ، فلا [يوجد]^(٢) شئ من ذاتها وصفاتها وأفعالها إلا بأمر منفصل عنها ، وأما الخالق سبحانه وتعالى فهو الغنى عما سواه ، فلا يفتقر في شئ من ذاته وصفاته وأفعاله إلى أمر منفصل عنه ، بل كل ما كان منفصلا عنه فهو مفتقر إليه ، وهو سبحانه غنى عن ذلك المنفصل الذي هو مفتقر إليه ، فلا يحتاج فيما يحدده من أفعاله القائمة بنفسه التي يريدتها ويقدر عليها إلى أمر مستغن عنه ، كما لا يحتاج في مفعولاته المنفصلة عنه إلى ذلك وأولى ، وإذا^(٣) كان قد خلق من الأمور المنفصلة عنه ما جعله سببا لأفعال تقوم بنفسه ، كما يخلق الطاعات التي ترضيه ، والتوبة / التي يفرح بها ، والدعاء الذي يجيب سائله ، وأمثال ذلك من الأمور ، فليس هو في شئ من ذلك مفتقرا إلى ما سواه ، بل هو سبحانه الخالق للجميع ، وكل ما سواه مفتقر إليه ، وهو الغنى عن كل ما سواه ، وهذا كما أن ما يفعله من المخلوقات بعضها ببعض ، كإنزال المطر بالسحاب وإنبات النبات بالماء ، لا يوجب افتقاره إلى الأسباب المنفصلة ؛ إذ هو خالق هذا وهذا ، وجاعل هذا سببا لهذا ، وقد بسطت هذه الأمور^(٤) في غير هذا الموضع بما لا يليق بهذا المكان .

[الجواب^(٥) السادس : أن يُقال : قولهم إن لم يكن ذاته كافية في

(١) س . ص . ط . ر : في أنفسها .

(٢) يوجد : ساقطة من (م) . (ق) .

(٣) س : فإذا .

(٤) بسطت هذه الأمور : كذا في (س) : وفي سائر النسخ : وقد بسط هذا .

(٥) الكلام التالي بين المعقوفين في (س) فقط . وسقط من سائر النسخ .

حصولها لزم افتقاره إلى سبب منفصل ، وذلك يقضى إمكانه ، فيكون الواجب ممكناً تمنع فيه المقدمة الأولى التلازمية التي هي شرطية متصلة ، وذلك أن الذات إن لم تكن كافية في حصولها، إنما يلزم افتقار ذلك الحادث إلى سبب منفصل ، لا يلزم افتقار نفس الذات إلى سبب منفصل ، فإن المحتج يقول : كل صفة تفرض فذاته كافية في حصولها أولاً حصولها ، لأنه لو لم يكن كذلك لزم افتقاره إلى سبب منفصل .

فيقال له : بتقدير أن لا تكون الذات كافية في نفي تلك الصفة أو إثباتها، يلزم أن يكون نفيها أو إثباتها موقوفاً على أمر غير الذات ، وأما كون الذات تكون موقوفة على ذلك الغير ، فهذا ليس بلازم من هذا التقدير ، إلا أن يتبين أنه إذا كان شيء من الأمور التي تُوصف بها من السلب والإيجاب موقوفاً على الغير ، وجب أن يكون هو نفسه موقوفاً على الغير ، وهو لم يبين ذلك .

ومن المعلوم أن القائلين بهذا يقولون : إن ما يتجدد من الأمور القائمة به ، فهو موقوف على مشيئته وقدرته ، وذاته ليست موقوفة على مشيئته وقدرته ، ويقولون : إنه يجوز أن يقف ذلك على ما يحدثه هو من الحوادث بمشيئته وقدرته ، وهو في نفسه ليس موقوفاً على ما يحدثه من الحوادث المتعلقة بمشيئته وقدرته ، وليس في الوجود موجود سواه وسوى مخلوقاته حتى يُقال إن تلك الأمور موقوفة عليه ، بل غاية ما يمكن أن يُقال إنها موقوفة على مشيئته وقدرته أو تابع مشيئته وقدرته . وأصحاب هذا القول يقولون ذلك ، وتكون تلك الأمور موقوفة على ذلك ، لا يقتضى أن يكون هو نفسه موقوفاً على ذلك ، ولكن هذا المحتج إن لم

يقرر مقدمات حجته لم تكن حجته صحيحة ، وحجته مبنية على أنه لو لم تكف ذاته في حصول ما ينفي ويثبت للزم افتقاره إلى غيره ، وإنما يلزم افتقار تلك المنفيات والمثبتات إلى ذلك الغير ، فإن هذا بين ، فإن لم بين أن افتقار تلك الأمور إلى الغير مستلزم لافتقاره ، وإلا لم تكن حجة صحيحة ، لاسيما وتلك الأمور على هذا التقدير ليست من لوازم ذاته ، فإنها لو كانت من لوازم ذاته كانت ذاته كافية فيها ، ولوازم الذات متى افتقرت إلى الغير لزم افتقار الذات إلى الغير ، فإن الملزوم لا يوجد إلا باللازم ، واللازم لا يوجد إلا بذلك الغير ، فالملزوم لا يوجد إلا بذلك الغير ، ولكن ذلك الغير لا يجب أن يكون فاعلاً أو علة فاعلة ، بل يجوز أن يكون شرطاً ملازماً .

وقد بين في غير هذا الموضع أن نفس ذات الواجب إذا قيل : هي ملازمة لصفاته الواجبة له ، أو صفاته الواجبة له ملازمة لذاته ، أو كلي من الصفات الواجبة ملازم للآخرى ، كان هذا حقاً وهو متضمن أن تحقيق كل من ذلك مشروط بتحقيق الآخر .

وأما كون الرب تعالى مفتقر إلى شيء مباين له غنى عنه ، فهذا ممتنع ، فإنه سبحانه الغنى عن كل شيء ، فإذا قُدر أن بعض لوازمه توقف على ما هو مباين له لم يكن وجوده ثابتاً إلا بوجود ذلك المباين ، وكان الله مفتقراً^(١) إليه ، والله غنى عن كل شيء . وأما إذا لم يكن الأمر من لوازم ذاته ، بل كان من الأمور العارضة ، فلا ريب أن أهل الإيمان والسنة يقولون إن الله لا يفتقر في شيء من الأشياء إلى غيره ،

(١) في الأصل : مفتقر .

لا في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ، سواء قام بذاته أو لم يقم بذاته ، ولكن هو بنفسه غنى عن كل ما سواه ، ولا يقال إنه نفسه غنى عن نفسه ، وليس في كونه مستلزماً لصفاته وفعالاً لأفعاله ما يقتضى افتقاره إلى غير نفسه ، فإنه إذا كان وحده مستلزماً لصفاته ، فاعلاً لجميع أفعاله ، لم يكن شيء مما وُجد بغيره ، بل جميع ما وُجد فلا يخرج من ذاته وصفاته وأفعاله ، فلا يتصور أن يكون مفتقراً إلى غير نفسه المقدسة سبحانه وتعالى .

ولكن المقصود أن هذا المحتج إذا قال له المعارض : ما المانع أن تكون هذه الأمور العارضة موقوفة على غير مع كون الحق واجب الوجود بذاته ؟ لم يكن فيما ذكر حجة ، بل ذكر أن تلك الأمور إذا لم تكن من لوازم ذاته بحيث تكون مجرد الذات كافيها فيها ، وإلا لزم افتقاره إلى سبب منفصل ، واللازم إنما هو افتقار تلك الأمور إلى سبب منفصل ، فإن بين أن ما يقوم بالواجب يمتنع أن يكون موقوفاً على سبب منفصل تمت حجته ، وإلا فلا ، ولا يمكن أن يقيم حجه إلا على أنه لا يقف على ما هو مستغنى عن الواجب بنفسه ، وهذا حق . وأما كونه لا يقف على ما هو مفتقر^(١) إلى الواجب فهذا لا يمكن إقامه الدلالة عليه .

الوجه السابع : أن يُقال : قولك بأن عواض ذاته لا يتوقف على الغير يستلزم أن عواض ذاته يتوقف على الغير ، وإذا كان تقدير ثبوته مستلزماً لانتفائه دل على أن تقدير ثبوته مستلزم لجمع بين النقيضين ، فلا يكون ثابتاً ، وإن شئت قلت : قولك لا تقوم به الحوادث مستلزم لقيام

(١) في الأصل : مفتقراً .

الحوادث به ، فيلزم الجمع بين النقيضين ، وإن شئت قلت : قولك لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته يستلزم نقيض ذلك فيكون باطلاً ، وهذا يصلح أن يكون دليلاً مستقلاً في أول المسألة ، وذلك لأن هذا العالم المشهود إما أن يكون واجباً بذاته أو ممكناً ، فإن كان واجباً بذاته فمن المعلوم قيام الحوادث به ، فيلزم قيامها بالواجب بذاته .

وأيضاً فمن المعلوم أن ما يقوم ببعض^(١) الأفلاك من الحوادث ليست ذاته كافية له ، بل هو موقوف على غيره ، فيكون ما يقوم بالواجب بنفسه موقوفاً على غيره ، وإن كان هذا العالم ممكناً وهو الحق ، فلا بد له من واجب ، فذلك الواجب إما أن يكون علة تامة مستلزمة في الأزل لجميع معلولاته أولاً ، والأول باطل لأنه لو كان كذلك لم يتأخر شيء من معلولاته . والثاني يقتضى أنه فعل بعد أن لم يكن فعل ، وذلك يقتضى تجدد فاعلية ، فأما أن يكون تجدد ذلك مستلزماً لكون متجدداته توجب افتقار ذاته إلى غيره أولاً ، فإن لم تكن بطلت الحجة ، وإن استلزم ذلك ثبت افتقار ما يتجدد بذاته إلى غيره . فلو قيل : إن الواجب لا تقوم بذاته هذه الأمور للزم أن تقوم بذاته هذه الأمور ، فيلزم الجمع بين النقيضين . وإن قيل : تجدد الفاعلية لا يستلزم قيام شيء به ، بل تجددت من غير حدوث شيء أصلاً . قيل : فكذلك ما يتجدد من الأمور القائمة بذاته ممكن حيثئذ تجدده من غير حدوث شيء أصلاً بطريق الأولى . وإن شئت أن تكون هذه معارضة ودليلاً في رأس المسألة ، ونقول : ما يتجدد من مفعولاته هل يقتضى افتقار ذاته

(١) في الأصل : بعض .

إلى غيره أم لا؟ فإن قيل لا يقتضى ، فكذلك ما يتجدد من أفعاله القائمة به وإلا فلا . وهذا لأن نفاة الأمور القائمة به منهم من يقول حدثت^(١) الحوادث المبينة له من غير تجدد شيء أصلاً ، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة والكلائية وغيرهم ، ومنهم من يقول : بل مازالت الحوادث تحدث مع كونه مستلزماً لجميع مفعولاته ، كما تقول ذلك الدهرية الفلاسفة ، والدهرية منهم من يقول : إن العالم واجب الوجود بنفسه ، ومنهم من يقول : إن الأول علة غائية له ، وكل من هذه الأقوال يلزمه من التناقض ما يبين به أنه لا يمكنه إبطال القول بقيام مراداته ومحجوباته بذاته [٢] .

(فصل)

معارضة بعض التكلمين للرازي

وقد عارض بعضهم الرازي فيما ذكره من أن هذه المسألة تلزم عامة الطوائف ، فقال : المراد بالحدث : الموجود الذى وجد^(٣) بعد العدم ، ذاتا كان أو صفة ، أما ما لا يوصف بالوجود - كالأعدام المتجددة ، والأحوال عند من يقول بها ، والإضافات^(٤) عند من لا يقول^(٥) : إنها وجودية - فلا يصدق عليها اسم الحادث ، وإن صدق عليها اسم المتجدد ، فلا يلزم من تجدد الإضافات والأحوال فى ذات البارى أن تكون^(٦) محلا للحوادث .

(١) فى الأصل : حديث .

(٢) ما بين المقوفتين فى (س) فقط وسقط من سائر النسخ . وكتب الناسخ بعد كلمة « بذاته » بلغ مقابلة .

(٣) م . ق : يوجد .

(٤) س : والمضافات .

(٥) س ، هـ : عند من يقول .

(٦) تكون : كذا فى (س) . وفى سائر النسخ : يكون .

قال : وما قاله الإمام - يعنى الرازى - فى هذا المقام إن أكثر العقلاء قالوا به وإن أنكروه باللسان ، وبيّنه بصور ؛ فليس كذلك ، لأن أكثر ما ذكر من تلك الأمور فإنما هى متجددة لا محدثة ، والمتجدد أعم من الحادث ، فلا يلزم من وجود العام وجود الخاص .

قلت^(١) : ولقائل أن يقول : هذا ضعيف من وجوه : الرد عليهم من وجوه

أحدها^(٢) : أن الدليل الذى استدلوا به على نفي الحوادث ينفي الوجه الأول المتجددات أيضا كقولهم : إما أن يكون كمالا أو نقصا ، وقولهم : لو حصل ذلك للزم التغير ، وقولهم : إما أن تكون^(٣) ذاته كافية فيه أولا تكون^(٣) ، وقولهم : كونه قابلا له فى الأزل يستلزم إمكان ثبوته فى الأزل ؛ فإنه لا يمكن أن يحصل فى الأزل لا متجدد ولا حادث ، / ولا يوصف الله بصفة نقص ، سواء كان متجددا أو حادثا ، وكذلك التغير لا فرق^(٤) بين أن يكون بجادث أو متجدد ، فإن قالوا : تجدد المتجددات ليس تغيرا ، قال أولئك : وحدوث الحركات الحادثة ليس تغيرا ، فإن قالوا : « بل هذا يسمى تغيرا » منعههم الفرق ، وإن سلموه كان النزاع لفظيا ، وإذا كان استدلالهم ينفي القسمين لزم إما فسادهم وإما النقص .

الوجه الثانى : أن يُقال : تسمية هذا متجددا وهذا حادثا فرق الوجه الثانى

(١) هـ : قال ابن تيمية .

(٢) هـ : من وجهين أحدهما .

(٣) م ، ق : يكون . هـ : (يكون) غير منقوطة .

(٤) س : فلا فرق .

لفظي ، لا معنوي ، ولا ريب أن أهل السنة والحديث لا يطلقون عليه سبحانه وتعالى أنه محل للحوادث ، ولا محل للأعراض ، ونحو ذلك من الألفاظ المبتدعة التي يُفهم منها معنى باطل ، فإن الناس يفهمون من هذا أن يحدث في ذاته ما يسمونه [هم]^(١) حادثاً كالعيوب والآفات ، والله منزّه عن ذلك سبحانه وتعالى ، وإذا قيل : فلان ولي على الأحداث ، أو تنازع أهل القبلة في أهل الأحداث ؛ فالمراد بذلك : الأفعال المحرمة كالزنا والسرقة وشرب الخمر وقطع الطريق ، والله أجل وأعظم من أن يخطر^(٢) بقلوب المؤمنين قيامُ القبائح به ، والمقصود^(٣) أن تفرقة المفرق بين المتجدد والحادث أمر لفظي ، لا معني عقلي ، ولو عكسه عاكس فسمى هذا متجدداً وهذا حادثاً لكان كلامه من جنس كلامه .

الوجه الثالث

الوجه الثالث : أن دعوى المدّعي أن الجمهور إنما يلزمهم تجديد^(٤) الإضافات والأحوال والأعدام ، لا تجديد الحادث الذي وجد بعد العدم ، ذاتاً كان أو صفة ، دعوى ممنوعة لم يُقِمَّ عليها دليلاً ، بل الدليل يدل على أن أولئك الطوائف يلزمهم^(٥) قيام أمور وجودية حادثة بذاته ، مثال ذلك أنه سبحانه وتعالى يسمع ويرى ما يخلقه من الأصوات والمرئيات .

وقد أخبر القرآن بحدوث ذلك في مثل قوله : ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِرَّيَ

(١) هم : ساقطة من (م) . (ق) . (هـ) .

(٢) يخطر : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : يحضر .

(٣) س ، ص ، ط ، ر : فالمقصود .

(٤) س : تجديد .

(٥) س : يلزمهم .

اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس : ١٤] . وقد أخبر بسمعه ورؤيته ^(١) في مواضع كثيرة ، كقوله لموسى وهارون : ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [سورة طه : ٤٦] وقوله : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [سورة الشعراء : ١٢٨/٢] . ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [سورة آل عمران : ١٨١] . ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة المجادلة : ١] .

وفي الصحيح ^(٢) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : « سبحان الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد كانت المجادلة تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت ، وإنه ليخفي عليّ بعض كلامها ، فأنزل الله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ ^(٣) ، ومثل هذا كثير .

فيقال هؤلاء : أنتم معترفون وسائر العقلاء بما هو معلوم بصريح العقل أن المعدوم لا يرى موجوداً قبل وجوده ، فإذا وجد فرآه موجوداً وسمع كلامه فهل حصل أمر وجودي لم يكن قبل ، أولم يحصل شيء ؟ .

(١) س : برؤيته وسمعه .

(٢) س : وفي الصحيحين .

(٣) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في : البخارى ١١٧/٩ (كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى وكان الله سميعاً بصيراً) ، سنن النسائي ١٣٧/٦ (كتاب الطلاق . باب الظهار) ، سنن ابن ماجه ٦٧/١ (المقدمة . باب فيما أنكرت الجهمية) ، المسند (ط . الحلبي) ٤٦/٦ .

فإن قيل : لم يحصل أمر وجودي ، وكان قبل أن يُخلق لا يراه ، فيكون بعد خلقه لا يراه أيضاً ، وإن قيل : حصل أمر وجودي ، فذلك الوجودي إما أن يقوم بذات الرب ، وإما أن يقوم بغيره ، فإن قام بغيره لزم أن يكون غير الله هو الذي رآه ، وإن قام بذاته علم أنه قام به رؤية ذلك الموجود الذي وجد ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] وما سموه إضافات وأحوالا وتعلقات وغير ذلك .

يقال لهم : هذه أمور^(١) موجودة أو ليست موجودة ؟ فإن لم تكن موجودة فلا فرق بين حاله قبل أن يرى ويسمع وبعد أن يرى ويسمع ، فإن العدم المستمر لا يوجب كونه صار راثياً سامعاً ، وإن قلتم : بل هي أمور وجودية ، فقد أقررتم بأن رؤية الشيء المعين لم تكن حاصلة ، ثم صارت حاصلة بذاته ، وهي أمر وجودي .

والمتفلسفة لا يُقتصر في إلزامهم على تجدد الإضافات ، بل يلزمون بكونه محدثاً للحوادث المتجددة شيئاً فشيئاً ، والإحداث هو^(٢) من مقولة أن يفعل ، وأن يفعل : أحد المقولات العشر ، وهي أمور وجودية .

فيقال : كونه فاعلاً لهذه الحوادث المعينة بعد أن لم يكن فاعلاً لها ، إما أن يكون أمراً حادثاً وإما أن لا يكون حادث^(٣) كونه فاعلاً ؛ فإن لم يحدث كونه فاعلاً فحالته قبل أن يحدثها وبعد أن يحدثها واحد ، وقد كان قبل أن يحدثها غير فاعل لها ، فيلزم أن / لا يحدث شيء ، أو يحدث بلا

(١) س : هذه الأمور .

(٢) م . ق : والأحداث هي .

(٣) ط : حدوث .

محدث ، وأنتم أنكرتم على المتكلمة الجَهْمِيَّة والمعتزلة أن قالوا : الذات تفعل بعد أن لم تكن فاعلة ، بلا أمر^(١) تجدد ، فكيف تقولون : هي دائماً تفعل^(٢) الحوادث شيئاً بعد شيء ، من غير أن يحدث لها أمر ؟

وأيضاً فالفاعلية التامة لكل واحد من الحوادث إن كانت موجودة في الأزل قبل حدوثه لزم تأخر^(٣) الفعل عن الفاعلية التامة ، وهذا باطل ، وذلك يبطل قولهم . وإن قالوا : بل الفاعلية التامة لكل حادث تحدث بعد أن لم تكن حادثة ، فقد صارت الذات فاعلة لذلك الحادث بعد أن لم تكن فاعلة ، وكونها فاعلة هي من مقولة أن يفعل ، وهي إحدى المقولات العشر التي هي الأجناس العالية ، المسماة عندهم بقاطيغورياس^(٤) ، وهي كلها وجودية ، فيلزم اتصاف الرب بقيام الأمور الوجودية به^(٥) شيئاً بعد شيء ، كما اختاره كثير من سلفهم وخلفهم . وهكذا يمكن تقرير كل ما ذكر الرازي^(٦) من إلزام الطوائف شيئاً بعد شيء لمن تصور ذلك تصوراً تاماً ، وكل من قال : « لم يحدث شيء^(٧) موجود » [فإنه]^(٨) يلزمه التناقض البين الذي لا يناع في المنصف الذي يتصور ما يقول تصوراً تاماً .

(١) م . ق : بل لأمر .

(٢) هي دائماً تفعل : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : هو دائماً يفعل .

(٣) س : تأخير .

(٤) م . ق : بقاطيغورياس .

(٥) به : زيادة في (م) فقط ، وهي إضافة أضافها المحققان على الأغلب . وإثباتها هو

الصواب .

(٦) الرازي : ليست في (س) .

(٧) س : شيئاً .

(٨) فإنه : زيادة في (س) . (ط) . (ر) .

وقد اعتذر من اعتذر من الفلاسفة عما ألزمهم إياه من الإضافات بأن قالوا : الإضافات لا توجد إلا كذلك ، فلا يتصور فيه الكمال قبلها ، ولأنها تابعة لغيرها ، فلا يثبت فيها الكمال ، بل في متبوعها . قلت : ولقائل أن يقول : هذا بعينه يقوله المثبتون ، فإن الكلام إنما هو في الحوادث المتعلقة بمشيئته وقدرته . ومن المعلوم امتناع ثبوت الحوادث جميعها^(١) في الأزل : فإذا^(٢) قال القائل^(٣) : « الإضافات لا توجد إلا حادثة » قيل له : والحوادث المتعلقة بمشيئته وقدرته لا توجد إلا حادثة .

وأما قوله : « الإضافة تابعة لغيرها ، فلا يثبت فيها الكمال » فعنه جوابان :

أحدهما : أن الدليل لا يفرق بين التابع والمتبوع ، فإن صح الفرق ظل الدليل ، وإن لم يصح انتقض الدليل ؛ فيبطل على التقديرين .

/الثاني : أن يقال : وهكذا ما يتعلق بمشيئته وقدرته ، هو تابع^(٤) ١٣٠/٢ أيضا ، فلا يثبت فيه الكمال .

يوضح ذلك : أنه سبحانه مستحق في أزله لصفات الكمال ، لا وزاً أن يكون شيء من الكمال الأزلي إلا وهو متصف به في أزله ،

(١) جميعها : كذا في (س) وفي سائر النسخ : جميعا .

(٢) س : فإن .

(٣) س ، ص : قائل .

(٤) س : وهو

كالحياء والعلم والقدرة وغير ذلك ، وإنما الشأن فيما لا يمكن وجوده في الأزل^(١).

طريقة الأئمة في مسألة القرآن

ومما يبين لك أن الرازي وأمثاله كانوا يعتقدون ضعف هذه المسألة - مع فرط رغبتهم^(٢) في إبطال قول الكرامية إذا أمكنهم - أنه لم يعتمد على ذلك في مسألة كلام الله تعالى في أجلّ كتبه « نهاية العقول » ، ومسألة الكلام هي من أجلّ ما يبنى على هذا الأصل .

وذلك أن الطريقة المعروفة التي سلكها الأشعرى وأصحابه في مسألة القرآن ، هم ومن وافقهم على هذا الأصل من أصحاب أحمد وغيرهم ، كأبي الحسن التميمي والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي الحسن ابن الزاغوني^(٤) وغيرهم^(٥) من أصحاب أحمد^(٦) . وكأبي المعالي [الجويني]^(٧) وأمثاله وأبي القاسم الرواسي^(٨) وأبي سعيد المتولى^(٩) وغيرهم من أصحاب الشافعي ، والقاضي أبي الوليد الباجي وأبي بكر الطرطوشي و [القاضي]^(١٠)

(١) بعد عبارة (في الأزل) في نسخة (هـ) إشارة إلى جملة مكتوبة بالهامش وهي : « وعلى الحاشية مكتوب إشارة الخط المعترض ولم أره فليراجع » .

(٢) ق : عنهم .

(٣) س : من ذلك .

(٤) ق : ابن الزعفراني .

(٥) وغيرهم : زيادة في (س) .

(٦) من أصحاب أحمد : ساقطة من (س) .

(٧) الجويني : زيادة في (س) .

(٨) س : وأبي القاسم الغوراني : ر : وأبي القاسم الرواسي : ط : وأبي القاسم الرواسي . ولم تظهر

الكلمة في (ص) .

(٩) س : وأبي سعد المتولى . وجاء اسمه قبل (وأبي القاسم الغوراني) .

(١٠) والقاضي : زيادة في (س) .

أبي بكر بن العربي وغيرهم من أصحاب مالك ، وكأبي منصور الماتريدي وميمون النسفي وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة ، أنهم قالوا : لو كان القرآن مخلوقا للزم أن يخلقه : إما في ذاته ^(١) ، أو في محل غيره ، أو أن يكون قائما بنفسه ^(٢) لا في ذاته ولا في محل آخر . والأول : يستلزم أن يكون [الله] ^(٣) محلا للمحادث ، والثاني : يقتضي أن يكون الكلام كلام المحل ^(٤) الذي خلّق فيه ؛ فلا يكون ذلك الكلام كلام الله ، كسائر الصفات إذا خلقها في محل ، كالعلم والحياة والحركة واللون وغير ذلك ، والثالث : يقتضي أن تقوم الصفة بنفسها ، وهذا ممتنع .

فهذه الطريقة هي عمدة هؤلاء في مسألة القرآن . وقد سبقهم عبد العزيز المكي صاحب « الحيدة » المشهورة إلى هذا التقسيم .

/ وقد يظن الظان أن كلامهم هو كلامه بعينه ، وأنه كان يقول بقولهم ، وأن الله ^(٥) لا يقوم بذاته ما يتعلق بقدرته ومشيتته ، وأن قوله من جنس قول ابن كلاب . وليس الأمر كذلك ^(٦) ، فإن عبد العزيز ^(٧) - هذا - له في الرد على الجهمية وغيرهم من الكلام ما لا يعرف فيه خروج عن مذهب السلف وأهل الحديث .

١٣١/٢
كلام عبد العزيز الكنان
في مسألة القرآن
وصفات الله والتعليق
عليه

(١) س . ط . ص : وغيرهم .

(٢) س . هـ : للزم إما أن يخلقه في ذاته .

(٣) أو أن يكون قائما بنفسه : كذا في (م) فقط . وفي سائر النسخ : أو قائما بنفسه .

(٤) الله : زيادة في (س) .

(٥) س . هـ : كلاما للمحل .

(٦) ق : المحاورة .

(٧) م . ق . هـ : إن .

(٨) س . ط . ر . ق : على ذلك .

(٩) أي المكي الكنانى

وذلك أنه قال بعد أن ذكر جوابه لبشر فيما احتج به بشر من النصوص مثل قوله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر : ٦٢] وقوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الزخرف : ٣] قال :^(١) « فقال بشر :^(٢) يا أمير المؤمنين عندى أشياء كثيرة ، إلا أنه يقول بنص التنزيل ، وأنا أقول بالنظر والقياس ، فليدع مطالبتي^(٣) بنص التنزيل ، ويناطرنى^(٤) بغيره ، فإن لم يدع قوله [ويرجع عنه]^(٥) ويقول بقولى ويقر^(٦) بخلق القرآن الساعة وإلا فدمى حلال^(٧) .

وذكر عبد العزيز أنه طلب من بشر أن يناظره على وجه النظر والقياس ويدع مطالبته بنص التنزيل^(٨) - إلى أن قال :^(٩) « فقال عبد العزيز : يا بشر ، تسألنى^(١٠) أم أسألك ؟ فقال بشر :

(١) فى كتاب « الحيدة » للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكنانى (ص ٧٩ وما بعدها) نشر عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ ، مطبعة الإمام ، القاهرة ، بدون تاريخ ، وسيظهر فيما بعد أن النسخة التى رجع إليها ابن تيمية غير النسخة التى طبع عنها الكتاب وسيشير ابن تيمية إلى هذه النسخة الأخرى فيما بعد .

(٢) فى هامش (ط) - (ر) - (ص) كتب : « مطلب : رد عبد العزيز المكى على بشر المريسى » .

(٣) الحيدة : مناظرى .

(٤) الحيدة : وليناظرنى هـ : فليناظرنى بغير نص التنزيل .

(٥) ويرجع عنه : زيادة فى (س) - (هـ) وهى فى « الحيدة » .

(٦) الحيدة : ويقول .

(٧) الحيدة : . . . الساعة فدمى لك حلال .

(٨) انظر الحيدة - ص ٧٩ - ٨٠ .

(٩) الحيدة ، ص ٨٠ .

(١٠) ق ، ط ، ص : فقال عبد العزيز بشر ؛ س ، ر ، هـ : فقال عبد العزيز لبشر ؛ الحيدة : قال

عبد العزيز .

(١١) م : أتسألنى .

سَلَّ أَنْتَ^(١) ، وطمع فيّ ، وجميع أصحابه^(٢) ! وتوهموا أني إذا خرجت عن نص التنزيل^(٣) لم أحسن أن أتكلم بشيء [غيره]^(٤) . قال عبد العزيز^(٥) : « فقلت : يا بشر ، تقول : إن كلام الله مخلوق ؟ قال : أقول : إن كلام الله مخلوق »^(٦) قال^(٧) : « فقلت له : يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها : أن تقول : إن الله خلق القرآن - وهو عندي أنا كلامه - في نفسه ، أو خلقه قائما بذاته ونفسه ، أو خلقه في غيره ؛ فقل ما عندك ، قال بشر : أقول : إنه مخلوق ، وإنه خلقه كما خلق الأشياء كلها . قال عبد العزيز : فقلت : يا أمير المؤمنين ، تركنا القرآن ونصّ التنزيل والسنن والأخبار عند هربه منها وذكر أنه يقيم الحجة^(٨) ، وأنا أقول^(٩) معه بخلق القرآن ، فقد رجع بشر إلى الحيدة عن الجواب ، وانقطع عن الكلام ؛ فإن كان يريد أن يناظرني على أنه يحبيني عما أسأله عنه ، وإلا فأمر المؤمنين أعلى عينا في صرفي ، فإنما يريد بشر / أن يقع^(١٠) ١٣٢/٢

(١) الحيدة : قال أسأل أنت .

(٢) م . ق . ص . ط . ر . هـ : وجمع أصحابه ؛ الحيدة : هو أصحابه .

(٣) الحيدة : وظنوا أني إن خرجت عن الكتاب والسنة .

(٤) م : لم أحسن أن أتكلم بشيء ؛ ص . ط . ر . س . هـ : لم أحسن أن أتكلم بشيء غيره ؛ ق : لم أحسن أن أتكلم بشيء ؛ الحيدة : لم أحسن أن أتكلم بغيرهما .

(٥) بعد الكلام السابق مباشرة . ص ٨٠ .

(٦) الحيدة : فقلت يا بشر إن الله خلق كلامه . ٤ : قال : أنا أقول إن الله خلق القرآن .

(٧) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٨) الكلام المقابل لهذه العبارات في « الحيدة » موافق له في المعنى مع اختلاف في الألفاظ .

وهكذا في العبارات التالية .

(٩) س : وإني أقول .

(١٠) م ، ق : على أن .

(١١) م ، ق ، ر ، ص ، ط : أن يقع .

[معه^(١)] من لا يفهم ، فيخدعه عن دينه ، ويحتج عليه بما لا يعقله ، فتظهر حجته عليه ، فيبيح دمه .

قال : فأقبل عليه المأمون فقال : أجب عبد العزيز عما سألك^(٢) عنه ، فقد ترك قوله ومذهبه وناظره على مذهبك وما ادعيت أنك تحسنه وتقيم الحجة به عليه ، فقال بشر : قد أجبت ، ولكنه يتعنت ، فقال المأمون : يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تقول واحدة من ثلاث ، فقال : هذا أشد طلبا من مطالبته بنص التنزيل ، ما عندي غير ما أجبت به .

قال : فأقبل على المأمون فقال : يا عبد العزيز ، تكلم أنت في شرح هذه المسألة وبيانها ودعُ بشرا فقد انقطع عن الجواب من كل جهة^(٣) .

فقلت : نعم ، سألته عن كلام الله تعالى : أخلق هو ؟ قال : نعم ، فقلت له ما يلزمه في هذا القول ، وهو واحدة من ثلاث لابد منها^(٤) : أن يقول إن الله خلق كلامه في نفسه ، أو خلقه في غيره ، أو خلقه قائما بذاته ونفسه^(٥) ، فإن قال « إن الله خلق كلامه في نفسه » فهذا محال^(٦) لا يجد سبيلا إلى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول ؛ لأن الله لا يكون مكانا للحوادث ، ولا يكون فيه شيء مخلوق ، ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء^(٧) إذا خلقه ، تعالى الله عن ذلك وجل وتعظم !

(١) معه : زيادة في (س) - (ص) .

(٢) س : ص : يسألك .

(٣) ما سبق من العبارات موجود ولكنه مختصر في الحيدة ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) الحيدة (ص ٨١) : قلت نعم يا أمير المؤمنين سألت بشرا عن كلام الله مخلوق هو فقال نعم .

قلت له يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها .

(٥) الحيدة : بنفسه وذاته .

(٦) الحيدة : فهذا محال باطل .

(٧) الحيدة : فيزيد بشيء .

وإن قال : « خلقه الله ^(١) في غيره » فيلزمه في النظر والقياس أن كل كلام خلقه في غيره هو كلام الله عز وجل ، لا يقدر أن يفرق بينهما ؛ فيجعل كلامه كلاما لله ، ويجعل قول الكفر والفحش وكل قول ذمه الله وذم قائله : كلاما لله عز وجل ، وهذا ^(٢) محال لا يجد السبيل إليه ولا إلى القول به ؛ لظهور الشناعة والفضيحة والكفر على قائله ، تعالى الله عن ذلك !

وإن قال : « خلقه قائما بنفسه وذاته » فهذا هو المحال الباطل الذي لا يجد إلى القول به سبيلا في قياس ولا نظر ولا معقول ، لأنه لا يكون الكلام إلا من متكلم ، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد ، ولا العلم إلا من عالم ، ولا القدرة إلا من قدير ، ولا يُرى ولا يُرى كَلام / قط ^(٣) قائم ١٣٣/٢ بنفسه يتكلم بذاته . وهذا مما لا يُعقل ولا يعرف ^(٤) ولا يثبت في نظر ولا قياس ولا غير ذلك ، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقا علم ^(٥) أنه صفة لله ^(٦) ، وصفات الله كلها غير مخلوقة ، فبطل قول بشر . فقال المأمون : أحسنت يا عبد العزيز ، فقال بشر : سئل عن غير هذه المسألة فلعله يخرج من بيننا شيء .

فقلت : أنا أدعُ [هذه] ^(٧) المسألة وأسأل عن غيرها ، قال : سل ،

(١) الله : في (م) فقط .

(٢) وهذا : كذا في (س) وفي سائر النسخ : هذا .

(٣) س : ولأرى قط كلام .

(٤) س : مما لا يعرف ولا يعقل .

(٥) م (فقط) : علمنا .

(٦) س : صفة الله .

(٧) هذه : زيادة في (س) .

قال عبد العزيز : فقلت لبشر : ألسنت^(١) تقول : إن الله كان ولا شيء ، وكان ولمّا يفعل شيئا ولمّا يخلق شيئا^(٢) ؟ قال : بلى . فقلت : فبأى شيء حدثت الأشياء بعد أن لم تكن شيئا ؟ أهى أحدثت نفسها^(٣) أم الله أحدثها ؟ فقال : الله أحدثها ، فقلت له : فبأى شيء^(٤) حدثت^(٥) الأشياء إذ أحدثها الله ؟^(٦) قال : أحدثها بقدرته التى لم تزل . قلت له : إنه أحدثها بقدرته كما ذكرت ، أفليس تقول : إنه لم يزل قادرا ؟ قال : بلى . قلت له : فتقول : إنه لم يزل يفعل ؟ قال : لا أقول هذا . قلت له : فلا بد أن يلزمك أن تقول : إنه خلق بالفعل الذى كان عن القدرة ، وليس الفعل هو القدرة ؛ لأن القدرة صفة لله^(٨) . ولا يقال لصفة الله هى الله ولا هى غير الله^(٩) ، فقال بشر : ويلزمك أنت أيضا أن تقول : إن الله لم يزل يفعل ويخلق ، وإذا قلت ذلك فقد ثبت أن المخلوق لم يزل مع الله^(١٠) . قال عبد العزيز : فقلت لبشر : ليس لك أن تحكم على وتلزمنى ما لا يلزمنى وتحكى عنى ما لم أقل ، إني لم أقل :

(١) ألسنت : ساقطة من (س) - (ص) ، (ط) ، (ر) ، وهى ليست فى « الحيدة » ص ٨٣ .

(٢) م : وكان ولم يفعل شيئا ولم يخلق شيئا ؛ ق : وكان ولم يفعل شيئا ولم يخلق شيئا ؛ الحيدة : وكان ولم يفعل شيئا وكان ولم يخلق شيئا .

(٣) س : أهى أحدثت أنفسها ؛ الحيدة : هى حدثت بنفسها .

(٤) ص ، ط ، ر ، ق : بأى شيء .

(٥) ط ، ر : أحدثت .

(٦) م ، ق : إذا أحدثها الله ؛ ط : إذا أحدثها ؛ ر ، ص ، س : إذ أحدثها .

(٧) ص : حدثت .

(٨) ص ، ط ، ر ، م : صفة الله .

(٩) ر : ولا يقال لصفة الله هى ولا غير الله ؛ ص . ط . ق : ولا يقال لصفة الله هى الله ولا غير

الله ؛ الحيدة (ص ٨٣) ولا يقال لصفات الله هى الله ولا هى غير الله .

(١٠) الحيدة (ص ٨٤) : ... ذلك تبين أن المخلوق لم يزل مع الخالق .

« إنه لم يزل الخالق يخلق ، ولم يزل الفاعل يفعل » ليلزم^(١) ما قلت .
 وفي نسخة أخرى^(٢) : « وإنما قلت إنه^(٣) لم يزل الفاعل سيفعل ، ولم يزل
 الخالق سيخلق ؛ لأن الفعل صفة [الله]^(٤) ، والله يقدر عليه^(٥) ، ولا
 يمنعه منه^(٦) مانع » قال بشر : أنا أقول إنه أحدث الأشياء بقدرته ، فقل
 ما شئت ، فقال^(٧) عبد العزيز : فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد أقر^(٨) بشر
 أن الله كان ولا شيء ، وأنه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن شيئاً
 بقدرته ، وقلت أنا : إنه أحدثها بأمره وقوله عن قدرته ، فلم يخلُ يا أمير
 المؤمنين / أن يكون أول خلق خلقه الله خلق^(٩) بقول قاله ، أو بإرادة ١٣٤/٢
 أرادها ، أو بقدره قدرها ، فبأى ذلك كان فقد ثبت أن ههنا إرادة
 ومريداً ومراداً ، وقولا وقائلاً ومقولاً له ، وقدرة وقادراً ومقدوراً عليه ،
 وذلك كله متقدم قبل الخلق ، وما كان قبل الخلق متقدماً فليس هو من
 الخلق في شيء . فقد كسرتُ قول بشر بالكتاب والسنة واللغة العربية
 والنظر والمعقول » ثم ذكر حجة أخرى .

والمقصود هنا : أن عبد العزيز احتج بتقسيم حاصر معقول ، فإن الله

(١) س : للزمني .

(٢) الكلام التالي موافق لنسخة الحيدة المطبوعة (ص ٨٤) .

(٣) إنه : ليست في (ر) ولا « الحيدة » .

(٤) الله : زيادة في (س) .

(٥) الحيدة : عليها .

(٦) الحيدة : منها .

(٧) س ، الحيدة : قال .

(٨) الحيدة : قد قال .

(٩) خلق : ليست في (س) ولا في « الحيدة »

(١٠) س : فأى .

تعالى إذا خلق شيئاً فإما أن يخلقه في نفسه ، أو في غيره ، أو يخلقه قائماً^(١) بنفسه ، وقد أبطل^(٢) الأقسام الثلاثة .

ولا ريب أن المعتزلة يقولون : إنه خلقه في غيره ، فأبطل ذلك عبد العزيز بالحجة العقلية التي يتداولها أهل السنة ، وهو أنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن كلامُ الله ، فإن كان مخلوقاً في محل آخر غيره^(٣) لزم أن يكون كل كلام مخلوق في محل كلام الله ، لتماثلها بالنسبة^(٤) إلى الله ، ويلزم أن يكون ما يخلقه تعالى^(٥) من كلام الجلود والأيدى والأرجل كلام الله ، فإذا قالوا : ﴿ أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ ﴾ [سورة فصلت : ٢١] كان الناطق هو المُنطِق ، وبشر لم يكن من القدرية ، بل كان ممن يقر بأن الله تعالى خالق أفعال العباد ؛ فالزمه عبد العزيز أن يكون كلام كل مخلوق كلام الله . حتى قول الكفر والفحش ، وهذا الإلزام صرّح به حلولية الجهمية^(٦) من الاتحادية ونحوهم كصاحب « الفصوص » و« الفتوحات المكية » ونحوه^(٧) . وقالوا :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه^(٨)

(١) أو يخلقه قائماً : كذا في (م). وفي سائر النسخ : أو قائماً .

(٢) وقد أبطل : كذا في (م). وفي سائر النسخ : وأبطل .

(٣) ق : في محل غيره ، س . ح . ط . ر : في محل آخر كغيره .

(٤) س . ط . ر : في النسبة .

(٥) س : ما يخلقه الله .

(٦) ق . ص . ر . ط : صرح به خلق كثير من الجهمية .

(٧) وهو محيي الدين بن عري .

(٨) البيت لمحبي الدين بن عري وقد ذكره في الفتوحات المكية ١٤١ / ٤ ونصه هناك :

ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه =

ولهذا قال من قال من السلف : من قال : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ [سورة طه : ١٤] مخلوق ، فقد جعل كلام الله بمنزلة قول فرعون ، الذى قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٤] لأن عنده هذا الكلام خلقه الله فى الشجرة ، وذلك خلقه فى فرعون ، فإذا كان هذا كلام الله كان هذا كلام الله .

كما قال سليمان بن داود الهاشمى - أحد أئمة / الإسلام نظير الشافعى ١٣٥/٢ وأحمد وإسحاق وأبى عبيد وأبى بكر بن أبى شيبه وأمثالهم - قال : « من قال القرآن مخلوق فهو كافر ، وإن كان القرآن مخلوقا كما زعموا فلم صار فرعون أولى بأن يُخلد فى النار إذ قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ من هذا ؟ وكلاهما عنده مخلوق ، فأخبر بذلك أبو عبيد ، فاستحسنه وأعجبه ، ذكر ذلك البخارى فى كتاب «خلق أفعال العباد»^(١) »

وكذلك ذكر نظير هذا عبد الله بن المبارك وعبد الله بن إدريس ويحيى بن سعيد القطان . وهذا مبنى على أن الله خالق أفعال العباد ، فإذا كان قد خلق فى محل : « إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فاعْبُدْنِي » وخلق فى محل : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » كان ذلك المحل الذى خلق فيه [ذلك]^(٢) الكلام أولى بالعقاب من فرعون ، وإذا كان ذلك كلام الله كان كلام فرعون كلام الله .

== والبيت الذى يتلوه :

يَمُّ بِه أَسْمَاعُ كُلِّ مَكُونٍ فَنَهْ إِلَيْهِ بَدْوُهُ وَخَتَامُهُ

وانظر «جامع الرسائل» المجموعة الأولى . ص ١٥٧ .

(١) س : فى كتاب خلق الأفعال ، ص : فى كتاب الأفعال ، ر : فى خلق أفعال العباد .

(٢) ذلك : زيادة فى (س) .

وأما كونه خَلَقَهُ قائماً بنفسه فهو ظاهر البطلان أيضاً ، لأن الصفات لا تقوم بنفسها ، ولكن الجهمية تقول : خلق علماً لا في محل ، والبصريون من المعتزلة يقولون : خلق إرادة وقدرة^(١) لا في محل ، وطائفة منهم يقولون : خلق بخلق بعد خلق لا في محل ، وهذه المقالات ونحوها مما يعلم فسادُه بصريح العقل .

وأما القسم الأول - وهو كونه سبحانه خلقه في نفسه - فأبطله عبد العزيز أيضاً ، لكن ما في نفس الله تعالى يحتمل نوعين : أحدهما : أن يُقال : أحدث في نفسه بقدرته كلاماً بعد أن لم يكن متكلماً . وهذا قول الكرامية وغيرهم ممن يقول : كلام الله حادث ومحدث في ذات الله تعالى ، وأن الله تكلم^(٢) بعد أن لم يكن يتكلم أصلاً ، وأن الله يمتنع أن يقال في حقه^(٣) : ما زال متكلماً ، وهذا مما أنكره الإمام أحمد وغيره .

والثاني : أن يُقال : لم يزل الله متكلماً إذا شاء كما قاله الأئمة ، وكل من هاتين الطائفتين لا تقول : «إن ما في نفس الله مخلوق» بل المخلوق عندهم لا يكون إلا منفصلاً عن نفس الله تعالى ، وما قام به من أفعاله وصفاته فليس بمخلوق .

ولا ريب أن بشراً وغيره من القائلين بخلق القرآن كانوا يقولون : إنه خلقه / منفصلاً عنه كما خلق غيره من المخلوقات ، فأما نفس خلق الرب ١٣٦/٢

(١) س ، ط ، ر ، هـ : إرادة وفناء . ولم تظهر العبارات في (ص) .

(٢) م ، ق : وأن الله متكلم ، هـ : فإن الله تكلم .

(٣) عبارة «في حقه» في (م) فقط .

عند من يقول الخلق غير المخلوق - وهم الأكثرون - فلا يقولون : إن الخلق مخلوق . ومن قال بتجدد ما يقوم به من الأفعال أو الإرادات^(١) أو الإدراكات لم يقل : إن ذلك مخلوق ؛ فإنه إذا كان ثم خلق وخالق ومخلوق لم يكون الخلق داخلاً في المخلوق .

ولهذا كان من يقول : « إن كلام الله قائم بذاته » متفقين على أن كلام الله غير مخلوق ، ثم هم بعد هذا متنازعون على عدة أقوال : هل يقال : إنه معنى واحد أو خمسة معان لم تزل قديمة ، كما يقوله ابن كلاب والأشعري ؟

أو أنه حروف وأصوات قديمة أزلية لم تزل قديمة ، كما يذكر عن ابن سالم وطائفة ؟

أو يقال : بل هو حروف وأصوات حادثة في ذاته بعد أن لم يكن متكلاً ، كما يقوله ابن كرام وطائفة ؟

أو يقال : إنه لم يزل متكلاً إذا شاء ، وإنه إذا شاء تكلم بصوت يُسمع وتكلم بالحروف ، كما يُذكر ذلك عن أهل الحديث والأئمة ؟ والمقصود هنا أن ما قام بذاته لا يسميه أحد منهم مخلوقاً ، سواء كان حادثاً أو قديماً .

وبهذا يظهر احتجاج عبد العزيز على بشر ؛ فإن بشراً من أئمة الجهمية نفاة الصفات ، وعنده^(٢) لم يقم بذات الله تعالى صفة ولا فعل

(١) س : والإرادات .

(٢) م (فقط) : ولهذا كان القائلون .

(٣) م (فقط) : وعندهم .

ولا قدرة ولا كلام ولا إرادة ، بل ما ثمَّ عنده ^(١) إلا الذات المجردة عن الصفات والمخلوقات المنفصلة عنها ، كما تقول ذلك الجهمية من المعتزلة وغيرهم ؛ فاحتجَّ عليه عبدُ العزيز بحجتين عقليتين :

إحداهما : أنه إذا كان كلامُ الله مخلوقاً ولم يخلقه في غيره ولا خلقه قائماً بنفسه : لزم أن يكون مخلوقاً في نفس الله ، وهذا باطل .

والثانية : أن المخلوقات المنفصلة عن الله خلقها الله بما ليس من المخلوقات : إما القدرة - كما أقرب به بشر - وإما فعله وأمره وإرادته - كما قاله عبد العزيز - وعلى التقديرين : ثبت أنه كان قبل المخلوقات من الصفات ما ليس بمخلوق ، فبطل / أصلُ قول بشر والجهمية : إنه ليس لله صفة ، وإن كل ما سوى الذات المجردة فهو مخلوق . وتبين أن الذات يقومُ بها معانٍ ليست مخلوقة . وهذا حجة مثبتة ^(٢) الصفات القائِلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق على من نفي الصفات وقال بخلق القرآن ، فإن كل مَنْ نفي الصفات لزمه القولُ بخلق القرآن .

يبقى كلام أهل الإثبات فيما يقوم بذاته : هل يجوز أن يتعلق شيء منه بمشيئته وقدرته أم لا ؟ وهل عبد العزيز ممن يُجَوِّز أن يقوم بذاته ما يتعلق بمشيئته وقدرته ، أو ممن يقول : لا يكون المراد المقدور إلا منفصلاً عنه مخلوقاً ؟ ويجعل المقدور هو المخلوق ، وهما في الأصل قولان معروفان ذكرهما الحارث المحاسبى وغيره عن أهل السنة حسبما تقدم إيراده .

وهذا القول الثاني هو قول ابن كُلاب والاشعرى ومَنْ وافقهما من

(١) م (فقط) : عندهم .

(٢) س : المثبتة .

أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد^(١) وغيرهم.

والقول الأول : هو^(٢) قول أئمة أهل^(٣) الحديث والهشامية والكرامية وطوائف من أهل الكلام من المرجئة^(٤) : كأبي معاذ التومني وزهير الأثرى وغيرهم^(٥) ومن وافق هؤلاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد^(٦) وغيرهم.

فقد يقول القائل : إن عبد العزيز موافق لابن كلاب ؛ لأنه قال : إن الله لا يكون مكانا للحوادث ، ولا يكون فيه شيء مخلوق ، ولا يكون ناقصاً فيزيد فيه شيء إذا خلقه ، لكن إذا تدبر المتدبر سائر كلام عبد العزيز وجده من أهل القول الأول : قول أهل الحديث ؛ لأنه قال بعد هذا لبشر : بأى شيء حدثت الأشياء ؟ قال : أحدثها الله بقدرته التي لم تزل ، قال عبد العزيز : فقلت له : إنه قد^(٧) أحدثها بقدرته كما ذكرت ، أفلست^(٨) تقول : إنه لم يزل قادراً ؟ قال : بلى ، فقلت له^(٩) : فتقول : إنه لم يزل يفعل ؟ قال : لا أقول هذا ، قلت :^(١٠) فلا بد أن يلزمك أن تقول : إنه خلق بالفعل الذي كان بالقدرة ؛ لأن القدرة صفة . وقال

(١) م . ق . ص . ط . ر : أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد .

(٢) هو : زيادة في (م) . (ق) .

(٣) أهل : ليست في (س) .

(٤) س : من المرجئة وغيرهم .

(٥) س : وغيرهما .

(٦) م ، ق ، ص . ط . ر : أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد .

(٧) قد : زيادة في (م) .

(٨) أفلست : كذا في (م) وفي سائر النسخ : أفليس .

(٩) س : قلت له .

(١٠) م (فقط) : فقلت .

عبد العزيز بعد هذا : لم أقل^(١) لم يزل الخالق يخلق ولم يزل الفاعل يفعل ، وإنما الفعل صفة ، والله يقدر عليه ، ولا يمنعه منه^(٢) مانع .

١٣٨/٢ / وقد أثبتَ عبدُ العزيز فعلاً مقدوراً لله هو صفة له ليس من المخلوقات ، وأنه به خَلَقَ المخلوقات ، وهذا صريح في أنه يجعل الخلق غير المخلوق ، والفعل غير المفعول ، وأن الفعل صفة لله ، مقدور لله^(٣) ، إذا شاء ، ولا يمنعه منه مانع ، وهذا خلاف قول الأشعرى ومَنْ وافقه .

يبقى أن يقال : هذا الخلق - الذى يسمى التكوين - من الناس مَنْ يجعله قديماً ، ومنهم من يجعله مقدوراً مُراداً ، وعبدُ العزيز صَرَّحَ بأن الفعل الذى به يُخلق الخلق مقدور له ، وهذا تصريح بأنه يقوم بذات الله عنده ما يتعلق بقدرته ، وما كان موجوداً مقدوراً لله فهو مراد له بالضرورة واتفاق الناس .

وأيضاً فإنه قال : قد أقر بشر أن الله أحدث الأشياء بقدرته ، وقلت أنا : إنه أحدثها بأمره وقوله عن قدرته ؛ فقد صرح^(٤) بأن القول يكون عن قدرته ، فجعل قولَ الله مقدوراً له مع أنه صفة له عنده .

وهذا قول من يقول : إنه يقدر على التكلم ، وإنه يتكلم بمشيئته وقدرته ، وليس هو^(٥) قول من يقول : إن القول لازم له ، لا يتعلق بقدرته ومشيئته .

(١) س : ألم أقل .

(٢) منه : ليست في (ق) .

(٣) س : وأن الفعل مقدوراً لله . هـ : وأن الفعل المقدور لله .

(٤) س : فصرح .

(٥) س : وليس هذا .

فتبين أن عبد العزيز الكنانى ^(١) يثبت أنه ^(٢) يقوم بذات الله تعالى ما يتعلق بمشيئته وقدرته ، وأنه لا يجعل كل واحد من ذلك قديما ، وإن كان النوع قد يكون قديما ، لأن بشرا لما قال له : أحدثها بقدرته التى لم تزل ، قال له : أفليس تقول : لم يزل قادرا ؟ قال : بلى ، قال : فتقول إنه لم يزل يفعل ؟ قال : لا ، قال : فلا بد أن يلزمك أن تقول : إنه خلق بالفعل الذى كان بالقدرة .

وهذا لأنه إذا كان لم يزل قادرا ولا مخلوقاً ثم وُجد مخلوق ، لم يكن قد وُجد بقدرة بلا فعل ، فإنه لو كان مجرد القدرة كافيا في وجوده بلا فعل للزم مقارنة المخلوق للقدرة القديمة .

وهذا المقام هو المقام المعروف ، وهو أنه : هل يمكن وجود الحوادث بلا سبب حادث أم لا ^(٣) ؟ فإن جمهور العقلاء يقولون : إن انتفاء هذا معلوم بالضرورة ، وإن / ذلك يقتضى الترجيح بلا مرجح ، وهذا هو ^(٤) ١٣٩/٢ الذى ذكره عبد العزيز ، بخلاف قول من يقول : إن نفس القادر يرجح أحد طرفي مقدوره ^(٥) بلا مرجح ، كما يقوله أكثر المعتزلة والجهمية ، أو بمجرد إرادة قديمة كما تقوله الكلائية والكرامية ^(٦) فإن هذا هو الذى ذكره بشر .

(١) الكنانى : كذا في (م) . وفي سائر النسخ : المكى .

(٢) أنه : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : أن .

(٣) أم لا : ليست في (س) .

(٤) هو : ليست في (س) .

(٥) مقدوره : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : مقدوريه .

(٦) س : الكرامية والكلائية .

يبقى^(١) هنا سؤال [على]^(٢) عبد العزيز ، وهو الذى ألزمه إياه بشر ، حيث قال [له]^(٣) : وأنت أيضا يلزمك أن تقول : لم يزل يفعل ويخلق ، وإذا^(٤) كان كذلك ثبت أن المخلوق لم يزل مع الله ؛ لأن الحادث إن لم يفتقر إلى سبب حادث كَفَت القدرةُ القديمة ، وإن افتقر إلى سبب حادث فالقول فى حدوث ذلك السبب كالقول فى الذى حدث به ، فيلزم تسلسل الحوادث ، فيلزمك أنه لم يزل يفعل ويخلق ، فيكون المخلوق معه ، فأجابه عبد العزيز بأننى لم أقل « لم يزل الخالق يخلق ، ولم يزل الفاعل يفعل ، ليلزمنى^(٥) ما قلت ، وإنما الفعل صفة ، والله يقدر عليه ، ولا يمنعه منه مانع » وفى النسخة^(٦) الأخرى : « وإنما قلت : لم يزل الخالق سيخلق ، والفاعل سيفعل ، لأن الفعل صفة^(٧) ، والله يقدر عليه ، ولا يمنعه منه مانع^(٨) » .

ومضمون كلامه : أننى لم أقل إن الله لم يزل يخلق الأشياء المنفصلة ويفعلها ، ولا يلزمنى هذا كما لزمك ، لأنك جعلت المخلوقات تحصل بالقدرة القديمة من غير فعل من القادر يقوم به ، فإذا لم تتوقف المخلوقات على غير القدرة ، والقدرة قديمة ، لزم وجود المخلوقات معها ، وإلا لزم الترجيح بلا مرجع ، والحدوث بلا سبب ؛ لأن القدرة دائمة أزلا

(١) م : ويبقى .

(٢) على : ساقطة من (م) ، (ق) .

(٣) له : ساقطة من (م) .

(٤) ص ، ط ، ر : وإذا .

(٥) م : لتلزمنى .

(٦) هـ : نسخة

(٧) س : صفة كمال .

(٨) عبارة « ولا يمنعه منه مانع : كُتِبَ فى (س) ولكن عليها شطب .

وأبداً ، ووجودُ المخلوقات^(١) ممكن ، والممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح ، وعند وجود المرجح التام يجب وجوده ، لأنه لو لم يجب لكان قابلاً للوجود والعدم ، فيبقى ممكناً كما كان ، فلا يترجح إلا بمرجح تام . فتبين أن وجود القدرة التي يمكن معها وجود المخلوقات^(٢) لا يوجد المخلوق مع مجردها ، بل لا بد من أمر آخر يفعله الرب .

قال عبد العزيز : وهذا الفعل صفة لله ، ليس من المخلوقات المنفصلة عنه ، / والله يقدر عليه ، ولا يمنعه منه مانع ، فأما قول القائل : « إن ١٤٠/٢ ذلك الفعل الذي لم يكن ثم كان بالقدرة وهو صفة » فإنه^(٣) يسأل عن سبب حدوثه ، كما يسأل عن سبب حدوث المخلوق به .

فيجيب^(٤) عنه العزيز بأجوبة .

أحدها : الجواب المركب وهو أن يقول : تسلسل الآثار الحادثة إما أن يكون ممكناً وإما أن يكون ممتنعاً ، فإن كان ممكناً فلا محذور في التزامه ، وإن كان ممتنعاً لم يلزمنا ذلك ، ولا يلزم من بطلان التسلسل بطلان الفعل الذي لا يكون المخلوق إلا به ، فإننا نعلم أن المفعول المنفصل لا يكون إلا بفعل ، والمخلوق لا يكون إلا بخلق ، قبل العلم بجواز التسلسل أو بطلانه ، ولهذا كان كثير من الطوائف يقولون : الخلق غير المخلوق ، والفعل غير المفعول ، فيثبتون ذلك مع إبطال التسلسل ، مثل كثير من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، ومن الصوفية

(١) م ، ق ، ط ، ر ، هـ : المخلوق .

(٢) س ، هـ : المخلوق .

(٣) فإنه : ساقطة من (س) .

(٤) ط : فيجيبه .

وأهل الحديث والكلام من الكرامية والمرجئة والشيعة وغيرهم ، وهؤلاء منهم من يقول : الفعل الذى هو التكوين قديم ، والمكوّن المنفصل حادث ، كما يقولون مثل ذلك فى الإرادة ، ومنهم من يقول : بل ذلك حادث الجنس بعد أن لم يكن ؛ وكلا الفريقين لا يقولون : إن ذلك مخلوق ، بل يقولون : إن المخلوق وُجد به كما وُجد بالقدرة .

الجواب الثانى : أن يقول : ما ذكرته من التسلسل لازم لكل مَنْ قال : إن جنس الحوادث يكون بعد أن لم يكن^(١) ، فهو لازم لك ولى إذا قلت بهذا ، فلا أختص بجوابه ، وأما وجودُ المفعول بدون فعل : فهذا لازم لك وَحْدَكَ ، وهو الذى احتججتُ به عليك ، فحججنى عليك ثابتة تُبطل قولك دون قولى . والإلزام^(٢) الذى ذكرته أنت مشترك بينى وبينك ، فلا يخصنى جوابه .

الجواب الثالث : أن يقول : أنا قلت : الفعلُ صفة ، والله يقدر عليه ، ولا يمنع منه مانع ، والفعل القائم به ليس هو المخلوق المنفصل عنه ، وإنما يجب / أن يكون المخلوق معه فى الأزل إذا ثَبَتَ أن الفعل يستلزم فعلاً قبله ، وأن الفعل اللازم يستلزم ثبوت الفعل المتعدى إلى المخلوق ، فإن^(٣) ذلك يستلزم ثبوت غير^(٤) المخلوق .

وكل هذه المقدمات فيها ممانعات ومعارضات ، وتحتاج إلى حجج لم

(١) يكون بعد أن لم يكن : كذا فى (س) وفى سائر النسخ : تكون بعد أن لم تكن .

(٢) س . ص : والالتزام .

(٣) س : وإن

(٤) س : عين .

يذكر المريسى منها شيئا^(١)، وعبد العزيز لم يلتزم شيئا من ذلك، وإنما التزم أن الفعل صفة لله تعالى، والله يقدر عليه، ولا يمنعه منه مانع، وحجته يحصل بها المقصود^(٢).

وقوله في النسخة الأخرى - إن صح عنه^(٣): «إنما قلت لم يزل الفاعل سيفعل، والخالق سيخلق» قد نفى فيه أن يكون نفسُ الفعل قديما، فضلا عن أن يكون المفعول قديما.

وقوله: «إن الفعل صفة لله، والله يقدر عليه، لا يمنعه منه مانع» يمنع قدم عين الفعل، لا يمنع قدم نوعه، إلا أن يثبت امتناع تسلسل الآثار، وليس في كلامه تعرض لنفى ذلك ولا إثباته.

وقوله: «لم يزل سيفعل» إن صح عنه يحتمل معنيين^(٤): أحدهما: أنه لم يزل موصوفا بأنه سيفعل ما يفعله من جميع المفعولات أعيانها وأنواعها، كما يقوله من يقول بحدوث^(٥) نوع الفعل القائم به^(٦) كما يقوله من يقول بحدوث^(٧) أنواع المنفصلات عنه. والثاني: أنه لم يزل الفاعل سيفعل شيئا بعد شيء؛ فهو متقدم على كل واحدٍ واحدٍ من أعيان المفعولات.

فعلى الأول يمتنع أن يكون شيء من أنواعها أو أعيانها قديما، وعلى

(١) س . ط . ر : شيئا منها .

(٢) س : وحجته تحصل بهذا المقصود .

(٣) عنه : زيادة في (م) : (ق) .

(٤) س : شيئين .

(٥-٥) : ساقط من (م) (ر) . والعبارة مطموسة في (ص) .

(٦) م : العالم به .

الثاني لا يمتنع تقدم الأنواع ، بل قد يمتنع تقدم أعيان المخلوقات^(١) ، فلا يكون شئ من المخلوقات مع الله في الأزل على التقديرين .

وجُماع ذلك : أن الذي ألزمه عبد العزيز للمريسي لازم له ، مبطل لقوله بلا ريب ، وعليه جمهور الناس ، فإن جماهير الناس يقولون : الخلق غير المخلوق ، / والفعل غير المفعول ، وهذا قول جماهير الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وجماهير الصوفية وجماهير أهل الحديث ، بل كلهم ، وكثير من أهل الكلام والفلسفة . أو جماهيرهم ، فهو قول أكثر المرجئة من الكرامية وغيرهم ، وأكثر الشيعة ، وكثير من المعتزلة والكلائية ، وكثير من الفلاسفة ، ولأصحاب مالك والشافعي وأحمد في ذلك قولان ؛ فالذي عليه أئمتهم : أن الخلق غير المخلوق ، وهو آخر قولي القاضي أبي يعلى وقول جمهور أصحاب أحمد ، وهو الذي حكاه البغوي عن أهل السنة ، وهو قول كثير من الكلائية .

وأما قوله : « إنه قادر على الفعل لا يمنعه منه مانع » فكلامه يقتضي أنه لم يزل قادرا على الفعل لا يمنعه منه مانع ، وهذا الذي قاله هو الذي عليه جماهير الناس ؛ ولهذا أنكروا على من قال : لم يكن قادرا على الفعل في الأزل^(٢) . وكان من يبغض الأشعرى ينسب إليه هذا^(٣) ، لتنفرد^(٤) عنه قلوب الناس ، وأراد أبو محمد الجويني وغيره تبرئته من هذا القول ، كما قد ذكرناه في غير هذا الموضع .

(١) س : الأعيان المخلوقات .

(٢) س : لم يكن قادرا في الأزل على الفعل .

(٣) س : هذا إليه .

(٤) س : لينفرد .

وإذا كان لم يزل قادرا على الفعل كان هذا صفة كمال ، فلهذا قال عبد العزيز : «لأن الفعل صفة والله قادر عليه لا يمنعه منه مانع» وقد خلق المخلوقات بفعله فوجدت بالفعل الذى هو الخلق ، والفعل الذى هو الخلق بقدرة الله تعالى ، والقدرة على خلق المخلوق هي القدرة عليه .

كما قال تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾ [سورة يس : ٨١] وقوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [سورة القيامة : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [سورة الأنعام : ٦٥] الآية ، ونحو ذلك مما فيه وصف الله بالقدرة على الأفعال المتناولة للمفعولات ، وفيه بيان أن الخلق ليس هو المخلوق ، ولا أن^(١) نفس خلقه للسموات والأرض هو^(٢) السموات والأرض ، والقدرة التي تزل ثم وجدت المخلوقات بدون فعل أصلا .

فيقول له المريسي : فذلك الفعل الذى هو صفته وهو يقدر عليه لا يمنعه منه / مانع ، إن كان قديما كان كالقدرة ، وكان السؤال على^(٣) ١٤٣/٢ كالسؤال عليك ، وإن كان حادثا من غير تقدم فعل آخر سألتك عن سبب حدوثه بالقدرة التي لم تزل [كما سألتني عن سبب حدوث المخلوق بالقدرة التي لم تزل]^(٤) ، وإن كان ذلك الفعل كان بفعل آخر وتسلسل

(١) س ، ط : لأن ، ر : لا أن .

(٢) س : ليس هو .

(٣) ط : صفة .

(٤) م (فقط) : وإن كان .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م) ، (ق) .

الأمر : لزم تسلسل الأفعال ، ولزم أن يكون الفاعل لم يزل يفعل ،
والخالق لم يزل يخلق .

فيقول له عبد العزيز : لم أقل إنه قديم ، بل قلت : إنه صفة ، والله
قادر عليه ، لا يمنع منه مانع ، وما كان مقدورا له لا يمنع منه مانع لم
يجب أن يكون قديما معه ، بل إن شاء فعّله وإن شاء لم يفعله .
وأما سؤالك عن سبب حدوثه فهنا لأهل الإثبات جوابان :

أحدهما : - وهو جواب الكرامية ومن وافقهم - أن إثبات الفعل
للمفعول والخلق للمخلوق لابد منه ، فإننا نعقل أن القادر على الفعل قبل
أن يفعله ليس له فعل ، فإذا فعله كان هناك فِعْلٌ به فَعَلَ المفعول ،
وخلّق به خَلَقَ المخلوق ، ونحن مقصودنا إثبات فعل وصفة لله تقوم به
مغاير^(١) لمخلوقاته ، وكلامه من هذا الباب ، ونحن لم نورد عليكم
التسلسل ، فإن ذلك باطل على قولنا وقولكم جميعا .

الجواب الثاني : أن يقول من يجيب به : لا يمتنع أن يكون قبل
الفعل [المعين]^(٢) ما هو أيضا فِعْلٌ فَعَّله الله بقدرته ، ولا يضرنى
التسلسل ، فإن ذلك جائز ممكن ، فإن هذا تسلسل في الأفعال والآثار
والشروط ، وهذا ليس بممتنع .

فعلى الجواب الأول : يظهر قوله : « إنما قلت لم يزل الخالق^(٣) سيخلق
وسيفعل ، ولم أقل لم يزل يخلق ويفعل » .

(١) م (فقط) : مغايرة .

(٢) المعين : زيادة في (س) .

(٣) الخالق : ساقطة من (س) .

وأما على الجواب الثاني : فإذا قال : لم أقل لم يزل يخلق ويفعل ، بل أقول : إنه لم يزل سيخلق وسيفعل ، فنقرره بوجهين :
أحدهما : أن الفعل لا يستلزم وجود مخلوق ، بل يكون الفعل قائما بنفسه بعد فعل قائم بنفسه ، وهلم جرا من غير وجود مخلوق منفصل عنه .

الثاني : أنه لو قُدِّرَ تسلسل المفعولات كتسلسل الأفعال فما من / ١٤٤/٢
مفعول ولا فعل إلا وهو حادث كائن بعد أن لم يكن ، فليس مع الله في الأزل شيء من المفعولات ولا الأفعال ؛ إذ كان كل منهما حادثا بعد أن لم يكن ، والحادث بعد أن لم يكن لا يكون مقارنا للقديم الذي لم يزل ، وإذا قيل : « إن نوع الأفعال أو المفعولات لم يزل » فنوع الحوادث لا يوجد مجتمعاً ، لا يوجد إلا متعاقبا ، فإذا قيل : « لم يزل الفاعل يفعل ، والخالق يخلق » - والفعل لا يكون إلا معينا ، والخلق والمخلوق لا يكون إلا معينا - فقد يُفهم أن الخالق للسّموات والإنسان لم يزل يخلق السّموات والإنسان ، والفاعل لذلك لم يزل يفعله ، وليس كذلك ، بل لم يزل الخالق لذلك سيخليقه ، ولم يزل الفاعل لذلك سيفعله ، فما من مخلوق من المخلوقات ولا فعل من الأفعال^(١) إلا والرب تعالى موصوف بأنه لم يزل سيفعله ، ليس موصوفا بأنه لم يزل فاعلا له خالقا له ، بمعنى أنه موجود معه في الأزل ، وإن قُدِّرَ أنه كان قبل هذا الفعل فاعلا لفعل آخر ، وقبل هذا المخلوق خالقا لمخلوق آخر ؛ فهو لم يزل بالنسبة إلى كل

(١) ق : إنه لو تسلسلت المفعولات ؛ م : إنه لو تسلسلت [المخلوقات] المفعولات .

(٢) ط : إذا .

(٣) م ، ق : من المفعولات .

فعل ومخلوق سيفعله وسيخلقه ، لا يُقال : لم يزل فاعلا له خالقا بمعنى مقارنته له^(١) . وإذا أُريد أنه لم يزل فاعلا للنوع ، كان هذا بمعنى^(٢) قولنا : « [إنه] لم يزل سيفعل ما يفعله » لكن هذه العبارة تُفهم من الباطل مالا تفهمه تلك العبارة .

وهذا الموضع للناس فيه أقوال ؛ فإن جمهور أهل السنة يقولون : لم يزل الله خالقا فاعلا ، كما قال الإمام أحمد : لم يزل الله عالما متكلم غفورا ، بل يقولون : لم يزل يفعل ، إما بناء على أن الفعل قديم وإن كان المفعول محدثا ، أو بناء على قيام الأفعال المتعاقبة بالفاعل .

ومذهب بشر وإخوانه الجهمية : أن المخلوقات كلها كائنة بدون فعل ولا خلق وكلام الله من جملتها ، فألزمه^(٣) عبد العزيز على أصله ، فقال له : إذا قلت : كان الله ولما يفعل ولما يخلق شيئا ، وهو لم يزل قادرا ، ثم خلق المخلوقات ، فأنت تقول : لم يزل قادرا ، ولا تقول : لم يزل يفعل المخلوقات ، فلا بد [له من]^(٤) أن يكون هناك فعل حصل / بالقدرة ، وليس هو القدرة التي لم تزل ولا هو المخلوق المنفصل ، إذ لو كان كذلك لكان المخلوق قد وجد من غير خلق ، والمفعول قد وجد من غير فعل ، وهذا أعظم امتناعا في العقل من كونه وُجد بغير قدرة ، فإنه

١٤٥/٢

(١) س : بمعنى المقارنة له .

(٢) م ، ق ، ط ، ر : بمعنى .

(٣) إنه . زيادة في (س) .

(٤) م ، ق : فإذا ألزمه .

(٥) له من : زيادة في (س) .

(٦) م ، ق : تناقضا .

إذا عرض على العقل مفعول مخلوق^(١) حدث بعد أن لم يكن بلا فعل ولا خلق كان إنكار العقل لذلك أعظم من إنكاره لحدوثه من غير قدرة للفاعل ، وإنكاره لحدوثه من غير فاعل أعظم امتناعا في العقل من هذا وهذا ، فإذا قيل : فعله الفاعل بلا قدرة ، أنكره العقل ، وإذا قيل : فعله بالقدرة التي لم تزل بدون فعل ، كان إنكاره أعظم ، وإذا قيل : حدث بلا فاعل ، كان أعظم وأعظم ، فإن الفاعل بلا فعل كالعالم بلا علم ، والحي بلا حياة ، [والقادر بلا قدره ونحو ذلك]^(٢) وذلك نفي لجزء مدلول اللفظ الذي دل عليه بالتضمن ، وأما نفي القدرة [عن الفاعل]^(٣) فهو نفي لما دل عليه باللزوم العقلي .

وإذا قال القائل : « بل يجوز أن يكون المفعول المخلوق حدث بلا فعل ولا خلق غيره ، لأنه لو كان بفعل للزم أن يكون للفعل فعل ، ولزم^(٤) التسلسل وأن يكون محلا للحوادث » .

قيل : فعلى هذا يجوز أن يكون المفعول المخلوق حدث بلا قدرة من الفاعل ؛ لأن ثبوت القدرة يستلزم ثبوت الصفات وقيام الأعراض به .

فإذا قال : « الفعل بدون القدرة ممتنع ، وليس في العقل ما يحيل لوازم القدرة ، بل علمنا بامتناع الفعل بلا قدرة أعظم من علمنا بامتناع قيام الصفات به ، وإن سماها المسمى أعراضا » .

(١) مفعول مخلوق : كذا في (س) وفي سائر النسخ : مخلوق مفعول .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة في (س) .

(٣) ر : نفي المدلول .

(٤) عن الفاعل : زيادة في (س) .

(٥) م . ق . ط . ر : ولزم .

(٦) س : فعل هذا قيل .

قيل له : والمخلوق المفعول بلا فعل ولا خلق أعظم امتناعا في العقل . وليس في العقل ما يحيل لوازم الفعل الذي كان بالقدرة ، بل عِلْمُنَا بامتناع ذلك أعظم من علمنا بامتناع قيام الأفعال به ، وإن سماها^(١) المسمى حوادث .

يبين ذلك : أن افتقار المخلوق إلى خلق والمفعول المنفصل إلى فعل يُعلم باللزوم العقلي وبالقول السمعى ، فإن « فاعل وخالق^(٢) » مثل متكلم وقائل ومريد ومتحرك / وغير ذلك^(٣) من الأسماء التى تستلزم قيامَ معانٍ بالمسميات . ١٤٦/٢

فلما ظهرت حجة عبد العزيز على الميسى فى أنه لا بد من فعل للرب تعالى بقدرته ، كما قال له : « يلزمك أن تقول إنه^(٤) خلق بالفعل الذى كان عن القدرة ، وليس الفعل هو القدرة ، لأن القدرة صفة لله ، ولا يقال لصفة الله : هى الله ، ولا يقال : إنها غير الله » ولم يقل عبد العزيز : إنها ليست هى الله ولا غيره ، بل قال : لا يقال إنها هى الله ، ولا يقال إنها غيره .

وقول عبد العزيز هذا هو قول أئمة السنة ، كالإمام أحمد وغيره ، وهو قول ابن كلاب وغيره من الأعيان . ولكن طائفة من أصحاب

(١) س . ط . ر . ص : وإن سماه .

(٢) س : فلما قال خالق وفاعل .

(٣) س : ونحو ذلك .

(٤) س : بأنه .

أحمد مع طائفة من متكلمي الصفاتية أصحاب الأشعرى يقولون : لا
هي الله ولا غيره^(١).

وتلك العبارة هي الصواب ، كما قد بسط في غير هذا الموضع ، فإن
لفظ « الغير » فيه إجمال ، فلا يصح إطلاقه لا نفيًا ولا إثباتًا على
الصفة ، ولكن يصح^(٢) نفي إطلاقه نفيًا أو إثباتًا^(٣) ، كما قال السلف مثل
ذلك في لفظ « الجبر » ونحوه من الألفاظ المجملة : إنه لا يُطلق [لا]^(٤)
نفيًا ولا إثباتًا ، وإذا قيل : « لا يطلق لا هذا ولا هذا » لم يلزم إثبات
قسم ثالث ، لا هو الموصوف ولا غير الموصوف ، بل يلزم إثبات ما لا
يُطلق عليه لفظ الغير ، لا ما ينفي عنه المغايرة .

ومقصود عبد العزيز : أن القدرة صفة لله ، ليست هي الفعل الذي
كان عن القدرة ؛ فإنه يقول : لم يزل الله قادراً ، ولا يقول^(٥) : لم يزل
فاعلاً .

فعارضه الميرسي بأن هذا يلزمك أيضاً ، فيلزمك أن تقول : لم يزل
يفعل ويخلق . وإذا قلت ذلك فقد ثبت أن المخلوق لم يزل مع الله .
فقال له عبد العزيز : ليس لك أن تحكم على وتلزمي ما لا يلزمي ،
وتحكي عني ما لم أقل ؛ وذلك لأن عبد العزيز لم يقل في هذا قولاً يُحكي

(١) م ، ق : متكلمة ؛ ط : متكلم .

(٢) م (فقط) : ولا هي غير الله .

(٣) س : ولكن يصلح .

(٤) س : وإثباتاً .

(٥) لا : ساقطة من (م) فقط .

(٦) س : لم يزل قادراً ولم يقل .

عنه ، ولكن قال له : إما أن تلتزم أنت ما ألزمتني ، وإلا التزمت أن تقول : إن المخلوق لم يزل مع الله .

وهذا الذي قاله المريسي إنما يلزم عبد العزيز إذا أبطل كل قسم مما يمكن / أن يقال في هذا المقام ، وهو لم يفعل ذلك ، ولا سبيل له إليه ، ١٤٧/٢ بخلاف ما ألزمه إياه عبد العزيز ، فإنه لازم [له] ^(١) لا محالة ، إذ كان قوله : « إن المخلوقات كلها - وكلام الله عنده من جملتها - حدثت بعد أن لم تكن من غير فعل فعله الله ، بل بقدرته التي لم تزل » مع أن عبد العزيز قد بين فيما بعد أن ما أقر به المريسي يكفيه في الاحتجاج في مسألة القرآن ؛ فإن المريسي أقر بأن الله خلقها بقدرته ، فأثبت هنا معنى هو صفة لله تعالى ليس بمخلوق ؛ فبطل أصل قوله الذي نفي به الصفات ، وقال : إن القرآن مخلوق ، لكن عبد العزيز بين له ما يلزمه ، وما أقر به ، وأن الحجة تحصل بهذا وبهذا ، وأما المريسي فعارضه بأن قال : يلزمك ما ألزمتني .

وذلك مبني على مقدمات لم يذكر منها واحدة .

أحدها : أن يقول : إذا كان أحدث ^(٢) الأشياء بفعله الكائن عن قدرته ^(٣) حصل المقصود من غير إثبات قديم مع الله تعالى ؛ ولهذا قال له عبد العزيز : « إنما قلت : الفعل صفة لله ، والله يقدر عليه ، ولا يمنعه منه مانع » وفي نسخة أخرى زيادة على ذلك : « إنما قلت : إنه لم يزل الفاعل سيفعل ، ولم يزل الخالق سيخلق ، لأن الفعل صفة لله »

(١) له : زيادة في (س) ، (ر) .

(٢) س : إذا أحدث .

(٣) قدرته : كذا في (س) ، وفي سائر النسخ : القدرة .

وهذه الزيادة لم تتقدم في كلام عبد العزيز ، فإما أن تكون ملحقة من بعض الناس^(١) في بعض النسخ ، أو يكون معنى الكلام : إنما قولي هذا ، وإنما^(٢) قلت إني إنما اعتقدت^(٣) والتزمت هذا ، أو يكون المعنى : إنما أقول وأعتقد هذا . والأشبه أن هذه الزيادة ليست من كلام عبد العزيز ، فإنها لا تناسب ما ذكره من مناظرته المستقيمة ، ولم يتقدم من عبد العزيز ذكر هذا الكلام ولا ما يدل عليه . بخلاف قوله : « إنما الفعل صفة لله ، والله يقدر عليه ، ولا يمنعه منه مانع » فإن هذا كلام^(٤) حسن صحيح ، وهو لم يكن قد قاله ، ولهذا لم يقل : إني قلت ذلك ، ولكن قال : هذا هو الذي^(٥) يجب أن يقال ، وهو الذي يلزمي أن أقوله ، لأنني بينت أن المخلوق لا يكون إلا بفعل عن قدرة الله ، والفعل قائم / بالله ، ليس هو مخلوقا منفصلا ؛ وهذا مراده بقوله : « إنه ١٤٨/٢ صفة » لم يرد بذلك أن الفعل المعين لازم لذات الله تعالى ، لأنه قد قال : « والله يقدر عليه ، ولا يمنعه منه مانع » .

فحصل بذلك مقصود عبد العزيز من أن هناك فعلا أحدث الله به^(٦) المخلوقات عن قدرته ؛ فأقام الحجة على أنه يقوم بالله تعالى أمر غير المخلوقات عن القدرة ، واعترف له المريسى بالقدرة .

(١) م (فقط) : من بعض النسخ .

(٢) م . ق : أو إنما .

(٣) س : إني ما اعتقدت .

(٤) م : الكلام .

(٥) م : ولكن قال هذا [أقول . و] هو الذي .

(٦) أحدث الله به : كذا في (م) . وفي سائر النسخ : أحدث به .

فقد ثبت على كل تقدير أن قَبْلَ المخلوق^(١) شيئاً خارجاً عن المخلوق ، سواء كان هو القدرة وحدها أو كان مع ذلك الفعل والقول والإرادة ، وما كان متقدماً قبل المخلوق فليس هو من المخلوق ؛ فبطل قول المريسي : إن مالا يُسمَّى بالله فهو مخلوق ؛ فإن هذه الأمور كلها ليست هي الله ، وليست مخلوقة ، لأن هذه صفات له . ولا يقال : « إنها هي الله »^(٢) ولا يقال : « إنها غير الله » وإذا قلنا : « الله الخالق وما سواه مخلوق » فقد دخل في مسمى اسمه صفاته ، فإنها داخلة في مسمى اسمه . ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله فقد أشرك »^(٣) لم يكن الحلف بعزة^(٤) الله^(٥) ونحو ذلك حلفاً بغير الله^(٦) .

ولما حدثت الجهمية واعتقدوا أن القرآن^(٧) خارج عن مسمى اسم الله تعالى ، قال مَنْ قال من السلف : « الله الخالق وما سواه مخلوق ، إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق » ، فاستثنوا القرآن مما سواه ، لما أدخله مَنْ أدخله فيما سواه ، ولفظ « ماسواه » هو كلفظ « الغير » وقد قلنا :

(١) م : المخلوقات .

(٢) س ، ص ، ط : إنها الله . وسقطت العبارة من (ر) .

(٣) الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما في : سنن أبي داود ٣/٣٠٣ (كتاب الأيمان والنذور . باب في كراهية الحلف بالآباء ؛ سنن الترمذي ١٨/٧ - ١٩ (كتاب النذور ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله) . وجاء الحديث مطولاً في المسند (ط . المعارف) ٧/٢٢٩ (رقم ٣٥٧٥) . ١٠/٨ - ١١ (رقم ٥٥٩٣) . ٢٧٨/٨ (رقم ٦٠٧٢ - ٦٠٧٣) .

(٤) س : بغير .

(٥) أورد البخاري عدداً من الأحاديث عن عدد من الصحابة . فيها الحلف بعزة الله . انظر : البخاري ٨/١٣٤ - ١٣٥ (كتاب الأيمان والنذور . باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته) .

(٦) س : حلفاً بالله .

(٧) م ، ق : أن مسمى القرآن .

إن القرآن وسائر الصفات لا يطلق عليه أنه هو ، ولا يطلق عليه أنه غيره ؛ فكذلك^(١) لا يطلق عليه أنه مما سواه ، ولا أنه ليس مما سواه ، لكن مع القرينة قد يدخل في هذا تارة وفي هذا تارة .

فلما كان بعض الناس قد يفهم أن القرآن هو مما سواه قال مَنْ قال من السلف « ما سواه مخلوق » ، . إلا القرآن^(٢) ؛ فإنه كلام الله غير مخلوق : منه بدأ ، وإليه يعود » ومن لم يفهم دخول الكلام في لفظ « سواه » لم يحتج إلى هذا الاستثناء ، / بل قال : « الله الخالق وما سواه ١٤٩/٢ مخلوق »^(٣) . والقرآن كلام الله غير مخلوق » لا يقول^(٤) : « إلا القرآن » أى القرآن هو كلامه ، وكلامه وفعله^(٥) وعلمه وسائر ما يقوم بذاته لا يكون مخلوقا ، وإنما المخلوق ما كان مُبَيَّنًا له ؛ ولهذا قال السلف والأئمة^(٥) ، كأحمد وغيره : « القرآن كلام الله ليس ببائن منه » وقالوا : « كلام الله من الله » .

وقال أحمد بن حنبل لرجل سأله فقال له^(٦) : « ألسنت مخلوقا ؟ فقال : بلى ، فقال : أوليس^(٧) كلامك منك ؟ قال : بلى ، قال : والله ليس بمخلوق ، وكلامه منه » ومُرَّاده أن المخلوق : إذا كان كلامه صفةً

(١) فكذلك : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : فلذلك .

(٢) - ٢) ساقط من (ق) .

(٣) م : ولا يقول .

(٤) س . ص ، ط ، ر : وفعاله .

(٥) س : قال الأئمة .

(٦) له : زيادة في (م) . (ق) .

(٧) أو ليس : كذا في (س) وفي سائر النسخ : أليس .

له هو داخل^(١) في مسمى اسمه ، وهو قائم به ، فالخالق أولى أن يكون كلامه صفة له داخل^(٢) في مسمى اسمه ، وهو قائم به ؛ لأن الكلام صفة كمال ، وعدمه صفة نقص . فالمتكلم أكمل ممن لا يتكلم . والخالق أحق بكل كمال من غيره .

والسلف كثيرا ما يقولون : الصفه من الموصوف ، والصفة بالموصوف ، فيقولون : علم الله من الله ، وكلام الله من الله ، ونحو ذلك ؛ لأن ذلك داخل في مسمى اسمه . فليس خارجا عن مسماه ، بل هو داخل في مسماه ، وهو من مسماه .

فعبد العزيز قرر^(٣) حجته بأن الفعل صفة لله عن قدرته ، لا يمنعه منه مانع ، وهذا كافٍ ، وما ألزمه إياه بشر لا يلزمه إلا بمقدمات لم يقرر بشر منها شيئا .

وأى تقدير من تلك التقديرات قال به القائل كان خيرا من قول المريسي .

التقدير الأول^(٤) : قول من يقول : إن الفعل حادث قائم بذات الله بقدرته ، كما يقول ذلك من يقوله من الكرامية . وهذا خير من قول المريسي وأمثاله^(٥) من الجهمية ؛ فإن ما يلزم أصحاب^(٦) هذا القول من

(١) س . ص . ط . ر : هو داخل .

(٢) داخل : كذا في (س) وفي سائر النسخ : داخل .

(٣) س : قدر .

(٤) س ، ص ، ط ، ر : المريسي الأول .

(٥) م ، ق : وأتباعه .

(٦) أصحاب : ساقطة من (س) ، (ص) ، (ر) ، (ط) .

تسلسل الحوادث يلزمهم مثله ، والذي يلزمهم من نفي الخلق والفعل لا يلزم أصحاب هذا القول .

وأما قولهم : « إنه محل للحوادث^(١) » فمثل قولهم : إنه محل للأعراض .

التقدير الثاني : قول من يقول : إن الفعل قديم أزلي ، كما يقول ذلك من يقوله من الكلاية ، ومن الفقهاء : الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والصوفية .

/ وهذا أيضا على هذا التقدير يكون من جنس قول الصفاتية ، ١٥٠/٢ وهؤلاء لا يقولون بقيام الحوادث [به]^(٢) ولا تسلسلها ، وإذا ألزمهم الميرسي وإخوانه أن يقال : فإذا كان الفعل لم يزل والإرادة لم تزل : لزم أن يكون المفعول المراد لم يزل . وقيل لهم : فحدوث الحوادث لا بد له من سبب . قالوا : هذا السؤال مشترك بيننا وبينكم ، لكن عبد العزيز لم يجب بهذا الجواب ، فإنه لو أجاب به لانتقضت حجته التي احتج بها على الميرسي ، فإنه احتج بأنه لم يزل قادراً ، فلو قال « الفعل قديم » قال الميرسي : إنه لم يزل فاعلا عندك .

وأيضاً فعبد العزيز ذكر أنه يقدر على الفعل لا يمنع منه مانع ، وذكر غير ذلك .

التقدير الثالث : أن الفعل الذي كان [عن قدرته كان]^(٣) قبله فعل

(١) م . ق : الحوادث .

(٢) به : ساقطة من (م) فقط .

(٣) ما بين المعقوفتين في (س) فقط وسقط من سائر النسخ .

آخر كان عن قدرته أيضاً ، وهلم جراً ، ولم يكن شئ من المفعولات والمخلوقات^(١) موجوداً معه في الأزل ، فإن الفعل ينقسم إلى متعدي ولازم ؛ فإذا قدر دوام الأفعال اللازمة لم يجب دوام الأفعال المتعدية ، وعلى هذا التقدير فإذا قال : « كان الله ولما يخلق شيئاً ولما يفعل شيئاً » لم يلزم أن لا يكون هناك فعل قائم بنفسه بدون مخلوق مفعول . ولا يجب أن يكون المخلوق لم يزل مع الله تعالى .

وهذا التقدير إن لم ينفه المريسي بالحجة لم يكن ما ألزمه لعبد العزيز لازماً .

وإذا قال السلف والأئمة : « إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء » فقد أثبتوا أنه لم يتجدد له كونه متكلماً ، بل نفس تكلمه بمشيئته قديم ، وإن كان يتكلم شيئاً بعد شئ ، فتعاقب الكلام لا يقتضي حدوث نوعه إلا إذا وجب تناهي المقدورات المرادات ، وهو المسمى بتناهي الحوادث . والذي عليه السلف وجمهور الخلف^(٢) : أن المقدورات المرادات لا تنتهى ، وهم بهذا نزهوه عن كونه كان عاجزاً عن الكلام ، كالأخرس الذي لا يمكنه الكلام ، وعن أنه كان ناقصاً فصار^(٣) كاملاً ، وأثبتوا مع ذلك أنه قادر على الكلام باختياره . وحجة عبد العزيز على / المريسي تتم على هذا التقدير ، ولا يكون مع الله في الأزل مخلوق .

التقدير الرابع : أنه لو قيل : « بأن كل ماسوى الله مخلوق ، محدث

(١) س : من المخلوقات والمفعولات .

(٢) س . ص . ط . ر : الخلق .

(٣) فصار : كذا في (س) وفي سائر النسخ . فكان .

كائنٌ بعد أن لم يكن ، فليس مع الله في أزاله شيءٌ من المخلوقات ، لكنه^(١) لم يزل يفعل» لم يوجب ذلك أن يكون معه شيءٌ من المفعولات المخلوقات ، وإنما يوجب ذلك كون نوع المفعول لم يزل ، مع أن كل واحد من آحاده^(٢) حادث لم يكن ثم كان معه^(٣) ، فليس من ذلك شيءٌ مع الله في الأزل . وعبدُ العزيز لم يقل هذا ولم يلتزمه ، بل ولا التزم شيئاً من هذه التقديرات ، ولا يلزمه واحد منها بعينه إلا بتقدير امتناع ماسواه . ولكن المقصود أن إلزام المريسي له بأن يكون المخلوق لم يزل مع الله لا يلزمه التزامه ؛ فإنه على التقديرات الثلاث لا يلزم وجود شيءٍ من المفعولات ولا نوعها في الأزل .

وأما على التقدير الرابع : فإنما يلزم أنه لم يزل نوع المفعول^(٤) لا شيءٌ من المفعولات بعينه .

وهذا التقدير إذا كان باطلاً : فالمريسي لم يذكر إبطاله ، ولا إبطال شيءٍ من التقديرات ، وهو لو أراد أن يبطل هذا لم يبطله إلا بإبطال التسلسل في الآثار ، كما هو طريقة مَنْ أبطل ذلك من أهل الكلام ، ولكن المريسي وموافقوه الذين يقولون : «بأن الله يخلق المخلوقات بغير فعل قائم به» ، ويقولون : «الخلق هو المخلوق» ، ويقولون : «إن المخلوقات كلها وجدت بعد أن لم تكن موجودة ، من غير أن يتجدد من الله فعل ولا قصد ولا أمر من الأمور ، بل ولا من غيره» - فيقولون : إن

(١) م : ولكنه .

(٢) آحاده : كذا في (س) وفي سائر النسخ : الآحاد .

(٣) معه : كذا في (س) . (هـ) وفي سائر النسخ : بعد .

(٤) ق . ص . ط . ر : المفعولات .

الأمر مازال على وجه واحد ، ثم حدثت جميع المحدثات ، وكانت جميع المخلوقات ، وليس هناك من الفاعل شيء غير وجودها ، بل حاله قبل وجودها ومع وجودها وبعد وجودها واحد ، لم يتجدد منه أمر يضاف الحدوث إليه . فأصحاب القول الأول يلتزمون التسلسل مع قولهم : « بأن كل ماسوى الله محدث ، كائن بعد أن لم يكن مسبوق بعدم نفسه ، لكن تحدث^(١) الحوادث شيئا / بعد شيء ، وهو محدثها^(٢) بأفعاله سبحانه التي يفعلها أيضا شيئا بعد شيء » وأصحاب الثانى^(٣) يقولون : « بل حدثت من غير سبب حادث » كما ترى .

ومن المعلوم : أنه إذا عُرض على العقل القولان كان بطلان هذا القول أظهر من بطلان ذلك [القول]^(٤) ، فإن ترجيح أحد طرفي الممكن بغير مرجع ، وتخصيص الشيء عن^(٥) أمثاله التي تماثله من كل وجه بلا مخصص^(٦) ، وحدوث الحوادث جميعها بدون سبب حادث - بل مع كون الأمر قبل حدوثها ومع حدوثها على حال واحد^(٧) - هو أبعد في المعقول ، وأنكر في القلوب من كون المحدثات لم تزل تحدث شيئا بعد شيء ، ومن كون الله سبحانه لم يزل يفعل ما يشاء ويتكلم بما يشاء ، كما أنه لا يزال في الأبد^(٨) يفعل ما يشاء ويتكلم بما يشاء .

(١) س : يحدث .

(٢) س : يحدثها .

(٣) ر ، هـ : القول الثانى .

(٤) القول : زيادة في (س) .

(٥) س : على .

(٦) بلا مخصص : كذا في (س) ، هـ (هـ) وفي سائر النسخ : بلا تخصيص .

(٧) حال واحد : كذا في (م) ، هـ (هـ) . وفي سائر النسخ : حال واحدة .

(٨) م (فقط) : في الأبدية .

فلو قُدِّر أن عبد العزيز والمريسي انتبيا إلى هاتين المقدمتين لم يكن للمريسي أن يُلْزَم عبد العزيز [بشئٍ إلا ألزمه عبد العزيز]^(١) بما هو أشنع منه ، فكيف وعبد العزيز لم يحتج إلى شئ من ذلك ؟ بل بين أنه لا بد أن يكون قبل المخلوق ما به يخلق المخلوق من صفات الله وأفعاله ، فيبطل ما يدعيه المريسي ونحوه من أن الله لا صفة له ولا كلام ولا فعل ، بل خلق المخلوقات وخلق الكلام الذي سماه كلامه بلا صفة ولا فعل ولا كلام .
وهذان الجوابان اللذان يمكن عبد العزيز أن يجيب بهما عن إلزامه^(٢) التسلسل يمكن معهما جواب ثالث مركب منهما ، كما تقدم التنبيه على ذلك ، وهو أن يقول :

إن كان التسلسل ممتنعاً بطل هذا الإلزام ، وإن كان ممكناً أمكن التزامه كما قد ذكرنا في غير هذا الموضع : أن المسلمين وغيرهم من أهل الملل القائلين بأن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، يمكنهم أن يحيبوا بمثل هذا الجواب للقائلين بقدم العالم من الفلاسفة وغيرهم ، المحتجين على ذلك بحجتهم العظمى التي اعتمد عليها ابن سينا وابن الهيثم^(٣) وغيرهما حيث احتجوا على المعتزلة ونحوهم من

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م) ، (ق) وفي (س) : إلا ألزمه بما هو أشنع منه .

(٢) س : عن التزامه .

(٣) وابن الهيثم : كذا في (س) . وفي (ط) - (ص) ، (ر) : وأبي الهيثم . وفي (م) - (ق) : وأبو الهيثم واختلف في اسم ابن الهيثم فقال البعض : أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم ، وقال آخرون : الحسن بن الحسن بن الهيثم . وقال غيرهم : الحسن بن الحسين بن الهيثم . وقد ولد ابن الهيثم في البصرة ثم انتقل إلى مصر وتوفي بها نحو سنة ٤٣٠ هـ ، وكان يلقب ببطليموس الثاني . وله مؤلفات هامة في الهندسة والبصريات . انظر ترجمته ومصنفاته في : ابن الفخطي ، ص ١٦٥ - ١٦٨ ، ابن أبي أصيبعة ١٤٩/٣ - ١٦٢ ، تاريخ حكماء الإسلام - ص ٨٥ - ٨٨ ، دائرة المعارف الإسلامية . مقالة « ابن الهيثم » ، الأعلام ٣١٤/٦ - ٣١٥ .

١٥٣/٢ أهل الكلام ، فقالوا : الموجب التام للعالم إن كان ثابتاً في الأزل /
قدمه ، وإلا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح ، وإن لم يكن
ثابتاً في الأزل احتاج في حدوث^(١) تمامه إلى مرجح ، والقول فيه
كالقول في الأول^(٢) ، ويلزم التسلسل .

وعظم شأن هذه الحجة على هؤلاء المتكلمين ، لأنهم يقولون ببطلان
التسلسل ، ويحدث الحوادث من غير سبب حادث ، ويقولون بأن
المرجح^(٣) التام لا يستلزم أثره ، بل القادر أو المرید يرجح أحد مقدوريه^(٤)
أو أحد مراديه على الآخر بلا مرجح ، فصاروا بين أمرين : إما إثبات
الترجيح بلا مرجح ، وإما التزام التسلسل ، وكلاهما مناقض لأصولهم ،
ولهذا عدل مَنْ عدل في جوابها إلى الإلزام والمعارضة بالحوادث اليومية .
ونحن قد بينا جوابها من وجوه :

منها أن يقال : التسلسل يراد به أمور ، أحدها^(٥) : التسلسل في
المؤثرات والفاعلين^(٦) والعلل ، وهذا باطل بصريح العقل ، واتفاق
العقلاء ، ومنها : التسلسل في تمام كون المؤثر مؤثراً ، وهذا كالكلى
قبله [٧] باطل بصريح العقل ، وقول جمهور العقلاء .

الرد على حجة الفلاسفة
في مسألة التسلسل من
وجهه .

(١) م ، ق : احتيج في حدوث ط ، ر ، هـ : احتيج حدوث .

(٢) الأول : كذا في (س) وفي سائر النسخ : الأزل .

(٣) س : الترجيح .

(٤) س : مقدريه .

(٥) م ، ق : أمور منها .

(٦) م ، ق : والفاعلية . وطمست الكلمة في (س) .

(٧) كالكلى قبله : ساقط من (ق) . وفي (م) وهذا أيضا .

ومنها : التسلسل الذى فى معنى الدّور ، مثل أن يقال : لا يحدث
حادث أصلا حتى يحدث حادث ، وهذا أيضا باطل بضرورة العقل^(١)
واتفاق العقلاء .

ومنها : التسلسل فى الآثار المتعاقبة ، وتامم التأثير^(٢) فى الشئ المعين ،
مثل أن يقال : لا يحدث هذا حتى يحدث قبله ، ولا يحدث هذا إلا
ويحدث بعده ، وهلمّ جراً ، وهذا فيه نزاع مشهور بين المسلمين وبين
غيرهم من الطوائف ؛ فمن المسلمين وغيرهم من جوّزه فى المستقبل دون
الماضى .

وإذا^(٣) عرفت هذه الأنواع فهم قالوا : إذا لم يكن المؤثر تاما فى
الأزل لم يحدث عنه شئ حتى يحدث حادث به يتم كونه مؤثرا ، إذ
القول فى ذلك الحادث كالقول فى غيره ، فيكون حقيقة الكلام : أنه لا
يحدث شئ ما حتى يحدث شئ ، وهذا باطل بصريح العقل واتفاق
العقلاء .

/ لكن هذا الدليل إن طلبوا به أنه لم يزل مؤثرا فى شئ بعد شئ ١٥٤/٢
فهذا يناقض قولهم ، وهو حجة عليهم ، وإن أرادوا أنه كان [فى
الأزل] مؤثرا تاما فى الأزل^(٤) لم تتجدد مؤثرته ، لزم من ذلك أنه لا
يحدث عنه شئ بعد أن لم يكن حادثا ، فيلزم أن لا يحدث فى العالم

(١) س : باطل بالضرورة .

(٢) ق . ص . ط . ر : التأثير .

(٣) م : إذا .

(٤) فى الأزل : ساقطة من (م) فقط .

(٥) كذا تكررت عبارة فى الأزل ، فى جميع النسخ .

شيء . ولهذا عارضهم الناس بالحوادث اليومية . وهذا لازم لا مَحِيدَ لهم عنه ، وهو يستلزم فساد حججهم .

وإن أرادوا أنه مؤثر في شيء معين فالحجة لا تدل على ذلك ، وهو أيضا باطل من وجوه ، كما قد بسط في موضع آخر . فالمؤثر التام يراد به المؤثر في كل شيء ، والمؤثر في شيء معين ، والمؤثر تأثيرا مطلقا في شيء بعد شيء : فالأول هو الذي يجعلونه موجب حججهم ، وهو يستلزم أن لا يحدث شيء ، فعلم بطلان دلالة الحجة على ذلك . ويراد به التأثير في شيء بعد شيء ؛ فهذا هو موجب الحجة ، وهو يستلزم فساد قولهم ، وأنه ليس في العالم شيء قديم ، بل لا قديم إلا [الرب] ^(١) رب العالمين . ويراد به التأثير في شيء معين ، فالحجة لا تدل على هذا ، فلم يحصل مطلوبهم بذلك ، بل هذا باطل من وجوه أخرى .

فهذا التقسيم ينكشف ^(٢) ما في هذا الباب من الإجمال والاشتباه . فكل حادث معين فيقال : هذا الحادث المعين إن كان مؤثره التام موجودا في الأزل لزم جواز تأخير الأثر عن مؤثره التام ، فبطل قولهم .

وإن قيل : بل لابد أن يحدث تمام مؤثره عند حدوثه ، فالقول في حدوث ذلك التام كالقول في حدوث تمام الأول . وذلك يستلزم التسلسل في حدوث تمام التأثير . وهو باطل بصريح العقل ، فيلزم على قولهم حدوث الحوادث بغير سبب حادث . وهذا أعظم مما أنكروه على

المتكلمين من التسلسل ^(٣)

(١) كلمة الرب : زيادة في (س) .

(٢) م : ق : يكشف .

(٣) من التسلسل : ليست في (س) .

[فإن قيل : فما] الفرق^(١) بين هذا التسلسل وبين التسلسل في تمام تأثير معين بعد معين .

قيل : الفرق بينها من وجوه :

أحدها : أن هؤلاء قد قالوا إنه مؤثر تام في الأزل ، والمؤثر التام مستلزم أثره معه ، فيلزمكم أن لا يحدث عنه شيء ، بل تكون جميع الممكنات قديمة أزلية ، وهذا باطل بالحس والمشاهدة .

فادعوا أمرين باطلين : أحدها : أنه كان مؤثراً تاماً في الأزل ، وأن المؤثر التام يكون أثره معه في الزمان حتى يكون الأثر مقارناً للمؤثر في الزمان .

فإن قيل : إنه يتقدم عليه بالعلية ، وهذا بخلاف قول من قال : لم يزل مؤثراً في شيء بعد شيء ، فهذا لم يقل إنه كان مؤثراً في الأزل في شيء قط ، ولم يكن مؤثراً تاماً في الأزل قط .

الثاني : أنهم إن قالوا : إن الأثر يجب أن يقارنه أثره في الزمان لزم أن لا يحدث شيء . وإن قالوا : بل الأثر يكون عقب المؤثر في الزمان لزم أن لا يكون معه قديم ، وحينئذ فن قال بهذا قال : إنه لم يزل مؤثراً في شيء بعد شيء ، وكل ما سواه حادث مسبوق بالعدم .

الثالث : أن هؤلاء يقولون : كل حادث معين لابد أن يحدث تمام تأثيره فيكون هو حادثاً عقب تمام التأثير ، فأى شيء كونه الله كان عقب

(١) فإن قيل فما الفرق : هذه العبارة في (س) فقط . وفي سائر النسخ : من التسلسل - والفرق . .

تكوين الرب له ، كأجزاء الزمان والحركة التي توجد شيئاً فشيئاً ، فقلوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] ، فيكون الحادث عقب تكوين الرب له ، كما يكون الانكسار عقب التكسر ، والطلاق عقب التطلق ، فيلزم على هذا حوادث متعاقبة شيئاً بعد شيء .

وهذا غير ممتنع عند من يقول بهذا من أئمة أهل الملل ، ومن الفلاسفة ، بخلاف قول المتفلسفة ومن وافقهم على أن الأثر يكون مع المؤثر في الزمان ، كما قالوا : الفلك قديم بقدم علته ، وهو معه في الزمان .

فهؤلاء إن قالوا بحدوث الحوادث بدون سبب حادث لزمهم المحذور الذي قرأوا منه . وإن قالوا : بل عند كل حادث يحدث مع زمن حدوثه وحدوث تمام مؤثره لزم حدوث حوادث لا تنتهي في آنٍ واحد من غير تجدد شيء عن المؤثر الأزلي . فلزمهم التسلسل في تمام أصل التأثير ، لا في تأثير شيء معين ، وهو ممتنع مع قولهم بحدوث لا تنتهي في آنٍ واحد .

وهم وسائر العقلاء يسلمون بطلان هذا ، وإنما نازع فيه معمر صاحب المعاني^(١) ، وقد ظهر بطلان ذلك ، فإنه تسلسل في أصل التأثير ، لا في تأثير المعينات ، فلزمهم الحال الذي لزم أصحاب معمر ، ويلزمهم الحال والتناقض الذي اختصوا به ، وهو قولهم بأن المؤثر مع

(١) وهو معمر بن عباد السلمي ، سبقت ترجمته والاشارة إلى مذهبه في المعاني ج ١ ص ٣٤٤ .

مؤثره في الزمان ، مع كون الرب مؤثراً تاماً في الأزَل ، فيلزمهم أن لا يحدث في العالم شيء^(١) .

ومنها أن يقال : التسلسل جائز على أصلكم ، فلا تكون الحجة برهانية ، بل [تكون]^(٢) جدلية ، وهي تُلزمنا^(٣) بتقدير صحتها أحد^(٤) أمرين : إما القول بالترجيح بلا مرجح ، وإما القول بالتسلسل ، وإلا كنا قد تناقضنا في نفي هذا وهذا ، ولكن جواز / التناقض علينا ١٥٥/٢ يقتضي بطلان أحد قولينا ، فلم قلتم : إن قولنا الباطل هو نفي الترجيح بلا مرجح ، مع اتفاقنا على بطلانه ؟ فقد يكون قولنا الباطل : هو^(٥) نفي التسلسل في الآثار الذي نازعنا فيه مَنْ نازعنا من إخواننا المسلمين مع منازعتكم لنا في ذلك ، وإذا كان كذلك فالتزامنا لقولٍ نوافق فيه إخواننا المسلمين وتوافقوننا أنتم عليه وتبطل به حججتكم على قدم العالم ، أولى أن نلتزمه^(٦) مِنْ قولٍ يخالفنا فيه هؤلاء وهؤلاء ، وتقوم به حججتكم على قدم العالم .

الجواب الثالث : الجواب^(٧) المركب ، وهو أن يقال : إن كان التسلسل في تمام التأثير ممكناً بطلت الحجة ؛ فانه يمكن حينئذ أن يحدث

(١) ما بين المعقوفين في [س] فقط في ورقات ملصقة بالخطوط . وكتب بعد هذا الكلام بلغ مقابلة .

(٢) تكون : زيادة في (س)

(٣) تلزمنا : كذا في (س) فقط . وفي سائر النسخ يلزمنا

(٤) أحد : ساقطة من (س) .

(٥) هو : ساقطة من (س) .

(٦) ص ، ط ، ر : أن نلتزمه .

(٧) الجواب : ساقطة من (س) .

كل ما سوى الله بأن يحدث تمام تأثيره . وإن كان ممتنعا لزم إما أن لا يحدث شيء ، وهو خلاف المشاهد ، وإما أن تحدث الحوادث بدون سبب حادث ، وهو يُبطل الحجة ؛ فبطلت الحجة على كل تقدير .

وإن شئت قلت : إن التسلسل في الآثار إن كان ممكنا بحيث يحدث شيئا^(١) بعد شيء ولا يكون^(٢) علة تامة في الأزل ، لزم حدوث كل ما سوى الله ، وبطلت الحجة ، وإن كان ممتنعا لزم أيضا أن تحدث الحوادث عن المؤثر التام الأزل ، فيلزم حدوث [جميع]^(٣) الحوادث عنه ، ولزم حينئذ حدوث^(٤) العالم ؛ فتبطل حجة قدمه ، فالحجة باطلة على التقديرين . وقد بُسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع .

(فصل)

وأما قول عبد العزيز : « فقد ثبت أن ههنا إرادة ، ومريدا ، ومُرادا . وقولا وقائلا ، ومَقُولا له . وقدرة ، وقادرا ، ومقدورا عليه . وذلك كله متقدم قبل الخلق » فيحتمل أمرين :

العودة إلى التعليق على كلام عبد العزيز الكنانى

أحدهما : أنه أراد بالمراد : [المراد]^(٥) المتصور في علم الله ، وبالمقدور عليه : الثابت في علم الله ، وبالمَقُول له . المخاطَب الثابت في علم الله المخاطَب خطاب التكوين ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ

(١) ر : شيء .

(٢) س : تكون .

(٣) جميع : زيادة في (س) .

(٤) س : حدث .

(٥) المراد : زيادة في (س) .

شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [سورة يس : ٨٢] وهذه معاني ثابتة لله تعالى / قبل وجود المخلوق ، ولهذا اضطربت^(١) نفاة الصفات من المعتزلة ١٥٦/٢ وغيرهم في هذه الأمور ، فتارةً يشتونها في الخارج ، وتارةً ينهونها مطلقا . ومن هنا غلط من قال : « المعدوم شيء » فإنهم ظنوا أنه لما كان لا بد من تمييز ما يريد الله مما لا يريد ونحو ذلك ، توهموا أن هذا يقتضي كون المعدوم ثابتا في الخارج . وليس الأمر كذلك ، بل هي معلومة لله تعالى ثابتة في علم الله تعالى .

وضل آخرون في مقابلة هؤلاء كهشام الفوطي [فإنه]^(٢) ذكر عنه الأشعري في المقالات^(٣) أنه كان يقول : « لم يزل الله عالما أنه واحد لا ثاني له »^(٤) ، ولا يقول : إنه لم يزل عالما بالأشياء^(٥) وقال : « إذا قلت : لم يزل عالما بالأشياء ، أثبتنا لم تزل مع الله »^(٦) وإذا قيل له : « أفنتقول بأن الله لم يزل عالما بأن ستكون الأشياء ؟ قال : إذا قلت بأن ستكون فهذه إشارة إليها ولا يجوز أن يشار إلا إلى موجود »^(٧) وكان لا يسمى ما لم يخلقه ولم يكن شيئا^(٨) .

(١) (م) فقط : اضطرب .

(٢) فإنه : زيادة في (س) .

(٣) مقالات الاسلاميين ١٦٠/٢

(٤) م ، ق : لم يزل الله عالما وأنه واحد لا ثاني له ، ط ، ص ، ر : لم يزل الله عالما ولا ثاني له ، المقالات : لم يزل عالما أنه واحد .

(٥) المقالات : ولا أقول بالأشياء .

(٦) س ، ط ، ص : إذا قلت لم يزل عالما بالأشياء ثبتنا لم تزل مع الله ، المقالات : لأن قولي بالأشياء إثبات أنها لم تزل .

(٧) المقالات : وقول أيضا بأن ستكون الأشياء إشارة إليها ولا يجوز أن أشير إلا إلى موجود .

(٨) المقالات : وكان يقول إن ما عدم وتقتضي شيء ولا أقول إن مالم يكن ولم يوجد شيء .

والثاني : أن يريد بذلك نفس^(١) الفعل المقدور المراد الذي يكون به المخلوق .

وأما القول : فهو المصدر كما تقدم ، والمَقُول هو الكلام ، فإن في إحدى النسختين : « مقولا له » وفي الأخرى : « ومقولا^(٢) » .

وعلى هذا فقُول عبد العزيز : « إن قال خلق كلامه في نفسه فهذا محال لا يجد سبيلا إلى القول به مِنْ قِياس ولا نظر ولا معقول ، لأن الله لا يكون مكاناً للحوادث ، ولا يكون فيه شيء مخلوق ، ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء إذا خلقه ، تعالى الله عن ذلك^(٣) ! » مراده : أنه لا يكون مكانا لما حدث مطلقا . وهو ما حدث جنسه ، كالكلام عند من يقول : إنه حادث الجنس^(٤) فإنه يقول : إن الله صار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا ، فيكون جنس الكلام محدثا ، وكذلك إذا قيل : أراد بعد أن لم يكن مريدا ، فحدث جنس الإرادة ، وكذلك إذا قيل : علم بعد أن لم يكن عالما ، فيكون جنس العلم حادثا ، وأمثال هذا ؛ فإن الله لا يكون مكانا لأجناس الحوادث . .

وعلى هذا فيكون عبد العزيز قد ذكر على بطلان قول المريسي عدة حجج : أنه لا يكون مكانا للمخلوقات ، ولا يكون مكانا لما جنسه حادث ، ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء ، فهذه ثلاث حجج .

(١) م (فقط) : نقي .

(٢) س : وفي الأخرى مقولا .

(٣) س : تعالى عن ذلك .

(٤) حادث الجنس : كذا في (س) وكتبت العبارة في الهامش بعد أن ضُرب على كلمة مخلوق في الأصل وأشير إلى الهامش . وفي سائر النسخ : مخلوق .

/ وهذا لا ينافي ما ذكره من أنه خلق بالفعل الذي كان بالقدرة ، وأن ١٥٧/٢
الفعل صفة ، والله يقدر عليه ، ولا يمنعه منه مانع ، وأنه أحدث
الأشياء بأمره وقوله عن قدرته ، ونحو ذلك ، فإن هذا الفعل والقول
المقدور الذي ليس هو مخلوقا منفصلا عنه ليس جنسه محدثا عنده ، وإن
كان الواحد من آحاده يكون بعد أن لم يكن . فالجنس لا يقال له
حادث ولا محدث ، بل لم يزل الله موصوفا بذلك عنده . ولهذا قال :
« ولا يكون فيه شيء مخلوق ، ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء إذا
خلقه » فإن ما كان جنسه محدثا كان قد زادت به الذات ، وقد عُرف أن
المخلوق عنده : ما كان مسبوقا بفعله الذي خلق به وقوله وقدرته ، وأن
المخلوق لا يكون إلا منفصلا عنه .

فهذا الذي قاله عبد العزيز فيه رد على الكرامية ومن وافقهم في أنهم
جَوَّزوا عليه أن يحدث له جنس الكلام ونحوه مما لم يكن موجودا فيه قبل
ذلك ، وجَوَّزوا أن يحدث له جنس صفات الكمال ، ومتى قيل : « إنه
لم يكن موصوفا بجنس من أجناس صفات الكمال حتى حدث له » لزم
أن يكون قبل ذلك ناقصا عن صفة من صفات الكمال ، فلا يكون
متكلما ، بل يكون موصوفا قبل ذلك بعدم الكلام ، وهذا الذي قاله
عبد العزيز [هو] ^(١) نظير قول الإمام أحمد وغيره من الأئمة .

كلام أحمد بن حنبل في
مسألة أفعال الله
والعقل عليه .

قال أحمد في « رده على الجهمية » ^(٢) : باب ما أنكرت الجهمية من
أن يكون الله كلم موسى : - « فقلنا : لم أنكرتم ذلك ؟ قالوا : إن الله

(١) هو : ساقطة من (م) .

(٢) ص ٨٧ (من مجموعة عقيدة السلف . ط . الاسكندرية . ١٩٧١) = ص ٣٣ (ط .

مطبعة الامام . بدون تاريخ) .

لم يتكلم^(١) ، ولا يتكلم ، وإنما كَوَّن شيئاً فعبّر عن الله ، وخلق صوتاً فأسمع^(٢) ، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفقتين . فقلنا : هل يجوز لمكوّن [أو] غير الله^(٣) أن يقول : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [سورة طه : ١٢] أو يقول : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [سورة طه : ١٤] ؟ فمن قال ذلك زعم أن غير الله ادّعى الربوبية^(٤) ، ولو كان كما زعم الجهمي^(٥) : أن الله كَوَّن شيئاً كان يقول ذلك المكون : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة القصص : ٣٠] وقد قال / جل ثناؤه ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٦٤] وقال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] وقال تعالى ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٤] هذا^(٦) منصوص القرآن .
فأما^(٧) ما قالوا : « إن الله لا يتكلم »^(٨) فكيف يصنعون بحديث الأعمش عن خيثمة عن عدى بن حاتم الطائي قال : قال رسول الله

(١) في طبعة الإمام : لم يكلم ، وأشار محققا طبعة الاسكندرية الى أن ذلك موجود في إحدى النسخ .

(٢) الرد (ط . الامام) : فاسمعه .

(٣) م : لمكوّن غير الله ، الرد (ط . الإمام) : أن يكون المكون غير الله .

(٤) الرد ص ٨٧ - ٨٨ (ط . الاسكندرية) : فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى

الربوبية ، الرد ص ٣٣ (ط . الامام) : فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية .

(٥) الرد ص ٨٨ (ط . الاسكندرية) : .. ادعى الربوبية كما زعم الجهم .

(٦) الرد : فهذا .

(٧) فأما : كذلك في (س) وفي الرد . وفي سائر النسخ : وأما .

(٨) الرد (ط . الامام) : إن الله لم يتكلم ولا يكلم .

صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ^(١) تَرْجُان ^(٢) » .

وأما قولهم : إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات ، فقد قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٧٩] ^(٣) أتراها أنها يسبحن ^(٤) بجوف وفم ولسان وشفتين ، والجوارح إذا شهدت على الكافر ^(٥) فقالوا : ﴿ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة فصلت : ٢١] أتراها ^(٦) أنها نطقت بجوف وفم ولسان ؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء ، وكذلك الله يتكلم ^(٧) كيف شاء ، من غير أن نقول : بجوف ^(٨) ولا فم ولا شفتين ولا لسان ^(٩) . فلما خنقته الحجة قال : إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره ، فقلنا : وغيره مخلوق ؟ قالوا ^(١٠) : نعم ، قلنا ^(١١) : هذا مثل قولكم الأول ، إلا أنكم

(١) ط ، ص ، ر ، هـ ، الرد (ط . الاسكندرية) : ما بينه وبينه .

(٢) سبق ورود الحديث والكلام عليه في هذا الجزء . ص ٧١ .

(٣) في « الرد » (في الطبعين) : ولسان أليس الله قال (في ط . الامام : أليس قال الله) للسموات والأرض : اثنا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين [سورة فصلت : ١١] أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات وقال : وسخرنا مع داود الجبال يسبحن .

(٤) م : أتراهن يسبحن ؛ ق : أتراها أنهن يسبحن ؛ الرد (الطبعين) : أتراها سبحت .

(٥) م (فقط) : إذا شهدت على الكافرين ؛ الرد (ط . الاسكندرية) : إذ شهدت على

الكافر .

(٦) الرد (ط . الامام) : تراها .

(٧) الرد (في الطبعين) : تكلم .

(٨) س ، ص ، ط ، ر ، هـ ، الرد (ط . الامام) : جوف

(٩) س : ولا فم ولا شفتان ولا لسان ؛ الرد (ط . الامام) : ولا فم ولا لسان ولا شفتان .

وبعد هذه العبارة في طبعي الرد : قال أحمد رضى الله عنه .

(١٠) الرد (في الطبعين) : قال .

(١١) الرد (في الطبعين) : فقلنا .

تدفعون عن أنفسكم الشنعة^(١)، وحديث الزهرى قال: «لما سمع موسى كلام الله^(٢) قال: يارب، هذا الذى سمعته^(٣) هو كلامك؟ قال: نعم ياموسى هو كلامى، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولى قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما^(٤) كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت، فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له^(٥): صف لنا كلام ربك، فقال: سبحان الله! وهل أستطيع أن أصفه لكم؟ قالوا: فشبهه، قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التى تقبل فى أحلى حلاوة سمعتموها، فكأنه مثله».

فقد ذكر أحمد فى هذا الكلام: أن الله تعالى يتكلم كيف شاء، وذكر فى^(٦) استشهد به من الأثر «أن الله كلم موسى عليه السلام بقوة عشرة آلاف لسان» وأن له قوة الألسن كلها، وهو أقوى من ذلك، وأنه إنما^(٧) كلم موسى / على قدر ما يطيق، ولو كلمه بأكثر من ذلك لمت. وهذا بيان منه لكون تكلم الله^(٨) متعلقاً بمشيئته وقدرته^(٩) كما ذكر عبد العزيز. وهو خلاف قول من يجعله كالحياة القديمة اللازمة للذات، التى

١٥٩/٢

(١) الرد (فى الطبعين): الشنعة بما نظهرون.

(٢) الرد (فى الطبعين): كلام ربه.

(٣) سمعته: كذا فى (س) وفى طبعى الرد. وفى سائر النسخ: أسمعته.

(٤) م (فقط): وأنا.

(٥) له: ساقطة من (س)، (ص)، (ر).

(٦) فى: كذا فى (س). وفى سائر النسخ: ما.

(٧) إنما: كذا فى (س). وفى سائر النسخ: أيضاً.

(٨) م (فقط): كلام الله، ه: تكليم الله.

(٩) ر. ه: وقوته.

لا تتعلق بمشيئة ولا قدرة^(١). وبين أيضاً في كلامه أنه سبحانه تكلم وسيترككم ردًا على الجهمية [واستدل على أنه تكلم بالحديث الذي في الصحيحين عن عدى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه . وجعل قوله : « سيكلمه ربه » دليلاً على أنه سيترككم ، فبين أن التكليم عنده مستلزم للتكليم^(٢) متضمن للتكلم ، ليس هو مجرد خلق إدراك في المستدل]^(٣).

وقال الإمام أحمد^(٤) : « قلنا للجهمية : من القائل يوم القيامة : ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] أليس الله هو القائل ؟ قالوا : يكون^(٥) الله شيئاً فيعبر^(٦) عن الله ، كما كَوْنُ شيئاً^(٧) فيعبر لموسى ، قلنا : فمن القائل ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٦ ، ٧] أليس الله هو الذي يسأل ؟ قالوا : هذا كله إنما يُكُونُ شَيْءٌ^(٨) فيعبر عن الله ، فقلنا : قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم ، فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله ؛ لأن الأصنام لا تتكلم ولا تتحرك ، ولا تزول من مكان إلى مكان . فلما

(١) م ، ق : بمشيئته ولا قدرته .

(٢) في الأصل : للتكلم .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة في هامش (س) .

(٤) في الرد على الجهمية ص ٨٩ - ٩١ (ط . الاسكندرية) = ص ٣٥ - ٣٦ (ط .

الامام) .

(٥) الرد (ط . الامام) : قال : فقالوا : يكون ؛ (ط . الاسكندرية) : قالوا : فيكون .

(٦) ط : فيعبرون

(٧) الرد (ط . الامام) : كما كونه .

(٨) م . هـ : إنما يكون الله شيئاً ؛ الرد (في الطبعين) : إنما يكون شيئاً .

ظهرت عليه الحجة قال : إن الله قد يتكلم ، ولكن كلامه مخلوق . قلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق ، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق^(١) ، ففي مذهبكم^(٢) : قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام^(٣) ، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما^(٤) ، فقد جمعتم بين كفر وتشبيه ، فتعالى^(٥) الله عن هذه الصفة ! بل نقول : إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ، ولا نقول : إنه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاما^(٦) ، ولا نقول : إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم ، ولا نقول : إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ، ولا نقول : إنه قد كان^(٧) ولا نور له حتى خلق لنفسه نورا ، ولا نقول : إنه قد كان^(٨) ولا عظمة له حتى خلق لنفسه عظمة »

فقد بين أحمد في هذا الكلام الإنكار على النفاة الذين شبهوه بالجملادات^(٩) التي لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان ، مثل الأصنام المعبودة من دون الله ، والإنكار على من زعم أنه كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى / خلق الكلام . فشبهه بالآدمي الذي كان

(١) م ، ق ، ص ، ط ، ر : أن الله كلامه مخلوق .

(٢) م ، ق ، ص ، ط ، ر : مذهبهم .

(٣) الرد (في الطبعيتين) : التكلم .

(٤) س : حتى خلق لهم كلام ، الرد (ط . الاسكندرية) : حتى خلق الله لهم كلاما .

(٥) س ، الرد (ط . الاسكندرية) : تعالى .

(٦) كلاما : ساقطة من (س) ، (ص) ، (ط) ، (ر) . وفي (م) إنه قد كان . . الخ . وفي الرد

(ط . الاسكندرية) : حتى خلق الكلام

(٧) س ، ط ، ص ، هـ ، الرد (ط . الامام) : إنه كان .

(٨) ط ، ر . ص ، الرد (ط . الامام) : إنه كان .

(٩) س ، ص ، ط ، ر : بالجملادات .

لا يتكلم حتى خلق الله له كلاما . فأنكر تشبيهه بالجماد الذي لا يتكلم ،
وبالإنسان الذي كان غير قادر على الكلام حتى خلق الله له الكلام ،
فكان قادرا على الكلام في وقت دون وقت . ويبيّن أن مَنْ وصف الله
بذلك فقد جمع بين الكفر - حيث سلب ربه ^(١) صفة الكلام وهي من
أعظم صفات الكمال ، وجحد ما أخبرت به النصوص - وبين التشبيه .
ثم قال أحمد : « بل نقول : إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ،
[ولا نقول : إنه كان ولا يتكلم حتى خلق ..] » ^(٢) فبين أن الكلام يتعلق
بمشيئته وأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء ^(٣) فرد قول من لا يجعل الكلام متعلقا
بالمشيئة ، كقول الكلائية ومن وافقهم ، ومن يقول : « كان ولا يتكلم
حتى حدث له ^(٤) الكلام » كقول الكرامية ونحوهم ، وقال : « لا نقول ^(٥)
إنه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاما ^(٦) ، إلا نقول ^(٧) : إنه [قد] كان ^(٨)
لا يعلم ^(٩) حتى خلق علما فعلم ، ولا نقول ^(١٠) : إنه كان ولا قدرة له حتى
خلق لنفسه قدرة ، ولا نقول ^(١١) : إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه

(١) م (فقط) : سلب عن ربه

(٢) وهو النص الذي سبق وروده في الصفحة السابقة .

(٣) ما بين المعقوفين في (س) فقط وسقط من سائر النسخ

(٤) في (س) : حتى خلق . وكتب فوقها « حدث له » وفي نسخة (ص) : حتى خلق .

(٥) ق : ولا يقول .

(٦) كلاما : كذا في (م) ، (ق) وسقطت الكلمة من سائر النسخ ، وسبق ورودها منقولة عن

كتاب « الرد على الجهمية »

(٧) ق : ولا يقول .

(٨) م ، ق : إنه كان ، ووردت العبارة من قبل : إنه قد كان .

(٩) م ، ق : ولا يعلم

(١٠) ق : ولا يقول

نورا ، ولا نقول : إنه كان ولا عظمة له حتى خلق لنفسه عظمة » فنزّهه سبحانه عن سلب صفات الكمال في وقت من الأوقات ، وإنا لا نقول^(١) : تجددت له صفات الكمال ، بل لم يزل موصوفا بصفات الكمال ، ومن صفات الكمال : أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء ، لأن يكون الكلام^(٢) خارجا عن قدرته ومشيتته ، ولهذا لم يقل : لم يزل عالما إذا شاء ، ولا قال : يعلم كيف شاء . وقد قال في موضع آخر [فيما]^(٣) رواه عنه حنبل : « لم يزل الله عالما متكلمًا غفورا » .

وكلام أحمد وغيره من الأئمة في هذا الأصل كثير^(٤) ليس هذا موضع بسطه ، مثل ما ذكره البخاري في آخر صحيحه في كتاب التوحيد والرد على الجهمية قال^(٥) : باب^(٦) ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما^(٧) من الخلائق ، وهو فعل الرب^(٨) وأمره ، فالرب تعالى^(٩) بصفاته وفعله وأمره - وفي نسخة^(١٠) « وكلامه »^(١١) - هو الخالق المكون^(١٢) ، غير

(١) م ، ق : ولا نقول

(٢) س : كلامه

(٣) فيما : ساقطة من (م) . (ق) .

(٤) كثير : ساقطة من (س) .

(٥) صحيح البخاري ١٣٤/٩

(٦) في المطبوعة لا يوجد « باب » وأشير إلى وجود الكلمة في نسخة أخرى

(٧) البخاري : وغيرها

(٨) البخاري : الرب تبارك وتعالى

(٩) تعالى : ليست في البخاري .

(١٠) هـ : وفي نسختين

(١١) أشير في هامش البخاري إلى وجود كلمة « وكلامه » في نسخة غير المطبوعة

(١٢) البخاري : وهو الخالق هو المكون

مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مكنون مخلوق^(١) .

وقال بعد ذلك^(٢) : باب قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ - إِلَى قَوْلِهِ - مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ ﴾ [سورة سبأ : ٢٣] ولم يقولوا^(٣) ماذا خلق ربكم . قال عز وجل^(٤) : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] وقال مسروق عن ابن مسعود : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً ، فإذا فرغ عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ، ونادوا : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ ﴾ [سورة سبأ : ٢٣] ويذكر عن جابر بن عبد الله بن أنيس^(٥) سمعت^(٦) النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان . وذكر حديث أبي هريرة يبلغ به^(٧) النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فرغ^(٨) عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟

(١) البخارى : مخلوق مكنون

(٢) البخارى ١٤١/٩

(٣) فى البخارى ذكرت الآية كاملة

(٤) البخارى : ولم يقل

(٥) ص : قال الله عز وجل ، البخارى : وقال جل ذكره .

(٦) م ، ق : عبد الله عن أنس . وهو خطأ . والمثبت فى البخارى وفى سائر النسخ

(٧) البخارى : قال سمعت

(٨) ذكر البخارى السند إلى أن قال عن أبي هريرة يبلغ به ..

(٩) البخارى : صفوان . قال على وغيره : صفوان ينفذهم ذلك فإذا فرغ ..

قالوا للذي قال : الحق^(١) ، وهو العلي الكبير» وذكر حديث أبي سعيد الخدري^(٢) قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ! فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بَعَثًا إلى النار» والحديث^(٣) فيه طول ، استوفاه في موضع آخر^(٤) .

وقال بعد ذلك^(٥) : باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن : ٢٩] وقال^(٦) ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ [سورة الأنبياء : ٢] وقوله تعالى ﴿لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [سورة الطلاق : ١] ، وإنَّ حَدَّثَهُ^(٧) لا يشبه حدث المخلوقين ، لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى : ١١] وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم^(٨) : «إن الله يحدث من أمره ما يشاء»^(٩) ، وإن مما أحدث : أن لا تتكلموا في الصلاة» وقول ابن

(١) قالوا للذي قال الحق : كذا في نسخة من البخاري أشير إليها في الهامش . والذي في الأصل : قالوا الحق .

(٢) بعد ما سبق بقليل ١٤١/٩

(٣) والحديث : كذا في (س) وفي سائر النسخ : الحديث

(٤) سبق الكلام على هذه الأحاديث كلها في هذا الجزء

(٥) البخاري ١٥٢/٩

(٦) م : وقوله : وليست هذه الكلمة في البخاري

(٧) تعالى : ساقطة من (م) ، (ق) .

(٨) م ، ق : أحدثه

(٩) البخاري : وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١٠) ما يشاء : كذا في (ط) وفي البخاري . وفي سائر النسخ : ما شاء .

(١١) ق ، س ، ر ، ص : أن لا تتكلموا ؛ ط : أن لا يتكلموا . والمثبت في (م) - (هـ) وفي

البخاري .

عباس^(١) : « كتابكم^(٢) أحدث الأخبار بالرحمن عهدا^(٣) ، محضا لم يُشَبَّ^(٤) » .

ومن تدبر كلام أئمة السنة المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظرا ، وأعلم الناس في هذا الباب بصحيح المنقول وصریح المعقول ، وأن أقوالهم هي الموافقة للمنصوص والمعقول^(٥) ، ولهذا تأتلف ولا تختلف ، وتتوافق ولا تتناقض ، والذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة ، فلم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول^(٦) ، فتشعبت بهم الطرق ، وصاروا مختلفين في الكتاب ، مخالفين للكتاب^(٧) وقد قال تعالى ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة البقرة : ١٧٦] .

/ ولهذا قال الإمام أحمد في أول خطبته^(٨) فيما خرجته في الرد على ١٦٢/٢ الزنادقة والجهمية^(٩) « الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على

(١) ذكر البخاري سند الأثر

(٢) س ، ص : كتاب ربكم

(٣) س : الأخبار عهدا بالرحمن . هـ : كتابكم أحدث عهدا بالرحمن .

(٤) البخاري : عبد الله بن عباس قال : يامعشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله محضا لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب . . الخ

(٥) ر : للنصوص وللعقول ، هـ : للمنقول والمعقول .

(٦) م : المنصوص ولا المعقول .

(٧) مخالفين للكتاب : زيادة في (م) فقط

(٨) س : الخطبة .

(٩) ط . الأسكندرية ص ٥٢ = ط . الإمام ص ٢ - ٣

الأذى ، يُحْيُونَ بكتاب الله الموتى ، وَيَبْصُرُونَ بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أَحْيَوْهُ ؟ وكم من ضال تائه قد هدوه ؟ فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ! . ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مخالفون للكتاب ، مختلفون في الكتاب^(١) ، يجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله [وفي كتاب الله]^(٢) بغير علم ، يتكلمون بالمشابهة من الكلام ، ويخدعون جُفَّال الناس بما يُشَبِّهون عليهم^(٣) ، فنعوذ بالله من فتن المضلين^(٤) .

ومن أعظم أصول التفريق بينهم في هذه المسألة - مسألة أفعال الله تعالى وكلام الله ونحو ذلك مما يقوم بنفسه ويتعلق بمشيئته وقدرته - فإن هذا الأصل لما أنكره من أنكره من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة^(٥) ونحوهم ، وظنوا أنه لا يمكن إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع إلا بإثبات حدوث الجسم ، ولا يمكن إثبات حدوثه إلا بإثبات حدوث ما يقوم به من الصفات والأفعال^(٦) المتعاقبة ، ألجأهم ذلك إلى أن ينفوا عن الله صفاته وأفعاله القائمة به المتعلقة بمشيئته وقدرته ، أو ينفوا بعض ذلك ، وظنوا أن الإسلام لا يقوم إلا بهذا النقي ، وأن الدهرية من

(١) الرد على الجهمية (في الطبعتين) : فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب

(٢) وفي كتاب الله : زيادة في (س) . (ص) وهي في الرد على الجهمية في الطبعتين

(٣) م (فقط) : بما يشبهون به عليهم

(٤) في (س) : من مضلات الفتن . وكتب في الهامش : من فتن المضلين ، ولكن عليها شطب

(٥) س : من أهل الكلام المعتزلة . .

(٦) س ، ر : أو الأفعال

الفلاسفة وغيرهم لا يبطل قولهم إلا بهذا الطريق ، وأخطأوا في هذا وهذا .

أما الفلاسفة الدهرية فإن هذه الطريقة^(١) زادتهم إغراء ، وأوجبت لهم حجة عَجَزَ هؤلاء عن دفعها إلا بالمكابرة التي لا تزيد الخصم إلا قوة وإغراء ، فقالوا لهم : كيف يحدث الحادث بلا سبب حادث ؟ وكيف تكون الذات حالها وفعلها وجميع ما ينسب إليها واحدا من الأزل إلى الأبد ؟ والعالم يصدر عنها في وقت دون وقت من غير فعل يقوم به ولا سبب حادث^(٢) ؟

/ فكان ما جعلوه أصلا للدين وشرطاً في معرفة الله تعالى منافيا للدين ١٦٣/٢
ومانعاً^(٣) من كمال معرفة الله ، وكان ما احتجوا به من الحجج العقلية هي في الحقيقة على نقيض مطلوبهم أدل ، فالحوادث لا تحدث إلا بشرط جعلوه مانعاً من الحدوث . وأما أمور الإسلام : فإن هذا الأصل اضطهرهم إلى نفي صفات الله تعالى لثلاث تنقض الحجة ، ومن لم ينف الصفات نفي الأفعال القائمة به وغيرها مما يتعلق بمشيتته وقدرته . فلزمهم^(٤) من عدم الإيمان ببعض ما جاء به الرسول ومن جحد بعض ما يستحقه الله تعالى من أسمائه وصفاته : ما أوجب لهم من التناقض والارتباب ما تبين لأولى الأبواب . فلم يعطوا الإيمان بالله ورسوله حقه ،

(١) س : هذه الطريق

(٢) س : يقوم بها ولا سبب حادث

(٣) للدين ومانعاً : كذا في (س) فقط . وفي سائر النسخ : للدين وموجباً ومانعاً . وهو خطأ

(٤) فلزمهم : كذا في (س) وفي سائر النسخ : يلزمهم

(٥) س : في

م^٢ دره تعارض العقل جز^٢

ولا الجهاد لعدو الله ورسوله حقه ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا ﴾ - الآية [سورة الحجرات : ١٥] .

هذا مع دعواهم أنهم أعظمُ علماً وإيماناً وتحقيقاً لأصول الدين وجهاداً لأعدائه بالحجج من الصحابة ، وإن هم في ذلك إلا كبعض الملوك الذين لم يُجاهدوا العدو ، بل أخذوا منهم بعض البلاد ، ولا عدلوا في المسلمين العدل الذي شرعه الله للعباد إذا ادعى أنه أمكن وأعدل من عمر بن الخطاب وأصحابه رضوان الله عليهم .

ثم إنهم بسبب ذلك تفرقوا في أصول كثيرة من أصول دينهم كتفرقهم في كلام الله [من القرآن] ^(١) وغيره ، فإنهم تفرقوا فيه شيعاً : شيعة قالت : هو مخلوق ، وحقيقة قولهم : لم يتكلم الله به ، كما كان قدماؤهم يقولون ، لكن المعتزلة صاروا يطلقون اللفظ بأن الله متكلم حقيقة ، ولكن مرادهم مراد من قال : إن الله لم يتكلم ولا يتكلم ، كما ذكره ^(٢) أحمد : أنهم تارة ينفون الكلام ، وتارة يقولون : يتكلم بكلام مخلوق ، وهو معنى الأول .

المقالات المختلفة في مسألة كلام الله تعالى

وهذا في الحقيقة تكذيب للرسل الذين إنما أخبروا الأمم بكلام الله الذي أنزله إليهم ^(٣) . وجاءت الفلاسفة القائلون بقدوم العالم فقالوا أيضاً : متكلم ، وكلامه ما يفيض من العقل الفعال على نفوس الأنبياء .

(١) من القرآن : زيادة في (س)

(٢) م . ق : كما ذكر

(٣) م . ق : الذين أنزل إليهم

(٤) م (فقط) : وجاء

وهذا / قول من وافقهم من القرامطة الباطنية ونحوهم ممن يتظاهر ١٦٤/٢ بالإسلام ويبطن مذهب الصابئة والمجوس ونحو ذلك . وهو قول طوائف من ملاحدة الصوفية كأصحاب وَحْدَةِ الوجود ونحوهم الذين أخذوا دين الصابئة والفراغة والدهرية فأخرجوه في قالب المُكاشفات والولاية والتحقيق .

والذين قالوا ليس هو مخلوقا ظن فريق منهم أنه لا يقابل المخلوق إلا القديمُ اللازم للذات الذي ثبوته بدون مشيئة الرب وقدرته كثبوت الذات فقالوا ذلك .

ثم طائفة رأت أن الحروف والأصوات يمتنع أن تكون كذلك ، فقالت : كلامه هو مجرد معنى واحد ، هو الأمر والنهى والخبر ، وأنه إن عُبِّرَ عن ذلك المعنى بالعبرية كان تورا ، وإن عُبِّرَ عنه بالسريانية كان إنجيلا ، وإن عُبِّرَ عنه بالعربية كان قرآنا ؛ فلزمهم أن تكون معانى القرآن هى معانى التوراة والإنجيل ، وأن يكون الأمر هو النهى وهو الخبر ، وأن تكون هذه صفات له لا أنواعا له ، ونحو ذلك مما يُعلم فساده بصريح العقل^(١)

وطائفة قالت : بل هو حروف وأصوات قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته وقدرته كما قال الذين من قبلهم .

واتفق الفريقان على أن تكليم الله للملائكة وتكليمه موسى^(٢) وتكليمه لعباده يوم القيامة ومناداته لمن ناداه ونحو ذلك : إنما هو خلق إدراك في

(١) س : ط ، ر ، ص : المعقول ، هـ : مما يعلم فساده بالعقل

(٢) س : هـ : لموسى

المستمع^(١) أدرك به ما لم يزل موجوداً ، كما أن تجليه - عند من ينكر مباينته لعباده وأن يكشف لهم حججاً منفصلاً عنهم - ليس هو إلا خلق إدراك في أعينهم من غير أن يكون هناك حجاب منفصل عنهم يكشفه لهم .

وطائفة ثالثة لما رأت شناعة كل من القولين قالت : بل يتكلم بعد أن لم يكن يتكلم بصوت وحروف ، وكلامه حادث قائم بذاته متعلق^(٢) بمشيئته وقدرته ، وأنكروا أن يقال : لم يزل متكلماً إذا شاء ، إذ ذلك يقتضي تسلسل الحوادث وتعاقبها ، وهذا هو الدليل الذي استدلّوا به على حدوث أجسام العالم .

١٦٥/٢ / فليتدبر المؤمن العالم^(٣) كيف فرق هذا الكلام المحدث المبتدع بين الأمة ، وألقى بينها العداوة والبغضاء ، مع أن كل طائفة تحتاج أن تضاهي مَنْ آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض ، إذ مع كل طائفة من الحق ما تنكره الأخرى ، فالذين قالوا بخلق القرآن إنما ألغاهم في ذلك أنهم رأوا أنه لا يمكن أن يكون الكلام لازماً [للذات]^(٤) لزوم العلم^(٥) ، بل الكلام يتعلق بمشيئة المتكلم وقدرته ، فقالوا : يكون من صفات الفعل ، والمتكلم : مَنْ فعل الكلام ، ثم^(٦) لم يشتبوا فعلاً إلا منفصلاً

(١) م ، ق : في السمع

(٢) متعلق : كذا في (س) . (هـ) وفي سائر النسخ : يتعلق

(٣) س : العليم ، ط . ر : العلم . وطمست الكلمة في (ص)

(٤) للذات : في (س) . (هـ) فقط وسقطت من سائر النسخ

(٥) في نسخة (هـ) فالمعتزلة لما رأوا أن الكلام لا يكون لازماً للذات لزوم العلم

(٦) ثم : ساقطة من (س)

عنه ، لنفهم أن يقوم بذاته ما يتعلق بمشيئته وقدرته . وصار مَنْ قابلهم يريد أن يثبت كلاما لازما للمتكلم لا يتعلق بمشيئته وقدرته : إما معنى ، وإما حروفا ، ويثبت أن المتكلم لا يقدر على التكلم ، ولا يمكنه أن يقول غير ما قال ، ويسلب المتكلم قدرته على القول والكلام وتكلمه باختياره ومشئته . فإذا قال له الأول : « المتكلم من فعل الكلام » ، قال هو : « المتكلم من قام به الكلام » ولكن ذلك يقول : لا يقوم الكلام بفاعله ، وهذا يقول : لا يختار المتكلم أن يتكلم .

فأخذ هذا بعضَ صفة الكلام وهذا بعضها ، والمتكلم المعروف : من قام به الكلام ومن يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولهذا يوجد كثير من المتأخرين المصنّفين في المقالات والكلام يذكرون في أصل عظيم من أصول الإسلام الأقوال التي يعرفونها .

وأما القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله ، فالشهرستاني صنّف « الملل والنحل » وذكر فيها من مقالات الأئم ما شاء الله ، والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره ، والقاضي أبو بكر وأبو المعالي والقاضي أبو يعلى وابن الزاغوني وأبو الحسين البصري ومحمد بن الهيثم^(١) ونحو هؤلاء من أعيان الفضلاء المصنّفين ، تجد أحدهم يذكر في^(٢) مسألة القرآن أو نحوه عدة أقوالٍ للأئمة ، ويختار واحداً منها ، والقول الثابت عن السلف والأئمة كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم ، مع أن

(١) ق ، ر ، ط ، ص : محمد بن الهيثم ، هـ : محمد بن الهيثم . وسبق الكلام عليه في

هذا الجزء .

(٢) س . ط ، يذكر ما في ، ر ، هـ : يذكر إما في

عامة المنتسبين إلى السنة من جميع الطوائف يقولون : إنهم مُتَّبِعُونَ للأئمة
 ١٦٦/٢ كمالك والشافعي / وأحمد وابن المبارك وحمّاد بن زيد وغيرهم ، لاسيما
 الإمام أحمد ، فإنه بسبب المحنة المشهورة من الجهمية له ولغيره^(١) أظهر
 من السنة وردّ من البدعة ما صار به إماما لمن بعده ، وقوله هو قول سائر
 الأئمة^(٢) ؛ فعامة المنتسبين إلى السنة يدّعون متابعتهم والاقتراء به سواء
 كانوا موافقين له في الفروع أولا ؛ فإن أقوال^(٣) الأئمة في أصول الدين
 متفقة ؛ ولهذا كلما اشتهر الرجل بالانتساب إلى السنة كانت موافقته
 لأحمد أشد . ولما كان الأشعرى ونحوه أقرب إلى السنة من طوائف من
 أهل الكلام كان انتسابه إلى أحمد أكثر من غيره ، كما هو معروف في
 كتبه .

وقد رأيت من أتباع الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد
 وغيرهم من يقول أقوالا [ويكفر من خالفها ، وتكون الأقوال المخالفة
 هي أقوال أئمتهم بعينها ، كما أنهم كثيرا ما ينكرون أقوالا]^(٤) ويكفرون
 من يقولها ، وتكون منصوصة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لكثرة ما
 وقع من الاشتباه والاضطراب في هذا الباب ، ولأن شبه^(٥) الجهمية
 النفاة أثرت في قلوب^(٦) كثير من الناس ، حتى صار الحق الذي جاء به

(١) س : ولغيرهم

(٢) م ، ق : الأئمة

(٣) س : سواء إن كانوا

(٤) أقوال : كذا في (س) وفي سائر النسخ : أصول

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م) ، (ق)

(٦) م ، ق : شبهة

(٧) س : في نفوس

الرسول - وهو المطابق للمعقول - لا يخطر ببالهم ولا يتصورونه ، وصار في لوازم ذلك من العلم الدقيق ما لا يفهمه كثير من الناس ، والمعنى المفهوم يُعبّر عنه بعبارات فيها إجمال وإبهام يقع بسببها نزاع وخصام . والله تعالى يغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلَا إِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر : ١٠] .

عدم ذكر المصنفين في
أصول الدين لقول
السلف

وكان هذا من تلك البدع الكلامية كبَدع الذين جعلوا أصل الدين مبنياً على كلامهم في الأجسام والأعراض ؛ ولهذا كثرت من السلف والأئمة لهؤلاء ، وإذا رأيت الرجل قد صَنَّف كتاباً في أصول الدين ورد^(١) فيه من أقوال أهل الباطل^(٢) ما شاء الله ، ونَصَر فيه من أقوال أهل الحق ما شاء الله ، ومن عادته أنه يستوعب الأقوال في المسألة فيبطلها إلا واحداً ، ورأيت في مسألة كلام الرب تعالى وأفعاله أو نحو^(٣) ذلك ترك من الأقوال ما هو معروف عن السلف والأئمة - تبين^(٤) أن هذا القول لم يكن يعرفه ليقبله أو يردّه ، إما لأنه لم يخطر بباله ، أو لم يعرف قائلًا / به ، أو لأنه خطر له فدفعه بشبهة من الشبهات . وكثيراً ما يكون الحق مَقْسُوماً بين المتنازعين في هذا الباب ، فيكون في قول هذا حق وباطل ، وفي قول هذا حق وباطل ، والحق بعضه مع هذا وبعضه مع هذا وهو مع ثالث غيرها ، والعصمة إنما هي ثابتة لمجموع الأمة ، ليست ثابتة لطائفة بعينها .

(١) ورد : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : أورد

(٢) م (فقط) : الباطن

(٣) س : ونحو

(٤) م : تبين لك ، ط ، ر : يبين

فإذا رأيت من صنف في الكلام - كصاحب «الإرشاد» و «المعتمد» ومن اتبعهما^(١) ممن لم يذكروا في ذلك إلا أربعة أقوال وما يتعلق بها - عليم أنه^(٢) لم يبلغهم القول الخامس ولا السادس ، فضلا عن السابع ؛ فالذين يسلكون طريقة ابن كلاب كصاحب «الإرشاد» ونحوه يذكرون قول المعتزلة وقول الكرامية ويبتلونهما ، ثم لا يذكرون مع ذلك إلا ما يقولون فيه^(٣) . «وذُهِبَ^(٤) الحشوية^(٥) المتممون إلى الظاهر إلى أن كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات ، وقطعوا بأن المسموع من أصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ، وأطلق الرعاع منهم القول بأن المسموع صوت الله ، تعالى الله عن قولهم^(٦) ! وهذا قياسُ جهالاتهم^(٧) . ثم قالوا : إذا كتب كلام الله^(٨) يجسم من الأجسام رقوماً ورسوماً^(٩) وأسطراً وكليماً^(١٠) فهي بأعيانها كلام الله القديم ، فقد^(١١) كان إذ كان^(١٢) جسماً حادثاً ، ثم انقلب قديماً ، ثم قَضَوْا^(١٣) بأن المرئي من الأسطر هو^(١٤) الكلام القديم الذي هو

(١) م (فقط) : ومن تبعهما

(٢) م (فقط) : علم لك أنه

(٣) النص التالي في الإرشاد للجويني - ص ١٢٨ . ط . السعادة . القاهرة . ١٩٥٠

(٤) م ، ق ، ط ، ر ، ص : وذُهِبَ ، الإرشاد . هـ : ذُهِبَ

(٥) ق ، ط ، ر ، ص ، هـ : صوت الله تعالى عن قولهم ، الإرشاد : صوت الله تعالى

(٦) م ، ق : جهالهم

(٧) الإرشاد (ص ١٢٩) : الله تعالى

(٨) الإرشاد : من الأجسام وانتظمت تلك الأجسام رسوماً ورقوماً

(٩) الإرشاد : وكلاماً

(١٠) الإرشاد : كلام الله تعالى القديم وقد . .

(١١) الإرشاد : إذ ذاك

(١٢) الإرشاد : وقضوا

(١٣) هو : ليست في الإرشاد

(١٤) م ، ق : حروف

حرف^(١٤) وأصوات ، وأصلهم أن الأصوات على تقطيعها وتواليها كانت ثابتة في الأزل قائمة بذات الباري تعالى^(١) وقواعدُ مذهبهم مبنية على دفع^(٢) الضرورات .

فلم يذكر أبو المعالي إلا هذا القول مع قول المعتزلة والكلائية والكرامية . ومعلوم أن هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، ولا نعرف^(٣) هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا هذا في شيء من كتب المسلمين ، ولا سمعناه من أحد منهم . فما سمعنا من أحد ، ولا رأينا في كتاب أحد أن المبدأ الحادث انقلب قديما ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم إلى الكذب .

/ وأبو المعالي وأمثاله أجلُّ من أن يتعمد الكذب ، لكن القول ١٦٨/٢ المحكي قد يُسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يجر^(٤) قولهم ، بل يذكر كلاما مجملا يتناول النقيضين ، ولا يميز فيه بين لوازم أحدهما ولوازم الآخر ، فيحكيه الحاكى مفصلا ولا يجمله إجمال القائل ، ثم إذا فصله يذكر لوازم أحدهما دون ما يعارضها ويناقضها ، مع اشتغال الكلام على النوعين المتناقضين أو احتماله لهما [أيضا]^(٥) ، وقد يحكيه الحاكى باللوازم التي لم يلتزمها القائل نفسه . وما كُلُّ من قال قولاً التزم لوازمه ، بل عامة الخلق لا يلتزمون لوازم أقوالهم ، فالحاكى يجعل ما

(١) الإرشاد : تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا

(٢) الإرشاد : حجد

(٣) س : ولا يعرف

(٤) ق ، ط ، ر ، ص : لم ينجر

(٥) أيضا : زيادة في (س)

يظنه من لوازم قوله هو أيضاً من قوله ، لا سيما إذا لم ينف القائل ما يظنه الحاكى لازماً ، فإنه يجعله قولاً له بطريق الأولى .

ولا ريب أن من الناس من يقول : هذا القرآن كلام الله ، وما بين اللوحين كلام الله ، ويقول : إن كلام الله محفوظ في القلوب^(١) متلو بالألسن ، مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف . وهذا الإطلاق حق متفق عليه بين المسلمين ، ثم من هؤلاء مَنْ إذا سُئِلَ^(٢) عن المداد وصوت العبد : أقديم هو؟ أنكر ذلك ، وربما سكت عن ذلك ، وكره الكلام فيه بنى أو إثبات ، خشية أن يجرّه^(٣) ذلك إلى بدعة ، مع أنه لو سمع من يقول : « إن المداد قديم » ألزمه العقوبة به والعذاب الأليم^(٤) .

وأما صوت العبد فقد تكلم فيه طائفة من المنتسبين إلى الأئمة كالشافعي^(٥) وأحمد وغيرهما ، فنهى من قال : إن الصوت المسموع قديم ، ومنهم من يقول : يسمع شيئين الصوت القديم والمحدث ، وهذا خطأ في العقل الصريح ، وهو بدعة ، وقول قبيح .

والإمام أحمد وجاهير أصحابه منكرون لما هو أخف من ذلك ، فإن أحمد وأئمة أصحابه قد أنكروا على من قال : اللفظ بالقرآن غير مخلوق ، فكيف بمن قال : [اللفظ به قديم ، فكيف بمن قال :]^(٦)

(١) س ، ط ، ر ، ص ، هـ : بالقلوب . وسقطت الكلمة مع سطر كامل في (ق) .

(٢) س : ثم إذا سئل أحدهم

(٣) م . ق ، ط ، ر : أن يجر

(٤) س ، ص ، ط ، ر ، ق : ألزمه العذاب الأليم

(٥) س : كمالك والشافعي

(٦) مابين المعقوفتين ساقط من (م) . (ق) .

الصوت غير مخلوق؟ فكيف بمن قال: الصوت قديم؟ وقد بدّعوا^(١) هؤلاء، وأمروا بهجرهم، وقد صنف المروذي في ذلك مصنفاً كبيراً ذكره الخلال في كتاب «السنة» كما جَهِمُوا وِبدَّعُوا من قال: اللفظ به مخلوق أيضاً، كما يُبَيِّن في موضعه.

/ إذ المقصود هنا أن من أكابر الفضلاء مَنْ لا يعرف أقوال الأئمة في ١٦٩/٢
أكابر المسائل، لا أقوال أهل الحق ولا أهل الباطل، بل لم يعرف إلا بعض الأقوال المبتدعة في الإسلام، ومن المعلوم أن السلف والأئمة كان لهم قول ليس هو قول المعتزلة ولا الكَلابية ولا الكرامية، ولا هو قول^(٢) المسمين بالحشوية، فأين ذلك القول؟ أكان أفضل الأمة وأعلمها وخير^(٣) قرونها لا يعلمون في هذا^(٤) حقاً ولا باطلاً؟

ومعلوم أن كل قول من هذه الأقوال فاسد من وجوه، وقد يكون بعضها أفسد من بعض؛ فقول المعتزلة الذين قالوا: «إن كلام الله مخلوق» وإن كان فاسداً من وجوه؛ فقول الكَلابية فاسد من وجوه، وقول الكرامية فاسد من وجوه.

والإمام أحمد وغيره من الأئمة أنكروا هذه الأقوال كلها: أنكروا^(٥) قول الكَلابية والكرامية بالنصوص الثابتة عنهم، وإنكارهم لقول المعتزلة متواتر مستفيض عنهم، وأنكروا على مَنْ جَعَلَ أَلْفَاظَ الْعِبَادِ^(٦) بالقرآن غير

(١) س: وقد صرحوا وبدعوا

(٢) س: ولا قول هؤلاء

(٣) س: وخيار

(٤) في هذا: كذا في (س) وفي سائر النسخ: فيها

(٥) م (فقط): كما أنكروا

(٦) م، ق: العبارة، وهو خطأ

مخلوقة ، فكيف بالقول المنسوب إلى هؤلاء الحشوية ؟ ولهذا لما كان أبو حامد مستمداً من كلام أبي المعالي وأمثاله ، وأراد الرد على الفلاسفة في « التهافت » ، ذكر أنه يقابلهم بكلام المعتزلة تارة ، وبكلام الكرامية تارة ، وبكلام الواقفة^(١) تارة ، كما يكلمهم بكلام الأشعرية^(٢) . وصار في البحث معهم إلى مواقف غايته فيها بيان تناقضهم ، وإذا ألزموه تناقضه قر إلى الوقف .

ومن المعلوم أنه لا بد في كل مسألة دائرة بين النفي والإثبات من حق ثابت في نفس الأمر أو تفصيل . ومن المعلوم أن كلام الفلاسفة المخالف لدين الإسلام لا بد أن يناقضه حق معلوم من دين الإسلام موافق لصريح العقل ، فإن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يُخبروا بمحالات العقول ، وإنما يخبرون بمجازات^(٣) العقول ، وما يُعلم بصريح العقل انتفاؤه لا يجوز أن يخبر به الرسل ، بل تخبر بما لا يعلمه العقل وبما يعجز العقل عن معرفته .

ومن المعلوم أن السلف والأئمة لهم قول / خارج عن قول المعتزلة والكرامية والأشعرية والواقفة^(٤) ، ومن علم ذلك القول فلا بد أن يحكيه وينظرهم به ، كما يناظرهم بقول المعتزلة وغيرهم ، لكن من لم يكن عارفاً بآثار السلف وخقائق أقوالهم وحقيقة ما جاء به الكتاب والسنة ،

(١) س . هـ : الواقفية

(٢) وهذا في أول كتاب « التهافت » حيث قال : « فألزمهم تارة مذهب المعتزلة وأخرى مذهب الكرامية وطورا مذهب الواقفية » وانظر تهافت الفلاسفة للغزالي ص ٨٠ - ٨١ . تحقيق د. سليمان دنيا . الطبعة الثالثة . دار المعارف . القاهرة . ١٩٥٧/١٣٧٧ .

(٣) س : بمحارات

(٤) س : والواقفية .

وحقيقة المعقول الصريح الذي لا يتصور^(١) أن يناقض ذلك لم يمكنه^(٢) أن يقول إلا بمبلغ علمه ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة ، وإن كان ذلك في المسائل العملية ، ولولا ذلك لَهَلَكَ أَكْثَرُ فضلاء الأمة ، وإذا كان الله تعالى يغفر لمن جهل وجوب الصلاة وتحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل مع كونه لم يطلب العلم ، فالفاضل المجتهد في طلب العلم ، بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه ، إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه : هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته^(٣) ولا يؤاخذ به أخطأه ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] .

عدم ذكر الشهرستاني
لقول السلف في نهاية
الإقدام

والشهرستاني^(٤) - لما كان أعلم بالمقالات من إخوانه^(٥) - ذكر في مسألة الكلام قولاً سادساً ، وظن أنه قول السلف ، فقال في « نهاية الإقدام » - بعد أن ذكر قول الفلاسفة ، والمعتزلة ، والأشعرية ، والكرامية ، وأن المعتزلة لما قالت^(٦) : « أجمع المسلمون قبل ظهور هذا الخلاف على أن القرآن كلام الله . واتفقوا على أنه سور وآيات وحروف منظومة^(٧) وكلمات مجموعة ، وهي مقروءة مسموعة^(٨) على التحقيق ، لها

(١) ر : لا يصح .

(٢) م (فقط) : لا يمكنه .

(٣) م : اجتهاده .

(٤) ط : وكلام الشهرستاني

(٥) س ، هـ : من أضرابه .

(٦) نهاية الإقدام ، ص ٣٠٩ .

(٧) نهاية الإقدام : منتظمة

(٨) م ، ق : ومسموعة .

مفتتح ومختتم ، وأنه معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم^(١) دالة على صدقه ، وأن الأشعرية تفرق بين اللفظ والمعنى ، وثبت معنى هو مدلول اللفظ^(٢) - [ثم قال] :^(٣) « قال^(٤) السلف والحنابلة : قد تقرر الاتفاق على أن ما بين الدفتين كلام الله ؛ وأن مانقرؤه ونكتبه ونسمعه^(٥) عين كلام الله ، فيجب أن تكون تلك الكلمات والحروف هي بعينها كلام الله . ولما تقرر الاتفاق على أن كلام الله غير مخلوق فيجب^(٦) أن تكون تلك الكلمات أزلية غير مخلوقة .

ولقد كان الأمر في أول الزمان على قولين : أحدهما القدم ، والثاني ١٧١/٢ الحدوث ، والقولان مقصوران على الكلمات / المكتوبة والآيات المقروءة بالأنس ، فصار الآن قول ثالث ، وهو حدوث الحروف والكلمات وقدم الكلام والأمر الذي تدل عليه العبارات ، [وقدحتم قدحاً ليس منها^(٧) وهو بخلاف^(٨) القولين . فكانت^(٩) السلف على إثبات القدم والأزلية لهذه

(١) نهاية الإقدام : معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) عبارة « وأن الأشعرية تفرق... اللفظ » ليس من كلام الشهرستاني ولكنه تلخيص من ابن تيمية لكلامه من ص ٣١٠ - ٣١٣ .

(٣) ثم قال : ساقط من (م) ، (ق) . والكلام التالي في نهاية الإقدام ، ص ٣١٣ .

(٤) نهاية الإقدام : قالت .

(٥) نهاية الإقدام : ونسمعه ونكتبه

(٦) م ، ق ، : وجب

(٧) ما بين المعرفتين ساقط من (م) . (ق) . وفي نهاية الإقدام ذكر العبارة محرقة هكذا : وقد

حسن قول (وفي نسختين : قدح) ليس منها .

(٨) نهاية الإقدام : على خلاف (وفي نسختين : وهو خلاف) .

(٩) م ، ق : فكان .

الكلمات ، دون التعرض لمعنى وراءها^(١) ، فأبدع^(٢) الأشعري قولاً^(٣) ، وقضى بحدوث الحروف ، وهو خرق الإجماع^(٤) ، وحكم بأن ما نقرأه كلام الله مجازاً لاحقيقة ، وهو عين الابتداع ، فهلاً قال : ورد السمع بأن ما نقرأه ونكتبه كلام الله ، دون أن يتعرض لكيفيته وحقيقته ؟ كما ورد السمع بإثبات كثير من الصفات من الوجه واليدين ، إلى غير ذلك من الصفات الخبرية .

قال^(٥) : « قال السلف : ولا^(٦) يظن بنا أنا^(٧) ثبت القدم للحروف والأصوات التي قامت بألستنا ، وصارت صفات لنا ، فإننا [على قطع]^(٨) نعلم افتتاحها واختتامها وتعلقها بأكسابنا وأفعالنا ، وقد بذل^(٩) السلف أرواحهم ، وصبروا على أنواع البلايا والمحن من معتزلة الزمان ، دون أن يقولوا : القرآن مخلوق ، ولم يكن ذلك [على] حروف وأصوات^(١٠) هي أفعالنا وأكسابنا ، بل هم عرفوا يقيناً أن الله تعالى قولاً

(١) توجد عبارات في نهاية الإقدام ساقطة من جميع النسخ وهي : « لصفة أخرى وراءها ، وكانت المعتزلة على إثبات الحدوث والمخلقية لهذه الحروف والأصوات دون التعرض لأمر (وفي نسختين : لمعنى) وراءها » .

(٢) فأبدع كذا في (هـ) ونهاية الإقدام - وفي سائر النسخ : فأبتدع .

(٣) في بعض نسخ نهاية الإقدام : قولاً ثالثاً .

(٤) م ، ق ، ط ، ر ، ص : للإجماع .

(٥) نهاية الإقدام ، ص ٣١٤ .

(٦) نهاية الإقدام : قالت السلف : لا .

(٧) نهاية الإقدام : الظان أنا (وفي نسخة : بنا أنا) .

(٨) على قطع : في (س) - (هـ) ونهاية الإقدام ، وسقطت من سائر النسخ

(٩) نهاية الإقدام : بذلت .

(١٠) على حروف وأصوات : كذا في (س) ، (هـ) ونهاية الإقدام . وسقطت (على) من سائر

النسخ . وفي (م) ، (ق) : حروفاً وأصواتاً . وفي (ط) - (ز) - (ص) : حروف وأصوات .

وكلاماً وأمرأً ، وأن أمره غير خلقه ، بل هو أزل قديم بقدمه .

كما ورد القرآن بذلك^(١) في قوله تعالى^(٢) ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] وقوله تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [سورة الروم : ٤] وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة النحل : ٤٠] فالكائنات كلها إنما تتكون بقوله وإمره ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس : ٨٢] ، وقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾^(٣) [سورة البقرة : ٣٤] ، ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ [سورة المائدة : ١١٥] ، فالقول^(٤) قد ورد في السمع مضافاً إلى الله أخص من إضافة الخلق ، فإن المخلوق لا ينسب إلى الله تعالى إلا من جهة واحدة وهي الخلق والإبداع ، والأمر ينسب إليه لا على تلك النسبة ، وإلا فيرتفع الفرق بين الخلق والأمر^(٥) ، والخلقيات والأمريات .

قالوا : ومن جهة العقل^(٦) : العاقل يجد^(٧) فرقاً ضرورياً بين
١٧٢/٢ « قال » و« فعل » / وبين « أمر » و« خلق » . ولو كان القول فعلاً كسائر
الأفعال بطل^(٨) الفرق الضروري ، فثبت أن القول غير الفعل ، وهو قبل

(١) كما ورد القرآن بذلك : كذا في ثلاث نسخ من نهاية الاقدام . وفي نسخة : كما ورد ذلك .

(٢) نهاية الاقدام : وفي قوله .

(٣) نهاية الاقدام : (وإذا قلنا) بدون لفظ (للملائكة) .

(٤) نهاية الاقدام : (قال الله) هذا كله قول .

(٥) نهاية الاقدام : بين الأمر والخلق .

(٦) نهاية الاقدام : ومن جهة لمقول .

(٧) في بعض نسخ نهاية الاقدام : يجد من نفسه .

(٨) م (فقط) : لبطل .

الفعل ، وقبليته قبلية أزلية ؛ إذ لو كان له أول لكان فعلا سبقه قول آخر ، ويتسلسل .

قال (١) : « وحققوا زيادة تحقيق فقالوا : قد ورد في التنزيل أظهر مما ذكرناه من الأمر (٢) ، وهو التعرض لإثبات كلمات الله ، حيث قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٥] ، وقال (٣) : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [سورة يونس : ١٩] ، وقال تعالى ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف : ١٠٩] ، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ [سورة لقمان : ٢٧] ، وقال تعالى ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [سورة السجدة : ١٣] ، وقال : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ [سورة الزمر : ٧١] فتارة يبيح الكلام بلفظ الأمر ، وتثبت له الوحدة الخالقية (٤) التي لاكثرية فيها : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [سورة القمر : ٥٠] ، وتارة يبيح بلفظ الكلمات وتثبت لها الكثرة البالغة التي لا وحدة فيها ولا نهاية لها ﴿ مَا نَفَعَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ فله تعالى إذاً أمرٌ واحدٌ وكلمات كثيرة ، وذلك لا يتصور (٥) إلا بحروف .

(١) بعد الكلام السابق بعدة أسطر في نهاية الإقدام . ص ٣١٥ .

(٢) من الأمر : كذا في (س) . (هـ) وفي نسخة الأصل من نهاية الإقدام . وفي نسخ أخرى وفي

(م) . (ق) . (ص) . (ط) . (ر) : من الأمور .

(٣) نهاية الإقدام : ثم قال .

(٤) الخالقية : كذا في (س) . (هـ) . وفي نهاية الإقدام : الخالقية . وفي (م) . (ق) . (ط) .

(ر) : الحقيقية . ولم تظهر الكلمة في (ص) .

(٥) نهاية الإقدام : ولا يتصور .

م^٢ دره تعارض العقل ج^٢

فمن هذا قلنا : أمره قديم ، وكلماته أزلية ^(١) ، والكلمات مظاهر الأمر ^(٢) ، والروحانيات مظاهر الكلمات ، والأجسام مظاهر الروحانيات ، والإبداع والخلق إنما يبتدى ^(٣) من الأرواح والأجسام وأما الكلمات والحروف والأمر ^(٤) فأزلية قديمة ، وكما ^(٥) . أن أمره لا يشبه أمرنا ، فكلماته وحروف كلماته ^(٦) لا تشبه كلامنا ^(٧) ، وهي حروف قدسية علوية ، وكما أن الحروف بسائط ^(٨) الكلمات ، والكلمات أسباب الروحانيات ، والروحانيات مدبرات الجسمانيات ، وكل الكون قائم بكلمات ^(٩) الله محفوظ بأمر الله .

قال ^(١٠) : « ولا يغفلن عاقل ^(١١) عن مذهب السلف وظهور القول في حدوث الحروف فإن له شأنًا ، وهم يسلمون الفرق بين القراءة والمقروء والكتابة والمكتوب ، ويحكمون بأن ^(١٢) القراءة [التي] هي ^(١٣) »

(١) في بعض نسخ « نهاية الإقدام » (ص ٣١٦) : كثيرة أزلية .

(٢) في بعض نسخ « نهاية الإقدام » : مظاهر الأمر للأمر .

(٣) م . ق : إنما يبتدئ .

(٤) والأمر : ليست في نسخة الأصل من « نهاية الإقدام » وهي في بعض النسخ الأخرى .

(٥) نهاية الإقدام : فكما .

(٦) وحروف كلماته : كذا في بعض نسخ « نهاية الإقدام » وفي نسخة الأصل : وحروفه .

(٧) كلامنا : كذا في بعض نسخ « نهاية الإقدام » وفي نسخة الأصل : كلماتنا .

(٨) م (فقط) : بسائط .

(٩) نهاية الإقدام : بكلمة .

(١٠) بعد الكلام السابق مباشرة في نهاية الإقدام . ص ٣١٦ .

(١١) في بعض نسخ نهاية الإقدام : ولا يغفل عاقل . وفي (م) . (ق) . (ط) . (ر) : ولا يغفلن

غافل . وطمست الكلمتان في (ص) .

(١٢) ويحكمون بأن : كذا في (س) . (ص) ونهاية الإقدام . وفي (م) . (ق) . (ط) : ويحكمون

أن وفي (ر) . (هـ) ويحكمون أن .

(١٣) التي : ساقطة من (م) . (ق) .

صفتنا^(١) وفعلنا ، غير المقروء الذى^(٢) ليس هو صفة^(٣) لنا ولا فعلنا^(٤) / غير أن المقروء بالقراءة قَصَص وأخبار وأحكام وأمر^(٥) ، ١٧٣/٢ وليس المقروء من قصة آدم وإبليس هو بعينه المقروء من قصة موسى وفرعون ، وليست^(٦) أحكام الشرائع الماضية هى بعينها أحكام الشرائع الحاتمة^(٧) ، فلا بُدَّ إذاً من كلمات تصدر عن^(٨) كلمة وترد على كلمة . ولا بد من حروف تتركب منها الكلمات ، وتلك الحروف لا تشبه حروفنا ، وتلك الكلمات لا تشبه كلامنا .

قلت : فهذا القول الذى ذكره الشهرستانى وحكاه عن السلف والحنابلة ليس هو من الأقوال التى ذكرها صاحب « الإرشاد » وأتباعه ، فإن أولئك لم يحكوا إلا قول من يجعل القديم عين صوت العبد والمداد ، وهذا القول لا يُعرف به قائل له قول أو مصنف فى الإسلام . وأما القول الذى ذكره الشهرستانى : فقال به طائفة كبيرة^(٩) ، وهو أحد القولين المتأخرى أصحاب أحمد ومالك والشافعى وغيرهم من الطوائف ، وهو المذكور عن أبى الحسن بن سالم وأصحابه السالمية^(١٠) ، وقد قاله طائفة

(١) ق. هـ : صفاتنا .

(٢) نهاية الإقدام : والذى .

(٣) م . ق . ط . ر . ص : هو ليس صفة .

(٤) م (فقط) : ولا فعلائنا .

(٥) نهاية الإقدام : وأوامر .

(٦) وليست : كذا فى (م) . (ق) . وفى سائر النسخ : وليس .

(٧) ق : الحاتمة ، ر . ص : الحالية .

(٨) نهاية الإقدام : من .

(٩) س . ص : كثيرة .

(١٠) سبق الكلام عن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن سالم . وابنه أبى الحسن أحمد بن محمد بن سالم وعن السالمية . ج ١ . ص ١٣ . ت ٣ .

غير^(١) هؤلاء ، كما ذكر ذلك الأشعري في كتاب «المقالات» لما ذكر كلام ابن كُلاب فقال^(٢) : «قال ابن كُلاب^(٣) : إن الله لم يزل متكلماً ، وإن كلامه^(٤) صفة له قائمة به ، وإنه قديم بكلامه ، وإن كلامه قائم به ، كما أن العلم قائم به ، والقدرة قائمة به^(٥) ، وإن الكلام ليس بحروف^(٦) ولا صوت ، ولا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعص^(٧) ، وإنه معنى واحد قائم بالله^(٨) »

قال^(٩) : «وقال بعض من أنكر خلق القرآن : إن القرآن يسمع^(١٠) ويكتب ، وإنه متغاير غير مخلوق ، وكذلك العلم غير القدرة ، والقدرة غير العلم ، وإن الله لا يجوز أن يكون غير صفاته ، وصفاته^(١١) متغايرة ، وهو غير متغاير»

قال^(١٢) : «وزعم هؤلاء أن الكلام غير محدث^(١٣) ، وأن الله لم

(١) س : قبل .

(٢) مقالات الإسلاميين ٢/٢٣٣ .

(٣) مقالات : قال عبد الله بن كلاب .

(٤) مقالات : وإن كلام الله سبحانه .

(٥) مقالات : قائمة به وهو قديم بعمله وقدرته .

(٦) م . ق . س : ليس بحرف .

(٧) مقالات : ولا يتبعص ولا يتغاير .

(٨) مقالات : واحد بالله عز وجل .

(٩) مقالات ٢/٢٣٤ .

(١٠) مقالات : قد يسمع

(١١) م . ق . ط . ر . ص : فصفاته

(١٢) المقالات ٢/٢٣٤ (بعد الكلام السابق بثلاثة سطور) .

(١٣) ذكر محققاً نسخة (م) أن : في الخطية : غير مخلوق

يزل متكلماً^(١) ، وأنه مع ذلك حروف وأصوات^(٢) ، وأن هذه الحروف الكثيرة لم يزل الله متكلماً بها .

قلت : فبعض^(٣) هذا القول الذي ذكره الشهرستاني عن السلف منقول بعينه عن السلف ، مثل إنكارهم على من زعم أن الله خلق الحروف ، وعلى من زعم / أن الله لا يتكلم بصوت ، ومثل تفريقهم بين ١٧٤/٢ صوت القارئ وبين الصوت الذي يُسمع من الله ، ونحو ذلك . فهذا كله موجود عن السلف والأئمة . وبعض ما ذكره من هذا القول ليس هو معروفاً عن السلف والأئمة ، مثل إثبات القدم والأزلية لعين اللفظ المؤلف المعين ، ولكن القول^(٤) الذي أطبقوا عليه : هو أن كلام الله غير مخلوق ، ولكن الناس تنازعوا في مرادهم بذلك ، والتزاع في ذلك موجود في عامة الطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم ، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع .

والتزاع في ذلك مبني على هذا الأصل ، وهو كون قوله - مع أنه غير مخلوق ومع أنه قائم به ، ومع أنه لم يزل متكلماً - : هل يتعلق بقدرته ومشيتته^(٥) أم لا ؟ فهذا القول السابع لم يذكره الشهرستاني ونحوه ، إذ الأقوال المعروفة للناس في مسألة الكلام سبعة أقوال .

(١) مقالات : وأن الله سبحانه لم يزل به متكلماً .

(٢) س . ص . ط . ر : وصوت .

(٣) س : وبعض .

(٤) س : والقول .

(٥) س : بمشيئته وقدرته .

العودة إلى الكلام على
الرازي وموقفه في مسألة
القرآن ومسألة أفعال الله

والمقصود هنا : أن أبا عبد الله الرازي في أكثر كتبه ، لم يبين^(١) مسألة القرآن على الطريقة المعروفة للأشعري ، وهو أنه يمتنع أن يحدث في نفسه كلام ؛ لكونه ليس محلا للحوادث ، وذلك^(٢) لأنه قد ضعف هذا الأصل ، فلم يمكنه أن يبنى عليه ، بل أثبت ذلك بإجماع مركب ؛ فقرر أن الكلام له معنى غير العلم والإرادة ، خلافا للمعتزلة ونحوهم . وإذا كان كذلك فكل من قال بذلك قال : إنه معنى واحد قديم قائم بذات الله تعالى ، فلو لم يقل بذلك لكان خلاف الإجماع . فهذا هو العمدة التي اعتمد عليها في « نهاية العقول » وهو ضعيف ، فإن الأقوال في المسألة متعددة غير قول المعتزلة والكلائية .

وكان من الممكن أن يقال [له]^(٣) : إن ثبت أنه لا يقوم بالله ما يتعلق بمشيئته وقدرته أمكن أن يجعل كلام الله قديما بالطريقة المعروفة ، فإنه يمتنع أن يحدثه قائما في نفسه أو في محل آخر ، فإذا امتنع حدوثه في نفسه تعين قدمه . وإن لم يثبت ذلك ، بل أمكن أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته أمكن هنا قول / الكرامية وقول أهل الحديث الذين يقولون : إنه قول السلف والأئمة ، فلم يتعين قول الكلائية ، فذكر في « نهاية العقول » ما جرت عاداته وعادة غيره بذكره ، وهو أن معنى الكلام : إما أن يكون هو الإرادة والعلم ، وإما أن يكون الطلب مغايرا للإرادة ، والحكم الذهني مغايرا^(٤) للعلم . والأول باطل ؛ لأن

١٧٥/٢

(١) م - ق - ص : لم يبين.

(٢) وذلك : ليست في (س) . وفي (ط) . (ر) . (ص) : لذلك.

(٣) له : زيادة في (س) .

(٤) س - هـ : مغاير.

الإنسان في الشاهد قد يخبر بما لا يعلمه ولا يعتقد ، وقد يأمر بأمر لا يريد ، كالسيد إذا كان قصده امتحان العبد ^(١) .

قال ^(٢) : « وإذا ثبت ذلك في الشاهد ثبت في الغائب ، لانعقاد الإجماع على أن ماهية الخبر لا تختلف في الشاهد والغائب » .

قال ^(٣) : « فثبت أن أمر الله ^(٤) ونهيه وخبره صفات حقيقية ، قائمة بذاته ، مغايرة لذاته وعلمه ^(٥) ، وأن الألفاظ الواردة في الكتب الإلهية ^(٦) دالة عليها . وإذا ثبت ذلك وجب القطع بقدمها ، لأن الأمة على قولين في هذه المسألة : منهم من نفى ^(٧) كون الله ^(٨) موصوفا بالأمر والنهي والخبر بهذا المعنى ، ومنهم من أثبت ذلك . وكل من أثبت موصوفا بهذه الصفات زعم أن هذه الصفات قديمة . فلو أثبتنا كونه تعالى موصوفا بهذه الصفات ، ثم حكنا بحدوث هذه الصفات ، كان ذلك قولاً ثالثاً خارقاً للإجماع ، وهو باطل ^(٩) » .

(١) س . هـ : بما لا .

(٢) انظر « نهاية العقول في دراية الأصول » للرازي ح ١ . ظ ٢١٧ (مخطوطة دار الكتب المصرية

توحيد ٧٤٨) = ح ١ . ص ٢١٧ (مخطوطة دار الكتب المصرية طلعت علم الكلام ٥٦٥) .

(٣) المرجع السابق ح ١ ص ٢١٨ (توحيد ٧٤٨) = ح ١ ص ٢١٨ (طلعت ٥٦٥) .

(٤) نفس المرجع بعد النص السابق مباشرة (توحيد ٧٤٨) = ح ١ ص ٢١٨ (طلعت ٥٦٥) .

(٥) نهاية العقول : الله تعالى .

(٦) نهاية العقول : لإرادته وعلمه .

(٧) نهاية العقول : في الكتب المترلة .

(٨) س : ينفي .

(٩) نهاية العقول : الله تعالى .

(١٠) نهاية العقول : وأنه باطل .

وأورد على نفسه أسئلة : منها قول القائل ^(١) : « لم قلت إن تلك المعاني قديمة . قولكم ^(٢) : كل من أثبت تلك المعاني ^(٣) أثبتها قديمة ؟ قلنا : القول في إثباتها ^(٤) مسألة ، والقول في قدمها مسألة أخرى ؛ فلو لزم من ثبوت إحدى المسألتين ثبوت الأخرى ^(٥) ، لزم من إثبات كونه تعالى عالما بعلم قديم ، إثبات كونه تعالى متكلمًا بكلام قديم ، وإن سلمنا ^(٦) أن هذا النوع من الإجماع يقتضي قدم كلام الله ^(٧) ، لكنه معارض بنوع آخر من الإجماع ، وهو أن أحداً من الأمة لم يثبت قدم كلام الله ^(٨) بالطريق الذي ذكرتموه ، فيكون التمسك بما ذكرتموه خرقاً للإجماع » .

وذكر في ^(٨) جواب ذلك ^(٩) « قوله : لو لزم من إثبات هذه الصفة ^(١٠) إثبات قدمها - لأن كل من قال بالأول قال بالثاني - لزم من القول بإثبات العلم القديم إثبات / الكلام القديم ؛ لأن كل من قال بالأول قال بالثاني - قلنا : الفرق بين الموضعين مذكور في « المحصول »

-
- (١) نهاية العقول . ح ١ . ص ٢١٩ (توحيد ٧٤٨) = ح ١ ظ ٢١٧ (طلعت ٥٦٥) .
 (٢) م . ق : قديمة في قولكم . نهاية العقول : قديمة . قوله : ...
 (٣) نهاية العقول : هذه المعاني .
 (٤) نهاية العقول (توحيد ٧٤٨) بإثباتها .
 (٥) نهاية العقول : ثبوت المسألة الأخرى .
 (٦) نهاية العقول : .. بكلام قديم . وإذا كان ذلك باطلاً فكنا ما ذكرتموه . ثم إن سلمنا ..
 (٧) نهاية العقول : الله تعالى .
 (٨) في : كذا في (س) وفي سائر النسخ : من .
 (٩) نهاية العقول . ح ١ . ص ٢٢٢ (توحيد ٧٤٨) = ح ١ ظ ٢٢٠ (طلعت ٥٦٥) .
 (١٠) نهاية العقول : من القول بإثبات هذه الصفة لله تعالى .

فإن المعتزلة ^(١) . يساعدوننا على الفرق بين الموضعين ، فلا نَطْوِلُ ^(٢) .
[قوله] ^(٣) : إثبات [قدم] ^(٤) كلام الله بهذه الطريق ^(٥) على خلاف
الإجماع . قلنا : قد بينا في كتاب « المحصول » أن إحداث دليل لم يذكره
أهل الإجماع لا يكون خرقاً للإجماع .

قلت : المقصود أن يُعرف أنه عدل عن الطريقة المشهورة ، وهو أنه
لو أحدثه في نفسه لكان محلاً للحوادث - مع أنها عُمدة ابن كُلاب
والأشعري ومن اتبعهما - لضعف هذا الأصل عنده ، ولو اعتقد صحته
لكان ذلك كافياً مغنياً له عن هذه الطريقة التي أحدثها .

وليس المقصود هنا الكلام في مسألة القرآن ، فإن هذا مبسوط في
مواضعه ، وإنما الغرض التنبيه على اعتراف الفضلاء بأن هذا الأصل
ضعيف . وأما ضعف ما اعتمده في مسألة القرآن : فبين في موضع
آخر ، فإن إثبات المقدمة الأولى فيها كلام ليس هذا موضعه ، إذ كانت
العمدة فيه على أمر الممتحن ^(٦) وخبر الكاذب . والمنازع يقول : هذا
إظهار للأمر والخبر ، وإلا فهو في نفس الأمر لم يدل الخبر هنا على معنى
في النفس . ولهذا يقول الله تعالى عن الكاذبين إنهم : ﴿ يَقُولُونَ

(١) نهاية العقول : مذكور في « المحصول من علم الأصول » وإن المعتزلة ..

(٢) نهاية العقول : فلا نطول بذكره ، وفي (م) . (ق) فلا يكون .

(٣) قوله : ساقطة من (م) . (ق) . (هـ) .

(٤) قدم : ساقطة من (م) . (ق) . (هـ) .

(٥) نهاية العقول ح ١ . ظ ٢٢٢ (توحيد ٧٤٨) = ح ١ ظ ٢٢٠ (طلعت ٥٦٥) : الله تعالى بهذا

الطريق .

(٦) الممتحن : كذا في (س) . (هـ) وفي (م) : ممتحن . وفي (ق) : محقق . وفي (ط) . (ر) .

(ص) : ممتحق .

بِالْسِّيْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿ [سورة الفتح : ١١] [فهم] ^(١)
 ينازعون في أن الكاذب قام بنفسه حكم أو دل لفظه على معنى في
 نفسه ، بل أظهر الدلالة على معنى في نفسه كذباً .

وأما المقدمة الثانية فضعيفة . وذلك أنه يقال : هَبْ أن هذا ثبت ،
 لكن لم لا يجوز أن يتكلم بحروف ومعان قائمة في ذاته حادثه ؟ وهذا
 القول قول طوائف من المسلمين ، فليس هو خلاف الإجماع ، فإن أبطل
 هذا بقوله : « ليس [هو] ^(٢) محلاً للحوادث » . قيل : فهذا - إن
 صح - فهو دليل كاف ، كما سلكه مَنْ سلكه من الناس ^(٣) ، وإن لم
 يصح بطلت الدلالة ؛ فتبين أنه لا بد في إثبات قدمه من هذه المقدمة .

وأما قوله : « كل من أثبت اتصاف الله بهذه المعاني فإنه يقول
 ١٧٧/٢ بقدمها » / فليس الأمر كذلك . بل كثير من أهل الحديث وأهل الكلام
 يثبتونها ولا يقولون بقدمها .

وأما الفرق الذي ذكره في « المحصول » فهو أن الأمة إذا اختلفت في
 مسألتين على قولين : فإن كان مأخذها واحداً - كتنازعهم في الردّ وذوى
 الأرحام - لم يكن لمن بعدهم إحداث موافقة هؤلاء في مسألة وهؤلاء في
 مسألة . وإن كان المأخذ مختلفاً - كتنازعهم في الشفعة وميراث ذوى
 الأرحام - جاز موافقة هؤلاء في مسألة وهؤلاء في مسألة ، فظن أن قدم

(١) فهم : ساقطة من (م) فقط .

(٢) هو : ساقطة من (م) فقط .

(٣) س . هـ : كما سلكه الناس .

(٤-٤) : ساقطة من (ق) فقط .

الكلام^(١) مع إثبات هذه المعاني من هذا الباب ، وليس الأمر كذلك ، فإن مأخذ إثبات هذه المعاني ليس هو مأخذ القدم ؛ فإن القدم مبنى على مسألة الصفات ، وعلى أنه : هل يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته ؟ وأما إثبات هذه المعاني فمسألة أخرى .

والناس لهم في مسمى « الكلام » أربعة أقوال : أحدها : أنه اللفظ الدال على المعنى ، والثاني أنه المعنى المدلول عليه باللفظ ، والثالث : أنه مقول بالاشتراك على كل منها ، والرابع : أنه اسم لمجموعهما ، وإن كان مع القرينة يراد به أحدهما ، وهذا قول الأئمة وجمهور الناس^(٢) ، وحيث أنه ثبت هذه المعاني وقال^(٣) : إن اسم « الكلام » يتناولها بالعموم أو الاشتراك يمكنه إثبات قيام اللفظ والمعنى جميعا بالذات .

ثم مَنْ جَوَّزَ تعلق ذلك بمشيئته وقدرته يمكنه أن [لا] يقول^(٤) بالقدم ، أو لا يقول بالقدم في الكلام المعين وإن قال بالقدم في نوع الكلام ، وَمَنْ لم يَجُوزْ ذلك ففهم^(٥) طائفة يقولون بقدم الحروف ، وطائفة تقول بقدم المعاني دون الحروف ، وما به يستدل أولئك على حدوث الحروف كالتعاقب والمحل يعارضونهم بمثله في المعاني ، فإنها بالنسبة إلينا متعاقبة ، ولها محل لا يليق بالله تعالى . فإن

(١) م ، ق : أن عدم قدم الكلام ؛ ط ، ر . ص : أن قدم عدم الكلام . والمثبت من (س) . (هـ) .

(٢) س : الأئمة والجمهور .

(٣) وقال : كذا في (س) ، (هـ) وفي سائر النسخ : قال .

(٤) م . ق : يمكنه أن يقول .

(٥) ق : منهم ؛ ط . ر : فهم . ص : الكلمة مطبوسة .

جاز أن تجعل فينا متعددة مع اتحادها في حق الله تعالى ، وأن محلها منه ليس كمحلها منا : أمكن أن يقال في الحروف كذلك : إنها وإن تعددت فينا فهي متحدة هناك ، وليس المحل / كالمحل . وإذا قيل : ١٧٨/٢ « [هى] ^(١) مُرَبَّةٌ فينا » [قيل] ^(٢) ؟ فكذلك المعانى مرتبة فينا . فترتيب أحدهما كترتيب الآخر . وإذا قيل : « دعوى اتحادهما ^(٣) مخالف لصريح العقل » . قيل : وكذلك دعوى اتحاد المعانى ، فكلام هؤلاء من جنس كلام هؤلاء .

والمقصود هنا : الكلام على هذا الأصل ، وهى مسألة الصفات الاختيارية كالأفعال ^(٤) ونحوها ^(٥) مما يقوم به ^(٦) ، ويتعلق بمشيئته وقدرته .

وأما قول القائل : « الجمهور على خلاف ذلك ، وإنما الخلاف فيه مع الكرامية » فهذا قولٌ مَنْ ظن [أن] ^(٧) طوائف المسلمين منحصرة في المعتزلة والكلابية والكرامية ، بل أكثر طوائف المسلمين يجوزون ذلك : من أهل الكلام وأهل الحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم . وأما أئمة أهل الحديث والسنة فكالجميعين على ذلك ، فكلام مَنْ يُعرف كلامه في

(١) هى : زيادة فى (س) .

(٢) قيل : زيادة فى (س) .

(٣) اتحادهما : كذا فى (س) وفى سائر النسخ : اتحادها .

(٤) س : الأفعال .

(٥) ص : وغيرها .

(٦) يقوم به : كذا فى (س) . وفى سائر النسخ : يتعلق به .

(٧) أن : زيادة فى (س) .

ذلك صريح فيه . والباقون مُعَظَّمُونَ لمن قال ذلك ، شاهدون له بأنه إمام في السنة والحديث ، لا ينسبونه إلى بدعة .

وأما متأخرو أهل الحديث فلهم فيها قولان ، ولأصحاب أحمد قولان . ولأصحاب الشافعي قولان ، ولأصحاب مالك قولان ، ولأصحاب أبي حنيفة قولان ، وللصوفية قولان ، وجمهور أهل التفسير على الإثبات .

وأما أهل الكلام فقد ذكر الأشعري هذا في كتاب «المقالات» عن غير واحد من أئمة الكلام غير الكرامية ، ولم يذكر للكرامية شيئاً انفردوا به إلا قولهم في الإيمان . بل ذكر عن هشام بن الحكم وغيره من الشيعة أنهم يصفونه بالحركة والسكون ونحو ذلك ، وأن عامة القدماء من الشيعة كانوا يقولون بالتجسيم أعظم من قول الكرامية ، وأن المتأخرين منهم هم الذين قالوا في التوحيد بقول المعتزلة ، بل ذكر عنهم تجدد الصفات من العلم والسمع والبصر^(١) . والناس قد حكوا عن هشام والجهم أنهما يقولان بحدوث العلم ، وهذا رأس المُعْظَلَّة وهذا رأس الشيعة^(٢) ، لكنَّ جهم^(٣) كان يقول بحدوث العلم في غير ذاته ، وهشام يقول بحدوثه في ذاته . وحكى الأشعري تجدد العلم له^(٤) عن جمهور

(١) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ١٠٢ - ١٠٤ .

(٢) س وهذا رأس المجسمة . هـ : وهذا رأس المشبهة . والعبارتان صحيحتان لأن هشام بن الحكم كان من رؤوس الشيعة ورؤوس المجسمة في وقت واحد . وانظر كلامي السابق عنه ، ج١ .

ص ٢٤٨

(٣) م (فقط) : جهم .

(٤) س : به .

الإمامية . وحكى عنهم إثبات الحركة له ، وأن كلهم ^(١) يقولون بذلك
 ١٧٩/٢ إلا شِرْذِمَة منهم ، وذكر / عن هشام بن الحكم وهشام بن الجواليقي
 وأبى مالك الحضرمي ^(٢) وعلى بن ميثم ^(٣) وغيرهم أنهم يقولون :
 إرادته حركة ، وهل يقال : إنها غيره أم لا ؟ على قولين لهم ^(٤) ، وذكر
 عن طائفة أنهم يقولون : يعلم الأشياء قبل كونها ، إلا أعمال العباد ، فإنه
 لا يعلمها إلا في حال كونها ، وهذا قول غُلاة القدرية ، كمعبد
 الجهني ^(٥) وأمثاله ، وهو أحد قولي عَمْرُو بن عُبيد ^(٦) . وذكر عن زهير
 الأثرى ^(٧) أنه كان يقول ^(٨) : إن الله ليس بجسم ولا محدود ، ولا يجوز
 عليه الحلول والمماس ^(٩) . ويزعم أن الله تعالى يعجىء يوم القيامة كما قال

(١) س : جلهم .

(٢) وأبى مالك الحضرمي : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : وابن مالك الحضرمي .

(٣) ط . ر : وعلى بن ميثم ، ص : وعلى بن ميثم ، س : على بن ميثم . والصواب ما أثبت . وانظر
 ما سبق ذكره في هذا الجزء عنه .

(٤) قال الأشعري في «المقالات» ١٧٨/٢ : وقال هشام بن الحكم وهشام الجواليقي وغيرهما من
 الروافض : إرادة الله سبحانه حركة . وهى معنى : لاهى الله ولا غيره . وأنها صفة لله . وذلك أنهم
 زعموا أن الله إذا أراد الشئ تحرك فكان ما أراد - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وذكر الأشعري بعد
 ذلك بقليل في نفس الصفحة : «وقال أبو مالك الحضرمي وعلى بن ميثم : «إرادة الله غيره وهى حركة
 يتحرك بها - تعالى الله عما قالوه» .

(٥) معبد بن عبد الله بن عويم الجهني البصري . أول من قال بالقدر في البصرة . وعنه أخذ
 غيلان . خرج مع ابن الأشعث على الحجاج الثقفي . فقتله سنة ٨٠ . انظر ترجمته في : تهذيب
 التهذيب . ١٠ / ٢٢٥ - ٢٢٦ ، شذرات الذهب ٨٨/١ ، البداية والنهاية ٩ / ٣٤ ، الأعلام ١٧٧/٨ .
 (٦) أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب . من أئمة المعتزلة . توفى سنة ١٤٤ . انظر ترجمته في : وفيات
 الأعيان ٣ / ١٣٠ - ١٣٣ ، تاريخ بغداد ١٢ / ١٦٦ - ١٨٨ ، مروج الذهب للمسعودي ٣ / ٣١٣ -
 ٣١٤ ، سزكين ٢ / ٣٦١ - ٣٦٢ ، الأعلام ٥ / ٢٥٢ . وانظر عن فرقته العمروية : الفرق بين الفرق .
 ص ٧٢ - ٧٣ ، التبصير في الدين . ص ٤٢ .

(٧) س (فقط) : الأثرى .

(٨) في «المقالات» ٢٣٦/١ .

(٩) ذكر محققا (م) أن الكلمة في مخطوطة (م) هى : والمباينة .

تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر : ٢٢] ^(١) ويزعم أن القرآن كلام [الله] ^(٢) مُحدث غير مخلوق .

قال : « وكان أبو معاذ التومني يوافق زهيراً في أكثر قوله ^(٣) . ويخالفه في القرآن ، ويزعم أن كلام الله : حدثٌ غير محدث ولا مخلوق . وهو قائم بالله لا في مكان ، وكذلك قوله في محبته وإرادته أيضاً ^(٤) . قال زهير : كلام الله حدث وليس بمحدث ، وفعل وليس بمفعول ، وامتنع أن يزعم أنه خلق ، ويقول : ليس بخلق ولا مخلوق ، وإنه قائم بالله ، ومُحال أن يتكلم الله بكلام قائم بغيره . كما يستحيل أن يتحرك بحركة قائمة بغيره ، وكذلك يقول في إرادة الله ومحبته وبغضه : إن ذلك أجمع قائم بالله .

قال الأشعري ^(٥) : « وبلغني عن بعض المتفقهة أنه كان يقول : إن الله لم يزل متكلماً ، بمعنى أنه يزل قادراً على الكلام ، ويقول : إن كلام الله محدث غير مخلوق » . قال ^(٦) : « وهذا قول داود الأصبهاني » . قال ^(٧) : « وكل القائلين بأن القرآن غير مخلوق ^(٨) ، كنحو عبد الله بن كلاب ،

(١) عبارة « المقالات » : « ويزعم أنه يحيى يوم القيامة كما قال : (وجاء ربك) بلا كيف » .

(٢) الله : في (س) فقط . وفي « المقالات » .

(٣) المقالات ٣٢٦/١ : « وأما أبو معاذ التومني فإنه يوافق زهيراً في أكثر أقواله » .

(٤) أيضاً : ليست في « المقالات » .

(٥) المقالات ٢٣٢/٢ .

(٦) بعد كلامه السابق مباشرة في « المقالات » ٢٣٢/٢ .

(٧) المقالات ٢٣٤/٢ - ٢٣٥ .

(٨) المقالات ٢٣٤/٢ : « إن القرآن ليس بمخلوق » .

ومن قال إنه محدث كنعوزهير، ومن قال : إنه حدث كنعو أنى معاذ التومنى - يقولون^(١) : [إن القرآن]^(٢) ليس بجسم ولا عرض .
وأما الحجة التى احتج بها الرازى للنفاة فهى [أيضا]^(٣) ضعيفة من وجوه .

أحدها : أن المقدمة التى اعتمد عليها فيها قوله : « إن الخالى^(٤) عن الكمال الذى يمكن الاتصاف به ناقص » .

١٨٠/٢ فيقال : معلوم^(٥) أن الحوادث المتعاقبة لا يمكن / الاتصاف بها فى الأزل ، كما لا يمكن وجودها فى الأزل ، فإن ما كان وجوده مشروطا بحادث سابق له امتنع إمكان وجوده قبل وجود شرطه ، وعلى هذا : فالخلو عن هذه فى الأزل لا يكون خلوا عما يمكن الاتصاف به ، والخالى عما لا يمكن اتصافه به ليس بناقص .

الوجه الثانى : أن يُقال : هو لم يُثبِت امتناع ما ذكره من النقص بدليل عقلى ، ولا بنص كتاب ولا سنة ، بل إنما أثبت بما ادعاه من الإجماع . وهذه طريقته وطريقة أبى المعالى قبله ومن وافقهم ، يقولون : إن امتناع النقص على الله تعالى إنما عُلِمَ بالإجماع ، لا بالنص ولا بالعقل ، وإذا كان كذلك فعلم أن المنازعين فى اتصافه بذلك هم من أهل الإجماع ، فكيف يحتج بالإجماع فى مسائل التزاع ؟

(١) ط : يقول .

(٢) عبارة « إن القرآن » ساقطة من (م) . (ق) وهى فى « المقالات » .

(٣) أيضا : زيادة فى (س) .

(٤) س : الحاكى .

(٥) معلوم : كذا فى (س) . وفى سائر النسخ : ومعلوم .

فإن قال : هؤلاء وافقونا على امتناع النقص عليه ، وإنما نازعونا في كون ذلك نقصاً .

قيل له : إما أن يكونوا وافقوا على إطلاق اللفظ ، وإما أن يكونوا وافقوا على معانيه .

فإن وافقوا على إطلاق القول بأنه سبحانه مثله عن النقص . وقالوا : ليس هذا من النقص ، لم يكن مؤرد النزاع داخلاً فيما عتوه بلفظ النقص ، ومعلوم أن الإجماع حينئذ لا يكون حاصلًا على المعنى^(١) المتنازع فيه ، ولكن على لفظ لم يدخل فيه هذا المعنى عند بعض^(٢) أهل الإجماع ، ومثل هذا لا يكون حجة في المعنى ، ولكن غايته - إذا قام الدليل على أن هذا يسمى في اللغة نقصاً - : أن يكونوا لم يعبروا باللفظ اللغوي ، وهذا بتقدير أن لا يكون له مَسَاغ في اللغة : إنما فيه خطأ لغوي ، فكيف إذا كانت [هذه]^(٣) المقدمات غير مسلمة لهم في اللغة أيضاً ؟ ومثل هذا ليس بحجة على المعنى المتنازع فيه ، وإنما يكون حجة لفظية ، لو صحت مقدماته^(٤) . فلا يحصل بها المقصود .

وإن كانوا وافقوا على نفي المعاني التي يعبر عنها بلفظ النقص : فعلم أن / المعنى المتنازع فيه لم يوافقهم^(٥) عليه ؛ فتبين أن مؤرد النزاع لا ٨١/٢ إجماع على نفيه قطعاً ؛ فلا يجوز الاحتجاج على نفيه بالإجماع .

(١) س : على نفي المعنى .

(٢) س . ط . ر . ص : على نصف . وفي (هـ) : عند نصف .

(٣) هذه : زيادة في (س) .

(٤) هـ (فقط) : مقدماتها .

(٥) يوافقهم : كذا في (س) وفي سائر النسخ : يوافقونا .

الوجه الثالث : أن يُقال : إن قول القائل : « إن الأمة [اجتمعت على تنزه الله تعالى عن النقص ، وقوله :] ^(١) اجتمعت ^(٢) على تنزيه الله تعالى عن ^(٣) العيب والآفة ونحو ذلك » . وهذا القدر ليس بمنقول اللفظ عن كل واحد من الأمة ، لكن نحن نعلم أن كل مسلم ^(٤) فهو ينزه الله تعالى عن النقص والعيب ، بل العقلاء كلهم متفقون على ذلك ، فإنه ما من أحد [ممن] ^(٥) يعظم الصانع سبحانه وتعالى وصف ^(٦) الله بصفة وهو يعتقد أنها آفة وعيب ونقص في حقه ، وإن كان بعض الملحدين يصفه بما يعتقد أنه نقصا وعيبا ، فهذا من جنس نفاة الصانع تعالى ، ولهذا كان نفاة الصفات [إنما] ^(٧) نفوها وهم يعتقدون أن إثباتها يقتضى النقص كالحادث والإمكان ومشابهة الأحياء ، ومثبتوها إنما أثبتوها لاعتقادهم أن إثباتها يوجب الكمال ^(٨) . وعدمها يستلزم النقص والعدم ومشابهة الجادات ، وكذلك مثبتة القدر ونفاته ، بل بعض نفاة النبوة زعموا أنهم نفوها تعظيما لله أن يكون رسوله ^(٩) من البشر ، وأهل الشرك أشركوا تعظيما لله أن يُعبدَ بلا واسطة تكون بينه وبين خلقه . فإذا كان كذلك فمن المعلوم :

- (١) ما بين المعقوفتين في (س) . (هـ) فقط .
- (٢) اجتمعت : كذا في (س) وفي سائر النسخ : أجمعت .
- (٣) عن : كذا في (م) . (س) . وفي سائر النسخ : من .
- (٤) س : متكلم .
- (٥) ممن : زيادة في (س) .
- (٦) م (فقط) : يصف .
- (٧) إنما : في (س) . (هـ) .
- (٨) في هامش (ط) : «أما هذا الموضع كتب : مطلب نافع .
- (٩) س : أن يكون له رسول .

أن الإنسان لو احتج بإجماع المسلمين على نفي النقص والعيب عن الله تعالى على من يثبت الصفات ، مدعيا أن إثباتها نقص و عيب أو بالعكس . لقال له المثبتة ^(١) : نحن لم نوافقك على نفي هذا المعنى الذى سميته ^(٢) أنت نقصا و عيبا ، فلا تحتج علينا بالموافقة على لفظ لم نوافقك على معناه ، وأمکنهم حينئذ أن يقولوا : نحن ننازعك فى هذا المعنى وإن سميته أنت نقصا و عيبا ، فلا يكون حجة ^(٣) ثابتة ، إلا أن يقوم دليل على انتفاء ذلك غير الإجماع المشروط بموافقتهم .

الوجه الرابع : أن يُقال له : قولك : « إجماع الأمة على أن صفاته كلها صفات كمال » إن عَنِيَتْ بذلك صفاته كلها اللازمة له لم يكن فى هذا حجة لك ، وإن عَنِيَتْ ما يحدث بقدرته ومشيتته لم يكن هذا إجماعا . فإنك أنت وغيرك من أهل / الكلام تقولون : إن صفة الفعل ١٨٢/٢ ليست صفة كمال ولا نقص ، والله موصوف بها بعد أن لم يكن موصوفا ، فكونُهُ ^(٤) خالقا ومبدعا وعادلا ومحسنا ونحو ذلك عندك أمور حادثة متجددة . وليست صفة مدح ولا كمال ، وإن قلت « المفعولات ليست قائمة به ، بخلاف ما يقوم به » . قيل لك ^(٥) : هب أن الأمر كذلك ، لكن ما يحدث بقدرته ومشيتته إما أن يقال : هو متصف به أو لا يقال : هو متصف به ^(٦) ؛ فإن قيل « ليس متصفا به » لم يكن

(١) س : لقال له المثبتة م . ق : لقال له المثبت .

(٢) سميته : كذا فى (س) . (هـ) . وفى سائر النسخ : تثبته .

(٣) س : فلا تكون حجته .

(٤) فكونه : كذا فى (س) . (هـ) . وفى سائر النسخ : كونه .

(٥) س . ص . ط . ر . هـ : قيل له .

(٦) س . ص . ط . ر . هـ : إنه متصف به .

متصفا لا بهذا ولا بهذا ؛ وإن قيل « هو متصف به » كان متصفا بهذا وهذا .

ومعلوم أن المشهور عند أهل الكلام من عامة الطوائف أنهم يقسمون الصفات إلى صفات فعلية وغير فعلية ، مع قول من يقول منهم : إن الأفعال لا تقوم به ، فيجعلونه موصوفا بالأفعال ؛ [كما يقولون : إنه ^(١) موصوف بأنه خالق ورازق ، وعندهم هذه أمور كائنة بعد أن لم تكن ، ولما قال لهم من يقول بتسلسل الحوادث من الفلاسفة وغيرهم : « الفعل إن كان صفة كمال لزم اتصافه به في الأزل ، وإن كان صفة نقص امتنع اتصافه به في الأبد » أجابوا عن ذلك بأن الفعل ليس صفة كمال ولا نقص .

الوجه الخامس^(٢) : احتجاجه بقوله : « إن الأمة مجمعة على أن

(١) كما يقولون إنه : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : بالأفعال فإنه .
(٢) أمام هذا الموضع كتب في هامش (هـ) ما يلي : « ومن الوجوه في ذلك ما ذكره ابن تيمية المصنف في المجلد الثاني عند ذكر هذا الأصل فذكر وجوها كتبها على تخریجه تقدمت . فما ذكره أن الأفعال التي بعد أن لم تكن لم يكن وجودها قبل وجودها كمالا ولا عدمها نقصا . فإن النقص إنما يكون إذا عدم ما يصلح وجوده وما به يحصل الكمال . والرب حكيم في أفعاله . فما قدمه فالكمال في تقدمه . وما أخره فالكمال في تأخيره . كما أن ما خصصه بما خصصه من الصفات فقد فعله على وجه الحكمة وإن لم نعلم التفاصيل . الوجه الآخر الحوادث يمتنع قدمها وأن توجد معا . وإذا دار الأمر بين إحداث الحوادث وعدم إحداثها كان إحداثها أكمل . ولا يكون إحداثها إلا مع عدم الحادث منها في الأزل . وإذا كان كذلك صار هذا بمنزلة جعل الشيء موجوداً معدوماً . فلا يقال عدم فعل هذا أو عدم تعلق القدرة به صفة نقص . بل النقص عدم القدرة على جعله موجوداً الوجه الآخر معلوم أن إحداث الحوادث بفعل اختياري قائم به أولى بالاتصاف من أن يحدث عنه شيء بعد شيء لو كان هذا ممكناً . فالأول موصوف بصفات الكمال دون الثاني فإنه يمتنع . فإذا كان حال الفاعل قبل حدوثها كحاله مع حدوثها وبعد حدوثها . لم يكن الفاعل قد فعل شيئاً ولا أحدث . بل حدثت بنفسها . الوجه الآخر أفعال الله تعالى إما أن يكون لها حكمة هي غايتها المطلوبة . كما هو أحد القولين . أو لا إلا بالمشيئة كما هو =

صفاته لا تكون إلا صفة كمال « أضعف من احتجاجة بإجماعهم على تنزيهه عن صفة النقص ، فإن كونه منزها عن صفات النقص مشهور في كلام الناس ، وأما كون صفاته لا تكون إلا صفات كمال : فليس هذا اللفظ مشهورا معروفا عن الأئمة ، ومن أطلق ذلك منهم فإنما يطلقه على سبيل الإجمال ؛ لما استقر في القلوب من أن الله موصوف بالكمال دون النقص . وهذه الإطلاقات لا تدل على دق المسائل ، ولو قيل لمطلق هذا : « كونه يفعل أفعالا بنفسه يقدر عليها ويشاؤها هو صفة نقص أو كمال ؟ » لكان إلى أن يدخل ذلك في صفات الكمال أو يقف عن الجواب أقرب منه إلى أن يجعل ذلك من صفات النقص .

الوجه السادس : أن هذا الإجماع حجة عليهم ، فإننا إذا عرضنا على العقول / موجودتين أحدهما يمكنه أن يتكلم ويفعل بمشيئته ^(١) كلاما ١٨٣/٢ وفعلًا [يقوم به] ^(٢) والآخر لا يمكنه ذلك ، بل لا يكون كلامه إلا غير مقدور له ولا مراد ، أو يكون بائنا عنه - لكانت العقول تقضي ^(٣) بأن ^(٤) الأول أكمل [موجودتين] ^(٥) وكذلك إذا عرضنا على العقول

== القول الآخر . فإن نفيم الحكمة جوزتم أن يفعل أفعالا لا يحصل له بها كمال . فيقال : قالوا في أفعاله القائمة به ما تقولون في حدوث المفعولات وهو الفعل عندهم . وإن أثبت الحكمة قيل لكم : الحكمة الحاصلة بالفعل الحادث حادثة بعده . فحدث هذه الحكمة بعد أن لم تكن سواء كانت قائمة بنفسها أم بغيرها ، إن قلتم إنها صفة كمال فقولوا في نفس الفعل الحادث كذلك . وإن قلتم ليست صفة كمال فقولوا في نفس الفعل الحادث كذلك . فلو لم يكن في الحكمة مالزكم في الفعل على تقدير إثباتها أو نفيها .

(١) م (فقط) : بمشيئته وقدرته .

(٢) يقوم به : زيادة في (س) .

(٣) م . ط : تقتضي .

(٤) م . ق . ط . ر : أن .

(٥) موجودتين : زيادة في (س) .

موجودين من المخلوقين ، أو موجودين مطلقاً ، أحدهما يقدر على الذهاب والمجيئ والتصرف بنفسه ، والآخر لا يمكنه ذلك - لكانت العقول تقضى بأن الأول أكمل من الثاني ، كما أنا إذا عرضنا على العقل موجودين من المخلوقين أو موجودين مطلقاً ، أحدهما حى عليم قدير ، والآخر لا حياة له ولا علم ولا قدرة ، لكانت العقول تقضى بأن الأول أكمل من الثاني . فنفس ما به يُعلم أن اتصافه بالحياة والعلم والقدرة صفة ^(١) كمال ، به يعلم أن اتصافه بالأفعال والأقوال الاختيارية التي تقوم به ، التي بها يفعل المفعولات المبينة ، صفة كمال .

والعقلاء متفقون على أن الأعيان المتحركة ، أو التي تقبل الحركة ، أكمل من [الأعيان التي لا تقبل الحركة] ^(٢) ، كما أنهم متفقون على أن الأعيان الموصوفة بالعلم والقدرة والسمع والبصر ، أو التي تقبل الاتصاف بذلك أكمل من الأعيان التي لا تتصف بذلك ولا تقبل الاتصاف به .

وهذه الطريقة هي من أعظم الطرق في إثبات الصفات ، وكان السلف يحتاجون بها ، ويثبتون أن مَنْ عبد إلهاً لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ، فقد عبد رباً ناقصاً معيباً مؤوفاً ^(٣) ، ويثبتون أن هذه صفات كمال ، فالخالي عنها ناقص ^(٤) .

(١) م . ق : صفات .

(٢) أكمل الأعيان التي لا تقبل الحركة : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : أكمل من التي لا تقبلها .

(٣) س : مأفوا . وفي اللسان : طعام مؤوف : أصابته آفة .

(٤) في هامش (هـ) أمام هذا الموضع كتب مايلى : « ومن أثبت الحكمة القائمة به فعلوم بالعقل

أن هذا صفة كمال وأن من يكون كذلك أكمل من لا يفعل أو يفعل لا لحكمة . فإن قيل لئلا يلزم —

ومن المعلوم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه يثبت للمخلوق ، فالخالق أحق به ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ، فالخالق سبحانه أحق بتنزيهه عنه .

ولما أورد مَنْ أورد من الملاحظة نُفاة الصفات بأن عدم هذه الصفات إنما يكون نقصاً إذا كان المحل قابلاً لها ، وإنما يكون عدم البصر عمى ، وعدم الكلام خرساً ، وعدم السمع صمماً : إذا كان المحل قابلاً لذلك كالحیوان ، فأما ما لا يقبل ذلك كالجماد ، فإنه لا يوصف بهذا ولا بهذا - أجيئوا عن هذا بأن ما لا يقبل الاتصاف لا بهذا ولا بهذا أعظم نقصاً مما يقبلهما ويتصف بأحدهما ، وإن / اتصف بالنقص ، فالجماد ١٨٤/٢ الذى لا يقبل الحياة والسمع والبصر والكلام أعظم نقصاً من الحيوان الذى يقبل ذلك ، وإن كان أعمى أصم أبكم . فن نفى الصفات جعله كالأعمى الأصم الأبكم ، [ومن قال : إنه لا يقبل لا هذا ولا هذا جعله كالجماد الذى هو دون الحيوان الأعمى الأصم الأبكم] (١) ، وهذا بعينه موجود فى الأفعال ، فإن الحركة بالذات مستلزمة للحياة وملزومة لها ، بخلاف الحركة بالعرض كالحركة القسرية التابعة للقاسر ، والحركة الطبيعية التى تطلب بها العين العود إلى مركزها لخروجها عن المركز ، فإن تلك حركة بالعرض . والعقلاء متفقون على أن ما كان من

== الكمال بعد النقص قيل لم قلتم وجود مثل هذا الكمال ممنوع وللفظ النقص مجمل كما تقدم . فغايته أن يفسر بعدم ما وجد قبل أن يوجد . فيعود الأمر إلى أن هذا الموجود إذا وجد بعد أن لم يكن لزم أن يكون معدوماً قبل وجوده . فيقال : ومن أين علمتم أن وجود هذا بعد عدمه محال . وليس فى ذلك افتقار الرب إلى غيره ولا استكاله بفعل غيره بل هو الحى الفعال لما يشاء الحكيم الخبير .

(١) ما بين المعقوفين فى (س) . وسقط من سائر النسخ .

الأعيان قابلاً للحركة فهو أشرف مما لا يقبلها ، وما كان قابلاً للحركة بالذات فهو أعلى مما لا يقبلها إلا بالعرض ، وما كان متحركاً بنفسه كان أكمل من المَوَات الذي تَحْرُكُهُ بغيره . وقد بُسِطَ هذا في غير هذا الموضع .

[فصل ^(١)]

ونحن نتكلم على هذه الحجة - حجة الكمال والنقصان - كلاماً مطلقاً لا يختص بنظم ^(٢) . الرازي ، إذ قد يقول القائل : أنا أصوغها على غير الوجه الذي صاغها عليه الرازي ، فنقول :

اعلم أن الطوائف المسلمين لهم في هذا الأصل الذي تنبى ^(٣) عليه مسألة الأفعال ^(٤) الاختيارية القائمة بذات الله تعالى أربعة أقوال تتفرع إلى ستة . وذلك أنهم متنازعون : هل يقوم بذاته ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغير الأفعال ؟ على قولين مشهورين ، ومتنازعون في أن الأمور المتجددة الحادثة : هل يمكن تسلسلها ودوامها في الماضي والمستقبل ، أو في المستقبل دون الماضي ، أو يجب تناهيها وانقطاعها في الماضي والمستقبل ؟ على ثلاثة أقوال معروفة . فصارت الأقوال أربعة : طائفة تقول : يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته ، ثم هل يقال :

(١) فصل : زيادة في (س) .

(٢) ط : بنظر .

(٣) م . ق : يبنى .

(٤) في (س) : كتبت كلمة « الأفعال » وعليها شطب وأشير إلى الهامش حيث كتبت كلمة

« الصفات » .

ما زال كذلك ، أو يقال : حدث هذا الجنس بعد أن لم يكن ؟ على قولين .

وطائفة تقول : لا يقوم به شيء من ذلك ، ثم هل يمكن دوام ذلك وتسلسله خارجا عنه ؟ على قولين .

وكل من الطائفتين تنازعوا : هل يمكن وجود هذه المعاني بدون محل تقوم به ^(١) ؟ على قولين .

/ فالقائلون ^(٢) من أهل القبلة يجاوز تسلسل الحوادث : منهم من قال : ١٨٥/٢ تقوم به ، ومنهم من قال : تحدث لافي محل ، ومنهم من قال : تحدث في محل غيره .

والمانعون لذلك من أهل القبلة : منهم من قال : تقوم به ولها ابتداء ، ومنهم من قال : بل تحدث قائمة في غيره ولها ابتداء ، ومنهم من قال : بل تحدث لافي محل ولها ابتداء .

وقد ذكرنا حجة المانعين من قيام المقدورات والمرادات ^(٣) به ، وكلام من ناقضها . ونحن نذكر حجة المانعين من التسلسل في الآثار ، وكلام بعض من عارضهم من أهل القبلة . وهذا موجود في عامة الطوائف ، حتى في الطائفة الواحدة ؛ فإن أبا الشناء الأرموي قد ذكر في « لباب الأربعين » لأبي عبد الله الرازي من الاعتراضات على ذلك ما يناسب

(١) س : بدون محل تقوم بها ، ر . ط - : بدون محل يقوم بها ، ص : بدون محل يقوم به .

(٢) م : القائلون .

(٣) س : المرادات .

هذا الموضع^(١)، وتابع في ذلك طوائف من النظّار، كأبي الحسن الآمدي وغيره، بل نفس الرازي قد ذكر في مواضع من كتبه نقض ما ذكره في «الأربعين» ولم يجب عن ذلك، كما قد حكينا كلامه في موضع آخر، وسيأتي إن شاء الله كلام الرازي في إفساد هذه الحجج التي ذكرها في تنأهي الحوادث بأمور لم يذكر عنها جواباً.

وذلك أن أبا عبد الله الرازي ذكر في «الأربعين» في مسألة حدوث العالم من الحجج على حدوث الأجسام أو العالم ما لم يذكره^(٢) في عامة كتبه.

حجج الرازي في
«الأربعين» على حدوث
العالم ومعارضة الآمدي
له

فذكر^(٣) خمس حجج : الأولى^(٤) : أنه^(٥) لو كانت الأجسام قديمة لكانت إما متحركة^(٦) أو ساكنة، والأول^(٧) يستلزم حوادث لا أول لها^(٨).

البرهان الأول
والكلام عليه

(١) سبق أن ذكرنا في (ج ١ . ص ٣٢٣ . ث ٣) أنه توجد نسخة خطية من كتاب «لباب الأربعين» للآزموي في معهد المخطوطات بالجامعة العربية . رقم ٢٠١ توحيد .

(٢) م : ما لم يذكر .

(٣) ر : قد ذكر . والحجج التالية أوردها ابن تيمية مختصرة وقد نقلها عن كتاب «لباب الأربعين» للآزموي . وهي في الأربعين في أصول الدين . مفصلة . ص ١٣ وما بعدها . وقد ناقش الرازي هذا الموضوع في العديد من كتبه مثل «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» و «معالم أصول الدين» و «المسائل الخمسون في أصول الكلام» وانظر : «فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية» لمحمد صالح الزركان . ص ٣٥٨ - ٣٧٦ ، دار الفكر . بيروت ، ١٩٦٣ .

(٤) س : الأول . وستقابل النصوص التالية على النسخة المصورة من كتاب «لباب الأربعين» للآزموي بمعهد المخطوطات العربية (٢٠١ توحيد) . وانظر «الأربعين» ص ١٣ - ١٤ .

(٥) أنه : ليست في «لباب الأربعين» .

(٦) لباب الأربعين : إما متحركة إن لم يبق في حيز واحد .

(٧) والأول : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : الأول . وفي «لباب الأربعين» ظ ٧ : البرهان الأول .

(٨) لباب الأربعين : أو ساكنة إن بقيت الأول باطل لوجوه .

امتناع حوادث لا أول
لها من وجوه .

الأول^(١) : أن ماهية الحركة تقتضى المسبوقية بالغير ، و ماهية الأزل
تنفيها ، فامتنعت أزلية الحركة .

فعارضه أبو الثناء الأرموى بأنه : لقائل^(٢) أن يقول : كون ماهية
الحركة مركبة من جزء سابق و جزء لاحق لا ينافي دوامها في ضمن أفرادها
المتعاقبة لا إلى أول ، وهو المعنى^(٣) بكونها أزلية .

/قلت : ونكتة هذا الاعتراض أن يُقال : إن المستدل قال^(٤) : ماهية ١٨٦/٢
الحركة تقتضى أن تكون مسبوق بالغير ، فهل المراد بالغير : أن تكون
الحركة مسبوق بما ليس بحركة ، أو [أن]^(٥) يكون بعض أجزائها سابقاً
لبعض ؟ أما الأول فباطل ، وهو الذى يشعر به قوله : « ماهية الحركة

(١) لباب الأربعين : .

(٢) لباب الأربعين : ولقائل .

(٣) في هامش (د) أمام هذا الموضع كتب مايل : « وقال الأبهري : والاعتراض على قوله :
يلزم المسبوقية بالغير وعدم المسبوقية بالغير . قلنا : لا نسلم . وإنما يلزم الجمع بينهما أن لو كان الواحد
مسبوقاً بالغير وغير مسبوق بالغير . وليس كذلك . فإن المسبوق بالغير لا يكون إلا الحركة . وغير المسبوق
بالغير هو الجسم . فلا يلزم الجمع بين المسبوقية وعدم المسبوقية في شيء واحد . قال ابن تيمية : وهذا
الاعتراض فيه نظر . ولكن الاعتراض المقدم وهو أن المسبوق بالغير آحاد الحركة لا جنسها . فكل من
أجزائها مسبوق بالغير . وأما الجنس ففيه النزاع - اعتراض جيد . وإلا فإذا كانت الحركة من لوازم
الجسم لم يكن سابقاً لها فكيف يقال إن الحركة مسبوق بالجسم ؟ وكأن الأبهري لم يفهم مقصود القائل :
إن الحركة تقتضى المسبوقية بالغير . فظن أنه أراد أنها مسبوق بالجسم . وإنما أراد أن الحركة تقتضى أن
يكون بعض أجزائها سابقاً على بعض . قال الأبهري : وأما قوله : لو كانت متحركة لكأنه لا تخلو
عن الحوادث . وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث . قلنا : لا نسلم قوله : لو لم يكن كذلك لكأن
الحادث أزلياً . قلنا : لا نسلم . وإنما يلزم ذلك لو كان الحادث الواحد يصير بعينه أزلياً . وليس
كذلك . بل يكون قبل كل حادث حادث آخر لا إلى أول . فلا يلزم قدم الحادث . »

(٤) عبارة « إن المستدل قال » : ساقطة من (س) .

(٥) أن : ساقطة من (م) . (ق) . (ص) .

تقتضى المسبوقية بالغير» ؛ فإن ذلك قد يفهم منه أن ماهيتها تقتضى أن تكون مسبقة بغير الحركة ، ولو كان الأمر كذلك لامتنع كون المسبوق بغيره أزلياً ، لكن لا يصلح أن يريد إلا الثاني ، وهو أن ماهيتها تقتضى تقديم بعض أجزائها على بعض ، وحيث قد منعوه المقدمة الثانية وهي^(١) قوله : «إن ماهية الأزل تنفى ذلك» ، وقالوا : لا نسلم أن ما كان كذلك لا يكون أزلياً ، بل^(٢) هذا رأس المسألة ، ولا سيما وهو - وجهه للمسلمين وغيرهم من أهل الملل - يسلّمون أن ما كان كذلك فإنه يصلح أن يكون أبدياً .

ومعلوم أن ماهية الحركة تقتضى أن يكون بعضها متأخراً عن بعض ، ولا يمتنع مع ذلك وجود مالا انقضاء له من الحركات . قالوا : فكذلك لا يمتنع وجود مالا ابتداء له منها ، كما لم يمتنع وجود ما لا أول لوجوده وهو القديم الواجب الوجود ، مع إمكان تقدير حركات وأزمنة لا ابتداء لها مقارنة لوجوده ، والكلام في انتهاء المحقق كالكلام في انتهاء المقدّر .

قال الرازي^(٣) : الوجه الثاني^(٤) : «لو كانت أدوار الفلك متعاقبة لا إلى أول كان قبل كل^(٥) حركة عدّم لا إلى أول ، وتلك^(٦) العدمات

(١) وهي : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : وهو .

(٢) بل : زيادة في (س) .

(٣) في «لباب الأربعين» ظ ٧ .

(٤) لباب الأربعين : ب .

(٥) كل : في (س) . (م) . (هـ) فقط . وسقطت من سائر النسخ . وهي في «لباب الأربعين» وعبارة «الأربعين» «فحيث يكون كل واحدة من تلك الدورات مسبقة بعدم لا أول له» .

(٦) لباب الأربعين : لا أول له فلك .

مجتمعة في الأزل ، وليس معها شيء من الوجودات ^(١) . وإلا لكان السابق مقارناً للمسبوق ، فلمجموع الوجودات أول » .

قال الأرموي ^(٢) : « ولقائل أن يقول : إن عُنِيَتْ باجتماعها ^(٣) تحقُّقها ^(٤) بأسْرِهَا [معا] ^(٥) حيناً ما فهو ممنوع ؛ لأنه ما من حين يُفرض إلا وينتهى واحد منها فيه لوجود الحركة التي هي ^(٦) عدمها ، ضرورة ^(٧) تعاقب تلك الحركات لا إلى أول ، وإن عُنِيَتْ به أنه لا ترتيب في بدايات تلك العدمات كما في بدايات الوجودات ، فلا يلزم من / اجتماع بعض ١٨٧/٢ الوجودات معها المحذور ^(٨) » .

قلت : مضمون هذا : أن عدم كل حركة ينتهى بوجودها ، فليست الأعدام متساوية في النهايات ، فلا تكون مجتمعة في شيء من الأوقات ؛ لأنه في كل وقت يثبت بعضها دون بعض لوجود حادث يزول به عدمه ، ولكن لا بداية لكل عدم منها ، فإن ما حدث لم يزل معدوماً قبل حدوثه ، بخلاف الحركات ، فإن لكل حركة بداية ، وحينئذ فلا يمتنع أن يقارن الوجود بعضها دون بعض ، كما يقارن الوجود الباقي الأزل عدم كل ما سواه ، فالمستدل يقول : عدم كل حادث ثابت في الأزل ،

(١) ط . ص . ر : في الوجودات وفي لباب الأربعين من الموجودات .

(٢) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٣) لباب الأربعين : باجتماع العدمات .

(٤) ط . ص . ر : تحقُّقا . وهي ليست في « لباب الأربعين » .

(٥) معا : ساقطة من (م) . (ق) .

(٦) س : هو .

(٧) ص : بضرورة .

(٨) لباب الأربعين : محذور .

والمعتز يقول : نعم ، لكن لا نسلم أن عدم الجنس ثابت في الأزل .
وليس الجنس حادثاً ، حتى يكون مسبقاً بعدم الجنس ، وإنما الحادث
أفراده ، كما في دوامه في الأبد . فليس لعدم المجموع تحقق في الأزل ،
والعدم السابق لأفراد الحركات بمنزلة العدم اللاحق لها . ولا يقال : إن
تلك الأعدام مجتمعة في الأبد . والفرق بين عدم المجموع وعدم كل فرد
فرد : فرق ظاهر ، والمستدل^(١) يقول : عدم كل واحد أزلي ، فمجموع
الأعدام أزلي . وهذا بمنزلة أن يقول : كل واحد من الأفراد حادث ،
فالمجموع حادث ، [أو كل حادث فله بداية فالمجموع له بداية ، وبمنزلة
أن يقول :]^(٢) كل^(٣) حادث فله انقضاء ، فمجموع الحوادث له^(٤)
انقضاء ، أو كل واحد مسبق بغيره ، فالمجموع مسبق بغيره .

فإذا قال المتكلم عن المستدل : قول المعتز : «إن عُنِيَتْ باجتماعها
تحققها بأسرها [معا]^(٥) حيناً ما فهو ممنوع ؛ لأنه ما من حين يُفرض إلا
وينتهي واحد منها فيه » ليس^(٦) بمستقيم ؛ فإنها مجتمعة في الأزل .

قال المتكلم عن المعتز : ليس الأزل ظرفاً معيناً يقدر فيه وجود أو
عدم ، كما أن الأبد ليس ظرفاً معيناً يقدر فيه وجود أو عدم ، ولكن معنى
كون الشيء أزلياً : أنه مازال موجوداً ، أو ليس^(٧) لوجوده ابتداء ، ومعنى

(١) س : فالمستدل .

(٢) ما بين المعقوفين في (س) و (هـ) فقط . وسقط من سائر النسخ .

(٣) كل : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : إذ كل .

(٤) س . ص . ط . ر : لها .

(٥) معا : في (س) فقط . وسقطت من سائر النسخ .

(٦) ليس : كذا في (س) . (هـ) . وفي سائر النسخ : وليس .

(٧) س . ط : وليس .

كونه أبدياً ، أنه لا يزال موجوداً ، أو ليس^(١) لوجوده انتهاء . ومعنى كون عدم الشيء أزلياً : أنه ما زال معدوماً حتى وُجد ، وإن كان عدمه مقارناً لوجود غيره .

/وقائل ذلك يقول : لا يُتصور اجتماع هذه العدمات في وقت من ١٨٨/٢ الأوقات أصلاً ، بل ما من حال يُقدَّر إلا فيه عدم بعضها ووجود غيره ، فقول القائل : «إن العدمات مجتمعة في الأزل» فرعُ إمكان اجتماع هذه الأعدام ، واجتماعُ هذه الأعدام ممتنع . وسيأتي تمام الكلام على ذلك بعد هذا .

قال الرازي^(٢) : « الثالث »^(٣) : [إنه] إن لم يحصل^(٤) شيء من الثالث والتعليق عليه الحركات في الأزل ، أو حصل ولم يكن مسبوقةً بغيرها^(٥) - فلكلها أول ، وإن كان^(٦) مسبوقةً بغيرها^(٨) كان الأزل مسبوقةً [بالغير]^(٩) .

قال : الأرموي^(١٠) : « ولقائل أن يقول : ليس شيء من الحركات

(١) س : وليس .

(٢) لباب الأربعين ظ ٧ . وانظر الأربعين . ص ١٥ - ١٦ .

(٣) لباب الأربعين : ج .

(٤) إنه إن لم يحصل : كذا في (د) ولباب الأربعين . وفي سائر النسخ : إن لم يحصل .

(٥) م . ق : بغيره .

(٦) م . ق : قلها .

(٧) ر : وإن لم يكن .

(٨) م . ق : بغيره .

(٩) كان الأزل مسبوقةً بالغير : كذا في (س) . (د) . وفي « لباب الأربعين » ص ٨ . وفي سائر

النسخ : كان الأزل مسبوقةً . وفي « الأربعين » ص ١٦ : « لزم أن يكون الأزل مسبوقةً بغيره . وهو

محال » .

(١٠) بعد الكلام السابق مباشرة . ص ٨ .

الجزئية أزليا ، بل كل واحدة منها حادثة . وإنما القديم الحركة الكلية بتعاقب الأفراد الجزئية ، وهى ليست مسبقة بغيرها ، فلم يلزم^(١) أن يكون لكل الحركات الجزئية أول .

قلت : قول المستدل : « إن حصل شئ من الحركات فى الأزل ولم يكن^(٢) مسبوقا بغيرها^(٣) فلها أول » يريد به : ليس مسبوقاً بحركة أخرى ، فإن الحركة المعينة التى لم تسبقها حركة أخرى تكون لها ابتداء ، فلا تكون أزلية ، إذ الأزلى لا يكون إلا الجنس .

أما الحركة المعينة إذا قُدِّرَت غير مسبقة بحركة كانت حادثة ، كما أنها إذا كانت مسبقة كانت حادثة ، ولم يُرد بقوله : « إن حصل^(٤) شئ من الحركات فى الأزل ولم يكن مسبوقا بغيره فلها أول » أى لم يكن مسبوقا بغير الحركات ، فإن ما كان فى الأزل ولم يكن مسبوقا بغيره لا يكون له أول ؛ فلو أراد بالغير غير الحركات لكان الكلام متهافتاً ، فإن ما كان أزليا لا يكون مسبوقا بغيره ، فالجنس عند المنازع^(٥) أزلى ، وليس مسبوقا بغيره ، والواحد من الجنس ليس بأزلى ، وهو مسبوق بغيره . وما قُدِّرَ أزليا لم يكن مسبوقاً بغيره . سواء كان جنساً أو شخصاً ، لكن إذا قدر أزلياً - وليس مسبوقا بغيره - فكيف يكون له أول ؟ ولكن إذا قدر مسبوقا بالغير كان له أول ، فالمسبوق بغيره هو الذى له أول ، وأما ما ليس مسبوقا بغيره فكيف يكون له أول ؟

(١) لباب : ولم يلزم .

(٢) س : لم يكن .

(٣) م . ق : بغيره .

(٤) إن حصل : كذا فى (س) . وفى سائر النسخ : إذا حصل .

(٥) س : المتنازع .

ومع هذا فيقال له : تقدير كون الحركة المعينة في الأزل ومسبوقه
بأخرى جمع بين النقيضين ، فهو ممتنع لذاته ، / والممتنع لذاته يلزمه ١٨٩/٢
حكم ممتنع ، فلا يضر ما لزم على هذا التقدير . وأما على التقدير^(١)
الآخر - وهو حصول شئ منها في الأزل مع كونه مسبوقاً - فقد أجابه
الأرموى : بأن وجود الحركة المعينة في الأزل محال أيضاً ، وإذا كان ذلك
ممتنعاً جاز أن يلزمه حكم ممتنع ، وهو كون الأزل^(٢) مسبوقاً بالغير ، وإنما
الأزلى هو الجنس ، وليس مسبوقاً بالغير .

وقد اعترض بعضهم على هذا الاعتراض بأن قال : فحينئذ
ليس^(٣) شئ من الحركات حاصل في الأزل ؛ إذ لو حصل [في
الأزل]^(٤) لا ممتنع زواله ، وما هذا شأنه يمتنع كونا أزلياً .

وجواب هذا الاعتراض أن يقال : ليس شئ من الحركات المعينة في
الأزل ؛ إذ ليس^(٥) شئ منها لا أول له ، بل كل واحد منها له أول ،
لكن جنسها : هل له أول ؟ وهذا غير ذلك ، والمنازع يسلم أن ليس^(٦)
شئ من الحركات المعينة أزلياً ، وإنما نزاعه في غير ذلك ، كما أنه يسلم أنه
ليس شئ من الحركات المعينة أبدياً ، مع أنه يقول : جنسها أبدي .

قال الرازي : الوجه الرابع^(٧) : « كلما تحرك زحل دورة الرابع والتعلق عليه .

(١) س . ص . ط . ر : وأما التقدير .

(٢) ط . ر . ص . ق : الأزل .

(٣) ليس : كذلك في (س) . وفي سائر النسخ : فليس .

(٤) في الأزل : زيادة في (ر) .

(٥) س : أي ليس .

(٦) م . ق : أنه ليس .

(٧) لباب (ص ٨) : د .

تحركت ^(١) الشمس ثلاثين ^(٢) فعدد دورات زحل أقل من عدد دورات الشمس ، والأقل من غيره مُتَنَاه ، والزائد على المتناهي بالمتناهي متناه ، فعددهما متناه »

قال الأرموى ^(٣) : « ولقائل أن يقول : تضعيف الواحد إلى غير النهاية أقل من تضعيف الاثنين كذلك مع كونها غير متناهيين » قلت : هذا الذى ذكره الأرموى مُعَارضة ليس فيه منع شئ من مقدمات الدليل ، ولا حل له ، ثم قد يقول المستدل : الفرق بين مراتب الأعداد وأعداد الدورات من وجهين .

أحدهما : أن مراتب الأعداد المجردة لا وجود لها فى الخارج ، وإنما يقدرها الذهن تقديرا ، كما يقدر الأشكال المجردة يقدر شكلا مستديرا وشكلا أكبر منه وشكلا أكبر من الآخر وهلم جرا ، وتلك الأشكال التى ١٩٠/٢ يقدرها الذهن لا وجود / لها فى الخارج ، وكذلك الأعداد المجردة لا وجود لها فى الخارج ، فالكم المتصل أو المنفصل إذا أخذ مجردا عن الموصوف به لم يكن إلا فى الذهن ، وكذلك الجسم التعليمى - وهو أن يُقَدَّر طول وعرض وعمق مجرد عن الموصوف به - وإذا كان كذلك لم يلزم من إمكان تقدير ذلك فى الذهن إمكان وجوده فى الخارج ؛ فإن الذهن يُقَدَّر فيه الممتنعات ، كاجتماع النقيضين والضدين ، فيقدر فيه كون الشئ موجودا معدوما ، وكون الشئ متحركا ساكنا ، ويُقدر فيه

(١) لباب : تحرك .

(٢) لباب : ثلاثين دورة .

(٣) بعد الكلام السابق مباشرة . ص ٨ .

[أن] ^(١) كون الشيء لا موجوداً ولا معدوماً ، ولا واجباً ولا ممكناً ولا ممتنعاً ، إلى غير ذلك من التقديرات الذهنية التي لا تستلزم إمكان ذلك في الخارج ؛ ولهذا يمكن تقدير خط لا يتناهي وسطح لا يتناهي ، وتقدير أشكال بعضها أكبر ^(٢) من بعض بلا نهاية وأبعاد لا نهاية لها ، ولا يلزم من إمكان تقدير ما لا نهاية له في الذهن إمكان ذلك في الخارج ، والمتنازعون يسلمون امتناع أجسام لا يتناهي قدرها وأبعاد لا تتناهي وعلل ومعلولات لا تتناهي ، مع إمكان تقدير ذلك في الذهن .

فإذا قيل لهم : كذلك تقدير أعداد لا تتناهي ، أو تقدير مراتب أعداد لا تتناهي بعضها أفضل من بعض ، إذا قدر في الذهن لم يدل ^(٣) ذلك على إمكان وجوده في الخارج - بطلت معارضتهم ، وكان من عارض تقدير ^(٤) الأعداد التي لا تتناهي بتقدير الأشكال التي لا تتناهي وتقدير التفاضل في هذا كالتفاضل ^(٥) في هذا : أول من عارض تفاضل الدورات ^(٦) بتفاضل مراتب الأعداد ، فإنه إذا قيل : تضعيف الواحد إلى غير نهاية أقل من تضعيف الاثنين . قيل : وإذا فرض خط عرضه بقدر الكف لا يتناهي طولا وخط عرضه بقدر الذراع لا يتناهي ، فالذي بقدر الكف أقل ، وإذا فرض أجسام مستديرة كل منها بقدر رأس الإنسان لا تتناهي ، وأخرى كل منها بقدر الفلك لا

(١) أن : ساقطة من (م) فقط

(٢) س : أكثر

(٣) س : لم يزل . وهو تحريف

(٤) س . ص . ط . ر : بتقدير

(٥) م . ق : بالتفاضل

(٦) س : الدورات

يتناهى ، كانت مقادير تلك أصغر ، مع أن الجميع لا يتناهى ، كان معلوماً أن هذه المعارضة أعدلُّ وأولى بالقبول من تلك المعارضة .

الوجه الثانى : إن كان تضعيف ^(١) الأعداد ومراتبها وسائر المقادير

١٩١/٢ إلى غير نهاية / كان هذا التضعيف إنما هو فى الذهن ؛ فكل ما يتصوره الذهن من ذلك ويقدره فهو يتناهى ، والذهن لا يزال يضعف حتى يعجز ، وهكذا إذا نطق بأسماء الأعداد أو بالفاظ ، فلا يزال ينطق حتى يعجز ، وإن قُدِّر أنه لا يعجز بل لا يزال الذهن يقدر واللسان ينطق فإن جميع ذلك داخل فى الوجود الذهنى واللفظى والعجائى واللسانى ، وكل ما يدخل من ذلك فى الوجود فهو متناه وله مبدأ محدود ؛ فله أول ابتداء منه ^(٢) ، وهو من ذهن الإنسان ولفظه ، وكل ما يوجد منه متعاقبا فإنه متناه ، لكن هذا يدل على جواز مالا نهاية له فى المستقبل ، وأن الشئ قد يكون له بداية ولا يكون له نهاية ، فإن ما يخطر بالأذهان وينطق به اللسان له بداية ، ويمكن وجود مالا يتناهى منه ، ومن هذا الباب أنفاسُ أهل الجنة وألفاظهم وحركاتهم ، فإنهم يُلهَمون التسبيح كما يلهمون النفس ، ومن هذا الباب تسبيح الملائكة دائما ،

فهذا المذكور من تضعيف الأعداد ذهناً ولفظاً يدل على وجود مالا يتناهى فى المستقبل إذا كان له بداية محدودة ، وأما التفاضل فيه - سواء أريد به تضعيف الذهن ، أو اللسان ، أو جميعهما - فمعلوم أنه إذا قيل : ضعف الواحد وضعف ضعفه وضعف ضعف ضعفه وهلم جراً ،

(١) س . ص . ط . ر : إن تضعيف .

(٢) م . ق : عنه

وقيل : ضعف الاثنين وضعف ضعفها وضعف ضعف الضعف وهلم جرا ، فإن أريد بكون تضعيف الواحد أقل من تضعيف الاثنين ، أن ما وجد من نطق اللسان بالتضعيف أو ما يخطر بالقلب من التضعيف أقل^(١) ، فهذا ممنوع إذا قدر التساوى في المبدأ والحركة ، وإن قدر التفاضل فأكثرهما^(٢) أسبقهما مبدأ وأقواهما حركة ، وحينئذ فقد يكون تضعيف الواحد هو الأكثر .

وإن أريد بذلك أن مسمى أحد اللفظين أكثر مما في كل مرتبة من مراتب التضعيف ، فإذا ضُغِفَ الواحد خمس مرات كان اثنين وثلاثين ، وإذا ضعف الاثنان^(٣) خمس مرات كان أربعاً وستين مرة ، فهذه الأربع^(٤) والستون ليست معدوداً موجوداً^(٥) في الخارج ولا في الذهن حتى يُقال : وجد التفاضل فيما لا يتناهى ، وإنما نطق بلفظ أعداد^(٦) متناهية ، والمعدودات ليست موجودة لا في / الذهن ولا في الخارج ، فلو قُدِّرَ وجود ألفاظ الأعداد من هذه المرتبة ومن هذه المرتبة في الذهن واللسان لم يلزم إذا قدر أنها غير متناهية^(٧) أن يكونا متفاضلين مع استوائهما في المبدأ والحركة .

وإن أراد أن مسمى هذا لو وجد لكان أكبر^(٨) من مسمى هذا .

(١) فأكثرهما : كلداني (س) . (ص) . وفي (م) . (ق) : فأكثر . وفي (ط) .

(ر) : فأكثر

(٢) س . ص . ط . ر : الاثنين

(٣) س . ص . ط . ر : الأربعة

(٤) م . ق : وموجودا

(٥) س : الأعداد

(٦) م : غير متناهية . وهو تحريف .

(٧) س : أكثر

فيقال : نعم ، ولكن لم قلت : إن وجود ذلك المسمى ممكن ؟ وهذا كما لو قال القائل : « مالا يتناهى أقدره في ذهني وأتكلم بلفظه » لم يكن في ذلك ما يقتضى أنه يمكن وجوده في الخارج ، كما يقدر ذهناً ولساناً ما لا يتناهى من الأجسام والأبعاد والأشكال ، فهذا هذا ، فهذا مما يجيب به المستدل عن المعارضة بمراتب الأعداد .

وهذا الفرق - وإن^(١) كنا قد أوردناه - فقد ذكره غير واحد من الثُّنَّارِ المفرِّقين بين العدد والحركات من متكلمي المسلمين وغيرهم ، وذكر هؤلاء هذا الفرق المعروف عند من يوافق المستدل [على] هذا النقض [هو] أن تضعيف^(٢) العدد ليس أمراً موجوداً ، بل مقدراً ، بخلاف ما وجد من الحركات .

وهكذا فرَّق مَنْ فرَّق بين الماضي والمستقبل ، بأن الماضي قد وُجد ، بخلاف المستقبل ، والممتنع وجود ما لا يتناهى ، لا تقدير^(٣) ما لا يتناهى .

ومن يوافق المعترض يقول : الماضي أيضاً قد عدم ، فليست أفراده موجودة معاً والمحذور وجود مالا يتناهى فيما كان مجتمعاً ، بل مجتمعاً منتظماً بعضه ببعض ، بحيث يكون له ترتيب طبيعي أو وضعي .

وهذا فرق ابن سينا وأتباعه من^(٤) المتفلسفة ، ولكن ابن رشد

(١) م . ط : إن

(٢) م . ق . ط . ر . ص : عن هذا النقض أن تضعيف . والمثبت من (س)

(٣) م : لا بتقدير

(٤) من : ساقطة من (س)

يقول : إن مذهب الفلاسفة الفرق بين المجتمع وغير المجتمع ، سواء كان [المجتمع]^(١) له ترتيب أو ليس له ترتيب ، وإنما النزاع^(٢) بينهم في النفوس البشرية المفارقة : هل هي موجودات متميزة^(٣) غير متناهية أم لا ؟

ويقول هؤلاء : لا نسلم أن ما كان وعدم ، أو ما سيكون ، إذا قدر أن بعضه أقل من بعض يجب أن يكون متناهياً ، والمؤمنون بأن نعيم الجنة دائم لا ينقضى من المسلمين وأهل الكتاب يسلمون ذلك ، ولم ينازع فيه من أهل الكلام إلا الجهم ومن وافقه على فناء النعيم ، وأبو الهذيل^(٤) القائل بفناء الحركات ، وهما قولان شاذان قد اتفق السلف والأئمة وجماهير المسلمين على / تضليل القائلين بهما ، ومن أعظم ما أنكره ١٩٣/٢ السلف والأئمة على الجهمية : قولهم بفناء الجنة .

وقال الأشعري في كتاب « المقالات »^(٥) : « واختلفوا أيضاً^(٦) في معلومات الله عز وجل ومقدوراته : هل لها كل ، أو لا كل لها ؟ على مقالتين ؛ فقال أبو الهذيل : إن لمعلومات الله كلاً وجميعاً^(٧) ، ولما يقدر الله عليه : كل وجميع ، وإن أهل الجنة تنقطع حركاتهم

(١) المجتمع : زيادة في (س)

(٢) س : إذ النزاع

(٣) متميزة : كذا في (س) . وفي (ط) : في زمن . وفي (ر) . (ص) : من . وفي المامش كتب : في زمن . وفي (م) . (ق) : في الخارج

(٤) س . ص . ط . ر : أو أبو الهذيل

(٥) المقالات ٢٢٣/١ - ٢٢٤

(٦) أيضاً : ليست في « المقالات »

(٧) كلا وجميعاً : كذا في (س) و « المقالات » وفي سائر النسخ : كل وجميع

يسكنون^(١) سكوناً دائماً . وقال أكثر أهل الإسلام : ليس لمعلومات الله^(٢) ، ولا لما يقدر عليه كل ولا غاية . واختلفوا أيضاً : هل لأفعال الله سبحانه آخر ، أم لا آخر لها ؟ على مقالتين ؛ فقال الجهم بن صفوان : إن لمعلومات الله ومقدوراته^(٣) غاية ونهاية ، ولأفعاله آخر ، وإن الجنة والنار تَفْنِيَانِ^(٤) وَيَفْنَى أَهْلُهَا ، حتى يكون الله^(٥) آخراً لا شئ معه ، كما كان أولاً لا شئ معه . وقال أهل الإسلام جميعاً : ليس للجنة والنار آخر ، وإنهما لا تزالان باقيتين^(٦) ، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتنعمون^(٧) ، وأهل النار في النار يعذبون ، ليس^(٨) لذلك آخر ، ولا لمعلومات الله^(٩) ومقدوراته غاية ولا نهاية .

وقد ذكر بعض الناس بين الماضي والمستقبل فرقاً بمثال ذكره ، كما ذكره صاحب « الإرشاد » وغيره ، وهو أن المستقبل بمنزلة ما^(١٠) إذا قال قائل : لا أعطيك درهما إلا أعطيتك بعده درهما ، وهذا كلام صحيح ، والماضي بمنزلة أن يقول : لا أعطيك درهما إلا أعطيتك قبله درهما ، وهذا كلام متناقض .

(١) يسكنون : كذا في (س) و « المقالات » وفي سائر النسخ : فيسكنون

(٢) م . ق . ط . ر . ص : الله تعالى

(٣) المقالات : لمقدورات الله تعالى ومعلوماته

(٤) تفنيان : كذا في (س) و « المقالات » . وفي سائر النسخ : يفنيان

(٥) المقالات : الله سبحانه

(٦) لا تزالان : كذا في (س) والمقالات . وفي سائر النسخ : لا يزالان

(٧) م . ق : منعمين

(٨) المقالات : وأهل النار لا يزالون في النار يعذبون وليس

(٩) المقالات : ولا لمعلوماته

(١٠) ما : زيادة في (م)

لكن هذا المثال ليس بمطابق ؛ لأن قوله : « لا أعطيك » نفي للحاضر والمستقبل ^(١) ، ليس نفياً للماضي ، فإذا قال « لا أعطيك هذه الساعة أو بعدها شيئاً إلا أعطيتك قبله شيئاً » اقتضى أن لا يحدث فعلاً الآن حتى يحدث فعلاً في الزمن الماضي ^(٢) ، وهذا ممتنع . أو بمنزلة أن يقول : « لا أفعل حتى أفعل » وهذا جمع بين النقيضين . وإنما مثاله أن يقول : ما أعطيتك ^(٣) درهماً إلا أعطيتك قبله درهماً ، فكلاهما ماض . فإذا قال القائل : « ما يحدث شيء إلا ويحدث بعده شيء » كان مثاله أن / يقول : ما حدث شيء إلا حدث قبله شيء ، لا يقول « لا يحدث في المستقبل شيء إلا حدث قبله شيء » وكل ماله ابتداء وانتهاء كعمر العبد ، يمتنع أن يكون فيه عطاء لا انتهاء له ، أو عطاء لا ابتداء له ، وإنما الكلام فيما ^(٤) لم يزل ولا يزال .

والناس لهم في إمكان وجود مالا يتناهى أقوال :
أحدها : امتناع ذلك مطلقاً ، في الماضي والمستقبل والحاضر ، في كل شيء ، وهذا قول الجهم وأبي الهذيل .
والثاني : جواز ذلك ، حتى في الأبعاد التي لا تتناهى ، وهو قول طائفة من فلاسفة الهند وطائفة من نظار أهل الملة وغيرهم ، يقولون : إن الرب له قدر لا يتناهى . ثم من هؤلاء من يقول : لا يتناهى من

(١) م . ص . ط . ر . هـ : أو المستقبل

(٢) ط . ص . ر : اقتضى أن لا يحدث فعلاً حتى يحدث الآن فعلاً في الزمن الماضي . س :

اقتضى أن لا يحدث فعلاً في الزمن الماضي

(٣) م . ص . ط . ر : ما أعطيتك

(٤) س . ص . ط . ر : فيمن

جميع الجهات ، ومنهم من يقول : يتناهى من جهة العرش فقط ، وأما من سائر الجهات فإنه لا يتناهى .

وقد ذكر الأشعرى في المقالات هذه الأقوال وغيرها عن طوائف .
ومن ذكر ذلك : الكرامية ، وطائفة من أتباع الأئمة ، كالقاضي أبى يعلى وغيره ، وهؤلاء منهم من يقول بتناهى الحوادث في الماضي . مع قوله بوجود مالا يتناهى من المقدار في الحاضر .

وكذلك معمر وأتباعه من (١) أصحاب المعاني (٢) . يقولون بوجود معانٍ لا تتناهى في آن واحد ، مع قولهم بامتناع حوادث لا أول لها ، فصار بعض الناس يقول بجواز التناهى في الحوادث الماضية والأبعاد ، ومنهم من يقول بجواز ذلك في الأبعاد دون الحوادث . فهذه ثلاثة أقوال .

الرابع : قول من يقول : لا يجوز ذلك فيما دخل في الوجود . لا في الماضي ولا في الحاضر ، ويجوز فيما لم يوجد بعد . وهو المستقبلات ، وهذا قول كثير من النظائر .

الخامس : قول من يقول : يجوز ذلك في الماضي والمستقبل ، ولا يجوز فيما / يوجد في آن واحد ، لا في الأبعاد ولا الأنفس ولا المعاني .
وهو قول ابن رشد ، وحكاه عن الفلاسفة . وزعم أن النفوس البشرية واحدة بعد المفارقة ، كما زعم أنها كانت كذلك قبل المفارقة (٣) .

(١) من : زيادة في (م) . (ق)

(٢) سبق الكلام عن معمر بن عباد السلمي وعن مذهبه في المعاني . ج ١ . ص ٣٤٤ ت ٥

(٣) المفارقة : كذا في (د) . وفي سائر النسخ : المقارنة .

السادس : قول من يقول : ما كان مجتمعاً مترتباً فإنه يجب تناهيه كالعلل والأجسام ، فتلك لها ترتيب طبيعي ^(١) ، وهذه لها ترتيب وضعي ، وكلها موجودة في آن واحد . وأما ما لم يكن له ترتيب - كالأنفس - أو كان له ترتيب ولكن يوجد متعاقبا - كالحركات - فلا يمتنع فيه وجود ما لا يتناهي ، وهذا قول ابن سينا ، وهو المحكى عندهم عن أرسطو وأتباعه ، لكن ابن رشد ذكر أن هذا القول لم يقله أحد ^(٢) من الفلاسفة إلا ابن سينا .

وأما وجود علل ومعلومات لا تتناهي : فهذا مما لم ^(٣) يجوزه أحد من العقلاء .

إذا عُرف هذا تكلمنا على الاحتجاج بتفاضل ^(٤) الدورات التي لا تتناهي ، فإن الشمس تقطع الفلك في السنة مرة ، والقمر اثنتي عشرة مرة ، وهذا مشهود ، والمشتري في كل اثنتي عشرة سنة مرة ، وزُحل في كل ثلاثين سنة مرة ، فتكون دورات القمر بقدر دورات زحل ثلاثمائة وستين مرة ، ودورات الشمس بقدر دورات زحل ثلاثين مرة ، فتكون دورات هذا أضعاف دورات هذا ، وكلاهما لا يتناهي عند القائلين بذلك ، والأقل من غير المتناهي ^(٥) متناهٍ ، والزائد على المتناهي متناهٍ ، وقد عرف أن المعارضة بالعدد باطلة .

(١) س : طبيعي

(٢) أحد : زيادة في (م)

(٣) م : لا

(٤) س : بتفاضيل

(٥) من غير المتناهي : كذا في (م) وفي سائر النسخ : من غيره

وقد يُقال : هذا من جنس تطبيق الحوادث الماضية إلى اليوم بالحوادث الماضية إلى أمس ، فإن كلاهما لا يتناهى مع التفاضل . وهو الوجه الخامس الذى سيأتى . لكن بينهما فروق مؤثرة :

منها : أنه هناك هذه الحوادث هى تلك بعينها ، لكن زادت حوادث اليوم ، فغاية تلك : أن يكون مالا ابتداء له من الحوادث لا يزال فى زيادة شيئاً بعد شئ ، وأما هنا : فهذه الدورات ليست تلك . / ومنها : أنه هناك فرض انطباق اليوم على الأمس ، مع اشتراكهما فى عدم البداية ، وهذا التطبيق ممتنع . فإن حقيقته ^(١) : أنا نُقَدِّر تماثلها وتفاضلها ، فإنه إذا طُبِّقَ أحدهما على الآخر لزم التماثل مع التفاضل ^(٢) . لأنها استويا فى عدم البداية وفى حد النهاية ، وهما متفاضلان ، وهذا تقدير ممتنع ، بخلاف الدورتين ، فإنهما هنا مشتركتان ^(٣) فى عدم البداية ، وفى حد النهاية ، فالتفاضل هنا حاصل مع الاشتراك فى عدم النهاية عند هؤلاء ، فهذا لا يحتاج إلى فرض وتقدير ، حتى يقال : هو تقدير ممتنع ، بخلاف ذلك ^(٤) . ولكن التقابل يوافق ذلك التقابل فى أن كليهما ^(٥) قد عدمت فيه الحوادث الماضية ، ويوافقه فى أن كليهما ^(٥) قد قُدِّرَ فيه انتهاء الحوادث من أحد الجانبين ؛ فهما متفقان من هذين الوجهين ، مفترقان من ذينك الوجهين .

(١) م . ق : وتحقيقه

(٢) س . ص . ط . ر : مع الفاضل

(٣) م : مشتركان ، ر : كمشتركتان

(٤) س : ذاك

(٥) س . ص . ر . ط : كلاهما

وحينئذ فيقال : الدهرية يزعمون أن حركات الفلك لا بداية لها ولا نهاية ، لا يجعلون لها آخراً تنتهى إليه ، فلا يصح اعتمادهم على أن هذه الحوادث متناهية من أحد الجانبين ، بل يلزمهم قطعاً أن تكون الحركة الفلكية التي زعموا أنها لم تزَل ولا تزال متفاضلةً ، فدورات زحل عندهم لم تزَل ولا تزال ، وكذلك دورات الشمس والقمر ، مع أن دورات القمر بقدر دورات الشمس اثنتى عشرة^(١) مرة ، ودورات الشمس بقدر دورات زحل ثلاثين مرة ؛ فكل من هذين لا يتناهى فى الماضى والمستقبل ، وهذا أقل من هذا بقدر متناهٍ ، وهذا أزيد من هذا بقدر متناهٍ ؛ فإذا كان الأقل من غيره متناهياً لزم أن يكون كل من الدورات متناهياً .

وهذا الوجه لا يرد على من قال من أئمة الإسلام وأهل الملل^(٢) يجوز حدوث لا تتناهى ؛ فإن أولئك يقولون بأن حركة الفلك لها ابتداء ولها انتهاء ، وأنه يحدث مخلوق ، كائن بعد أن لم يكن ، وأنه ينشق وينفطر ؛ فتبطل حركة الشمس والقمر ، وكل^(٣) واحد من دورات الفلك وكواكبه وبشمسه وقره له عندهم بداية ونهاية .

وهذا الدليل إنما يدل على أن حركته يمتنع^(٤) أن تكون غير متناهية ، ولا يلزم إذا وجب تناهى حركة جسم معين أن يجب تناهى جنس الحوادث ، إلا إذا كان / الدليل الذى دل على تناهى حركة المعين يدل

(١) س . ص . ر : اثنتى عشر ، ط : اثنتى عشرة

(٢) س . ص . ر . ط . ق : من أئمة أهل الملل

(٣) س : فكل .

(٤) س : تمتنع .

على تنهاى الجنس ، وليس الأمر كذلك ؛ فإن هذا الدليل لا يتناول إلا الفلك ، وهو دليل على حدوثه ، وامتناع أن تكون حركته بلا بداية ولا نهاية ، فهو يدل على فساد مذهب أرسطو وابن سينا ، وأمثالهما ممن يقول بأن الفلك قديم أزلى . فهذا حق متفق عليه بين أهل الملل وعامة العقلاء . وهو قول جمهور الفلاسفة ، ولم يخالف فى ذلك إلا شرذمة قليلة ؛ ولهذا كان الدليل على حدوثه قويا ، والاعتراض الذى اعترض به الأرموى ضعيفا ، بخلاف الوجوه الدالة على امتناع جنس دوام الحوادث ، فإن أدلتها ضعيفة ، واعتراضات غيره عليها قوية .

وهذا مما يبين أن ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل ، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل فى السمع وليس منه ، وما يدخل فى العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع : أن الرب لم يزل معطّلا عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، بل ولا يمكنه عندهم أنه لا يزال يتكلم بمشيئته ويفعل بمشيئته .

فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم ، وجعل هؤلاء من المعقول : أنه يمتنع دوام كونه قادرا على الكلام والفعل بمشيئته .

وعارضهم آخرون : فادعوا أن الواحد من مخلوقاته كالفلك أزلى معه^(١) ، وأنه لم يزل ولا تزال حوادثه غير متناهية ، فهذه الدورات لا تنهاى ، وهذه لا تنهاى ، مع أن هذه بقدر هذه مرات متناهية ، وكونُ الشيثين لا يتناهيان أزلا وأبداً ، مع كون أحدهما بقدر الآخر مرات ، مع

(١) س : أزلى أبدى معه

كونه مفعولا معلولا مساويا لفاعله في الزمن - هو الذي انفردوا به . وأما الفاعلية فيما لا يتناهى ابتداء وانتهاء ، فهو الذي ذكر في هذا الوجه .

وقد يقال : يلزم مثل هذا في كلمات الله وإراداته^(١) التي كل منها غير متناه أزلا وأبداً ، وإن كان أحدهما أكثر من الآخر . وقد يذكر هنا أن مقدار القمر أصغر / من مقدار الشمس ، فحركته^(٢) وإن زادت في ١٩٨/٢ الدورات فقد نقصت في المقدار ، لكن هذا لا ينفع إلا إذا عُرف^(٣) تساوى مقدار جميع حركات الكواكب التي كل منها غير متناه ، وإلا لزم التفاضل فيما لا يتناهى ، فإذا كان تساويها باطلا كان هذا السؤال باطلاً^(٤) .

قال الرازي^(٥) : الوجه الخامس^(٦) « نقدّر أن^(٧) الأدوار الماضية من الخامس والتعلق عليه . اليوم لا إلى أول جملة ، ومن الأمس^(٨) كذلك^(٩) ، ثم نُطبق^(١٠) الطرف المتناهى من^(١١) إحدى الجملتين في الوهم على الطرف المتناهى من

(١) م : وإرادته

(٢) فحركته : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : بحركته

(٣) س . ص . ط . ر : إلا عرف

(٤) في (س) بعد كلمة « باطلا » بلغ مقابلة

(٥) انظر الأربعين . ص ١٥

(٦) لباب الأربعين ص ٨ : هـ

(٧) أن : ساقطة من « لباب »

(٨) لباب : ومن أمس

(٩) لباب : كذلك جملة

(١٠) م : ثم يطبق

(١١) ص . ر : منه

الأخرى ، "ونقابل"^(٧) كل فرد من أفراد إحداها^(٨) بنظيره من
الأخرى" ، فإن لم تقصر^(٩) إحداها عن الأخرى في الطرف الآخر كان
الشيء مع غيره كهو لا مع غيره ، وإن قصرت كانت متناهية ، والأخرى
زائدة بقدر متناه فهى متناهية أيضا .

قال الأرموى^(١٠) : « ولقائل أن يقول : الجملة الناقصة لا تنقطع من
طرف المبدأ ، وإنما يكون الشيء مع غيره كهو لا مع غيره ، إذا كان أفراد
الزائد مثل أفراد الناقص كما في مراتب الأعداد من الواحد إلى مالا يتناهى
ومن^(١١) العشرة إلى مالا يتناهى ، إذا طبقنا إحدى الجملتين على
الأخرى » .

قلت : المعارض لم يبين فساد الحجة ، بل عارضها [معارضة]^(١٢)
وغيره قد يمنع كلتا المقدمتين أو إحداها^(١٣) ، فالمعارض يقول^(١٤) : « وإن
قصرت كانت متناهية » فنقول^(١٥) : إنما تكون متناهية لو كانت منقطعة

(١ - ١) : ساقط من « لباب الأربعين »

(٢) س : ويقابل

(٣) ط . ص . ر : من أحدهما ، س : من إحداها . وفي الأربعين : « حتى يقابل كل فرد من
أفراد إحدى الجملتين »

(٤) لباب : يقصر

(٥) بعد ما سبق مباشرة ص ٨

(٦) لباب ظ ٨ : أو من

(٧) معارضة : زيادة في (س)

(٨) ص . ر . ط : وغيره قد يمنع كلا المقدمتين أو إحداها ، س : وغيره قد يمنع إحدى
المقدمتين أو يمنع كلا المقدمتين إحداها

(٩) س : قوله

(١٠) س : فيقول

من طرف المبدأ^(١)، فأما مع عدم انقطاعها فلا نسلم تاهيها، كما أن المستقبل وتضعيف العدد لما لم يكن منقطعا من جهة المنتهى لم يكن متناهيًا، وإن أمكن فيه مثل هذه المقابلة.

وأما غيره فيجب بثلاثة أجوبة:

أحدها: قوله: «فإن لم تقصر أحدهما عن الأخرى في الطرف الآخر كان الشيء مع غيره كهو لا مع غيره» فنقول: هذا إنما يلزم إذا طبقنا إحدى الجملتين على الأخرى، والتطبيق في المعدوم ممنوع، كما في تطبيق مراتب الأعداد من / الواحد إلى ما لا يتناهي، ومن العشرة إلى ما لا يتناهي، ومن المائة إلى ما لا يتناهي. فإننا نعلم أن عدد تضعيف الواحد أقل من عدد تضعيف العشرة، وعدد تضعيف العشرة أقل من عدد تضعيف المائة، وعدد تضعيف المائة أقل من عدد تضعيف الألف، والجميع لا يتناهي، وهذه الحجة من جنس حجة مقابلة دورات أحد الكوكبين بدورات الآخر، لكن هناك الدورات وجدت وعدمت، وهنا قدّرت الأزمنة والحركات الماضية ناقصة وزائدة.

وبما يُجاب به عن هذه الحجة - وهي أشهر حججهم - أن يُقال: لا نسلم إمكان التطبيق^(٢)؛ فإنه إذا كان كلاهما لا بداية له، وأحدهما

(١) س: المبدأ

(٢) أمام هذا الموضع في (هـ) كتب مايلي: قال الأبهري على حركة التطبيق: قوله: إن الحاصل من الحركة اليومية إلى الأزل جملة. قلنا: لا نسلم وإنما يلزم ذلك أن لو كانت الحركات مجتمعة في الوجود ليحصل منها - وجميع (كذا) ثم استدلل الأبهري على حدوث العالم بأن صانع العالم إن كان موجبا بالذات لزم دوام آثاره فلا يكون في الوجود حادث. وإن كان فاعلا بالاختيار امتنع أن يكون مفعوله أزليا لأنه يكون قاصدا إلى إيجاد الموجود. وتحصيل الحاصل محال. وقد اعترض بعضهم على

م^٤ دره تعارض العقل ج^٤

انتهى أمس ، والآخر انتهى اليوم : كان تطبيق الحوادث إلى اليوم على الحوادث إلى أمس ممتنعاً لذاته ، فإن الحوادث إلى اليوم أكثر ، فكيف تكون إحداها مطابقة للآخرى ؟ فلما كان التطبيق ممتنعاً جاز أن يلزمه حكم ممتنع .

وأيضاً فيقال : نحن نسلم أنها متناهية من الجانب المتناهي ، لكن لم قلت : إذا كانا متناهيين من أحد الجانبين كانا متناهيين من الجانب

== دليله بأنه يجوز أن يكون بعضه حادثاً له فاعل بالاختيار وبعضه قديم له موجب بالذات ومعلوله فاعل بالاختيار أحدث غيره . قال ابن تيمية قلت : وهذا الاعتراض ساقط لأن ما كان فاعلاً بالاختيار فحدث فعله بعد أن لم يكن حادث من الحوادث . فإذا كان مفعولاً لعلامة تامة موجبه امتنع أن يتخلف عنها معلولها فلا يجوز أن يحدث عنها شيء ولا عن لازمها ولا عن لازم لازمها وهلم جرا . وإن قدر أن البعض الحادث له فاعل واجب بنفسه غير فاعل للآخر . فهذا مع أنه لم يقله أحد وأدلة التوحيد للصانع تبطله فهو يبطل حجة القائلين بالقدم . لأن عمدتهم أن الواجب بنفسه لا يتأخر عنه فعله فإذا جوزوا تأخر فعله عنه بطل أصل حججتهم . ثم قال ابن تيمية : والأبهرى وغيره اعترضوا على هذه المقدمة لما ذكروها في حجة من احتج على حدوث العالم بأنه ممكن وكل ممكن يحدث لأن المؤثر فيه إما حال وجوده وهو محال لأنه تمصيل الحاصل . وإما حال العدم وهو محال لا ستلزامه الجمع بين الوجود والعدم . فتمين أن يكون لا حال الوجود ولا حال العدم وهو حال الحدوث . فاعترض الأبهرى وغيره على ذلك بأنه لم لا يجوز أن يكون التأثير حال الوجود . قوله : تمصيل للحاصل . قلنا : لا نسلم لأن التأثير عبارة عن كون الممكن يرجع الوجود على العدم بالمؤثر وجاز أن يكون الممكن يرجع الوجود على العدم حال الوجود . فيقول لدر من يعارضه في دليله مثل ذلك . فإذا قال : لو كان الفعل الذي فعله الفاعل المختار أزلياً لكان الفاعل قاصداً إلى إيجاد الموجود محال . قالوا : بل وجود الموجود وحصول الحاصل بقصده واختياره . فقولك : لو كان قاصداً إلى إيجاد الموجود . إن أردت إلى إيجاد ما هو موجود بدون قصده فهذا ممنوع . وإنما يستقيم هذا إذا ثبت أن الأول لا يمكن أن يكون مراداً مقصوداً وهو أول المسألة . وإن أردت إلى إيجاد ما هو موجود بقصده فهذا هو المدعى . فلم قلت إنه محال ؟ لكن يلزم هؤلاء على هذا التقدير أن لا يكون فرق بين الموجب بالذات والفاعل بالاختيار . وهم يقولون : إن أريد بالموجب بالذات أنه لم يزل فاعلاً فهذا لا يمنع كونه مختاراً على هذا التقدير . وإن أريد به ما يلزمه موجبه ومعلوله فهذا أيضاً لا يمنع كونه مختاراً أيضاً على هذا التقدير . وهذا القسم باطل بلا شك سواء سمى موجباً أو مختاراً لأن ذلك يستلزم أن لا يحدث شيء من الحوادث . فإن موجبه إذا كان لازماً له ولازم اللازم لازم كان جميع الموجبات لوازم قديمة . فلا يكون شيء من المحدثات صادراً عنه ولا عن غيره . صح

الآخر؟ وهذا أول المسألة ، والتفاضل وقع من الجانب المتناهي ، لا من الجانب الذى ليس بمتناهٍ ، فلم يقع فيما لا يتناهى تفاضلٌ.

قال الرازى^(١) : السادس^(٢) : «لو كانت الأدوار الماضية غير متناهية السادس والتعليق عليه . كان وجود اليوم موقوفا على انقضاء مالا نهاية له ، والموقوف على المحال محال» .

قال الأرموى^(٣) . ولقائل أن يقول : انقضاء مالا نهاية له محال ، وأما انقضاء مالا بداية له ففيه نزاع^(٤) .

قلت : هنا^(٥) نزاع لفظى ونزاع معنوى ، أما اللفظى ، فهو أنه إذا قُدِّرَ تسلسل الحوادث فى الماضى وعدم انقطاعها وأنها لا أول لها ، فهل يُعبَّرُ عن هذا بأن يُقال : لا نهاية لها ، أو يقال : لا بداية لها ، ولا يقال لا نهاية لها ؟ فالمستدل غير بأنه لا نهاية لها ، والمعتراض أنكر ذلك ، وهذا نزاع لفظى^(٦) . وذلك أنه يقال : هذا / غير متناه ، بمعنى أنه ليس له حد ٢٠٠/٢ محدود ، وقد يقال : «غير متناه» بمعنى أنه لا آخر له ، ويقال «هذا له نهاية» أى : له آخر ، و«هذا لا نهاية له» أى : لا آخر له ، والحوادث الماضية إذا قُدِّرَ أنها لم تزل ، فإنه يقال : «لا نهاية لها» بالمعنى الأول ، وأما بالمعنى الثانى : فقد انقضت وانصرفت ولها آخر.

(١) انظر الأربعين . ص ١٥

(٢) لباب الأربعين ظ ٨ : و

(٣) بعد ما سبق مباشرة

(٤) لباب: النزاع

(٥) س : هذا

(٦) وهذا نزاع لفظى : ابتداء من هذه العبارة يوجد سقط طويل فى (س) سنشير إلى نهاية إن

وهذه الحجة اعتمد عليها أكثر المتكلمين كأبي المعالي ومن قبله وبعده من المعتزلة والأشعرية ، وذكروا أنه اعتمد عليها يحيى النحوى وغيره من المتقدمين ، وظنوا أن ما لا يتناهى يمتنع أن يكون منقضياً منصهما ، فإن ما انقضى وانصرم فقد تنهى ، فكيف يقال : إنه لا نهاية له ؟ واشتبه عليهم لفظ « النهاية » لما فيه من الإجمال والاشتباه ^(١) ، فإن الماضى له آخر انتهى إليه ، فهو متناه بهذا الاعتبار ، بلا نزاع ^(٢) . وبهذا المعنى يقال : إنه انصرم وانقضى ، وفرغ ونفذ ، وأما بالمعنى المتنازع فيه فهو أنه لا بداية له : أى لم تزل ^(٣) آحاده متعاقبة ^(٤) وأما النزاع ^(٥) المعنوى فهو أنه : هل يُعقل انقضاء ما يُقدَّر أنه لا بداية له ولا ينتهى من جهة مبدئه أو لا ؟ [ولا ريب أن] المستدل ^(٦) لم يذكر دليلاً على امتناع انقضاء ذلك ، لكن أخذ لفظ « ما لا يتناهى » [ولفظ « ما لا يتناهى »] فيه إجمال ^(٧) ، فقد يعنى به ما لا يتناهى فى المستقبل من جهة آخره ، فإذا قيل : « إن هذا ينقضى » كان

(١) والاشتباه : زيادة فى (م) . (ق) .

(٢) م (قط) : فلا نزاع .

(٣) ص . ط . ر : إن لم تزل .

(٤) متعاقبة : هنا آخر الكلمات التى سقطت من نسخة (س) .

(٥) فى هامش (هـ) أمام هذا الموضع كتب ما يأتى : « وقال الأبهري فى كتابه « تحرير الدلائل فى تقرير المسائل » قوله : إنها لو كانت متحركة لكان الحادث اليومى موقوفاً على انقضاء ما لا نهاية له . قلنا : لا نسلم بأن يكون الحادث اليومى مسبوقاً بحادث لا أول لها . ولم نلتم بأن ذلك غير جائز والنزاع ما وقع الإجماع فيه ؟ » .

(٦) س . هـ : من جهة مبدئه ولا ريب أن المستدل ، ط . ص . ر : من جهة مبدئه ولأن المستدل ، م . ق : من جهة مبدئه أولاً المستدل .

(٧) م . ق . ص . ط . ر : لكن أخذ لفظ ما لا يتناهى وفيه إجمال .

ذلك جمعاً بين النقيضين ، وقد يعنى به مالا بداية له ، وهو ينازع في إمكان ذلك ، لأنه حينئذ يكون له نهاية بلا بداية ، وكأنه يقول : ماله نهاية فلا بد له من بداية ، ومنازعه يقولون : هذا مسلم في الأشخاص ، فكل شخص ينتهى فلا بد له من مبدأ ، إذ لو لم يكن له مبدأ لكان قديماً ، وما وجب قدمه امتنع عدمه كما سيأتى . وينازعونه في النوع ، ويقولون : يمكن أن يقال : [إن] ^(١) الله لم يزل يفعل شيئاً بعد شئ .

وسيأتى إن شاء الله كلام الرازى على إفساد هذه الحجة التى ذكرها ههنا على تنهاى الحوادث بكلام ^(٢) لم يذكر عنه جواباً .

قال الرازى ^(٣) : « وإن كان الجسم فى الأزل ساكناً كان ذلك ممتنعاً » ^(٤) « لأن » ^(٥) السكون وجودى ، وكل وجودى أزلى فإنه ^(٦) يمتنع ٢٠١/٢ زواله .

والمنازع نازعه فى كون السكون وجودياً ، ولم ينازعه فى أن الوجود الأزلى يمتنع زواله ، وقد قرر ذلك الرازى بأن القديم إما واجب بذاته أو ممكن يكون مؤثرة موجباً بذاته ، سواء كان تأثيره بنفسه أو بشرط لازم

(١) إن : زيادة فى (س) . (هـ) .

(٢) س : كلاماً .

(٣) انظر الأربعين : ص ١٥ - ١٦ .

(٤) (٤) : هذه العبارات تلخيص من كلام ابن تيمية ويوجد بدلاً منها فى «لباب

الأربعين» (ظ ٨) : والثانى باطل .

(٥) هنا تبدأ المقابلة مع «لباب» ظ ٨ .

(٦) فإنه : ساقطة من (لباب) .

له ^(١) ، ولا يحتاج إلى هذا ، بل يقال : القديم إن كان واجباً بنفسه امتنع عدمه ، وإن لم يكن كذلك فالمقتضى له - سواء سمي موجباً أو مختاراً - إما أن يتوقف اقتضاؤه له على شرط محدث أو لا ، والثاني ممتنع ، فإن القديم لا يتوقف على شرط محدث ؛ إذ لو توقف عليه لكان القديم مع المحدث أو بعده ، وإذا لم يتوقف على شرط محدث لزم أن يكون قد وجد المقتضى التام المستلزم له في الأزل ، وحينئذ فيجب دوامه بدوام المقتضى التام ، ثم كون القديم لا يكون مقتضيه له اختيار : فيه كلام ونزاع ليس هذا موضعه ، والمقصود هنا : أن منازعه نازعه في كون السكون وجودياً ^(٢).

وقد احتج عليه الرازي بأن ^(٣) « تبدل حركة الجسم الواحد بالسكون وبالعكس ، يقتضى كون أحدهما وجودياً ، لأن رفع العدم ثبوت ، فيكون الآخر وجودياً ، لأن الحركة ^(٤) هي : الحصول في حيز مسبقاً بالحصول في الآخر ^(٥) ، والسكون هو : الحصول في حيز مسبقاً بالحصول فيه ، فاختلفا إنما هو بالمسبوقية بالغير ، وإنما وُصف عَرَضِي لا يمنع اتحاد الماهية ، فيلزم ^(٦) كونها وجوديين » .

(١) س . هـ : أو بشرط لازمه .

(٢) في لباب الأربعين بعد العبارات السابقة : « لزم أن لا يكون عدم العالم أزلياً فكان وجوده أزلياً . فلهذا احتجنا إلى إثبات كون السكون وجودياً . وقالت الفلاسفة هو عدم الحركة عما من شأنه أن يكون متحركاً » .

(٣) لباب : قلنا إن

(٤) لباب : إذ الحركة .

(٥) لباب : في آخر .

(٦) لباب . هـ : فلزم .

قال الأرموى^(١) : « ولقائل أن يقول : الحركة والسكون متقابلان^(٢) تقابل الضدين ، أو تقابل العدم^(٣) والمملكة . والبديهة حاكمة باختلاف الضدين في تمام الماهية ، وكذا^(٤) العدم والمملكة ، وأيضا المسبوقية^(٥) وصف عرضي لما به الاشتراك ، والوصف العرضي لما به الاشتراك يكون^(٦) ذاتياً للماهية المركبة منها » .

قلت : مضمون ذلك أن الرازي احتج بأن السكون من جنس الحركة ، وإنما يختلفان في كون أحدهما مسبوقا بالغير ، وهذا اختلاف^(٧) في وصف عرضي لا يمنع التماثل في الحقيقة ، فنعه الأرموى بمقدمتين^(٨) ، بل أبطل الأولى بأن المتقابلين /تقابل ٢٠٢/٢ الضدين - كالسواد والبياض ، والحلاوة والمرارة ، ونحو ذلك - هما مختلفان في الحقيقة ، وكذا المتقابلان تقابل العدم والمملكة - كالعمى والبصر ، والحياة والموت ، والعلم والجهل ، ونحو ذلك - والحركة مع السكون : إما من هذا ، وإما من هذا ، فكيف تجعل حقيقة أحدهما بمثابة لحقيقة الآخر ، وأنها لا يختلفان إلا بوصف عرضي ؟

(١) بعد ما سبق مباشرة . ظ ٨ .

(٢) لباب : يتقابلان .

(٣) لباب : أو العدم .

(٤) لباب : وكذلك .

(٥) لباب : المسبوقية بالغير .

(٦) الاشتراك يكون : كذا في (س) ، (هـ) . وفي « لباب » ص ٩٠ . وفي سائر النسخ : الاشتراك لا يكون .

(٧) م . ق : الاختلاف .

(٨) س . ص . ط . ر . هـ : الأرموى المقدمتين .

وإيضاح هذا : أن الحركة ليست من جنس الحصول المشترك بينها وبين السكون ، فإن كون الشيء في هذا الحيز وفي هذا ^(١) الحيز معقول ، مع قطع النظر عن كونه متحركاً ، فإنه إذا قُدِّرَ أنه سكن في الحيز الثاني كان هذا الحصول من جنس ذلك الحصول ، وأما نفس حركته : فأمر زائد على مطلق الحصول المشترك ، ومنع الثانية ، وجعل سَنَدَ منعه : أن قول القائل : « المسبوقية وصف عرضي » إن عني أنها ليست ذاتية : فلا دليل على ذلك ، وإن عني أنها عرضية لما اشتركا فيه : فالعرض لما به الاشتراك قد يكون ذاتياً للحقيقة المركبة من المشترك والمميز ، كالناطقية فإنها تعرض للحيوانية ليست ذاتية لها ، ثم إنها ذاتية للإنسانية المركبة من الحيوانية والناطقية .

والرازي قد يمكنه أن يجيب عن هذا بأن كون هذا مسبوقاً بهذا إنما هو أمر إضافي ، أي هو متأخر عنه ، ومثل هذا لا يكون من الصفات الذاتية ، كالحركتين المتماثلتين الثانية مع الأولى ، فإنها إذا كانتا متماثلتين لم يجوز أن يجعل كون إحداها مسبوقاً بالغير دون الأخرى من الصفات الذاتية المفرقة بينهما .

ولقائل أن يقول : الحجة ^(٢) والاعتراض مبني على أن الصفات اللازمة للحقيقة تنقسم إلى ذاتي وعرضي ، كما يقوله من يقوله من أهل المنطق ، فإن تقسيم ^(٣) الصفات اللازمة للحقيقة إلى ماهو ذاتي داخل في الحقيقة ، وما هو عرضي خارج عنها : قول لا يقوم عليه دليل ، بل

(١) س : وهذا .

(٢) الحجة : ساقطة من (س) .

(٣) س : المنطق وتقسيم .

الدليل يقوم على نقيضه ؛ ولهذا لما لم يكن في نفس الأمر بينهما فرق لم يحدد المفرقون ^(١) بينهما جداً يفصل بينهما ، بل ^(٢) ما ذكره من الضوابط /منتقضى ^(٣) ، كما هو مبسوط في موضعه ، وإذا كانت ٢٠٣/٢ الصفتان متلازمتين في الوجود والعدم والثبوت والانتفاء ، لا توجد هذه إلا مع هذه ، وإذا انتفت هذه انتفت هذه : كان التفريق يجعل إحداها مقومة والأخرى عرضية تحكما .

ثم إذا قيل : الذات هي المركبة من الصفات الذاتية ، والصفات الذاتية مالا تتصور الذات إلا بها ، لم تعرف الذات إلا بالصفات الذاتية ، ولا الصفات الذاتية إلا بالذات .

وأيضاً ؛ فإن هذا مبني على أن وجود الشيء في الخارج زائد على حقيقته ^(٤) الموجودة في الخارج ، وهو أيضاً قول باطل ضعيف .

وأيضاً ؛ فالذات الموجودة في الخارج القائمة بنفسها كهذا الإنسان : إن قيل : « إنه مركب من عرضين » لزم كون الجوهر مركباً من عرضين ، وأن يكونا سابقين له ، وهذا ممتنع في البدئية ، وإن قيل : « إنه مركب من جوهرين كل منهما يُحمل عليه ، كما يقال : هو حيوان ناطق » لزم أن يكون فيه جوهران ، أحدهما : حيوان ، والآخر : ناطق ، وهذا مكابرة للحس والعقل ، إذ هو حيوان واحد موصوف بأنه ناطق .

(١) ق . ر . ص : لم يميز والمفرقون . وكتب محقق نسخة (ق) في تعليقه : قوله : لم يميز الخ كذا بأصلين بأيدينا وحرره آه مصححه . وفي (س) . (ط) : لم يميز والمفرقون . والمثبت عن (م) .

(٢) بل : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : بمثل .

(٣) م (فقط) : من الضوابط فهو منتقضى .

(٤) س : زائد فيه على عين حقيقته .

وإذا كان كذلك فكون^(١) الحصول الذى هو مسبوق بحصول آخر إذا كان ذلك لازماً له كان من الصفات اللازمة ، وإذا افترق الشئان فى الصفات اللازمة لم يجب أن تكون حقيقة أحدهما مثل حقيقة الآخر . فإن المماثلين هما المشتركان فيما يجب ويجوز ويمتنع ، فإذا وجب لأحدهما مالا يجب للآخر لم يكن مثله .

وللأرموى أن يقول : قد تبين بطلان المقدمتين ، سواء كان بطريقة المنطقيين ، أو بطريقة سائر أهل النظر الذين أنكروا على المنطقيين ما ذكروه ، كما أنكروا سائر طوائف أهل النظر من المسلمين وغيرهم عليهم كثيراً مما ذكروه فى الحدود وغيرها ، كما هو معروف فى كتب أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية والكرامية وطوائف الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ، وليس المقصود هنا بسط ما يتعلق بهذا .

٢٠٤/٢ / قال الرازى^(٢) : « وإنما قلنا السكون لا يمتنع زواله ، لأن^(٣) الخصم يسلم جواز حركة كل جسم^(٤) ، ولأن المتحيز^(٥) يجوز خروجه من^(٦) حيزه ، لأنه إن كان بسيطاً كانت طبائع جوانبه متساوية ؛^(٧) فيجوز على كل منها ما يجوز على الآخر^(٨) ، وإن كان مركباً كان هذا لازماً لبسائطه ، وخروجه

(١) م (فقط) : فيكون .

(٢) لباب الأربعين ص ٩ . بعد الكلام السابق بعدة سطور . وانظر الأربعين . ص ١٧ .

(٣) لباب : زواله لوجهين : أ : لأن .

(٤) لباب : لأن الخصم يقول بأن الأجسام الفلكية واجبة الحركة ، والمنصيرية جائزة الحركة والأجسام عنده منحصرة فيهما .

(٥) لباب : ب : أن كل متحيز .

(٦) لباب : عن .

(٧-٧) : بدلا من هذا العبارات ذكر الأرموى فى «لباب» : والمتساويان يصح على كل منهما

ما يصح على الآخر . فيصح على ما على اليمين أن يحاذى ما حاذاه اليسار وبالعكس .

عن حيزه هو الحركة^(١).

ولقائل أن يقول : هذا يقتضى إمكان كون نوع الجسم يقبل الحركة ، فإذا قدر أن السكون وجودى وله موجب مستلزم له ، كان امتناع الحركة لمعنى آخر يختص به الجسم المعين لم يوجد لغيره من الأجسام ، فلا يلزم إذا قُدِّرَ أنه موجود أزلى أنه يمكن زواله ، بل هذا جمع بين المتناقضين ، فما قُدِّرَ موجوداً أزلياً لا يمكن زواله بحال ، ولا يمكن أن يجمع بين تقديرين متناقضين ، وقبول كل جسم للحركة^(٢) لا يحتاج إلى هذا . فإذا قيل : «إن السكون عدم الحركة» أمكن مع كون السكون أزلياً من إثبات الحركة مالا يمكن مع تقدير كونه وجودياً ، وذلك أنه حيثئذ لا تتوقف الحركة إلا على وجود مقتضيها وانتفاء مانعها ، وليس هناك معنى وجودى أزلى يحتاج إلى زواله .

وقد أورد بعضهم على استدلاله على أن السكون أمر وجودى اعتراضاً بالغاً ، فقال : هذا فيه نظر من جهة أن مقدمة الدليل مناقضة للمطلوب ؛ لأن المطلوب كونها وجوديين^(٣) . ومقدمة الدليل أن أحدهما وجودى ، ولا يمكن تقريره^(٣) إلا بما سبق ، وهو يقتضى أن يكون أحدهما عدمياً ؛ فادّعاء كونها وجوديين بعد ذلك مناقض له .

(٥ -) : ما بين النجمتين في « لباب » : وإن كان مركباً عاد الكلام في كل واحد من بساطته وإذا جاز لخروجه عن حيزه وعند خروجه عن حيزه يزول السكون .

(١) للحركة : كذا في (س) - (هـ) . وفي سائر النسخ : الحركة .

(٢) س . هـ : وجوديين .

(٣) س : تقديره .

قلت : وهذا ^(١) كلام جيد ، فإن الأمرين اللذين تبدّل أحدهما بالآخر ورَفَعَه : إن لزم أن يكون أحدهما وجوديا والآخر عدميا لزم أن تكون الحركة والسكون أحدهما وجوديا والآخر عدميا ، وهو نقيض المطلوب ، وإن جاز أن يكونا جميعاً وجوديين أو عدميين بطل الدليل - وهو قوله : لأن تبدّل أحدهما بالآخر يقتضى أن يكون أحدهما وجوديا ؛ لأن المرفوع إن كان وجوديا وإلا فالرافع وجودي ، / لأن رفع العدم ثبوت - فإنه على هذا التقدير يمكن رفع العدم بالعدم ، والوجود بالوجود .

٢٠٥/٢

وإن قيل : بل يجب أن يكونا وجوديين ، أو يكون أحدهما وجوديا ^(٢) ، ولا يجوز أن يكونا عدميين ؛ لأن العدم لا يرتفع بالعدم كما يرتفع الوجود بالوجود والعدم بالوجود ، أو بالعكس .

قيل : بل العدمان قد يتضادان كما قد يتلازمان ، فكما أن عدم الشرط مستلزم لعدم المشروط ، فعدم الأمور الواجب واحدٌ منها ينافي عدمها كلها ، فإذا كان الجنس لا يوجد إلا بوجود نوع له فصل امتنع مع وجود الجنس عدم جميع الأنواع والفصول ، فكان عدم بعضها ينافي عدمها كلها . وهذا كما يقال في التقسيم ، وهو الشرطي المنفصل : قد يكون مانعاً من الجمع والخلو ، كقول القائل : العدد إما شفع وإما وتر ، وقد يكون مانعاً من الجمع فقط ، كقول القائل : الجسم إما أسود وإما أبيض ، وقد يكون مانعاً من الخلو فقط ، فإما كان مانعاً من الخلو فقط ،

(١) م : هذا .

(٢) س . ر . ط . ص . هـ : بل يجب أن يكونا أحدهما وجوديا ، ق : بل يجب أن أو يكونا أحدهما وجوديا .

أو من الجمع : امتنع اجتماعُ العدمين فيه ، فكما أن الشفعية تنافي
الوترية في العدد فعدمُ الشفعية ينافي عدم الوترية ، لا ثبوتها ، فلا يحصل
العدمان معاً ، بل إذا ثبت أحد العدمين لم يثبت العدم الآخر ، فيكون
العدم رافعاً للعدم .

وأيضاً فمطلوب المستدل : أن تكون الحركة والسكون وجوديين ، فإذا
قال « تبدل الحركة بالسكون يقتضي كون أحدهما وجودياً ؛ لأن رفع
العدم ثبوت » كان إثبات كونها وجوديين موقوفاً على تقدير كون أحدهما
عدمياً ؛ لأنه قال « لأن رفع العدم ثبوت » فإن لم يكن أحدهما عدمياً لم
يصح هذا ، وإذا كان المرفوع عدمياً امتنع أن يكونا وجوديين ،
والمطلوب كونها وجوديين ، فصار المطلوب مناقضاً لمقدمة الدليل ، كما
ذكره المعارض .

لكنه قال : فالأولى أن يقال في تقريره : إن الحركة وجودية إجماعاً ،
ولأنه مُبَصَّر ، فوجب أن يكون السكون أيضاً وجودياً بالتقرير^(١) الذي
سبق .

/ ثم ذكر اعتراض الأرموى فقال : وأورد بينها إما تقابل التضاد أو ٢٠٦/٢
العدم والملكة ، والبديهة حاكمة باختلاف ماهية المتضادين والمتقابلين .
قال : وأجيب بأن التضاد بين الشئيين إذا كان عارضاً لهما^(٢) كما بين
الأسود والأبيض لم يلزم ذلك ، وما نحن فيه كذلك ، فإن التَّضاد
عارض لهما بسبب المسبوقية بالغير ، وهي عدمية ، فلم يجوز أن تكون

(١) س : بالتقدير .

(٢) س . ص . ط . ر . هـ : لعارض لهما .

جزءاً^(١)، ولأنه ليس جعل السكون عبارة عن عدم الحركة أولى من العكس، فإما أن يكونا عدميين وهو باطل وفاقا، وفتعين أن يكونا وجوديين.

ولقائل أن يقول: التضاد بين الحركة والسكون من جنس التضاد بين الحياة والموت، والعلم والجهل، والقدرة والعجز، والسواد والبياض، والعمى والبصر، والحلاوة والحاموضة، ونحو ذلك من الصفات الثبوتية، أو التي بعضها ثبوتى وبعضها عدمى، ليس هو من جنس تضاد القائمين بأنفسهما، كالأسود والأبيض، فإن التضاد إنما يكون في المعقَّبين اللذين يعتقبان على محل واحد، كما قال متكلمة أهل الإثبات: الضدان كل معنيين يستحيل اجتماعهما في محل واحد لذاتيهما^(٢) من جهة واحدة، فما لم يكن المعنيان قائمين بمحل واحد فلا تضاد، والحركة والسكون يعتقبان على المحل الواحد إما تعاقب اللونين والطعنين وإما تعاقب العلم والبصر والسمع وعدم ذلك، فكيف يكون أحدهما مثل الآخر لا يفارقه إلا بصفة عرضية؟

وفي الجملة: فالحركة والسكون هما إن كانا وجوديين فهما عَرَضَانِ، وإن كان أحدهما وجوديا فأحدهما عرض والآخر عدم العرض، وعلى التقديرين: فليسا قائمين بأنفسهما، فلا يجوز تشبيههما بالأجسام، كالأسود والأبيض، والطويل والقصير، والعالم والجاهل، بل يجب تشبيههما بالأعراض وعدم الأعراض كالسواد والبياض والعلم وعدم العلم ونحو ذلك.

(١) س: فلم يميز أن يكون جزءا.

(٢) لذاتيهما: كذا في (س)، (هـ). وفي سائر النسخ: لذاتهما.

فقول الأرموى : « إن الحركة والسكون متقابلان تقابل الضدين . أو تقابل / العدم والملكة . وعلى التقديرين : يجب اختلاف ماهيتهما لا ٢٠٧/٢ تماثلهما » كلامٌ صحيح . وقولُ المعارض له : « إن الاختلاف إذا كان لعارض كما بين الأسود والأبيض : لم يجب اختلاف الماهيتين . فإن ماهية الأسود من جنس ماهية الأبيض : كلامٌ باطل ؛ لأن الأسود والأبيض من باب الأجسام القائمة بأنفسها . لا من باب الصفات والأعراض .

وأيضاً ؛ فالأسود والأبيض لا يتقابلان تقابل الضدين . ولا تقابل العدم والملكة فليسا من هذا الباب . اللهم إلا إذا أراد مرید بذلك : أن الحيز الذي فيه الأسود لا يكون فيه الأبيض . وحينئذ فيكون تضاد الأبيض والأسود كتضاد الأسودين والأبيضين .

وأيضاً ؛ فيقال : اختلاف الأسود والأبيض يُراد به^(١) اختلاف عينهما ، مع قطع النظر عن السواد والبياض ، أو بشرط السواد والبياض ، فإن أريد الأول فلا اختلاف بين ذاتيهما مع قطع النظر عن اللونين ، فإن الجسم الذي هو الأسود قد يكون نفس الجسم الذي هو الأبيض وإن أريد^(٢) بالاختلاف اختلافهما بشرط اللون المختلف ، فحينئذ يكون اختلافهما كاختلاف السواد والبياض ، فإن الشيء المشروط بالسواد يخالف للشيء المشروط بالبياض . ولا يجوز^(٣) أن يقال : إن الذاتين متماثلتان إلا مع التجريد^(٤)

(١) والأبيض يراد به : كذا في (س) . (هـ) . وفي سائر النسخ : والأبيض إنه أراد به .

(٢) وإن أريد : كذا في (س) . (هـ) . وفي سائر النسخ : فإن أريد .

(٣) س : فلا يجوز .

(٤) س . ق . ص . ط : إن الذاتين متماثلتين . وسقطت كلمة متماثلتين في (ر) . والمثبت من

(م) . (هـ) .

عن الاختلاف ، وإلا فإذا أَخَذْتَ الذاتين مشروطتين بالاختلاف لم يكونا متماثلتين التماثل الذى لا يشترط فيه الاختلاف ، كيف والتماثلان يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر؟ والشئ فى حال سواده لا يجوز أن يكون أبيض ، وهو فى حال بياضه لا يكون أسود؟ فلا يكون الأسود حال كونه مشروطا بالسواد يجوز عليه ما يجوز على الأبيض حال كونه مشروطاً بالبياض .

وقول القائل : « إن الاختلاف بين الحركة والسكون عارض بسبب المسبوقية بالغير » ليس بمسلم له ، فإنه يعقل التضاد بينهما مع عدم خطور^(١) المسبوقية بالبال ، كما يعقل التضاد بين العلم والجهل ، والقدرة والعجز ، والسواد والبياض .

٢٠٨/٢ / وقول القائل : « ليس جعل السكون عبارة عن عدم الحركة بأولى من العكس » دعوى مجردة ، فلا نسلم انتفاء هذه الأولوية ، بل هذه الدعوى بمنزلة قول القائل : ليس جعل العمى عدم البصر بأولى من العكس ، وليس جعل الصمم عدم السمع بأولى من العكس ، وليس جعل الجهل البسيط عدم العلم بأولى من العكس ، وليس جعل أحد المتقابلين عدما والآخر وجوداً بأولى من العكس .

ومعلوم أن كل هذه دعاوى مجردة بل باطلة ، فإننا نعلم بالحس أن الحركة أمر وجودى ، كما نعلم أن الحياة والعلم والقدرة^(٢) والسمع والبصر أمر وجودى ، وأما كون ما يقابل ذلك هو ضد ما يناهيا^(٣) أو

(١) م (فقط) : حضور .

(٢) س : والقدرة والعلم .

(٣) س . هـ : هو ضد اينافيا . ويبدو أن العبارة محرقة .

عدمها عن محلها فهذا فيه نظر ، ولهذا تنازع العقلاء في هذا دون الأول ، وكثير من النزاع في ذلك يكون لفظياً ، فإنه قد يكون عدم الشيء مستلزماً لأمر وجودي ، مثل الحياة مثلاً . فإن عدم حياة البدن مثلاً مستلزم لأعراض وجودية .

والناس تنازعوا في الموت : هل هو عدمي أو وجودي ؟ ومن قال : « إنه وجودي » احتج بقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [سورة الملك : ٢٠] فأخبر أنه خلق الموت كما خلق الحياة ، ومنازعه يقول : العدم الطارئ يخلق كما يخلق الوجود ، أو يقول : الموت المخلوق هو الأمور الوجودية اللازمة لعدم الحياة ، وحينئذ فالنزاع لفظي .

وكذلك تنازعوا في الظلمة : هل هي وجودية أو عدمية ؟ وهي عدم النور عمّا من شأنه قبوله ، ومن قال : « إنها وجودية » يحتج بقوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [سورة الأنعام : ١] والآخر يقول : كل ما يتجدد ويحدث من الأمور الوجودية والعدمية ، فالله سبحانه جاعله ، أو يقول : عدم النور مستلزم لأمر وجودي ، هي الظلمة المجعولة ، وكون السكون وجودياً أبعد من كون الموت والظلمة ونحو ذلك وجودياً ، والسكون قد يراد به قوة في الجسم تمنع حركته ، كالطبيعة^(١) التي في الحجر التي توجب استقراره في الأرض ، وهذا أمر وجودي ، لكن من قال « إن السكون عدمي » لم يجعل تلك الطبيعة هي السكون ، بل قد^(٢) يسمون ذلك اعتماداً ، ويفرقون بين السكون والاعتماد ، لكن قد

(١) ق . ر . ط . ص : كالطبيعة .

(٢) س : لكن قد .

٢٠٩/٢ يُقال له : فالجسم إذا كان / ساكناً ، فإما أن يكون السكون وجودياً أو مستلزماً لأمر وجودي ، وحينئذ فالمقتضى لذلك الأمر الوجودي : إما موجب بنفسه ، ويساق الدليل إلى آخره ، لكن من قال : « إن الجسم الأول كان ساكناً في الأزل ثم تحرك » يقول في هذا ما يقوله القائلون بحدوث الأجسام ، فإنهم إذا قالوا : « حدثت هي وحركتها »^(١) من غير سبب يقتضي حدوثها » قال لهم هذا المنازع : بل كان ما قدر [قديماً]^(٢) من الأجسام ساكناً ، ثم حدثت حركته من غير سبب يقتضي تحركها . وهذا يقوله من يقول : إن الأول جسم ، وإنه يتجدد له الفعل بعد أن لم يكن [له]^(٣) فاعلا ، ويقول : الكلام في حدوث الفعل القائم به كالكلام في حدوث المفعول المنفصل عنه . وذلك أن أهل الكلام والنظر من أهل القبلة وغيرهم تنازعوا في ثبوت جسم قديم :

فطائفة قالت^(٤) بامتناع جسم قديم ، وحدث كل جسم ، وتنازعوا في المحدث للجسم : هل أحدث بعد أن لم يكن محدثاً بدون سبب حادث أصلاً ، أم لابد من سبب حادث ؟ وهل تقوم به^(٥) أمور حادثة كإرادة حادثة ، وتصور حادث ، بل وفعل حادث ؟ على قولين لهم .

(١) س : وحركاتها .

(٢) قديماً : زيادة في (س) .

(٣) له : زيادة في (س) . (هـ) .

(٤) س : قالوا .

(٥) تقوم به : كذا في (س) وفي سائر النسخ : يقوم .

وطائفة قالت بثبوت جسم قديم ، ثم هؤلاء منهم من قال : لم يزل فاعلا متحركا ، ومنهم من قال : بل تجدد له الفعل والحركة ؛ فإذا احتج الأولون على هؤلاء بأن الجسم لو كان أزليا لم يخل من الحركة والسكون ، والحركة لا تكون أزلية ؛ لامتناع دوام الحوادث وتسلسلها ، والسكون لا يكون أزليا لأنه وجودي ، فلو كان أزليا لامتنع زواله ؛ لأن الوجودي الأزلي يمتنع زواله ؛ لأن المقتضى له إما موجب بنفسه أو لازم للموجب بنفسه ، ثم نقول ^(١) : والسكون يجوز زواله فلا يكون أزليا .

أجابوهم عن جواز دوام الحوادث بأجوبتهم المعروفة كما تقدم التنبيه على ذلك ، وأجابوهم عن السكون الأزلي بأن قالوا : ما ذكرتموه يناقض ما ذكرتموه / في حدوث الأجسام . وذلك أنكم إذا قلتم بحدوثها ٢١٠/٢ فلا يخلو ؛ إما أن تقولوا بجواز تسلسل الحوادث ، وإما أن لا تقولوا بجواز ذلك ^(٢) .

فإن قلتم بجواز تسلسل الحوادث وأن الأجسام حدثت بشرط حوادث متعاقبة ، كما قال ذلك من قاله من القائلين بحدوث الأجسام ، كالأرموى والأبهري وغيرهما . قالوا لهم : فإذا جَوَزْتُم تسلسل الحوادث بطل دليلكم على امتناع التسلسل في الآثار ، وأمكن حينئذ أن يكون الجسم القديم لم يزل متحركا ؛ فبطل دليلكم على حدوث الجسم . وإن قلتم لا يجوز تسلسل الحوادث والآثار ^(٣) ، وقلتم بحدوث

(١) س : ثم يقول .

(٢) ر : وإما أن لا تقولوا ذلك

(٣) م . ق : الحوادث في الآثار

الأجسام من غير سبب حادث - لزم أن لا يكون حدوث الحادثات متوقفا على سبب حادث ، بل كان الفاعل المختار يُحدث ما يحدث من غير سبب حادث أصلا ، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ومن وافقهم .

وحينئذ فيقول لهم منازعوهم من الهشامية والكرامية وغيرهم : فيجوز حينئذ أن يكون الجسم القديم الأزلى تحرك بعد أن كان ساكنا من غير سبب أوجب ذلك ، بل بمحض المشيئة والقدرة ؛ لأن القادر المختار يمكنه ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح : يرجح ^(١) السكون تارة والحركة أخرى .

فإن قالوا هم ^(٢) : نحن نقول : « يفعل بعد أن لم يكن فاعلا ، فإذا قلتم السكون أمر وجودي جعلتموه فاعلا في الأزل لأمر وجودي ، والفعل في الأزل محال » .

قالوا لهم : نحن ليس لنا غرض في أن نجعل السكون أمراً وجوديا ، ولا أن نجعله فاعلا في الأزل لأمر وجودي ، بل اتفقنا نحن وأنتم على أنه يفعل ما لم يكن فاعلا له من غير سبب حادث ، لكن نزاعنا في الفعل : هل يقوم به ؟ وفي الفاعل : هل هو جسم ؟ فإذا طالبتمونا ^(٣) بسبب فعله للحركة بعد السكون ، قلنا لكم : هذا بمنزلة فعله لكل محدث بعد أن لم يكن فاعلا ، والفرق إنما يعود إلى محل الفعل لا إلى سببه

(١) س ، هـ : فرجح

(٢) س . هـ : فإن قالوا لهم

(٣) ر : فإذا طالبتموها

ومقتضيه . وتلك مسألة أخرى قد تُكَلِّم عليها في غير هذا الموضع ، وإلا
فن جهة المطالبة بسبب الفعل الحادث لا فرق بيننا وبينكم ، بل قولنا
أقرب /إلى المعقول من قولكم ، فإن أحداث الأمور المنفصلة بدون ٢١١/٢
حدوث فعل يقوم بالفاعل أمر غير معقول ، بخلاف العكس .

فإذا قالوا لهم : السكون أمر وجودي ، فإذا كان أزليا كان له
موجب قديم ، فيمتنع زواله .

قالوا لهم : حدوث ما يحدث إما أن يقف على سبب حادث ، وإما
أن لا يقف ، "فإن وقف على أمر حادث بطل قولكم" (١) بحدوث
الأجسام ، وإن لم يقف فقد يقال : فرق بين حدوث حادث يزيل أمراً
وجودياً وحدوث حادث يزيل أمراً عدمياً (٢) ، فإن لم يقف بطل قولكم
بحدوث الأجسام ، وإن وقف فلا فرق بين حدوث حادث يزيل أمراً
وجودياً ، أو حدوث (٣) حادث لا يزيل أمراً وجودياً . وذلك أنه إن
جُوز على الفاعل أن يحدث ما يحدث من غير تجدد أمر فقد تغير الأمر
الذي لم يزل بلا سبب اقتضى التغير إلا محض مشيئة الفاعل وقدرته ،
وحينئذ فيجوز أن يتغير السكون الذي لم يزل بدون سبب يقتضى التغير إلا
محض مشيئة الفاعل وقدرته . وإذا كان الفاعل القادر المختار قادر على أن
يحدث ما يحدث ويجعل المعلوم موجوداً بدون سبب حادث أصلاً لأنه
يمكنه ترجيح أحد طرفي الممكن (٤) بلا مرجع ، كان قادراً على أن يجعل

(١-١) : ساقط من (س) فقط

(٢) ط . ر . ص : قولهم

(٣) م . ق : وحدوث

(٤) أحد طرفي الممكن : كذا في جميع النسخ . وكتب محققاً نسخة (م) في التعليق : « في

الأصل الخطي : ترجيح أحد مقدوريه وهما في المعنى سواء » .

الساكن متحركاً بدون سبب حادث أصلاً ، لأنه يمكنه ترجيح أحد طرفي الممكن بلا إحداث الأجسام التي تكون ساكنة ومتحركة أعظم من إحداث نفس حركاتها ، فإذا أمكنه إحداثها بدون سبب حادث فأحداث حركاتها أمكن وأمكن .

ويقال لهم : لو خلق الباري تعالى جسماً ساكناً ثم أراد تحريكه بدون سبب حادث : أكان ذلك ممكناً أو ممتنعاً ؟

فإن قلتم : « يمتنع ذلك » بطل مذهبكم ودليلكم . وإن قلتم : « يمكن ذلك » . / قيل لكم : فالقول في زوال ذلك السكون كالقول في زوال غيره . فإنه يقال : السكون أمر وجودي ، وذلك السكون الوجودي لا بد له من سبب . وحينئذ فتجئ مسألة زوال الضد : هل هو بإحداث ضد آخر ، أو بإحداث عدمه ، أو بخلق فناء ، أو نفس الأعراض لا تبقى ؟ فيقال في هذا ما يقال في ذلك^(١) .

ومن قال : « السكون الوجودي لا يبقى زمانين بل ينقضي شيئاً فشيئاً » . قيل له : فكذلك إذا قدر السكون قديماً فإنه لا يبقى زمانين . بل يحدث شيئاً فشيئاً ، وحينئذ فكل جزء من أجزاء السكون ليس هو قديماً بنفسه ، كما قلتم في كل جزء من أجزاء الحركة : ليس هو قديماً بنفسه .

فإذا كان القائلون بأن السكون أمر وجودي يقولون : إنه يتجدد شيئاً فشيئاً كما يقولون مثل ذلك في الحركة .

(١) م . ق . ر . ص : في ذلك

قيل لهم : فيكون دليلكم على امتناع كون الازلى ساكنا من جنس دليلكم على امتناع كونه متحركا ، وهو تناهى الحوادث ، وقد تقدم الكلام فيه .

فإذا قالوا : « السكون أمر وجودى فإذا كان قديما امتنع زواله ؛ لأن ما وجب قدمه امتنع عدمه ، لأن القديم إما أن يكون واجبا بنفسه أو من لوازم الواجب بنفسه » .

قيل لهم : هذا مثل أن يُقال : عدم الفعل هو تركه ، وترك^(١) الفعل أمر وجودى ، فإذا كان قديما امتنع عدمه ؛ لأن ما وجب قدمه امتنع عدمه .

فإذا قالوا : « عدم الفعل ليس هو تركا وجوديا » أمكن أن يقال : عدم الحركة ليس هو سكونا وجوديا .

وقد ضعّف الآمدى وغيره هذه الحجة : حجة الحركة والسكون^(٢) ، وهى فاسدة على أصول من يقول بأن الأعراض لا تبقى زمانين من هذه الجهة ، وهى فى الأصل من حجج المعتزلة الذين يقولون بجواز بقاء الأعراض ، لكن من ينازعهم من الهشامية والكرامية وغيرهم : ممن يقول بإثبات جسم قديم ، وأنه قام به من / الفعل ما لم يكن قائما - سواء ٢١٣/٢ سمّوا ذلك حركة ، كما يقربعضهم بذلك ، أو لم يسموه حركة كما يمتنع بعضهم من ذلك - فإن المقصود المعانى العقلية لا الإطلاقات اللفظية .

(١) ط . ر : أو ترك

(٢) انظر كتاب « غاية المرام فى علم الكلام » للآمدى . ص ٢٦٢ - ٢٦٣ (وانظر تعليق المحقق)

تحقيق الأستاذ (الدكتور) حسن محمود عبد اللطيف . القاهرة . ١٩٧١/١٣٩١

فإذا قال من قال من معتزلة البصرة : « إن إفناء^(١) الأجسام بإحداث
فناء لا في محل ، كما أن إحداثها بحدوث إرادة لا في محل » والتزموا
حدوث عرض لا محل له ، وحدوث الحوادث بلا سبب حادث ، وأن
من الحوادث ما يحدث بدون إرادة ، وقالوا : لا يزول الضد إلا بحدوث
ضده^(٢).

قال لهم هؤلاء : فكذلك إذا قدرنا جسماً قديماً تحرك بعد أن كان
ساکناً ، كان زوال ذلك السكون بحدوث ضده من الحركة وحدوث
ذلك بما^(٣) به يحدث المنفصل ، ومن قال : « العرض يعدم بإحداث
إعدام » كما هو أحد القولين لمتكلمة أهل الإثبات من الأشعرية والكرامية
وغيرهم ، قالوا : ذلك السكون يعدم بإحداث إعدام . والقول في سبب
حدوث الإعدام كالقول في حدوث سبب الإحداث .

وإن قالوا : « إن السكون ينقض شيئاً فشيئاً كما تنقض الحركة شيئاً
فشيئاً » كما قالوا مثل ذلك في سائر الأعراض - كما هو أحد قولي أهل
الإثبات من الأشعرية وغيرهم - قالوا لهم : فالسكون إذن كالحركة ،
فكما أن الحركة متعاقبة الأجزاء فكذلك السكون .

ولا ريب أن هذه الأمور تلزم المستدلين بدليل الحركة والسكون لزوماً
لا مَحِيدَ عنه ، وإنما التبس مثل هذا لأن الواحد من هؤلاء يبنى على
المقدمة الصحيحة في موضع ، ويلتزم ما يناقضها في موضع آخر ، فيظهر

(١) م . ق : فناء

(٢) س . ص . ط . ر : إلا بحدوث ضده

(٣) بما : كذا في (س) . (هـ) . وفي سائر النسخ : عما .

من تناقض أقوالهم ما يبين فسادها ، لكن قد يكون ما أثبتوه في أحد الموضوعين صحيحاً متفقاً عليه ، فلا ينازعهم الناس فيه ولا في مقدماته ، وقد تكون المقدمات فيها ضعف ، لكن لكون^(١) النتيجة صحيحة يتساهل^(٢) الناس في تسليم مقدماتها . وإنما يقع تحرير المقدمات والتزاع فيها إذا كانت النتيجة مؤرد نزاع .

والمسلمون / متفقون على أن الله سبحانه وتعالى وصفاته اللازمة لذاته ٢١٤/٢ لا يجوز عليها العدم ، وقد اشتهر في اصطلاح المتكلمين تسميته بالقديم ، بل [غالب]^(٣) المعتزلة ومن سلك سبيلهم غالباً ما يسمونه بالقديم ، وإن كان من المعتزلة وغيرهم من لا يسميه بالقديم ، وإن سماه بالأزلي ، وأكثرهم يجعلون القدم أخص وصفه ، كما أن الفلاسفة المتأخرين الإلهيين غالباً ما يسمونه به « واجب الوجود » والمتقدمون منهم غالباً ما يسمونه به « العلة الأولى » و« المبدأ الأول » .

فاذا قرر المقرر أن ما وجب قدمه امتنع عدمه كان من المعلوم أن الرب القديم الواجب الوجود يمتنع عدمه تعالى ، وليس عند المسلمين قديم قائم بنفسه غيره ، حتى يقال : إنه يمتنع عدمه ، والمتفلسفة القائلون بقدم الأفلاك يقولون : إنه يمتنع عدمها ، فهذه المقدمة وإن كانت صحيحة في نفسها فلا يصلح أن يستدل بها من قال بما يناقضها أو بما يستلزم ما يناقضها ، فإن نفس ما يستدل به عليها إذا ناقض قوله أمكن

(١) م (فقط) : لكن تكون

(٢) س ، ص ، ط ، ر ، هـ : فيتساهل

(٣) غالب : زيادة في (س)

معارضه أن يبطل حجته بالاعتراض المركب ، لا سيما إذا اقتضى فساد قوله على التقديرين .

فن كان من أصل قوله إن الفاعل المختار له أن يرجع أحد المقدورين على الآخر بلا مرجح أصلاً ، بمجرد كونه قادراً ، أو بمجرد إرادته القديمة ، وقُدِّر مع ذلك جسم قديم قادر مختار يقبل الحركة والسكون ، كان تحركه بعد سكونه الدائم بمنزلة تحريكه لغيره ، فإن أمكن تحريكه لغيره بمجرد كونه قادراً أو بمجرد إرادته أمكن ذلك في هذا الموضع ، ولا يمتنع^(١) من ذلك إلا أن يقوم دليل على أن الجسم يمتنع قدمه ، أو أن القديم يمتنع كونه يتحرك ، لكن هؤلاء إذا لم يثبتوا حدوث الجسم أو امتناع تحرك القديم إلا بهذا الدليل لم يمكنهم أن يجعلوا من مقدمات الدليل حدوث الجسم أو امتناع حركة القديم ، بل إذا كان حدوث الجسم أو امتناع حركة القديم موقوفاً على هذا الدليل كانوا قد صادروا على المطلوب ، وجعلوا المطلوب حجة في إثبات نفسه ، لكن غيروا العبارات ، وداروا الدورات ، وهم / من موضعهم لم يتغيروا . فلهذا كان مَنْ وافقهم وفهم كلامهم حائراً لم يفده علماً ، ومن لم يفهمه ووافقهم كان جاهلاً مقلداً لأقوام جهال ضلّال يُظهرون أنهم من أعلم الناس بأصول الدين والكلام والعقليات .

٢١٥/٢

ثم إن الرازي ذكر^(٢) من جهة المنازعين^(٣) بأن هذه الوجوه الستة في امتناع كون الجسم أزلياً متحركاً - التي تقدمت ، وتقدم اعتراض

(١) ولا يمتنع : كذا في (س) . وفي سائر النسخ : ولا يمنع

(٢) انظر الأربعين . ص ٢١ - ٢٢

(٣) م . ق : المنازعين

الأرموى عليها - معارضة : « بأن »^(١) امتناع الحركة في الأزل إن كان لذاتها وجب أن لا توجد^(٢) أصلاً ، وإن كان لغيرها فذلك المانع إن كان واجباً لذاته فكذلك ، وإن كان واجباً لغيره عاد الكلام فيه وتسلسل ، أو ينتهي^(٣) إلى واجب الوجود لذاته ، ولزم امتناع زوال المانع .

فإن قلت : المانع هو مسمى الأزل ؛ لأنه ينافي المسبوقية بالغير التي تقتضيها الحركة ، وإنه زائل فيما لا يزال :

قلت : التردد المذكور عائد في مسمى الأزل أنه^(٤) : هل هو واجب لذاته أو لغيره ؟ .

وأجاب الرازي عن هذه المعارضة فقال^(٥) : « قوله : صحة الحركة أزلية . قلنا : إنه لا يلزم^(٦) من أزلية الصحة صحة الأزلية » . [قلت : ^(٧)] ولقائل أن يقول : ما تعني بقولك : صحة الحركة أزلية ، أتعني به : أنه يصح وجود الحركة في الأزل ؟ أم تعني به أنه في الأزل يصح الحكم عليها بالصحة [فيما لا يزال]^(٨) ؟ أما الأول :

(١) ذكر الأرموى في « لباب » ص ١٠ : ثم الأدلة الدالة على بطلان القسم الأول معارضة بأن . .

(٢) لباب : أن لا يوجد

(٣) س . ط : أو انتهى

(٤) م (فقط) : إلى أنه

(٥) لباب . ص ١١

(٦) لباب : سبق إنه لا يلزم

(٧) قلت : زيادة في (س)

(٨) فيما لا يزال : زيادة في (س)

فهو تسليم للمطلوب ، وأما الثاني : فهو حكم علمي لا كلام فيه ، كالأحكام العقلية الذهنية فينا ، فإنه يصح في الأزل الحكم بالامتناع على الامتناعات كما يصح الحكم بالجواز على الجائزات ، ثم يقال : الحركة في الأزل إما ممتنعة الإمكان ^(١) العام الذي يدخل فيه الواجب وإما ممكنة ^(٢) ، فإن كانت ممتنعة فهو باطل كما تقدم ، وإن كانت ممكنة كان الدليل على امتناعها باطلا ، فبطلت الوجوه الدالة على امتناع الحركة في الأزل .

ولم يرض أبو الحسن الآمدى هذا الجواب الذي ذكره الرازي ، بل ذكر جوابا آخر ، فقال : « وجوابه أن يُقال : لا يلزم من امتناع الوجود الأزلي على / الحركة لذاتها امتناع الوجود الذي ليس بأزلي ، فإذا ما هو الممتنع غير زائل ، وهو ^(٣) الوجود الأزلي ، وما هو الجائر لم يكن ممتنعا » .

[قلت] ^(٤) : ولقائل أن يقول : هذا يستلزم انقلاب الشيء من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي [من غير تجديد سبب يوجب هذا الانقلاب] ^(٥) بما لا ينضبط لا في الوجود ولا في العقل ، فإن الإمكان الذاتي ثابت بالضرورة والاتفاق ، وما من وقت يُقدَّر فيه الإمكان إلا والإمكان ثابت قبله ، لا إلى غاية ، فليس للإمكان ابتداء محدود .

يبين ذلك : أنه قد يقال : صحة الحركة أو إمكان الحركة أو جواز

(١) س : إما ممكنة الإمكان

(٢) س : وإما ممتنعة

(٣) س : بما هو

(٤) قلت : زيادة في (س)

(٥) ما بين المعقوفين زيادة في (س)

الحركة ، [وصحة الفعل أو جواز الفعل أو إمكان الفعل] ^(١) إما أن يكون له ابتداء وإما أن لا يكون ؛ فإن لم يكن له ابتداء لزم أنها لم تزل جائزة ممكنة ، فلا تكون ممتنعة ؛ فتكون جائزة في الأزل . وإن كان لجوازها ابتداء فمعلوم أنه ما من وقت يُقدّره الذهن إلا والجواز ثابت قبله ؛ فكل ما يُقدّر فيه ^(٢) الجواز فالجواز ثابت قبله لا إلى غاية ؛ فعلم أنه ليس للجواز بداية ، فيكون جواز ثبوت الحركات دائما لا ابتداء له . ويلزم من ثبوت الجواز عدم الامتناع .

وإذا قال القائل : إن مسمى الحركة ممتنع في الأزل ، قيل : معنى هذا الكلام أن مسمى الحركة يمتنع أن يكون قبله حركة أخرى لا إلى أول ، وزوال الأزل ليس موقوفا على تجدد أمر من الأمور ، فإن المتجدد هو من الحوادث ، فتكون الحركة ممتنعة ، ثم صارت ممكنة من غير تجدد أمر من الأمور .

فإن قيل : المتجدد هو عدم الأزل أو انقضاء الأزل أو نحو ذلك . قيل : عدم الأزل ليس شيئا كان موجودا فعدم ولا معدوما فوجد ؛ إذ معنى الأزل في الماضي كمعنى الأبد في المستقبل ، فما ليس بأزلي فهو متجدد حادث ، فإذا قيل « يشترط في جواز المتجدد الحادث تجدد المتجدد الحادث » كان المعنى أنه يشترط في إمكان الشيء ثبوته ، ومن المعلوم أن ثبوته كاف في إمكانه .

(١) ما بين المعقوفين زيادة في (س)

(٢) فيه : كذا في (س) . (هـ) . وفي سائر النسخ : منه

يوضح هذا : أن القائل إذا قال : كل ما يسمى متجددا حادثا^(١) إما أن يكون ممكنا في الأزل وإما أن لا يكون ، فإن كان ممكنا بطل القول بامتناعه في الأزل ، / وإن كان ممتنعا ثم صار ممكنا لزم انقلابُ الشيء من كونه ممكنا إلى كونه ممتنعا من غير تجدد شيء أصلا ، وإذا كان القول بحدوث الحوادث بلا سبب ممتنعا لاستلزامه ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح ؛ فالقول بتجدد الإمكان والجواز أو حدوث الإمكان والجواز بلا سبب حادث أولى بالامتناع ، إذ كانت الحقيقة المحكوم عليها بالجواز والامتناع هي بالنسبة إلى كل ما يقدر في كل وقت وقت ، وإذا كانت نسبة الحقيقة إلى كل ما يقدر من الأوقات كنسبتها إلى الوقت الآخر امتنع اختصاص أحد الوقتين بجواز^(٢) الحقيقة فيه^(٣) دون الوقت الآخر ، وإذا امتنع الاختصاص إلا بمخصص ، ولا مخصص ، لزم : إما الامتناع في جميع الأوقات ، وهو باطل^(٤) بالحس والإجماع ، فلزم الإمكان والجواز في جميع الأوقات وهو المطلوب .

وعلى هذا التقدير : فيمكن أن ينظم ما ذكره^(٥) من المعارضة بعبارة لا يرد عليها ما ذكر^(٦) بأن يقال : إن قيل إن الحركة لم تزل ممكنة

(١) عبارة « كل ما يسمى متجددا حادثا » عليها شطب في نسخة (س) وأشار إلى الهامش حيث كتبت كلمة لم تظهر في الصورة

(٢) بجواز : كذا في (س) . (هـ) وفي سائر النسخ : لجواز

(٣) س . ط . ر . هـ : فيها

(٤) م (فقط) . . . جميع الأوقات [وإما الترجيح بلا مرجح] وهو باطل . وذكر المحققان أن ما بين المعقوفين : زيادة يقتضيها السياق .

(٥) س . هـ : ما ذكره

(٦) س . هـ : ما ذكره

ثبت المطلوب ، وإن قيل إنها كانت ممتنعة ثم صارت ممكنة فالامتناع إما لذاتها وإما لموجب واجب بذاته^(١) ، وعلى التقديرين فيلزم دوام الامتناع ، وإن كان لا لذاتها^(٢) ولا لموجب بذاته فلا بد أن يكون الامتناع لأمر واجب بغيره ، وحينئذ فالكلام في ذلك المانع كالكلام في غيره ، ويلزم التسلسل ، ثم يقال : تسلسل الموانع إن كان ممكناً ثبت جواز التسلسل ، وأمكن القول بتسلسل الحوادث ، وإن كان تسلسل الموانع ممتنعاً بطل كون الامتناع متسلسلاً ، وقد بطل كونه واجباً بنفسه أو بغيره ؛ فلا يكون الامتناع ثابتاً في الأزل ؛ فيثبت نقيضه ، وهو الإمكان .

وأيضاً ذلك بعبارة أخرى أن يُقال : مسمى الحركة إما أن يكون ممتنعاً في الأزل ، وإما أن لا يكون ؛ فإن لم يكن ممتنعاً في الأزل ثبت إمكانه ، فيكون مسمى الحركة ممكناً في الأزل ، وإن كان ممتنعاً في الأزل فامتناعه إما لنفسه ، وإما /لموجب واجب بنفسه ، أو لازم ٢١٨/٢ للواجب ، وحينئذ فلا يزول الامتناع ، وإن كان لمعنى متسلسل لزم جواز التسلسل ، وهو يستلزم بطلان الأصل الذي بُني عليه امتناع تسلسل الحوادث .

وسر هذا الدليل : أن الأزل ليس هو شيئاً معيناً محدوداً ، ولكن ما من وقت يقدر إلا وقبلة شيء آخر ، وهلمَّ جرّاً . وهذا هو التسلسل ، فيلزم من تحقق^(٣) الأزل التسلسل .

(١) س : وإما لموجب بذاته

(٢) ط . ر . هـ . وإن كان لذاتها

(٣) م . ق . ط . هـ : لمن يحقق : ص : من يحقق . والعبارة ساقطة في (ر)

لكن قد يقال : تسلسل العدميات ليس كتسلسل الوجوديات ، بل تسلسل العدميات ممكن ، بخلاف تسلسل الوجوديات ، ويكون حدوث الحوادث موقوفاً على تسلسل العدميات ، فيقال : إن لم يكن تسلسل العدميات أمراً محققاً فلا حقيقة له ، فيكون إمكان حدوث الحوادث موقوفاً على مالا حقيقة له . وهذا باطل ، وإن كان تسلسلها أمراً محققاً فقد ثبت أن تسلسل الأمور المحققة جائز ، وأنه أزلى ، مع أن كل واحد من تلك التسلسلات ^(١) ليس بأزلى ، وهذا ينقض ما ذكرناه في امتناع تسلسل الحوادث ؛ فهم بين أمرين : إما أن يقولوا بالترجيح بلا مرجح ، وإما أن يقولوا بجواز التسلسل ، وهذا بعينه هو الذي يلزمهم في قولهم : إنه لا بد للحوادث من ابتداء ، فكما أنهم في هذا يلزمهم إما الترجيح بلا مرجح وإما التسلسل ، فكذلك في قولهم « إنه لا بد لإمكانها من ابتداء » يلزمهم إما هذا وإما هذا ، والقول بالترجيح بلا مرجح تام ممتنع ، وهم متفقون ^(٢) على أن الترجيح بلا فاعل مرجح ممتنع ، لكن لا يشترطون تمام ما به يكون مرجحاً ، بل يقولون : يحصل الترجيح ^(٣) التام من غير حصول الرجحان ، [ويحصل الرجحان] ^(٤) بدون المرجح التام ، بناء على أن القادر يرجح أحد مقدوريه بلا مرجح ، [إذ أن الإرادة القديمة ترجح أحد المثلين بلا مرجح] ^(٥) والقول بجواز التسلسل

(١) ر : التسلسلات ؛ م . ط : المسلسلات

(٢) س : وهم يوافقون

(٣) م . ق . ص . ط . ر : المرجح

(٤) ويحصل الرجحان : زيادة في (س)

(٥) ما بين المعقوفين كلام غير واضح في هامش (س) وكذا استظهرته . وهو ساقط من سائر

النسخ . ومكان هذا الكلام في نسخ (ر) . (ط) . (ص) يوجد بياض وكتب في هامش

(ط) . (ر) : انقطع . وفي (ص) : بياض الأصل

يبطل القول بامتناع التسلسل ، فثبت بطلان قولهم على التقديرين^(١) .

(١) في نسخة (س) بعد كلمة التقديرين عبارة « والله أعلم » وفي نسخة (ط) كتب في الهامش ما يلي : « بلغ مقابلة على أصله المنقول منه بعون الله تعالى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم وفي هامش نسخة (ص) كتب ما يلي : « بلغ مقابلة على الأصل بحسب الطاقة والحمد لله وحده »

وفي أسفل الصفحات في (ط) ، (ر) ، (ص) كتب ما يلي : « نجز الجزء الأول بعون الله » زادت نسخة (ص) : والحمد لله « يتلوه في الجزء الثاني : قال الرازي : البرهان الثاني : كل جسم مثناه » .

وفي نسخة (ر) كتب بعد ذلك مايلي : « فرغت منه ٢٢ من شهر جمادى الأولى ١٣٣ (ورحبت في المقدمة . ج ١ ص ٤٥ أن يكون ١٠٣٣) والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا دائما آمين »
وفي نسخة (ص) كتب في أسفل الصفحة ما يلي : « فرغ منه ناقله ثالث عشر شهر ذي القعدة الحرام ١٣٠٥ والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على إمام المتقين محمد وآله وصحبه أجمعين . اللهم آمين »

فهرس موضوعات الجزء الثاني من كتاب درء تعارض العقل والنقل

صفحة

رموز الكتاب	١
(فصل) دلالة السمع على أفعال الله تعالى	١٤٧ - ٣
مسألة قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى وأقوال	
السلف فيها	١١٥ - ١٨
كلام الخلال في كتاب السنة	٢٥ - ٢٤
كلام الأشعري في المقالات	٢٦ - ٢٥
أقوال أخرى لأئمة أهل السنة : كلام أبي عثمان الصابوني	
في رسالته في السنة	٢٨ - ٢٦
كلام البيهقي في الأسماء والصفات	٢٩ - ٢٨
كلام الخلال في كتاب السنة عن أقوال الإمام	
أحمد بن حنبل	٣٧ - ٢٩
كلام آخر للخلال في « السنة »	٤١ - ٣٧
كلام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد »	٤٥ - ٤١
كلام المحاسبي في « فهم القرآن »	٤٧ - ٤٥
كلام محمد بن الميهم في « جمل الكلام »	٤٩ - ٤٧
كلام الدارمي في « النقض على بشر المريسي »	٦٠ - ٤٩
كلام الدارمي في « الرد على الجهمية »	٦٦ - ٦٠
عود إلى كتاب « النقض على المريسي »	٧٤ - ٦٦
كلام أبي بكر عبد العزيز في « المقنع »	٧٤
كلام القاضي أبي يعلى في « إيضاح البيان »	٧٥ - ٧٤
كلام عبد الله بن حامد في « أصول الدين »	٧٦ - ٧٥

صفحة

- كلام أبي إسماعيل الأنصارى فى « مناقب أحمد بن حنبل » ٧٦-٨٢
- كلام الأنصارى فى « ذم الكلام » ٨٢-٨٦
- كلام السجزي فى « الإبانة » ٨٦-٩٤
- كلام أبي القاسم الأصبهاني فى « الحجة على تارك المحجة » ٩٤-٩٥
- كلام أبي الحسن الكرجي فى « الفصول فى الأصول » ٩٥-١٠٦
- كلام أبي حامد الإسفرايينى فى « التعليق فى أصول الفقه » ١٠٦-١٠٩
- كلام أبي محمد الجوينى فى « عقيدة أصحاب الشافعى » ١٠٩-١١٥
- دلالة القرآن على مسألة أفعال الله تعالى ١١٥-١٢٤
- دلالة السنة على أفعال الله تعالى ١٢٤-١٤٧
- الناس فى مسألة أفعال الله تعالى ثلاثة أقسام ١٤٧-١٤٩
- أصل خطأ المبتدعة فى هذه المسألة ١٤٩-١٥٦
- كلام الرازى والآمدى عن أدلة النفاة ١٥٦-١٦٤
- كلام ابن ملكا فى « المعتبر » ١٦٤-١٧٢
- تعليق ابن تيمية ١٧٢-١٧٤
- كلام آخر للرازى ١٧٤-١٧٧
- تعليق ابن تيمية ١٧٧-١٨٨
- أقوال الجوينى فى مسألة أفعال الله ورد ابن تيمية عليه ١٨٨-٢٠٧
- كلام الرازى فى « الأربعين » فى مسألة الأفعال والرد عليه ٢٠٧-٢٢٦
- الاستدلال على النفى بدليل آخر والرد عليه من وجوه ٢٢٦-٢٣٧
- معارضة بعض المتكلمين للرازى ٢٣٧-٢٣٨
- الرد عليهم من وجوه ٢٣٨-٢٤٤
- الوجه الأول ٢٣٨
- الوجه الثانى ٢٣٨-٢٣٩
- الوجه الثالث ٢٣٩-٢٤٤
- طريقة الأئمة فى مسألة القرآن ٢٤٤-٢٤٥

صفحة

كلام عبد العزيز الكنانى فى مسألة القرآن	
وصفات الله والتعليق عليه	٢٨٢-٢٤٥
الرد على حجة الفلاسفة فى مسألة التسلسل من وجوه	٢٨٨-٢٨٢
العودة إلى التعليق على كلام عبد العزيز الكنانى ...	٢٩١-٢٨٨
كلام أحمد بن حنبل فى مسألة أفعال الله والتعليق عليه	٣٠٤-٢٩١
المقالات المختلفة فى مسألة كلام الله تعالى	٣٠٩-٣٠٤
عدم ذكر المصنفين فى أصول الدين لقول السلف ..	٣٢٤-٣٠٩
عدم ذكر الشهرستانى لقول السلف فى نهاية الإقدام	٣٢٤-٣١٥
العودة إلى الكلام على الرازى وموقفه فى مسألة القرآن	
ومسألة أفعال الله	٣٤٤-٣٢٤
حجج الرازى فى « الأربعين » على حدوث العالم	
ومعارضة الأرموى له.	٣٩٩-٣٤٤
البرهان الأول والكلام عليه... ..	٣٩٩-٣٤٤
امتناع حوادث لا أول لها من وجوه	٣٩٩-٣٤٥
الأول والتعليق عليه	٣٤٦-٣٤٥
الثانى والتعليق عليه	٣٤٩-٣٤٦
الثالث والتعليق عليه	٣٥١-٣٤٩
الرابع والتعليق عليه	٣٦٥-٣٥١
الخامس والتعليق عليه... ..	٣٦٩-٣٦٥
السادس والتعليق عليه... ..	٣٩٩-٣٦٩
فهرس موضوعات الجزء الثانى من كتاب	
درء تعارض العقل والنقل	٤٠٣-٤٠١

تم الجزء الثاني من كتاب « درء تعارض العقل والنقل » لابن تيمية بحمد الله
ويتبعه إن شاء الله الجزء الثالث وأوله :
قال الرازي : البرهان الثاني كل جسم متناهي القدر... الخ

رقم الإيداع ٩٥٢٥ / ١٩٩٠ م
I.S.B.N : 977 - 256 - 013 - 5

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - بجيزة

٣٤٥٢٥٧٩ ☎ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦

المطبعة : ٦ ، ٢ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء ٠٠ ☎ ٣٤٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

